

دراسات سودانية في
الآثار والفولكلور والتاريخ

صلاح عمر الصادق




دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان
ناشرون وموزعون ووكلاء دور نشر

الغلاف : جمال

دراسات سودانية

في

الآثار والفولكلور والتاريخ

دراسات سودانية
في
الآثار والفولكلور والتاريخ

صلاح عمر الصادق



دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان

الكتاب : دراسات سودانية فى الآثار والفولكلور والتاريخ
المؤلف : صلاح عمر الصادق
رقم الايداع : ٣٢٤٨ / ٢٠٠٦
تاريخ النشر : ٢٠٠٦
ردمك : ٦١ - ٥٤ - ٩٩٩
حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة ولا يسمح بإعادة نشر هذا العمل كاملا أو أى قسم من أقسامه ، بأى شكل من أشكال النشر إلا بإذن كتابى
الناشر : دار عزة للنشر والتوزيع
الإدارة : شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة .
ت : ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ - ٢٤٩ +)
التوزيع : دارعزة للنشر والتوزيع ت : ٨٣٧٨٧٢٠١
السودان - الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩
بريد إلكترونى azzaph @ yahoo.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة

أولاً: دراسات في الآثار

ثانياً: دراسات في الفولكلور

ثالثاً: دراسات في التاريخ:

مُقَدِّمَة

الدراسات المتضمنة في هذا الكتاب هي عبارة عن دراسات نشرت في مجلات مختلفة علي فترات زمنية متتابعة وهي تبحث في مجال الآثار والتراث والتاريخ وقد رتبت حسب فترات نشرها وكل في مجاله ولما كانت المجلات التي نشرت فيها قد نفذت من مكتبات بيع الكتاب إضافة إلي أن كثير من المكتبات الجامعية ومراكز البحوث لا توجد بها أقسام للدراسات ، عليه فهي لا تهتم باقتناء هذه المجلات لمجموعتها المكتبية مما يؤدي إلي ضياع أو اختفاء كثير من الدراسات العلمية المقدرة والتي تكون فائدتها العلمية متواصلة وخاصة مع انتشار الجامعات وقيام كثير من مراكز البحوث العلمية.

لحل الإشكالية السابقة كانت إدارة هذه المجلات تقوم في السابق بتجميع أكثر من عدد وإصداره في شكل مجلد ، ولكن نسبه للتكلفة المالية لإخراج هذه المجلدات وضعف تسويق المجلات فقد اكتفت الإدارة بإخراج الأعداد فقط.

ونسبه لما سبق فقد رأيت أن إخراج هذه الدراسات في كتاب حتى تعم فائدته وان يصل لمن يريده. والعمل الذي أخرجه الآن أن كانت تنقصه الصور والرسومات والخرائط التي صاحبت بعض الدراسات عند نشرها في المجلات من قبل، ولكن يبقي النص بصورته العلمية المكتملة محققاً المنهج العلمي للدراسة وخطواتها وأهدافها.

يشتمل الكتاب علي دراسات في الآثار السودانية بجميع فروعها إضافة إلي دراسات عن المتاحف السودانية بكافه تخصصاتها، كما أن هناك دراسات عن التراث السوداني في صورته المادية والشفاهية، ثم يختم الكتاب بدراسات في التاريخ.

دراسات في الاثار

من أهم المناطق الأثرية في السودان
ومناطق التنقيب والترميم

١/ مروي القديمة:

تقع هذه المنطقة الأثرية في قرية البجراوية شمال كبوشية مباشرة وقد كانت عاصمة مملكة مروي ألقرن السادس قبل الميلاد ـ القرن الرابع الملادي وتوجد فيها الآن بقايا المدينة القديمة من قصور ومعابد وحمام فريد من نوعه بني علي الطراز الروماني أيضاً بها واحدة من أكبر الجبانات الملكية في السودان الاهرامات .تقوم مصلحة الأثار حالياً بمشروع أعادة بناء وترميم هذه الاهرامات.

٢/ جبل البركل:

كان جبل البركل مركزاً دينياً هاماً منذ عهد المملكة المصرية الحديثة وأهم مركز ديني في عهد ملوك نبتة (مروي) وفيه كان يتم تتويج الملوك وتشمل المنطقة الاثرية مجموعة من المعابد والاهرامات سنويا تحت اشراف الإدارة العامة للأثار بالتنقيب في هذا الموقع في شهر مارس وقد ادت هذه التنقيبات لاكتشاف العديد من المعابد.

٣/ الكرو:

الكرو هي الجبانة الأولي لملوك نبتة مروي القدماء وفيها واحد من أروع القبور في السودان والقبر محفور في الصخر ومحلي برسومات ملونة وجميلة وقد قامت مصلحة الأثار بترميم هذه الجبانة.

٤/ مروي الحديثة:

تعرف هذه المنطقة الأثرية بمنطقة صنم أبو دوم ومن المحتمل أن تكون هذه هي نبتة العاصمة الأولي لمملكة نبتة مروي، وتشمل المنطقة قصر ومجموعة من المعابد.

٥/ نوري:

من أهم الجبانات الملكية في السودان ويرقد تحت رمالها حوالي ٣٢ ملكا من ملوك نبتة الأوائل.

٦/ النقعة:

علي بعد ٤٠ ميلاً شرق ود بانقا، وقد كانت مركزاً دينياً وتشمل العديد من المعابد ومبني غير معروف يعرف بالكشك الروماني لانه مبني علي الطراز

الروماني ومن المحتمل أن يكون هـا الموقـع قـد أنـشئ في عهـد الملـك المـروي نْتكاماني والملكة أماني تيري.

٧/ المصورات الصفراء:

حوالي ١٠ أميال إلي الشمال من موقع النقعة ، العديد من المعابد والحفائر ومبني أخر يقال أنه من المحتمل أن يكون مركزاً لتربية وتـدريب الأفيـال نـسبة لكثرة تماثيل الأفيال الموجودة فيه كان هنالك رأي يقـول بأنـه منطقـة للزيـارة الدينية. قامت المصلحة بإعادة بناء احد المعابد المهمة في هذا الموقع.

٨/ الكدادة:

هذا الموقع يقع بالقرب من التراجمة وبالقرب مـن بيـارة مـشروع التراجمـة كبوشية الزراعي وهو من المواقع المكتشفة حديثاً ويشمل جبانات من عهد مـا قبل التاريخ والعهد المروي وتقوم مصلحة الآثار سنوياً بحملـة لا نقـاذ بعـض اجزاء الموقع المهددة بإنشاء المشروع الزراعي.

٩/ ود بانقا:

يشمل الموقع قصر من العهد المروي وقد أنهت مـصلحة الآثـار عمليـات التنقيب في هذا الموقع.

١٠/ سواكن:

ميناء عربي قديم ويشمل بقايا مدينة عربية بأكملها وتقوم مصلحة الآثـار بترميم أبنية هذا الموقع.

١١/ دنقلا العجوز:

هي عاصمة مملكة دنقلا المسيحية والتي سقطت في أيدي المسلمين في سـنة ١٣١٧ وفيها العديد من الكنائس والمنازل والجبانات المسيحية وفيها جامع دنقلا العجوز الشهير والذي حوله المـسلمون مـن كنيـسة إلـي جـامع تقـوم البعثـة البولندية بالتنقيب في هذا الموقع تحت إشراف مصلحة الآثار.

١٢/ الكوة:

مركز ديني يقع علي الضفة الشرقية مواجهة دنقلا الحديثة وهو مركـز مـن عهد مملكة مروي وفيه العديد من المعابد المروية.

١٣/ تبو:

يقع موقع تبو الأثري في جزيرة ارقو ومنه أتي أكبر تمثالين وجدا في السودان علي الأطلاق ، وهما تمثالي للملك مروي وموجود الآن في واجهة متحف السودان القومي وقد انتهت عمليات الحفر في أجزاء من هذا الموقع ويشمل الموقع كذلك بنايات من العهد المسيحي.

١٤/ كرمة:

كان الفهم السائد هو أن كرمة كانت مركزاً سياسياً وتجارياً مصرياً ولكن الكشوفات الحديثة أثبتت أن كرمة مملكة سودانية خالصة ويضم الموقع واحدة من اكبر الجبانات البشرية في السودان ومبني شاهق من الطوب الأخضر يعرف محلياً بالدفوفة الغربية ومن الراجح أن يكون مركزاً دينيا ومبني أخر من الطوب الأخضر ويعرف بالدفوفة وقد كان هنا غرفة جنائزية في العام الماضي ثم اكتشاف فرن في كرمة ومن الراجح أن يكون صهر البرنز Bronze وأن صح هذا القول فأن هذا الفرن سيكون الأول من نوعه في وادي النيل. وقد انتهت مملكة كرمة بالغزو المصري في فترة الأسرة الثامنة عشر المصرية. وتقوم بعثة جامعة جنيف السويسرية بالتنقيب في هذا الموقع الغني بآثاره تحت إشراف الإدارة العامة للآثار.

١٥/ وادي هوار:

تشمل منطقة وادي هوار في شمال درافور مجموعة كبيرة من المناطق الأثرية من فترة ما قبل التاريخ وتقوم جامعة كولون الألمانية الغربية سنويا بمسح اثري في هذه المواقع تحت إشراف الإدارة العامة للآثار.

١٦/ كسلا:

تشمل المنطقة المحيطة بكسلا مجموعة كبيرة من المواقع الأثرية ويقوم معهد الدراسات الشرقية بنابولي تحت أشراف الإدارة العامة للآثار سنويا بأجراء مسح لهذه المناطق وأجراء بعض الحفريات التجريبية بغرض معرفة نوعها وتاريخها.

١٧/ الاستوائية:

تقوم المصلحة بالتعاون مع بعثة المعهد البريطاني في شرق أفريقيا نيروبي

بأجراء مسح اثري في الاستوائية بغرض تسجيل المواقع الثرية الموجودة فيها وأجراء بعض الحفريات التجريبية.

١٨/ ساحل البحر الأحمر:

تقوم المصلحة بالتعاون مع جهات أخري بأجراء مسح أثري علي طول ساحل البحر الأحمر ولبعض الجزر السياحية الموجودة داخل البحر.

١٩/ الغزالي:

موقع مسيحي يقع علي بعد ٢٠ كم شرق مدينة مروي الحديثة ويشمل كنيسة ودير وجبانة مسيحية والمنطقة عبارة عن واحة في الصحراء وتقوم المصلحة من وقت لأخر بترميم بعض أجزاء الدير.

٢٠/ مديرية الخرطوم:

تقوم مصلحة الآثار بالتنقيب في عدد من المناطق الأثرية داخل مديرية الخرطوم :

أ/ الجيلي: موقع من فترة ما قبل التاريخ.

ب/ السقاي: ج ...

ج/ الكدرو: .....

د/ الجريف شرق: موقع مروي وفترة ما قبل التاريخ . ستقوم المصلحة بحملة انقاذ لهذه المواقع لانه مهدد بالدمار.

هـ/ الكلاكلة العقليين: هذا الموقع أيضا مهدد وستقوم المصلحة بانقاذه.

و/ الشهيناب: هذا الموقع من قترة ما قبل التاريخ وقد تم تنقيبه.

ز/ تحصينات المهدية: تمتد هذه علي الضفة الغربية للنيل من كبري أم درمان وحتى منطقة الشلال السادس وتقوم المصلحة بترميم هذه المواقع.

ك/ سوبا: موقع من العهد المسيحي وتجري فيه عمليات تنقيب بعثة المعهد البريطاني في شرق افريقيا تحت أشراف الإدارة العامة للآثار.

٢١/ ابوحجار:

موقع يرجع إلي فترة ما قبل التاريخ ويقع جنوب مدينة سنجة وتقوم بالتنقيب في هذا الموقع جامعة هامبورج الألمانية الغربية تحت أشرف الإدارة العامة للآثار.

إدارة وحماية المواقع الأثرية
والتاريخية في السودان

التطور الحضاري للسودان:

بدأ التطور الحضاري في السودان في أماكن مختلفة فقد نشأت العصور الحجرية في أواسط السودان فقد ظهر إنسان العصر الحجري القديم من ٨٠٠٠ ـ ٠٠٠,١٠٠ ق.م بام درمان واشهر مناطقه خور أبو عنجة ، وتلي ذلك العصر الحجري الوسيط ٨٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م وتعتبر الشهيناب شمال أم درمان ومن اميز مواقع العصر الحجري الحديث .

كان التطور يشمل كافة أنحاء السودان فنجد في منطقة النوبة في شمال السودان نشأت حضارة المجموعة الأولي والثالثة التي استمرت من ٢١٥٠ ـ ٣١٠٠ ق.م ثم سادت المملكة المصرية الوسطي والتي تميزت بتشييد مجموعة من القلاع علي طول نهر النيل من مدينة عنيبة وتستمر حتى مدينة سمنة وذلك لحماية مصالحهم برا وبحراً.

وفي نفس الفترة ازدهرت حضارة سودانية معاصرة هي حضارة كرمة ٢٥٠٠ ـ ١٤٥٠ ق.م التي قامت عند مدينة كرمة علي الضفة الشرقية للنيل علي بعد ٢٥ كيلو حتى جنوب الشلال الثالث وقد بلغت ازدهارا كبيرا وخاصة في صناعة الفخار، ثم ظهرت المملكة المصرية الحديثة ١٥٥٢ ـ ١٠٦٩ ق.م والتي امتدت إلي السودان حتى جنوب الشلال الرابع عند منطقة كرقس حيث نجد لوحة الملك تحتمس الثاني، ثم تابع السودان تطوره الحضاري فنجد عصر نبته ومروي ٣٥٠ ـ ٩٠٠ ق.م حيث انفصل السودان في تطوره الحضاري عن مصر بصورة مباشرة وأصبحت مميزات حضارته المحلية تبرز بوضوح ومن أشهر ملوك هذه الفترة مؤسسي مملكة نبتة في كريمة وخاصة الذين يعرفون في التاريخ المصري بالأسرة الخامسة والعشرون، وقد انتقلت العاصمة في عهد الملك أسبلتا ٥٩٢ ق.م إلي مروي جنوبا وعرفت المملكة منذ ذلك الحين بالمملكة المروية وازدهرت هذه المملكة واتصلت بعالم البحر المتوسط وأثرت وتأثرت بأحداث

عالمها ومن اشهر المواقع المروية العاصمة مروي والأهرامات الملكية والنقعة والمصورات الصفراء وودبانقا.

وقد انتهت مملكة مروي عام ٣٥٠ ق.م علي يد الملك الأكسومي عيزانا وسادت البلاد حضارة مجموعة مجهولة لم تترك شيئاً مكتوباً وعرفت الحضارة وأصحابها باسم حضارة المجموعة المجهولة (X Group Culture) ولم تترك آثار مباني إنما مقابر.

وقد تبعت هذه الفترة العهد المسيحي الذي بدأ ٥٥٠ ميلاية وقد ترك لنا كاتدرائيات وكنائس وأديرة ومقابر وكلها مبنية من الطوب المحروق وقد طليت بالجبص "البلاستر" ومن أشهر الكاتدرائيات كاتدرائية فرس كنيسة دنقلاو سوبا ودير الغزال ، وقد استمرت المسيحية حتى عام ١٥٠٤ حيث انتهت علي يد مملكة الفونج الإسلامية التي سادت كافة أنحاء السودان واتخذت من سنار عاصمة لها كما أن مدينة قري شمال الخرطوم كانت تعتبر المركز الديني الأول في مملكة الفونج وقد تركت مملكة الفونج كثير من القباب والقلاع في أواسط وشمال السودان.

سقطت مملكة الفونج علي يد جيش محمد علي حاكم مصر في عام ١٨٢١م وخضع السودان للحكم التركي الذي اتخذ الخرطوم عاصمة له وأقام عدد من المباني الحكومية بها من أميزها قصر الحاكم.

المواقع الأثرية التي تتطلب الإدارة والحماية في السودان :

كان لتطور الحضاري في السودان نتائج ثقافي مادي خير تمثيل له في القرى والمدن والمباني المعمارية التي تركتها هذه الحضارات ومن أهم المواقع الأثرية في السودان والتي تتطلب إدارة وحماية بصورة مكثفة من قبل إدارة الآثار وهي:

فركة :

تقع قرية فركة شمال مدينة عبري علي بعد ٣٣كلم بالضفة الشرقية للنيل والموقع الأثري في فركة عبارة عن مقابر مفتوحة يمكن مشاهدتها.

صاي :

هي جزيرة تقع علي بعد ٩كلم جنوب مدينة عبري وكان يطلق عليها في العصور الفرعونية اسم "شاعت" ، وتوجد فيها اليوم قلعة كبيرة يرجع تاريخها إلي

عصر الدولة المصرية الحديثة ١٥٥٠ ـ ١٠٨٠ ق.م وإلي جانب ذلك وجدت فيها جبانات ترجع إلي عهد حضارة كرمة والدولة المصرية الحديثة ونبتة ومروي بالإضافة إلي كنائس من عهد دولة نوباتيا المسيحية التي كانت تتخذ فرس عاصمة لها.

صادنقا:

تقع صادنقا علي الضفة الغربية للنيل علي بعد ٣٥كلم جنوب عبري، وترجع آثارها إلي عصر المملكة المصرية الحديثة ومن أشهرها معبد بناه الفرعون "امنحتب" تخليداً الذكري زوجته الملكة "تي" وقد بقي هذا المعبد إلي يومنا بصورة سليمة وبالموقع أيضاً جبانة من العهد المروي.

صلب:

تقع قرية صلب شمال الشلال الثالث وعلي بعد ٤٠كلم جنوب مدينة عبري بالضفة الغربية للنيل ويضم موقع الآثار معبدا ضخماً شيده الملك امنحتب الثالث للإله آمون رع" الإله الملكي ولنفسه.

سيسبي:

جنوب قرية صلب وعلي بعد ٢٣كلم ترقد قرية سيسبي علي الضفة الغربية للنيل والموقع الأثري هنالك عبارة عن مدينة محصنة تضم معبدا بناه الملك امنحتب أو امينوفيس الرابع ويحتوي أيضاً علي آثار من عصور لاحقة تضم مباني ترجع إلي العهد المسيحي.

ناوري:

تقع هذه القرية بالضفة الشرقية شمال الشلال الثالث وشمال كرمة علي بعد ٣٣كلم وتحتوي آثارها علي منطقة سكنية وتعبدية وجنائزية ترجع إلي عصور مختلفة وهناك مرسوم ملكي نقشه الملك المصري "ستي" الأول ١٢٩٨ علي واجهة الجبل هناك.

تمبس:

تقع قرية تمبس علي مسافة ٩ كلم من كرمة شمالا بالضفة الشرقية عند بداية الشلال الثالث وتعتبر من المحاجر الرئيسية التي جلب منها الجرانيت

الرمادي لصناعة التماثيل والأعمدة والقطع الأثرية منذ فترة المملكة المصرية وحتى العصر المروي.

كرمة:

تقع كرمة بالضفة الشرقية للنيل علي بعد ٥٣كلم من مدينة دنقلا وتعتبر من أكبر المواقع الأثرية في السودان حيث بها عدد من المعابد الجنائزية وقد حفت بها الآلاف من المقابر ومن المظاهر المعمارية لحضارة كرمة ٢٥٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م. الدفوفة الغربية والدفوفية الشرقية.

تبو:

تقع قرية تبو شمال دنقلا علي بعد ٤٠كلم داخل جزيرة ارقو وقد بني فيها ملوك نبتة معبد للإله آمون وبها معابد أخري ازدانت بتماثيل جرانيتية ضخمة نقلت إلي متحف السودان القومي.

كوة:

علي الضفة الشرقية للنيل وعلي بعد ٥كلم جنوب مدينة دنقلا تقع قرية كوة وقد اقيمت فيها ثلاثة معابد لازالت آثارها قائمة حتى اليوم ومن أهمها المعبد الخاص بالإله آمون.

دنقلا العجوز:

تقع دنقلا العجوز علي الضفة الشرقية للنيل علي بعد ١٠كلم جنوب مدينة دنقلا وكانت دنقلا العجوز عاصمة مملكة المغرة المسيحية ٤٥٠ ـ ١٣٧٠ ق.م ومن أهم آثارها التي لا تزال قائمة كنيسة دنقلا أو مقر الحاكم المسيحي.

الكرو:

علي بعد ١٦كلم غرب كريمة تقع قرية الكرو علي الضفة الشمالية للنيل تقع هذه المنطقة في منتصف انحناء النيل متخذا شكل حرف S وبه الجبانة التي دفن فيها أوائل ملوك نبتة ٩٠٠ ـ ٥٩٢ ق.م وهي عبارة عن هضبة أثرية مقسمة إلي ثلاثة هضاب صغيرة من القسم الأوسط منها هو الأكثر أهمية إذ توجد أقدم مدافن الملوك الأوائل والقبور، القسم الشمالي منها يضم مدافن بعض الملوك والأميرات، أما القسم الجنوبي فيحتوي علي مقابر الملكات فقط.

نوري:

وتقع علي بعد ١٠كلم من شمال مدينة مروي الموقع الأثـري عبـارة عـن جبانة علي شمال الكرو وقد بني فيها الملك طهارقـا او ترهاقـا أول أهرامـات نوري التي تضم ٢٢ هرماً أكبرها هرم ترهاقا.

صنم ابو دوم:

يرجع الموقع الأثري المعروف بصنم أبو دوم إلي عهد نبتا وبه جبانة ومعبد ضخم بناه الملك ترهاقا ٦٩٠ ـ ٦٦٤ ق.م ويوجد هذا الموقع داخل مدينة مروي الحديثة علي الضفة الغربية لنيل مقابر مدينة كريمة وكانت تعـرف قبـل الغـزو التركي باسم صنم أبودوم.

الغزالي:

يعتبر موقع الغزالي الأثري من أهم مواقـع آثـار العهـد المـسيحي ٤٠٥ ـ ١٨١٢ ق.م ، ويقع علي بعد ١٧ كلم من صنم أبودوم باتجاه الجنوب الشرقي في الجانب الغربي لخور ابودوم ويضم من الآثار ديرا كبيرا وكنيسة بالقرب منها جبانة ترجع إلي نفس الفترة التاريخية.

جبل البركل:

يقع جبل البركل علي بعد كيلومترين تقريباً شرق مدينة كريمة، ويعتبر من اكثر المناطق الأثرية في السودان أهمية وقد اتخذه ملوك نبتة عاصـمة لمملكـتهم ٩٠٠ ـ ٤٥٩٢ ق.م ويحتوي الموقع علـي ستة معابـد وعـدد مـن الاهرامـات والقصور وأهمها قصر الملك (نتكاماني) الذي حكم في فترة ١٢ ق.م ـ ١٢ م خلال فترة مروي.

مروي العاصمة:

تعتبر مروي أهم مقر ملكي وكانت تنقسم في فترات معينة إلي عدة أقسام سكنية ، من أهم الآثـار الموجـودة حتـى الآن معبـد آمـون، معبـد اغـسطس، الحمامات الملكية والقصور الملكية وهناك في المنطقة المحيطة بها نجد أيضاً معبـد ايزيس والمقابر الملكية التي تنقسم إلي ثلاث مجموعات هي الشمالية ، الغربية ، الجنوبية.

موقع النقعة :

النقعة من أهم المواقع الأثرية وتقع في منتصف البطانة وبها من الآثار معبد 'أباداماك' الذي بناه الملك نتكاماني والملكة أماني تيري والكشك الروماني الذي يحمل مميزات العمارة المحلية والمصرية والرومانية ومعبد الآله آمون وقد تم جلب مواد بناء هذه الآثار من محجر علي سفح جبل الحردان، وايضاً من الجبل الذي يقع شمال الموقع.

موقع المصورات الصفراء :

توجد آثار المصورات الصفراء في وادي البنات علي مسافة عشرة أميال شرق النقعة وعلي بعد ٣٠ كلم من شاطئ النيل الشرقي وتحيط الجبال بالموقع ، والمظهر المعماري الرئيسي عبارة عن مبنيين هما معبد الأسد ومبني ضخماً يحتوي علي ثلاثة معابد يحيط بها سور ولم تعرف وظيفة هذا المبني حتى الآن.

الشهيناب :

تقع الشهيناب علي الضفة الغربية للنيل علي مسافة ٤٨كلم شمال مدينة أم درمان ترجع آثارها إلي العصر الحجري الحديث ٦٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م ويعتبر الموقع منطقة سكنية والمنطقة خالية من المقابر لكن تنتشر علي سطحها قطع الفخار والأدوات الحجرية والعظمية.

سوبا شرق :

تقع سوبا في الضفة الشرقية للنيل علي مسافة ١٥ كلم جنوبي الخرطوم، هي عاصمة مملكة علوة المسيحية ٤٥٠ ـ ٥٠٤ ق.م ، وتوجد بها مجموعة من الكنائس التي بنيت علي طراز 'البازيلكا' بها أيضاً منازل سكنية مسقوفة بأشجار الدوم والمقابر تشبه مقابر العهد المسيحي المكتشفة في جميع أنحاء السودان.

جبل موية :

يقع جبل موية في إقليم الجزيرة، وتعتبر حضارة جبل موية حضارة سودانية محلية قامت فوق الجبل تميزت القمة المسطحة للجبل بالاتساع عليها مئات المقابر التي تم اكتشافها في عام ١٩١١م.

وجدت مع هذه القبور أثاث جنائزي يرجح أن هذا الموقع يعود إلي العصر الحجري الحديث.

سنار:

سنار هي عاصمة مملكة الفونج الإسلامية التي قامت خلال الفترة من ١٥٠٤ ـ ١٨١٢م تقع سنار علي الضفة الغربية للنيل الأزرق جنوب الخرطوم.

مدينة سواكن التاريخية:

هي من مدن شرق السودان تقع علي مسافة ٥٠ كلم من جنوب مدينة بورتسودان كانت سواكن تعتبر أهم ميناء علي البحر الأحمر حتى افتتح ميناء بورتسودان عام ١٩٠٩م تتكون مبانيها من المنازل السكنية الجوامع والمنشآت الحكومية والعسكرية مثل الطوابي ، الأسوار.

تتميز مباني سواكن بأسلوب العمارة الإسلامية وقد بنيت في الفترة من ١٥٣١ ـ ١٩٠٩ وتتجلي مظاهر العمارة الإسلامية في جوامع الجزيرة خاصة الجامع الشافعي الذي تقول الروايات أن الملكة شجرة الدر "١٢٥٠م" قد أمرت ببنائه.

طرة:

تقع طرة في دارفور شمال منطقة جبل مرة تحميها الجبال من ثلاثة اتجاهات كانت عاصمة دارفور علي بعد أميال قليلة من طرة عند جبل شرفية يوجد قصر السلطان شاودور رشيد المعروف "بتونق كيلو" في غربة توجد آثار قصر السلطان كنوة ١٤٤٥ ـ ١٦٤٠ م في الجانب الجنوبي توجد آثار قصر السلطان "ووجحي" وفوق جبل فوقها يوجد قصر السلطان دالي، علي جبل قوري يوجد قصر السلطان"تونق كيلو" شمال طرة علي طريق كبكابية يوجد قصر السلطان تيراب ١٧٨٧م هذا القصر موجود حتى اليوم يوجد في طرة أيضاً مقابر ٩ سلاطين علي رأسهم سليمان سولونق مؤسس سلطنة الفور.

عين فرح:

تقع فرح شمال دارفور عند جبال فوتنغ في أقصي سلسلة هضبة جبل مرة الشمالية علي بعد ٤٠كلم شمال غرب كتم وعلي مسافة ١٢٠كلم شمال غرب الفاشر عين فرح هي عاصمة التنجور الذين حكموا هذه المناطق، من آثارها سور يحيط بالمناطق غير الحصينة، مباني سكنية وجامعيين إضافة إلي مقابر يعود تاريخ بعضها إلي فترة ما قبل الإسلام.

المباني الأثرية والتاريخية في
ولاية الخرطوم

تذخر مدينة الخرطوم بالكثير من المباني التراثية وهي مباني لا تخضع لأي قانون حماية أو حفظ أو صيانة حيث أنها لا تحمي بقانون الآثار لسنة ١٩٩٩م الذي يشير في احد مواده بأنه يحمي فقط المباني الأثرية التي تعود إلي ما قبل ١٩٩٩م أو الذي ينص عليها مدير الآثار، وبناءً علي ما جاء سابقاً فإن غالبية المباني التراثية التي تعود إلي الحكم الثنائي (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦م) لا تخضع لقانون الآثار ما عدا ما نص عنها القانون وهي من العهد التركي (قباب الأتراك) ومن فترة المهدية (الطوابي ، بوابة عبد القيوم، سور الملازمين الشمالي ، دار الرياضة ، سجن أم درمان وبيت الخليفة) ونشير إلي قانون الآثار الذي صدر حديثاً (١٩٩٩)عمل إلي إضافة الفترة التركية والمهدية.

وتخضع أهمية المباني:

أولاً لقيم ثقافية:

١. قيم توثيقية ـ القصر الجمهوري (السراي) نادي الخريجين امدرمان ـ نادي الخريجين الخرطوم سابقاً.
٢. قيم تاريخية ـ منزل الزبير باشا ـ اشلاق عباس (الغابات ومطافئ الخرطوم) مستشفي النهر (وزارة الصحة).
٣. قيم أثرية زمنية ـ سور الإرسالية الكاثوليكية (النائب العام)، كلية غردون التذكارية (متحف القصر) سبيل سلاطين.
٤. قيم منظر المدينة ـ مبني البوستة (داخل محافظة أم درمان)، مبني السردارية (وزارة المالية) مبني الحقانية (القضائية).

ثانياً: قيم الاستعمال:

١. قيم وظيفية ـ مبني المديرية (ولاية الخرطوم) محافظة الخرطوم.
٢. قيم اجتماعية ـ سوق النسوة بأم درمان.
٣. قيم سياسية ـ مبني البرلمان القديم، مبني الوزراء القديم.

٤. قيم اقتصادية ـ بيت الأمانة (دار الرياضة بأم درمان).
٥. قيم دينية ـ قبة الأمام المهدي ـ قبة حمد النيل.

ثالثاً: قيم عاطفية:

١. قيم الاستغراب ـ معهد أم درمان العلمي .
٢. الشخصية ـ طوابي المهدية، القيادة العامة ، القصر الجمهوري.
٣. الاستمرارية ـ قباب الكباشي (إبراهيم الكباشي وأبنائه وأحفاده).

والقيم ثابتة والمعايير تتغير لذلك نجد أن هذه المباني التراثية قد احتفظت بقيمها الثابتة رغم تغيير المعايير ومن هنا تبرز أهميتها.

المباني الأثرية والتاريخية بولاية الخرطوم:

ولاية الخرطوم بمدنها الثلاثة تضم بداخلها عدداً من المباني الأثرية يعود معظمها لفترة الدولة التركية والمهدية (١٨٢١ ـ ١٨٩٨م) ومباني أخري تاريخية كالقصر الجمهوري، مبني وزارة المالية ، مبني البريد والبرق وبعض المصالح الحكومية الأخرى وفيما يلي حصر لهذه المباني والجهات التي تتبع لها:

المباني الأثرية والتاريخية التي تتبع للهيئة القومية للآثار والمتاحف:

الطوابي: وهي استحكامات دفاعية بنيت خلال الدولة المهدية من الطوب اللبن وتقع علي الضفة الغربية للنيل وتتمثل في :

الطابية الجنوبية وطابية الإذاعة ، طابية الدباغة بحي الدباغة، طابية الحتانة بحي الحتانة وطابيتي السبلوقة، طابية توتي بجزيرة توتي.

بوابة عبدالقيوم: وهي آخر ما تبقي من بوابات الدولة المهدية التي كانت تتصل بالسور الذي كان يحيط بمدينة أم درمان القديمة (الملازمين) علي الراس الشمالي.

سور الملازمين: وهو السور الذي كان يحيط بمدينة أم درمان القديمة (الملازمين) وقد تبقي منه جزء صغير يقع شرق حي الملازمين.

بيت الخليفة: كان في أيام الدولة المهدية منزلاً للخليفة عبد الله التعايشي خليفة المهدي ثم تحول هذا المبني بكل ما يحتويه إلي متحف مفتوح للزائرين.

دار الرياضة: وهو بيت الأمانة أيام الدولة المهدية، ويستعمل الآن كدار رياضة لكرة القدم.

سجن أم درمان: وكان أيام الدولة المهدية منزلاً للأمير عثمان شيخ الدين بن الخليفة ويستخدم الآن سجناً تتبع مبانيه للهيئة القومية للآثار والمتاحف وإدارته لوزارة الداخلية.

المباني التاريخية التي تتبع للدولة:

مبني كلية المعلمين: ويقع داخل حرم منطقة مباني دولة المهدية وإلي الغرب منه بيت الخليفة عبد الله ، وشماله قبة المهدي وجامع الخليفة عبد الله ويستعمل الان لصالح كلية التربية جامعة الخرطوم وروضة اطفال.

مدرسة بيت الأمانة : وتقع في ذات المنطقة سالفة الذكر وتقوم بداخلها مدرسة ثانوية للبنات.

مبني بلدية أم درمان (محافظة أم درمان حالياً)

مبني البوستة ويتبع للمؤسسة العامة للبريد والبرق.

المباني الإسلامية العتيقة

قبة الأمام المهدي: وهي القبة الفضية التي تقع شرق مسجد الخليفة عبد الله.

مسجد الخليفة عبد الله التعايشي، ضريح الشيخ حمد النيل.

مدينة الخرطوم

المباني الأثرية التي تتبع للهيئة القومية للآثار والمتاحف

قباب الأتراك: وهي عبارة عن مدافن للحكام الأتراك وبعض الضباط السودانيين والمصريين وتقع بشارع البلدية قريباً من تقاطع مع شارع القصر.

إضافة إلي المباني التي تتمثل في:

١/ **متحف السودان القومي** ـ شارع النيل.

٢/ **متحف التراث الشعبي**ـ ويقع عند تقاطع شارع الجامعة مع شارع الملك نمر.

المباني التاريخية التي تتبع للدولة :

القصر الجمهوري: كان يعرف بالسراي وقد بني في فترة الحكم التركي عام ١٨٣٠م ثم أصبح مقراً لرأس الدولة بعد الاستقلال وصار يعرف بالقصر الجمهوري.

مباني المحكمة العليا: وكانت تعرف باسم الحقانية وقد بنيت في العشرينيات من القرن الماضي

مباني البوستة: وتقع علي شارع الجامعة وتتبع للمؤسسة العامة للبريد والبرق.

معملاستاك: ويقع عند نهاية شارع القصر وقد بني علي طابع العمارة الرومانية القديمة.

مباني وزارة المالية: وتقع بشارع النيل وكانت تعرف باسم السردارية .

مباني جامعة الخرطوم: (كلية غردون التذكارية وبنيت في ١٩٠٢م)، مباني السكة حديد ، مباني المديرية.

المساجد الإسلامية:

مسجد الخرطوم الكبير.

مسجد أرباب العقائد (فاروق سابقاً)

مدينة الخرطوم بحري:

المباني الأثرية التي تتبع للهيئة القومية للآثار والمتاحف:

مدينة سوبا (علوة) : تقع بمحافظة شرق النيل بمحاذة طريق العيلفون، وهي تمثل بقايا كنائس مدينة سوبا المسيحية.

المباني التاريخية التي تملكها الدولة أو الأفراد:

منزل الزبير باشا رحمة بالجيلي: ويستغله الآن حفيده بمنطقة الجيلي.

المباني التاريخية العتيقة:

ضريح السيد علي الميرغني (بحي الختمية).

ضريح الشيخ خوجلي (بحلة خوجلي).

ضريح الشيخ حمد (بحلة حمد).

ضريح حسن ود حسونة (بشرق النيل).

ضريح الشيخ الكباشي (بالكباشي).

للحفاظ علي هذه المباني التاريخية من التغيير والتحول الذي يشمل المنطقة التي حول المبني يجب مراعاة الآتي:

أن تكون هنالك مساحة حول المبني كافية لإظهاره كمبني له كينونة وشخصية، أي ما يسمي بحرم المبني.

المباني بعد هذه المساحة يجب أن تكون ذات ارتفاع مناسب يفي بمتطلبات حقوق المبني التاريخية من أثبات وجوده كمبني أي التوافق البانورامي، أي لا يتجاوز ارتفاع المبني الأخرى هذ المباني التراثية .

أن يراعي في تصميم المباني التي ستقام بحيث لا تسيء للمبني التاريخي أو تنقص من قيمته التاريخية والجمالية، أي التناغم الهارموني بين الموقع والمباني المحيطة.

إصدار قانون لحماية المباني التراثية علي ان تشرف الإدارة الهندسية بولاية الخرطوم علي هذه المباني التراثية.

خلفية تاريخية للآثار وإدارتها في السودان:

كانت الآثار قبل الحكم الثنائي ١٨٩٨م ، في كل من العهد التركي '١٨٢١ ـ ١٨٨١' ، وفترة المهدية '١٨٨٥ ـ١٨٩٨م' تعتبر عبارة عن مباني قديمة لها خصوصيتها ويجب الابتعاد عنها ـ رهبة وخيفة وعظمة.

فهي أماكن راتبطت بالأوثان وأصبحت مسكناً للشياطين وإنها لأقوام لا يعرف إنسان تلك العهود عنهم شيء وربما لأقوام ارتكبوا ذنوباً فعوقبوا عليها بأن سخطوا تماثيل من حجارة مثلما حدث في قصة قوم عاد وثمود الواردة في القرآن الكريم وكل ما يمكن أن تنتجه ثقافتهم ليفسروا بها الأشياء وماضي الحياة .

هذه الأفكار التي كانت تدور في ذهن إنسان تلك العهود عن ثمرات أسلافه ونتيجة لهذا التفكير تركت هذه الآثار سليمة ولم يحاول الاقتراب أو السكن بها ومن هنا كادت أن تقطع حلقة التواصل التاريخي والثقافي لإنسان السودان.

كما كان الانتساب إلي العرب والدماء العربية والأصول التي ترجع إلي الجزيرة العربية لبعض القبائل السودانية هي أساس نبالة العنصر والسيادة قد أدت إلي هذه الجفوة الحضارية لكل ما يرتبط بالماضي وآثاره وبعد إنسان تلك الفترة عن هذه الأماكن وإنشاء مواطن جديدة للحياة مختلفة في عمارتها

واستخدامها فضعف التطور التاريخي والمادي ، وإن كانت ثقافة الماضي لا زالت تكمن في دواخل وضمير هذا الإنسان السوداني حتى الآن وإن التواصل في تطور تاريخنا الحضاري لا زال يتفاعل.

هذا ما كان من أمر نظرة الإنسان للآثار في تلك الفترة ، أما نظرة السلطة الحاكمة في العهد التركي فقد تميزت بإهمال هذه الأماكن وبعدت كلياً عن الإهتمام بها ولم تدرك ماهيتها بل تركت للمغامرين والباحثين عن الكنوز الأثرية يعبثون بها كما يريدون ويسرقون مقتنياتها ، ففي عهد حكم محمد علي باشا علي مصر وولاية خورشيد باشا علي السودان "١٨٢٦ ـ ١٨٣٩م" قام مغامر إيطالي في خدمة الحكومة المصرية يسمي فيرليني Feline في عام ١٨٣٤م بتدمير أهرامات مروي "البجراوية" من أعلي وذلك أثناء بحثه عن كنوز ملوك وملكات مروي حيث كان يقوم بتهديم قمة الهرم من أعلي إلي أسفل علماً بأن المدافن الملكية توجد أسفل الهرم وبهذه الطريقة قام بتدمير عدد من الأهرامات وخاصة الهرم رقم "٦" هرم الملكة أماني شخيتو "٢٦ ـ ٢٠ ق.م".

وهو أكبر أهرامات مروي وقد عثر علي كثير من المقتنيات الذهبية والحلي المرصعة بالحجارة الكريمة وخاصة كنوز الملكة أماني شختي.

وقام فيرليني ببيع هذه المقتنيات لبعض الشخصيات والمتاحف في أوروبا واستقرت الآن بمتحف برلين وميونخ بألمانيا. وقد ظل التراث السوداني يعاني منذ تلك الفترة من هذا العمل التخريبي وظلت تتوارثه الأجيال حتى قام الجيل الحالي في السبعينيات من هذا القرن بترميم ما دمره فيرليني ولا زال العمل متواصلاً في مشروع ترميم أهرامات البجراوية كأحد مشاريع التنمية للهيئة القومية للآثار.

إن أمر تدمير الاثار في العهد التركي لم تقتصر علي الأفراد بل إن الدولة لم تتوان عن تدمير المواقع الأثرية في سبيل الحصول علي مواد البناء الموجودة بها بغرض استخدامها في مبانيها الجديدة ويشير المؤرخ ريس ستيفنسون R.C.Ste Venson إلي أن خورشيد باشا بدأ في بناء مباني الخرطوم كعاصمة وان العمل سار بسرعة كبيرة ومعظم الطوب أتي من آثار سوبا وأن مؤرخ هذا العهد يتحدث عن الطاقة التي أظهرت في بناء الجامع وأماكن السكن.

"Work proceed a pace "much of the brick" coming from the ruins of "Soba" and the chronicler speaks of the energy shown in building the Mosque and dwelling houses[1]"

ولم يتوقف الولاة الأتراك في السودان من أخذ مواد البناء من المواقع الأثرية فنجد حاكم عام السودان عبد اللطيف عبد الله باشا ١٨٥٠ ـ ١٨٥٢م قام ببناء قصره[٢] من الطوب المحروق "الطوب الأحمر" من الآثار المسيحية في أبي حراز علي النيل الأزرق[٣].

إن استمرار مفهوم الآثار في الفترة المهدية لم يتغير عن نظرة العهد التركي بل أن المهدية نظرت إلي أن أي نشاط أو اهتمام لا يتعلق بالعبادة إنما هو لغو يجب الابتعاد عنه وخير مثال لهذا المفهوم نجده عند المهدي في منشوره الذي يمنع فيه استعمال المعازيف والدلاليك ويحد استعمال النحاس وذلك إعراضا عن ملاهي الدنيا ويحث علي كثرة الأذكار والتكبير[٤].

إننا نجد أن التاريخ يكاد يكرر نفسه في المهدية حيث نجد أن الخليفة عبد الله التعايشي قد قام ببناء بيته[٥] من طوب الموقع المسيحي بسوبا ولا زال هذا الطوب موجود علي الجدران والفناء الشمالي من البيت وهو طبق الأصل من مقاسات طوب سوبا المسيحي "٣٥×١٧×٧سم" . ونشير إلي أن بيت الخليفة الآن أصبح أحد المباني التراثية الهامة وان صيانة البيت تدخل ضمن مشاريع التنمية بالهيئة القومية للآثار.

عند قيام الحكم الثنائي لم تكن هنالك صورة واضحة لماهية الآثار أو تفسيرها فنجد المؤرخ نعوم شقير والذي رافق حملة كتشنر حيث كان يعمل بجهاز الاستخبارات يصف آثار محافظة وادي حلفا فيذكر مدينة فرس Faras التاريخية بأن بها أطلال مدينة يظن أنها من العهد الروماني[٦] ولكن الحفريات

---

1 P.L.Shinnie. Meroe, A Civilization of the Sudan, New York, 1967 .P.27.

2 R. C. Stevenson. "Old Khartoum 1827-1885".SNR.47.1996.P.10.

٣ المقصود بالقصر هنا القصر الجمهوري الحالي والذي كان قصر الحكام الأتراك.

٤ محمد إبراهيم أبو سليم ـ منشورات المهدية ـ بيروت ـ دار الجيل ١٩٧٩ ـ ص ١٦٥.

٥ بيت الخليفة الآن متحف بيت الخليفة.

٦ نعوم شقير ـ جغرافيا وتاريخ السودان ـ بيروت ـ دار الثقافة ١٩٧٢ م ـ ص ٩٤.

الأثرية أثبتت فيما بعد أن فرس كانت عاصمة مملكة نوباتيا المسيحية وأن بهـا كتدرائية ضخمة تضم عدة كنائس.[1]

بعد استقرار الحكم الثنائي في الخرطوم كان الحاكم العـام الإنجليـزي هـو المسئول عن الآثار في السودان ولكن هذا الوضع عدل بإصدار قانون الآثار عام ١٩٠٥م والذي ألزم الحاكم العام باختيار محافظ للآثار يقوم بالإشراف الكامل علي الآثار في جميع أنحاء السودان وعلي مواقعها وكان عادة يتم الاختيار مـن الموظفين الإنجليز الكبار التابعين لإدارة التعليم البريطانية[٢].

بإصدار هذا القانون وتعيين محافظ تغيرت نظرة الدولـة والأفـراد للآثـار، فالدولة أدركت أن الآثار تراث إنساني يجـب المحافظـة عليـه وكـشفه وإطـلاع الجمهور عليه، لكن هـذا الإدراك كـان بنظـرة اسـتعمارية فالمحافظـة كانـت في المتاحف الأوروبية والجمهور المعني هو الجمهور الأوروبي. وأصـبحت الآثـار الوطنية مصدر دراسـة ومتعـة ومعرفـة للوافـد الغريـب ومواطنيـه في الـدول المستعمرة.أما المواطن فقد تغيرت نظرته للآثار وأصبح يدرك أهميتها العلميـة من الناحية العامة وبدأت تزال التفـسيرات الجغرافيـة حولهـا وبـدأ العمـل في حفريات التنقيب عن الآثار التي بدأت منذ عام ١٩٠٢م.

قام بدج E.A.Wallis Budge الـذي أوفـد للـسودان مـن قبـل المتحـف البريطاني عام ١٨٩٧م بصحبة السردار كتشنر في بعثة أثرية للتنقيب في منطقة أهرامات مروي لفحصها في عام ١٩٠٢م ثم في عام ١٩٠٥م عاد لجمـع مـادة أثرية لمتحف الخرطوم واصدر مجموعة من الكتب عن السودان[٣].

في عام ١٩٠٤م إلي عـام ١٩١٤م قـام جارسـتانج J.Garstang بعمـل حفائر في عاصمة المرويين مروي القديمة "البجراوية حالياً وأصدر تقارير أوليـة عن مروي[٤].

---

1 John Vantini The excavation at Faras, A Contribution to the History of Christian Nubia, Italy . 1970.PP.59-60.

٢ نجم الدين محمد شريف ـ مصلحة الآثار ـ رسالة المتحف رقم ٤ ـ بدون تاريخ ص٦.

٣ محمد إبراهيم بكر ـ تاريخ السودان القديم ـ القاهرة ـ مكتب الانجلو المصرية ـ ١٩٧١م ـ ص١١.

٤ نفسه ص١١.

ثم توالت الحفريات فقام جيمس هنري برستد James Henry Breastid في عام ١٩٠٦م بجمع وتصوير وأخذ معلومات عن المواقع الأثرية من الشمال حتى سوبا جنوباً. أما عالم الآثار كروفوت J.W.Crowfoot فقد أجري حفريات تجريبية في موقع البعصة Basa الأثري شرق شندي وكان ذلك في عام ١٩٠٧م وأصدر أول تقرير للحفريات في السودان.[1]

وتوالت الحفريات فقام سير هنري ولكم Sir Henry Wellcome بإجراء حفريات ضخمة في جبل موية استخدم فيها أكثر من ألف عامل محلي للتنقيب. وفي عام ١٩٣٨م أنشئت مصلحة الآثار وعين مستر آركل A.J. Arkel مديراً للآثار والمتاحف واستمر بها حتى نهاية عمله في عام ١٩٤٨م وأضيفت المصلحة رسمياً إلي مصلحة المعارف في عام ١٩٣٩م ونشير أن مستر آركل عين مديراً بعد تقاعد مستر جورج ولتر جرابهام George Walter Grabham الذي عين محافظاً للآثار منذ عام ١٩٣١م.

وصارت مصلحة الآثار السودانية في عام ١٩٥٣م مصلحة قائمة بذاتها بمدير مسئول هو مستر ب . ل. شيني P.L.Shinnie تابعة لوزارة التربية والتعليم رأساً وتخلي مستر ب.ل. شيني عن العمل مديراً للمصلحة في يونيو ١٩٥٥م بناءاً علي قرار لجنة السودنة والتي رأت أن وجوده ربما يعوق الجو الحر المحايد علماً بأنه ألتحق بالمصلحة في عام ١٩٤٧م.

وعين خلفاً له بناءاً علي قرار لجنة السودنة مستر جان فيركوتير J.Vercouter الذي رأت لجنة السودنة أن يتم تعيين أجنبي من دولة محايدة في حالة عدم وجود سوداني لشغل المنصب، وقد سودنة هذه الوظيفة كلياً عندما عين ثابت حسن ثابت اول مديرا للاثار في عام ١٩٦٩م عين نجم الدين محمد شريف مديراً للمصلحة، وفي عام ١٩٧١م تم إلحاق المصلحة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

وفي قرار وزاري عام ١٩٤٧م ألحقت بوزارة الثقافة والإعلام وبقيت تتبع لها حتى عام ١٩٩٥م حيث ألحقت الهيئة القومية للآثار والمتاحف بوزارة البيئة

---

[1] هـ . ن. شنيك ـ تقرير عن اعمال مصلحة الآثار ١٩٥٥م ـ ص ١.

والسياحة ثم غير اسم الوزارة إلي وزارة الثقافة والسياحة في عام ٢٠٠١م.

وفي عام ١٩٨٨م عين أسامة عبد الرحمن النور مديراً خلفاً للسيد نجم الدين محمد شريف ولكن في نهاية عام ١٩٩٠م عين أحمد محمد علي حاكم وكيلاً للآثار ثم عدل منصبه ليصبح رئيس مجلس الإدارة وذلك بعد تحويل المصلحة إلي هيئة في عام ١/ ٥/ ١٩٩٢م وبناءاً علي ذلك تغير الهيكل التنظيمي والوظيفي بما يتوافق مع الأوضاع الجديدة وفي عام ١٩٩٤م تولي المدير الحالي حسن حسين إدريس إدارة الهيئة القومية للآثار والمتاحف.

المواقع الأثرية والتاريخية والمتاحف بمدينة الخرطوم

هناك كثير من الآثار التاريخية بمدينة الخرطوم مثل طوابي المهدية علي شاطئ النيل الغربي والشرقي وجزيرة توتي كما توجد بوابة عبد القيوم وقبة الأمام المهدي وبيت الخليفة ومنزل يرمبل وسبيل سلاطين (داخل محافظة أم درمان) وبيت سلاطين والنصب التذكارية بأسماء الجنود الإنجليز الذين قتلهم الأمير عثمان دقنة في معركة كرري . إضافة إلي هذه المواقع التاريخية فإن هناك المواقع الأثرية مثل مواقع عصور ما قبل التاريخ بخور أبو عنجة ومستشفي الخرطوم والشهيناب ومواقع عهد مروي في الجريف شرق والسروراب والعصر المسيحي في سوبة شرق وفي القباب بشرق النيل والكلاكلة وبصورة عامة فإنه يوجد الكثير من المواقع ترجع إلي حقب مختلفة تبدأ منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصور التاريخية، قد تمثلت هذه الحقب بمواقع ظاهرة علي السطح أجريت علي بعضها حفريات علمية ولا زالت تتواصل.

أما المتاحف فقد شملت عدة متاحف متخصصة مثل المتحف القومي ويشمل كافة الحقب الحضارية السودانية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى عصر الفونج، كما يوجد متحف بيت الخليفة الذي يحوي آثار المهدية وهما تابعان للهيئة القومية للآثار والمتاحف وهناك متحف التاريخ الطبيعي ومتحف التراث الشعبي بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ومتحف مركز دراسة الفولكلور التابع للهيئة القومية للآداب والفنون.

التطور التاريخي وأهم المواقع:

١/ العصر الحجري : (أهم المواقع):

١/ خور ابو عنجة ١٠٠٠٠٠-٨٠٠٠ ق.م: Khor Abu Anga

يقع الموقع علي بعد ٣كم من ملتقي الخور بالنيل ويرجع إلي العصر الحجري القديم حيث اعتمد إنسان ذلك العصر علي الصيد وجمع الغذاء وصنع أدواته من الحجر الرملي Nubian Sand Stone . قام بالتنقيب في هذه المواقع (A.J.Arkell) (عن مصلحة الآثار السودانية سنة ١٩٤٤م).

٢/ مستشفي الخرطوم : ٨٠٠٠ـ ٦٠٠٠ ق.م :

يقع الموقع داخل مستشفي الخرطوم ويرجع إلي العصر الحجري الوسيط ويطلق عليها حضارة الخرطوم الباكرة حيث سكن إنسان ذلك العصر في أكواخ علي ضفاف النهر في الأماكن المرتفعة، أما مقابرهم فقد وجدت الهياكل ولوحظ في الجمجمة أن سنين من الفك الأعلى أزيلتا، أما نشاطهم فقد اعتمدوا علي جمع الثمار وصيد الحيوانات والأسماك بحراب من العظم لها أسنان وصنعوا فخاراً غير مصقول وأدوات حجرية مصقولة قام بالتنقيب (A.J.Arkell) (عن مصلحة الآثار السودانية ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥م).

٣/ الشهيناب : ٦٠٠٠ـ ٣٥٠٠ ق.م :

يقع الموقع غرب النيل وعلي بعد ٤٨كم شمال محافظة كرري ويرجع إلي العصر الحجري الحديث ومن الغريب أنه لم يعثر علي مدافن لأصحاب هذه الحضارة وهناك نظرية تقول بأنهم كانوا يلقون بجثث موتاهم في النيل أو يرمونها إلي الذئاب، وقد استأنسوا الحيوان وطوروا صناعة الفخار وصقلوا أدواتهم الحجرية وكانت الفؤوس حادة وقد أدخلوا آلة جديدة ألا وهي آلة الأزميل القصير وقام بالتنقيب (A.J.Arkell) (عن مصلحة الآثار السودانية سنة ١٩٤٤ م ـ ١٩٥٠م).

الجيلي : ٦٠٠٠ـ ٣٥٠٠ ق.م :

يقع الموقع عند محطة سكة حديد الجيلي شمال الخرطوم بحري ويعود إلي العصر الحجري الحديث وإن وجدت بالموقع مقابر لفترات تاريخية متابعة حتى الفترة الإسلامية ، والموقع عبارة عن تل صناعي ويختلف عن طبيعة المنطقة المحيطة به وقامت بالتنقيب فيه بعثة إيطالية تابعة لجامعة روما التي بدأت عملها في ١٩٧١م.

الكدرو : ٦٠٠٠ـ ٣٥٠٠ ق.م :

يبعد الموقع عن النيل بحوالي ٦,٥ كم شرقاً ويرجع إلي العصر الحجري الحديث والموقع عبارة عن تلين ملتصقين إرتفاعها عن السطح المحيط حوالي ١٨٠ سم ويفصل بين التلين منخفض ، وقد أستخدم أحدهما كسكن ولآخر كمكان للدفن وكان إنتاج الطعام بالنسبة لإنسان الكدرو متقدماً عن إنسان الشهيناب وعرفوا تربية الحيوان بكميات كبيرة خاصة الأبقار وبصفة أقل الأغنام والضان كما

وجدت عظام لكلاب وأيضاً أحجار الرحى بكميات كبيرة مما يدل علي معرفتهم الحبوب والذرة كما عرفوا صيد الحيوان والأسماك، وتعمل في الموقع بعثة بولندية تابعة لمتحف بوزنان ببولندا وبدأت العمل في ١٩٧٣م.

العهد المروي: ٥٩٢ ق.م-٣٥٠م.

١/الجريف شرق:

يقع الموقع علي بعد أقل من ٥ كم من النيل الزرق وقد دمر الموقع جزئياً من قبل العربات التي تحمل التراب، وقد قامت الوحدة السودانية الفرنسية المشتركة بإجراء حفريات في الموقع واكتشفت عدة مدافن ترجع إلي العهد المروي وما بعد المروي ، وقد بدأت الحفريات في ١٩٨١م وانتهت في ١٩٨٣م.

٢/السروراب غرب:

يقع شمال محافظة كرري وجنوب الشهيناب علي الضفة الغربية للنيل والموقع عبارة عن تل يحتوي علي جبانة ترجع إلي العهد المروي وتقوم بالحفر في هذا الموقع جامعة الخرطوم قسم الآثار منذ ١٩٧٣م.

العصر المسيحي: ٥٠٤-١٥٠٤م:

سوبا شرق:

أجريت مصلحة الآثار تنقيباً عامي ١٩٥٠ _ ١٩٥١م وأجري أيضاً المعهد البريطاني لشرق أفريقيا تنقيباً ـ وسوبا هي عاصمة دولة علوة المسيحية وتقع علي الضفة الشرقية للنيل الأزرق علي بعد ١٤كم من الخرطوم وتقاصد سوبا شرق المستشفي وقد أعطيت عدة أسماء في كافة العصور، فهي (الت) في العصر المروي (واللوديا) في العصر المسيحي (وعلوة) عند دخول العرب وسوبا في العصر الحالي، وتم اكتشاف عدة مباني مختلفة الاستعمال فقد اكتشف كنائس ومنازل وعدة مدافن ومازال جزءاً كبيراً من المواقع لم ينقب فيه.

مملكة الفونج (١٥٠٤-١٨٣١م):

*** قبة الشيخ إدريس ود الأرباب:**

تقع في منطقة (العيلفون) ٢١ ميل من الخرطوم شرق النيل الأزرق وكان أعظم المتصوفين في عصر الفونج حضر زمن الملك عمارة أبو سكاكين رابع ملوك الفونج وهو من المحس.

*** قبة الشيخ أبو قرون:**

(أبو قرون ولد حمد الأغبش) توجد قبة أبو قرون جنوب العيلفون بمحافظة شرق النيل وهو الإبن الخامس للشيخ حمد ولد الأغبش الذي ولد ببربر.

*** قبة الشيخ عجيب بن الشيخ عبد الله:**

(عجيب المانجلك) عند قرية قري المحصورة بين سلسلة جبل جاري عند شلال السبلوقة شمال الجيلي وهو أصغر أبناء عبد الله جماع زعيم القبائل العربية في ١٥٠٤م.

*** قبة الشيخ جاد الله حمد علي قناوي:**

(جاد الله أبو شرة تلميذ الشيخ ود أم مريوم) وهو من الكواهلة وينتسب أيضاً لأسرة الشيخ ود الأرباب وقد توارث أبنائه وأحفاده القيادة الدينية ودفنوا معه في منطقة مقابرهم الحالية وسميت باسمه الكلالكة القبة.

العهد التركي: ١٨٢١-١٨٨٥م:

١/ **مقابر الحكام الأتراك:** من أهم معالم هذا العهد والتي لم يحدث فيها تغيير كبير وتقع عند تقاطع شارع القصر مع شارع البلدية شمال وزارة المالية ولاية الخرطوم وتتكون المقابر من قبتين ومقابر خارجية.

٢/ **القبة الشرقية ويرقد فيها:**

١- أحمد باشا المعروف (أبو ودان) ١٨٣٩ - ١٨٤٤م.

٣/ **القبة الغربية ويرقد فيها:**

١- أحمد باشا المنكلي ١٨٤٤ - ١٨٤٥م.

٢- موسي باشا حمدي ١٨٦٣ - ١٨٦٥م.

٣- محمد باشا ممتاز دفن في الصحن الخارجي ١٨٧١ - ١٨٧٣م، كما دفن مجموعة من الضباط السودانيين بالجيش المصري بالصحن الخارجي منهم أدم باشا العريفي - ألماظ باشا محمد.

وكانت هذه المقابر عامة أيضاً وكانت تعرف باسم مقابر الخرطوم وتمتد غرباً حتى الجامع الكبير والذي يعرف باسم جامع عباس قديماً وكانت تغطي

شارع القصر والذي كان يوجد في نصفه ضريح الفقيه محمد بن الإمام الذي نقل إلي مكانه الحالي وأحيط بالجنزير، وكان ذلك في أوائل العهد الثنائي. ويعتبر ضريح أبي جنزير أحد المزارات الدينية السياحية بمدينة الخرطوم.

فترة المهدية : ١٨٨٥ـ١٨٩٨م :

سور الملازمين الشرقي ـ الطابية الجنوبية ـ سجن أم درمان (وكان بيت عثمان شيخ ابن الخليفة) ـ بوابة عبد القيوم (عبد القيوم الحارس) ـ دار الرياضة (بيت الأمانة) ـ منزل سلاطين (الركن الشمالي الشرقي من منزل أبو العلاء التابع الآن للهيئة القومية للثقافة والفنون) بشارع الموردة جنوب مسجد الخليفة ـ بيت الخليفة ـ طابية توتي ـ طابية الدباغة ـ طابية الحتانة طابيتي السبلوقة الشرقية والغربية ـ سبيل سلاطين (داخل مبني محافظة أم درمان).

المتاحف :

أ/ متحف السودان القومي :

يقع بمحافظة الخرطوم وتم افتتاحه في عام ١٩٧١م ويتألف هذا المتحف من شقين الأول حديقة المتحف والتي تشكل متحفاً مفتوحاً علي الهواء حيث تمت إعادة تركيب وتشييد المعابد التي تم إنقاذها من المناطق التي غمرتها المياه الناشئة من تشييد السد العالي وكذلك بعض المقتنيات من منطقة مروي والجزء الثاني يشتمل علي صالتي العرض ثم المقتنيات الأثرية التي تغطي المراحل الحضارية الممتدة من العصر الحجري القديم حتى نهاية فترة الفونج في ١٨٢١م.

يقع المتحف علي شارع النيل بالمقرن ويفتح أبوابه يومياً من الساعة الثامنة والنصف صباحاً إلي الساعة الثامنة والنصف مساء ما عدا الإثنين ويفتح يوم الجمعة من الساعة الثانية عشرة ظهراً ومن الساعة الثالثة ظهراً حتى الساعة الثامنة والنصف مساءً.

ب/ متحف بيت الخليفة :

يقع بمحافظة أم درمان وهو عبارة عن مسكن الخليفة عبد الله بن السيد محمد (تورشين) يتكون البيت من طابقين، وقد تم تشييده علي مرحلتين، المرحلة الأولي في عام ١٨٨٧ ـ ١٨٨٨ م، والطابق الثاني تم إكتمال العمل فيه عام

١٩٨١م، وكان حامد عبد النور هو المشرف علي عملية البناء تحت إشراف مهندس معماري إيطالي يدعي (بيترو).

ج/ متحف السودان القومي للإثنوغرافيا:

إن السودان بتنوعه الثقافي الناجم عن حقيقة التعددية العرقية يمتلك ثروة كبيرة في مجال التراث الشعبي ونتيجة للأبحاث والعمل الحقلي التواصل في مجال جمع التراث الشعبي تم افتتاح متحف التراث الشعبي بمباني نادي ضباط الجيش الإنجليزي سابقاً في عام ١٩٥٦م وقد تم إعداد المتحف بالطريقة المثلي التي ساعدت كثيراً في حفظ ومعرفة التراث السوداني.

و يشتمل المتحف علي ست صالات عرض مع عرض خارجي لبعض النماذج التراثية كبيرة الحجم، يفتح المتحف أبوابه يومياً من الساعة الثامن والنصف صباحاً حتى الساعة الواحدة والنصف ظهراً عدا يوم الاثنين ويقع المتحف في تقاطع شارع الملك نمر مع شارع الجامعة .

د/ متحف التاريخ الطبيعي:

ويقع في شارع الجامعة غرب قاعة الشارقة ويتبع لجامعة الخرطوم ويحتوي علي كافة الحيوانات وخاصة الطيور التي توجد في البيئة السودانية ، كما توجد بعض الحيوانات المتحجرة التي جمعت من مناطق مختلفة من السودان. وتعرض الحيوانات علي شكلين حيوانات محنطة وأخرى حية وهناك معلومات موجزة عن كل حيوان ومناطق تواجده واسمه العلمي والمحلي، كما أن هناك وسائل إيضاحية. ويعتبر المتحف خير ممثل للبيئة الطبيعية السودانية ويفتح المتحف أبوابه يومياً عدا العطلات.

المراجع:

١/ صلاح عمر الصادق الخلفية التاريخية لتطور اللامركزية *مجلة الخرطوم*، العدد الحادي عشر، أغسطس ١٩٤٤م،ص.ب ٢٨ ـ٣٥.

2/ Arkell, A.J. The Old Stone Age the Anglo- Egyptian Sudan SASOP.No.1, Khartoum.

٣/ عبد العزيز عبد الغني ، تاريخ الحضارات السودانية القديمة، مكتب النشر وزارة التربية والتعليم العالي، الخرطوم ١٩٧٠م ص .ب ٢٣ ـ ٢٤.

4/ Arkell, A.J. Early Khartoum. London Oxford University. Press, 1944.

٥/ نجم الدين محمد شريف ، السودان القديم وآثاره، مصلحة الآثار ١٩٧١م ص.ب ٣٠.

6/ Arkell,A.J. Sheheinab ,London , Oxford University Press 1953.

7/ Isabella Caneva, Wavey Line Pottry from Saggai 1: An line essay of Classification , In Issabella Canava (ed) Potlery Gatherers and Hunters at Saggai(Sudan): Precondition for Food Production. Roma, 1983. PP. 155-190.

8/ Lech Karzyzaniak , 'The Neolithic Habitation at Kadero (Centeral Sudan)'. In Lech Karzyzaniak and Michal kobasiewics (ed) Origin and Early Development of Food producing Cultures In northeastern Africa. Poznan. Polish 1984, Academy of Sciences.PP.309-315.

التسليح الفردي والجماعي عند
إنسان السودان القديم

عرف إنسان السودان منذ عصور ما قبل التاريخ (وهي العصور التي لم تعرف فيها الكتابة وبذلك لا توجد وثائق مكتوبة) نظام التسليح الفردي وكيفية صنعه لسلاحه وذلك في إطار تأمينه لحاجاته الطبيعية والأمنية فهو يحتاج لهذا السلاح لتأمين غذائه حتى يعيش وأيضاً يحتاج إليه لتامين أمنه ضد تعدي الإنسان أو الحيوان حتى تستمر حياته وقد كان ذلك قبل معرفته لنظام المجتمعات المتكاملة في السودان وأقدم معرفة لنا بإنسان أواسط السودان هي الدلائل المادية التي تدل علي وجوده والتي تركها علي جوانب خور أبو عنجة بام درمان في أعماق تتفاوت من متر وأكثر من السطح الحالي للخور وقد كانت بداية ظهور إنسان خور أبو عنجة قد تمت قبل مائة ألف سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام.

يرجع إنسان خور أبو عنجة في تطوره الحضاري إلي العصر الحجري القديم (١٠٠,٠٠٠ ـ ٨٠٠٠ قبل الميلاد) واقتصر استعمال أدواته علي الحجر فقط ولم يكن يعرف المعدن. واستخدم هذا الإنسان أسلوبا خاصاً في صنع أدواته الحجرية وكان يعتمد في حياته علي جمع الغذاء والصيد بالإضافة إلي الحجر فمن المؤكد انه استعمل عظام الحيوانات والهراوات الخشبية كسلاح ولكن نسبه لتآكل العظام والأخشاب بمرور الزمن فلم يبقي منها شيء إلا العظام التي في بعض الأحيان يساعد تعدنها مع التربة علي بقائها. أما الأدوات الحجرية فقد عثر علي مطارق ومدقات مصنوعة من الحجر الرملي النوبي، كما وجدت فؤوس حجرية من الحجر الرملي النوبي المحتوي علي الحديد ومن الحجر الطيني المتصلب ومن الشكل الحممي للجارنيت والصخور المذكورة توجد في جبل المرخيات أو شماله وهذه المنطقة تعتبر منطقة تجول هذا الإنسان في ذلك العصر فهو انسان جوال لم يعرف الاستقرار بعد.

استخدم إنسان خور أبو عنجة كافة الأدوات الحجرية المتاحة لديه كسلاح ووسيلة مساعدة في الحياة وتعتبر الفؤوس الحجرية أهم سلاح لدية فقد كان

يربطه علي عود خشبي مستخدماً في ربط الفأس الحجرية علي العود شرائح من جلد الحيوان ويتم ذلك بصورة محكمة . توجد هذه الأدوات الحجرية معروضة بمتحف السودان القومي.

كانت بيئة خور أبو عنجة في تلك الفترة تختلف عن أوضاعها الحالية، فقد كانت الأشجار العالية تغطي المنطقة مكونة غابات ممتدة كما أن الحيوانات بكافة أنواعها المفترس وغير المفترسة تقطن هذه الغابات وكانت نسبة الأمطار عالية وتهطل بغزارة علي منطقة الخور ويتمتع الخور بجريان شبه دائم كما ترتفع نسبه بخار الماء والرطوبة في الجو ويمكن أن نقول أن البيئة في خور أبو عنجة انذاك كانت مشابه للمنطقة الاستوائية في الجنوب حالياً من حيث الغابات والأمطار والحيوانات. وقد أثبتت ذلك كثرة وجود بقايا بعض أنواع الحيوانات الصدفية المتسلقة للأشجار والتي توجد في مناطق الجنوبية الاستوائية وقد شاهدها كاتب السطور وهي تتسلق الأشجار في كل من انزارا وياي ومريدي وكان ذلك في عام ١٩٧٦ أثناء عمله في المسح الأثري للجنوب مع بعثة المعهد البريطاني في شرق أفريقيا. وقد عثر علي بقايا هذه الحيوانات الصدفية في نفس الطبقة الأرضية التي كان يعيش فيها إنسان خور أبو عنجة كما يدل اكتشاف أجزاء من الأشجار المتحجرة التي وجود الغابات منذ عصور سحيقة ترجع إلي عشرة مليون سنه.

استمر التطور الحضاري بإنسان خور أبو عنجة حتى ٨٠٠٠ قبل الميلاد حيث بدأ ظهور إنسان العصر الحجري الوسيط والذي استمر حتى ٦٠٠٠ ق.م . وكان إنسان هذا العصر أكثر تطوراً من سابقه في تصنيع أسلحة الحجرية وبداية تكوين مجتمعاته القبلية ويمثل هذا العصر المكتشفات المادية وأيضاً الهياكل البشرية التي نقبت في منطقة مستشفي الخرطوم الحالية وقد صنعت حراب ذات رؤوس من عظام الحيوان استعملها في صيد الحيوان والأسماك من مجري الخور أو النهر. إضافة إلي صنعه لرؤوس سهام حجرية من الكوارتز وأيضاً من العظم ويعتبر ذلك تطوراً عظيماً في أسلحة التسليح الفردي.

بنهاية هذا العصر بدأت مجتمعات القرى البسيطة تأخذ شكلها المنتظم وبداء العصر الحجري الحديث (٦٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق.م) ويمثل هذه الفترة الموقع

الأثري بالشهيناب شمال أم درمان ووادي سيدنا وموقع قلعة شنان بشندي وبلغ فيه نظام التسليح الفردي منتهي تكامله قياساً بتلك الفترة من حيث الأسلحة الحجرية وبدأت تتكون خطوات التسليح الجماعي حيث أن تكوين مجتمعات القرى تتطلب ذلك لحوجة الخروج إلي الصيد الجماعي وأيضاً أهمية السلاح للقبيلة كوسيلة للدفاع عنها.

ويلاحظ مدي التطور في صناعة الأدوات الحجرية لإنسان العصر الحجري الحديث في السوار الحجري الذي اكتشف في حفريات الهيئة القومية للآثار وجامعة شندي بقلعة شنان بشندي والتي كان لكاتب هذه السطور شرف إدارتها. والسوار مصنوع من أنواع الصخور النارية الصلبة وهي قاسية وصعبة التشكيل ولكن أن شكلت فانها منتظمة الشكل متناسقة الأبعاد ويمكن ملاحظه ذلك في السوار وأيضاً في القاووج وهي فاس يدوية تستخدم لكحت لب الأشجار بغرض صناعتها كطوف وقد اكتشفت هذه مع الهيكل العظمي. ونشير إلي السهام التي صنعت في هذا العصر استخدم في صناعتها نفس الصخر الناري ويمكن مشاهدتها بمتحف السودان القومي.

بنهاية العصر الحجري الحديث فقد بداء التسليح الجماعي لإنسان السودان القديم يأخذ صورته المكتملة وما يعرف بالجيوش النظامية حيث بزغ فجر قيام الممالك السودانية ذات الجيوش المسلحة بأحدث الأسلحة في ذلك الزمان وخاصة بعد اكتشاف المعادن وكان هذا مع ظهور مملكة نبتة في منطقة كريمة في عام ٩٠٠٠ قبل ميلاد المسيح عليه السلام. حيث يعتبر ذلك أول جيش في تاريخ السودان وفي العالم القديم حفظت لنا أخباره المصادر التاريخية وحقق انتصارات تداولت عبر القرون علي يد قائده الملك السوداني بعانخي.

لمحة من آثار الفترة العثمانية بالسودان

تعتبر فترة الخلافة العثمانية الإسلامية أو ما يعرف باسم (التركية السابقة) (١٨٨١ـ ١٩٢١) في السودان بداية التوحيد الفعلي للسلطات الإسلامية في السودان تحت مظلة الخلافة الإسلامية التي كان يمثلها سلاطين آل عثمان بالآستانة ، والتي شملت العالم العربي والإسلامي ودول البلقان وجنوب اليونان والجمهوريات الإسلامية فيما يعرف سابقاً بالاتحاد السوفيتي، وكان من أعظم نتائج ها التوحيد الإسلامي هو السودان بحدوده الحالية والتي كانت أكثر اتساعاً في الفترة العثمانية، ففي تلك الفترة تم إدخال دارفور في غرب السودان وكل جنوب السودان وبني شنقول في جنوب شرق السودان وهو الآن داخل اثيوبيا وسواكن في شرق السودان ومثلث العوينات مع الحدود الليبية للسلطة المركزية هو الآن داخل ليبيا بعد أن كانت تحكم لا مركزياً.

الآثار العثمانية الإسلامية بالسودان:

تركت هذه الفترة كثير من الآثار التي تحمل الطابع العثماني والتي تفاعلت مع الموروث المحلي، فعلي نطاق السودان عامة نجد العمارة والمقتنيات العثمانية ممثلة في مدينة كاملة هي سواكن في شرق السودان ، والتي تعكس مبانيها مبادئ تخطيط المدن الإسلامية في العصور الوسطي واللاحقة وينقسم معمارها إلي ثلاث حقب معمارية:

*** الحقبة القديمة:**

وتمثلها مباني ترجع إلي التركية القديمة وخير مثال لهذا المعمار هو الجامع الحنفي والشافعي داخل الجزيرة والذي يرجح البعض بناء الجامع الشافعي إلي عهد اقدم وفترة أقدم هي فترة المماليك، ويقال أنه قد بنته الملكة شجرة الدر(١٢٥٠م) ويؤرخ لهذه الفترة من القرن الخامس حتى القرن الثامن عشر الميلادي.

*** الحقبة الوسطي:**

وترجع إلي نهاية القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وينتسب معمار هذه الفترة إلي طراز المعمار التركي وتتميز مباني هذه الفترة بأنها تتكون من ثلاثة طوابق بنسب متناسقة.

*** الحقبة الأخيرة:**

وأسلوب معمارها هو العمارة المصرية . التركية وتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، وتتميز المباني بالكبر وعدم التناسق.

هناك تمازج تام بين كل هذه المباني التي ترجع إلي فترات مختلفة كما أن هذه المباني ذات الشكل المكعب تجدها قد ازدانت وزودت بفتحات شبكية ومشربيات بارزة وأن مباني سواكن مشابهة في طرازها لمباني مصوع وجدة والحديدة والمخا وصنعاء وأسلوب البناء مشابه لمباني مكة والمدينة القديمة، فسواكن قد نشأت مدينة إسلامية وتطورت علي هذا النسق.

الآثار العثمانية بالخرطوم:

يوجد بالخرطوم كثير من الآثار العثمانية المختلفة الطابع من بنيات أثرية وعمارة ويمثل تسلسل العملة العثمانية وتوفرها بكمية كبيرة إلي ثراء هذه الفترة.

مجموعة متحف السودان القومي كما توفرت الوثائق والمخطوطات ، أما القطع الأثرية الأخري الفنية والأواني والأدوات والمركبات التي تجرها الجياد (الحناطير) والمعدات الحربية،وغيرها فهي متوفرة بصورة تسمح بقيام متحف للفترة العثمانية بالسودان وتعمل الهيئة لأيجاد التمويل اللازم له وقد أبدت الحكومة التركية الاهتمام الكافي لإقامة هذا المتحف وان لم يتم الاتصال بصورة عملية في هذا المشروع.

العمارة العثمانية بالخرطوم

بالرغم من توزع العمارة العثمانية بالخرطوم إلا أنه لم يتم حصر وتوثيق هذه الآثار وتعمل الهيئة القومية للآثار علي قيام مشروع حصر وتوثيق الآثار العثمانية بالخرطوم وتبحث عن مصادر لتمويل هذا المشروع الضخم والذي يوثق للتراث الثقافي المادي الذي تركته هذه الفترة في مسار التطور الحضاري السوداني.

قباب الأتراك

من الآثار العثمانية الموثقة التي يشملها قانون الاثار لسنة ١٩٩٩م قباب الأتراك وقامت الهيئة القومية للآثار والمتاحف بتقديم مشروع متكامل لمتحف وترميم القباب للحكومة التركية وذلك بناء علي طلب منها.

الآثار العثمانية بالمؤسسات العامة والعائلات والأفراد

ونشير إلي حقيقة أخيرة وهي أن هناك بعض المؤسسات العامة مثل القصر الجمهوري . دار الوثائق المركزية. مركز دراسات الفلكلور. جامعة الخرطوم. قصر الشباب والأطفال. تقتني الكثير من الآثار العثمانية إضافة إلي بعض العائلات والأفراد مثل عائلة الزبير باشا وإبراهيم الحجازي ، الذين جمعوا كثيرا من الآثار العثمانية مما سمح لهم بإقامة متاحف خاصة وتتعاون كافة هذه الجهات مع الهيئة القومية للآثار بصفتها الجهة الرسمية المسئولة عن الآثار في السودان، ويزخر متحف بيت الخليفة بكثير من آثار تلك الفترة إضافة إلي متحف السودان القومي الذي توجد به آثار تعود لتلك الفترة من سواكن.

نشير إلي قلة الخبراء في مجال الآثار العثمانية كما أن التمويل المالي للحصر والتوثيق والمحافظة علي هذه الآثار يقف عقبة أيضاً، وبالرغم من المجهودات المتواصلة التي تقوم بها الهيئة القومية للآثار للمحافظة علي هذه الآثار فإننا إذا علمنا أن المواقع الأثرية المسجلة حتى ١٩٦٩م كانت تبلغ ١٨٩٩ وهي آخر قائمة صدرت وعليه فأن هذه المواقع الان تبلغ الألفين وهذا يوضح لنا كبر حجم العمل الذي يقع علي عاتق هذه الهيئة وهي تعمل علي توزيع مسئولياتها علي كافة هذه المواقع ومن بينها المواقع العثمانية.

والفترة العثمانية لعبت دوراً أساسياً في العالم العربي والعالم الإسلامي وقد اقتصرت سيطرتها علي الشعوب الإسلامية والتي حكمت باسم الخلافة العثمانية،وهناك كثير من العائلات السودانية ذات الأصول التركية والتي انصهرت كلياً في المجتمع السوداني وساهمت في تطور السودان الحضاري، ولأهمية هذه الفترة تحتم علينا إلقاء المزيد من الضوء عليها ودراستها فهي الفترة التي تم فيها تشكيل السودان الحديث وانصهار كافة اجزائه في الكل .

لمحات من أهمية الآثار ودورها في حياة الإنسان المعاصر عامة والسوداني خاصة

في سبيل ترقية حياة الإنسان وبحثه عن ماضيه ومستقبله وضعت عدة علوم تعمل متضامنة لتحقيق هذا الهدف ، وعلم الآثار أحد هذه العلوم التي تبحث عن المخلفات المادية لانسان العصور السابقة بدءاً من عصور ما قبل التاريخ حتى الحديثة، وذلك من أجل معرفة الإنسانية لماضيها منظمة منه حاضرها واضعة الخطوات السليمة لمستقبلها.

في مجال الآداب والفنون:

تاكيداً لهذا المنحي فقد أعتمد عصر النهضة في أوروبا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي والعصر الحديث علي أداب وعلوم العصور السابقة مرتكزاً عليها في نهضته دارساً ومطوراً لها.

فنجد في أوروبا في مجال الديانة الاسطورية الاغريقية التي وضعها الشاعر الاغريقي هوميروس في القرن التاسع ق.م وهو سايد القرن الثامن ق.م فقد أستوحي فنان عصر النهضة تشلليني تمثاله البرونزي من أسطورة بيرسوس وانتصاره علي الميدوسا. ورسم فنان القرن العشرين بابلوبيكاسو ثلاثين لوحة لخمس عشرة أسطورة أغريقية نظمها الشاعر الروماني أوفيد بكتابه مسخ الكائنات (ميتا فورس) كما صاغ سترافنسكي اوريوأ أوبرا (الاوديب ملكاً) بعد أن ألفها الاغريقي سوفوكليس في القرن الخامس ق.م أن موسيقي بالية (بروميثوس) للمؤلف العبقري بتهوفن وضعها بعد أن قدم المؤلف الأغريقي ايسخولوس مسرحية بروميثيوس في القرن الخامس ق.م ، أما المؤلف المسرحي المعاصر راسين فقد أطل علي خشبة المسرح بمسرحيته (فيدرا) ثم (اندوماخا) و(ايفجينيا) التي قدمها من قبل المؤلف المسرحي اوربيدس من القرن الخامس ق.م ونظم الشاعر الانجليزي الشهير شكسبير قصيدة (فينوس وادونيس).

ونجد في السودان أن أول مسرحية تاريخية قدمت كانت مستوحاة من الأدب الشعبي المتواتر لقصة (خراب سوبا) ـ عاصمة مملكة علوة المسيحية ٥٤٠

ـ ١٥٠٤م ـ وقد ألفها وأخرجها وقام بالدور الأول في المسرحية رائد المسرح السوداني الاستاذ خالد أبو الروس.

أما في مجال التأليف القصصي ، فنشير إلي أن اللوحة الجرانيتية للملك السوداني بعانخي (القرن الثامن ق.م) والتي وجدت بمعبد أمون بجبل البركل ١٨٦٢م ـ وهي الان في متحف القاهرة القومي.

وسجل عليها فتح مصر أخبار الحملة التي سيرها بعانخي، كانت نصوص هذه اللوحة هي المادة الأساسية لاول قصة مستلهمة من التاريخ السوداني القديم (بعانخي العظيم) كتبها المؤالف الأمريكي هاربر جونسون وقد حورها المؤالف ادبياً ليخرجها قصة تاريخية عظيمة.

المجال الاقتصادي:

يقوم علم الآثار بدور مهم في التنمية الاقتصادية للامم وذلك إذا تجاوزنا المردود الاقتصادي لنشاط الحركة السياحية والذي تعتبر الاثار من أهم المصادر للدخل السياحي، بل أن دولاً تعتمد علي الآثار مثل (اليونان، إيطاليا، مصر ، تونس) كاحد مصادر للدخل القومي للدولة.

وخير مثال من عالمنا العربي لدور علم الاثار في التنمية الاقتصادية نجده في مصر ، عندما قررت ثورة يوليو ١٩٥٢م أنشاء مديرية التحرير الزراعية واعتمدت فيما أعتمدت عليه ضمناً علي نصوص اغريقية ورومانية ترجع إلي ما قبل وبعد القرن الول الميلادي تفيد بأن ذلك الموقع كان منطقة زراعية خصبة تمون الامبراطورية الرومانية بالقمح ثم أهملت في العصور التالية.

ومثال أخر من السودان حيث نجد أن كثيراً من المناجم التي بدأ التنقيب فيها عن الذهب وأعطت انتاجاً باهراً حالياً كانت تستخدم من قبل في العصور الفرعونية لنفس الغرض وقد أشارت إليها النصوص الهيروغلوفية من أيام سنوسرت الأول ١٩٧١ ـ ١٨٢٨ ق.م ورمسيس الثاني ١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق.م وأشير هنا إلي المناطق في النوبة العاليا والبحر الحمر وبصفة خاصة إلي منطقة جبيت المعادن، درهيب ، ادنيب، ام نباري ووادي العلاقي حيث لازالت ادوات التعدين الفرعونية من مراحيك ونقوش علي الصخور موجودة في مكانها

الأصلي - وقد اشار كثير من الجولوجيين في بداية هذا القرن إلي هذه المواقع الجولوجية الأثرية، كما قاموا بتسجيل بعض المواقع الأثرية الهامة، ونذكر هنا الجيولوجي البريطاني مداقن والذي تشير نتائج دراسته في مجلة (السودان في رسائل ومدونات) -١٩٢٢م. وكانت المصادر والمراجع الأثرية هي الموجه الأساسي لبداية التنقيب في السودان.

ونسبة لاهمية هذا الجانب من علم الآثار في الناحية الاقتصادية فتطرق إلي المحاجر ، فان من أشهر واجود الرخام الآن في العالم هو رخام باروس في اليونان، وقد ظل محجر جزيرة باريس منذ أن نحت من رخامه النحات الاغريقي سكوباس ٣٥٠ ق.م . أعظم أعماله مثال أفريز الموسليون في هاركنساس والذي يصور معركة بين الاغريق ولامزون، وتمثال مليجار اميركلدونيا، متواصل العطاء.

ونختتم من الواقع المحلي فاننا نشير بان مصلحة الآثار السودانية عند قيامها بمشروع ترميم اهرامات البجراوية، فإن الحجر النوبي الرملي كان من أهم مصادر الترميم للمشروع نجد أنه قد أخذ من المحجر القديم الذي استعمله المعماري المروي في بناء الاهرامات في القرن الرابع ق.م.

في مجال هندسة البيئة :

يستطيع علم الاثار أن يقدم من ابداعات مورثاته في مجال الهندسة المعمارية بكافة اقسامها بما يتوافق ويتلائم مع ظروف بيئية سائدة لمنطقة معينة حالياً وبواسطة دراسة تاريخ العمارة وتطورها توصل العلماء إلي اساليب ومواد متنوعة في فن المعمار، وكانت هذه الاساليب والمواد قد فرضتها ظروف بيئية لفترة معينة في التاريخ ، ويمكن استخدامها مرة اخري بعد أن أثبتت أمكانية تقديمها لكثير من الحلول لمشاكل نشأت مع العمارة الحديثة.

ومدينة سانتا في عاصمة ولاية نيومكسيكو بالولايات المتحدة الامريكية تعتبر من خير الامثلة لهذه المواءمة بين البيئة والهندسة المعمارية المستنبطة من النظام المعماري الذي يضرب بجذوره في احقاب ما قبل التاريخ، فقد استوطن هذه المنطقة الهنود الأمريكيون (الانتشازي) قبل ألف سنة من تأسيس

المستعمرين السبان للمدينة سنة ١٦١٠م. وقد بني الانتشازي منازلهم بما هو موجود أمامهم من مواد وكان التراب هو المادة الأساسية لهم في البناء فكانوا يبنون الجدران من الطين أما السقوف فكانت تبني بعوارض خشبية تغطي بالتراب. وعندما وصل المستعمرون الأسبان طوروا هذه الطريقة ، بأن قولبوا الطين في شكل اجر وجففوه في الشمس قبل أن يستخدموه للبناء وكانت المنازل تبني من عدة طوابق.

النباء بالطوب اللبن في سانتا في حظي بتقدير قومي خلال السنوات الاخيرة لانه يساعد علي الاقتصاد في استهلاك الطاقة وتنتشر في كافة أنحاء المدينة المنازل المبنية بالطوب اللبن والتي تستغل اشعة الشمس بمجرد طريقة بنائها، بل أنها تعتمد علي الشمس وعلي اتجاهها للتبريد وللتدفئة.

علم الآثار والنزعات الحدودية:

بالاضافة للامثلة المادية التي سبق ذكرها ، فإن علم الاثار يقوم بدور أساسي في احقاق حقوق سيادة الدول علي أراضيها حيث أن المنازعات علي تحديد الحدود بين الدول ترتكز في اثباتها أيضاً علي الحقائق والوثائق الأثرية المكتوبة والمنقوشة.

اثباتاً لما سبق نجد أن المشكلة الحدودية بين مصر وأسرائيل حول مدينة طابا المصرية (رفح في العصر الفرعوني) كان من ضمن ادلة مصر علي مصرية طابا وثائق أثرية منقوشة ومكتوبة ترجع إلي العصر الفرعوني والعصور التي تليه.

وما حرب الخليج الا حرب باسلحة حديثة تدعمها وثائق تاريخية قديمة عن أراضي وجزر (طنب الكبري والصغري وابوموسي) اغتصبت قديماً وحديثاً. كما أن واحة أوزو التي تنازعت عليها ليبيا وتشاد كمن حلها سلمياً في الوثائق والادلة الأثرية.

ولابد من الأشارة هنا إلي أن السودان له حدود مع ثماني دول متباينة، ولكن منذ فجر التاريخ بقيت حدوده الحالية ثابته وعملت كافة حقباته الحضارية المتعاقبة علي المحافظة عليها. ومن أعظم هذه الحقبات محافظة علي هذه الحدود حقبة المهدية

حيث نري أن الخليفة عبد الله التعايشي والذي قدم مجاهداً إلي صفوف المهدي من غرب السودان، كان لديه إدراك بكل السودان الموحد فنجده يرسل القوات إلي الشمال (عبد الرحمن النجومي) وإلي الشرق (حمدان اباعنجة وعثمان دقنة) لتأمين حدوده وسلامة أراضيه، بل أرسل الخليفة ثلاث سفن بخارية وتسعة قوارب شراعية تحمل ١٥٠٠ من المجاهدين الانصار من امدرمان حتى جوبا (الرجاف) بقيادة المجاهد عمر صالح ١/ ١١/ ١٨٨٨م وذلك ليحرر كافة الاراضي السودانية ولازالت قبور المجاهدين الانصار تقف شامخة عند جبل الرجاف عند الضفة الشرقية لمدينة جوبا، دليلاً مادياً علي وحدة الأراضي والمصير.

بعث الحس القومي:

لترسيخ مبادئ ومفاهيم الوحدة الوطنية داخل الأمة الواحدة نجد أن علم الآثار يؤكد بالحقائق المادية التمازج القومي للأمة علي مدار تطور مراحلها التاريخية والعطاء المتبادل بين أقاليمها، والحضارة السودانية لعبت كل اجزاء السودان دوراً فيها.

(انظر كتاب : الادلة المادية لوحدة الوطنية في السودان من خلال الاثار).

صحيفة الايام ، الخميس ٩/ ٨/ ١٩٨٤م.

خاتمة

أن جوهر علم الآثار هو استخراجه لتراث الأمة الحضاري وأثباته لاصالتها وعراقتها ومدي أثرتها لمسار الحضارة الإنسانية مما يعطي الجيل المعاصر الدافع والعزة القومية للدفاع عن وطنه وبنائه، وفي حالات الازمات القومية يصبح التراث الحضاري هو أكبر دافع للأمة باثاً الروح فيها لمجابهة الخطوب والتصدي للمحن.

أن دولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية لم يمضي علي اكتشافها أكثر من ٤٩١ عاماً تنفق ملايين الدولارات سنوياً في مجال الآثار والمتاحف علي نطاق العالم معتبرة أن ذلك يدخل من ضمن مهامها في المحافظة علي الحضارة الإنسانية جاعلة من ذلك دافعاً قومياً ذاتياً.

اليس اجدر بنا نحن أصحاب حضارة ترجع إلي ألاف السنين لعبت ولازالت، دوراً في تشكيل الحضارة الإنسانية أن نحافظ عليها ونطورها؟؟.

المصادر والمراجع:

١. ثروت عكاشه: *الاغريق بين الأسطورة والأبداع*، القاهرة ١٩٧٨م.

٢. صلاح عمر الصادق: "الادلة المادية للوحدة الوطنية في السودان من خلال الآثار"، *صحيفة الأيام*، الخميس ٩/ ٨/ ١٩٨٤م.

٣. لويس شيرمان: "سانتافي مدينة مختلفة"، *مجلة المجال*، العدد ١٩٧ ـ ١٩٧٨م.

٤. محي الدين خليل: "اثار فرعونية في البحر الأحمر"، *صحيفة الأيام*، الأربعاء ٦/ ٥/ ١٩٧٤م.

٥. نعوم شقير: *جغرافية وتاريخ السودان*، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

6. T.Madican, Assistant Geologist: Discription of some old tower in the red sea province north of port Sudan, S.N.R.Vol5, 1922.
7. L.E: Larousse, Encyclopedia of Prehistory & Ancient Art, London .1970.
8. P.M.Holt: The Mahdist state in the Sudan 1881-1898, Oxford 1977
9. Rebert Graves: Myths of Ancient Greece, London, 1961.

الاتجاهات الاستعمارية والاتجاهات الوطنية حول التراث الثقافي المادي الأثاري

أن حملة نابليون بونابرت الفرنسي علي مصر هي أسوأ مثال لهذا النوع من الحملات الاستعمارية فقد قدم إلي مصر وبصحبته مجموعة من العلماء الاستعماريين في مجالات مختلفة من الآثار والتراث الثقافي المادي وقد ذهلت البعثة بالآثار التي وجدتها بمصر لضخامتها وتفردها فقامت بدراسة هذه الآثار ومن ثم ترحيلها إلي فرنسا وعملت علي فصل المواطن المصري عن ماضيه وخلق فجوة بينه وبين تراثه الثقافي المادي.

واعتبرت هذه البعثات الاستعمارية إن هذا التراث ملك لها بحكم استعمارها لهذا الجزء من الأرض واعتبرته جزء من التراث الفرنسي بحكم استخراجه من مستعمرة فرنسية وعملت علي توضيح وتفسير هذه الآثار دون ربطها بالمواطن المصري ودأبت علي إن لا يكون لهذا التراث أي اثر في بعث الشعور الوطني لديه وهذه الفلسفة قد طبقت كذلك في السودان حيث قام المستعمر الإنجليزي بعمل العديد من الحفريات الأثرية في السودان والتي أوضحت قوة وإزدهار الحضارة السودانية منذ عصر كرمة وظهرت في مسار حركة الحضارة.

عملت البعثات الإنجليزية والأجنبية الأخري علي ترحيل الآثار السودانية إلي المتاحف الإنجليزية والأمريكية والفرنسية وكانت محاولة منظمة لإفراغ السودان من آثاره وقد عمل هؤلاء العلماء علي نسبة هذه الحضارة إلي عناصر غير محلية وافدة فظهرت نظرية الأصل المصري لملوك نبتة كما كانت نظرية عالم الآثار الأمريكي بالأصل المصري لحضارة كرمة وقد أثبتت الدراسات غير المنحازة الأصل المحلي لملوك نبتة أي أنها حضارة سودانية محلية أنبعثت من الداخل كما ثبت نفس الشيء لحضارة كرمة وأن نواتج هذه الحضارات هي مصادر سودانية أصلية وأن الأسلاف القدماء للسكان الحاليين هم بناة هذه الحضارة، وقد أخذت الآثار السودانية ووزعت علي متاحف العالم مثل اللوفر

باريس في فرنسا ومتحف كوبنهاجن في بلجيكا ومتحف بوسطن بأمريكا ووضعت كذلك في المتحف المصري واعتبرت هذه الدول الاستعمارية إن ما استخرج من مستعمراتها يمثل آثار إمبراطوريتها.

هكذا كانت تسير هذه الاتجاهات وقد أضرت بالبلدان المستعمرة وبتراثها الثقافي ولا زال هذا الضرر يتواصل حتى اليوم من خلال الغربة التي تعانيها الآثار الوطنية في الصالات الباردة في منافي الغربة واضعف الدور الذي تلعبة هذه الآثار من مواصلة ثقافية لبلدانها كما أضر بالعمل الأثري وحرم أبناء وشعوب هذه المناطق من رؤية آثار أجدادهم ومن سبقوهم وإذا أرادوا مشاهدتها فعليهم مشاهدتها في البلدان المستعمرة لهم.

نجد أن الاستعمار قد عمل جاهداً علي غرس مفهوم بان المنتوج الثقافي المادي في أي بلد بان أبناء هذا البلد ليس لهم علاقة به وان الوعي والتفكير والإبداع العلمي والابتكار المتجدد ليس من صفاتهم بل غرس فيهم بأنه لا يرجي منهم تطوراً في سبل الحياة المختلفة فهم عبارة عن مرحلة منحطة من التفكير الإنساني الذي لا يمكن أن يبدع ويبتكر مثل هذه الآثار.

عندما بدأت هذه الدول تتخلص من ضيم الاستعمار فإنها عملت بقصاري جهدها من أجل نزع الصورة السيئة التي صورها الاستعمار عنها وعن علاقاته بإرثها الثقافي المادي وعمل علي إبراز الاتجاهات الوطنية من خلال ربط حاضرها بماضيها وإبراز هذا الماضي كجزء لا يتجزأ من الحاضر وان العناصر المحلية والسكان الأصليين هم بناتها فغرسوا في مواطنيهم بأنهم أصحاب عبقرية وأنهم أسلاف الذين شيدوا تلك الحضارات وأنهم مازالوا يواصلون هذا التقدم والبناء وان كل ما تركه الإنسان من مخلفات مادية هي عبارة عن مساهمات وضعت في مسار التراث الإنساني العالمي وأنهم يمكنهم أن يعيدوا دورهم الذي فقدوه في بناء الحضارة الإنسانية فبدأ الأجداد الذين عملوا علي طرد الاستعمار علي إبراز هذه المفاهيم الجديدة بين أبناء وطنهم.

لقد بدأت إدارات الآثار الوطنية في إنشاء متاحف الآثار القومية وعملت هذه الإدارات علي المحافظة علي مواقع التراث الذي تركه لهم أجدادهم

وأخذت تعمل علي بث الوعي القومي واعتمدت علي تراثها الحضاري في توثيق أواصر الوحدة الوطنية وأول ما بدأت به تمجيد وتسجيل أبطال والبطولات التاريخية والملوك الفاتحين وأدخلت هذه في مؤسسات التعليم ومناهجه.

لقد أصبحت هذه الحضارات تدرس في المدارس والجامعات وبدأت فرق من علماء الآثار الوطنيين تبذل جهودها وخلاصة خبرتها ومعارفها في توضيح تاريخها الحضاري وبدأت المتاحف تلعب دورها الطبيعي في التربية الوطنية والتعريف وبث الروح الوطنية وبدأت النظرة تتغير في أبناء الوطن الواحد وأصبحوا يشعرون بالعزة والفخر وزال الشعور بالدونية الذي عمل المستعمر علي غرسه وبذلك قام الاتجاه الوطني بتغيير الأفكار التي عمل المستعمر علي زرعها بين الوطنين، وبدأت تظهر المتاحف المتخصصة مثل متاحف التراث الشعبي ومتاحف التاريخ الحديث والمتاحف الحربية.

مسجد الخرطوم الكبير تاريخه وتحليله المعماري

عرفت المساجد في السودان منذ عهد الخلافاء الراشدين ، فنجد أول ذكر لمسجد في السودان قد جاء في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان، حيث أنه في ٦٥٢ ميلادية حاصر عبد الله بن سعد بن ابي السرح مدينة دنقلا عاصمة دولة المقرة المسيحية ،وارغم ملك النوبه المسيحي علي توقيع إتفاقية تعرف بالبقط، نجد أهم ما جاء فيها:

"وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم لا تمنعوا منه مصلياً، وعليكم كنسه واسراجه وتكريمه"(1)

وهكذا كان هذا اول مسجد بني في السودان، ثم تلاه مسجد دنقلا العجوز في ٩ يونيو ١٣١٨م، والذي تم تحويله الي مسجد علي يد الملك النوبي المسلم سيف الدين عبد الله برشنبو(١). كما جاء علي حجر تأسيسه والذي لازل يوجد في الطابق الثاني من المسجد(٢).

موقع مسجد الخرطوم الكبير:

مسجد الخرطوم الكبير (مسجد عباس سابقاً) ،وعباس المقصود هنا هو الخديوي عباس باشا حلمي ، الذي تولي الحكم في ٨ يناير ١٨٩٢م(٣) والاحداثيات الجغرافية حسب قرأت تحديد الموقع G.P.S ويمكن الرجوع الى موقعه فى خريطة مصلحة المساحة السودانية خط عرض شمال ٣٦ ١٥ وخط طول شرق ٣٢ ٣١ خريطة رقم N D .36.B الخرطوم مقياس 1: 250, 000. ويقع المسجد في وسط ميدان ابوجنزير وشرقه مباشرةً قباب الاتراك(مقابر الحكام الاتراك)، وكان الميدان الذي يقع غرب المسجد يسمي الآن ميدان الأمم

---

1 Hassan .Y.F the Arabs and the Sudan . Khartoum University of Khartoum Press . 1973 . p.21 .

١ مصطفى محمد مسعده المكتبة السودانية العربية . جامعة القاهرة الخرطوم . ١٩٧٢م

٢ شاهد الكاتب حجر التأسيس على الجدار الغربى للمسجد عند زيارته للموقع عام ١٩٩٠م

٣ نعوم شقير جغرافية وتاريخ السودان . دار الثقافة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢م ص.ص ١١٥٢-١١٥٤

المتحدة(ميدان عباس سابقاً)، والمسجد جنوب القصر الجمهوري ،وغرب شارع القصر(شارع فيكتوريا سابقاً)، وفيكتوريا هي ملكة انجلترا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وموقع المسجد في وسط المدينة، حيث يقع قصر الحاكم شمالاً والسوق جنوباً، والمنطقة السكنية غرباً ، والمقابر شرقاً ، كل هذا يؤكد أن مدينة الخرطوم التى اتخذت كعاصمة في فترة التركية في سنه ١٨٣٠م ونشئت حسب تخطيط المدينة الاسلامية والذي يقع دائماً المسجد في الوسط [١]، فهو يعتبر المحرك لكل حياه المدينة، والقاسم المشترك الذى يحتل اهمية كبيرة فى تخطيط المدن العربية القديمة والحديثة لكونه يشغل مركز المدينة ,ومحور استقطاب الحركة بها , ويمكن ان ندرك ان نفس تخطيط الخرطوم كمدينة إسلامية نجده في تخطيط انشاء مدينة بغداد عندما انشأها الخليفة المنصور في ٧٦٢ م ،وفق نظام دائرى قطرها ٢٦٣٨تقريباً ونشير إلي أن المسجد كان يعتبر أعلي مبني في الخرطوم عند انشاؤه ،وهو مبدأ اساسى في العمارة الإسلامية أن لا يعلو أي مبني عن مبني المسجد، وهي قاعدة لازال يعمل بها حتي الآن في المدن الإسلامية. لذلك جعلت هناك حرم للمساجد.حيث تبعد المبانى منها بمسافة شاسعة

تاريخ مسجد الخرطوم الكبير:

بداء بناء المسجد بعد معركة كرري بعامين حيث وضع حجر الأساس له في ١٧ سبتمبر ١٩٠٠م [٢]،وتم افتتاحه عند زيارة الخديوي عباس باشا حلمي للسودان في ٤ ديسمبر ١٩٠١م، والمنطقة التى شيد فيها المسجد هي جزء من مقابر الخرطوم القديمة، وبني المسجد في الجزء الغربي من المقابر ،ولازالت الحفريات داخل المسجد تخرج عظام بشرية هي المقابر القديمة للخرطوم [٣] وتكونت لجنة في البداية لإدارة المسجد من مواطني الخرطوم القديمة يرأسها عمدة المنطقة الشرقية للخرطوم السابق المرحوم عثمان منصور [٤] وكان من

---

١ عبد العزيز الدورى 'المؤسسات الحكومية' ر.ب سرجنت المدينة الاسلامية ترجمة احمد محمد تعلب اليونسكو ١٩٨٣م ص. ٥٤

٢ نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان . دار الثقافة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢م ص.٣٤٩.١م

٣ محمد ابراهيم ابو سليم .تاريخ الخرطوم . دار الجيل بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩م . ص.١٨٤

٤ مقابلة شخصية مع ابنة المرحوم هاشم عثمان منصور سنة ١٩٨٤م

أعضائها المرحوم محمود القباني وقد استمرت هذه المجموعات من رجال البر والخير في رعاية الجامع ومقابلة احتياجاته، وتوجد الآن لجنة مسجد الخرطوم الكبير وان يكن مبني الجامع الاساسي لم تلحق به تغيرات، فقد بقي كما بني منذ ١٩٠١م، ويرجع ذلك لمتانة البناء حيث شكل البناء ومواد البناء وتقنية البناء كانت مكتملة وان ادخلت تعديلات واضافات علي الملحقات الخارجية للجامع مثل الحمامات والسور والذي احدثت به تغيرات في نهاية القرن الماضي وهي بصورة عامة لا تأثر علي خريطة الجامع.

التحليل المعماري للمسجد:

* **أولاً: شكل البناء** Building Structure

شكل المسجد مشابه تماماً للمساجد في المناطق المبكرة حيث نجد ان شكل البناء مربع وهي خاصية للمساجد المبكرة فى العراق وفارس وايضاً مصر[1] فنجد أن عرض المسجد باتجاه الشرق حيث القبلة. وعرضه عند الجنوب والشمال يساوى ٤٥ ×٤٥ متر وهناك ثلاثة ابواب للمسجد من الخشب مستطيلة تنتهي من أعلي باقواس مسلوبة اسلامية وهناك زخرفة الصدفة في نهاية القوس ،ومجموعة من الشبابيك المستطيلة من الخشب بزخرفة السبحة يعلوها اربعة مناور مستطيلة مع منشور زجاجي دائري ويعلو الجامع مئذنتان احداهما من الناحية الجنوبية الغربية واخري في الزاوية الشمالية الغربية،وهى تشبة مئذنتا السلطان المملوكى الملك الناصر حسن (٧٤٨ ه) بالقلعة بالقاهرة[2] ولسور المسجد الخارجي اربعة ابواب، وتتسع مساحة المسجد لعدد ١٠ ألف مصلي، وبه معهد لتأهيل الأمة ،وحلقات لدراسة القرآن صباحاً، واضيف إليه حالياً ساحه الامام مالك لتدريس العلوم الشرعية في المساحة الخارجية الجنوبية للجامع وهناك صور نادرة للمسجد سنة ١٩٢٩م يظهر فيها الجامع واضحاً مع

---

1 K. A. C. Creswell F. Early Muslim Architecture . penguin Book London p.9 . 1958.

٢ سعاد ماهر محمد . مساجد مصر واولياؤها الصالحون ، الجزء الثالث ، وزارة الاوقاف المصرية القاهرة ١٩٧٦م ص.ص ٢٨٠-٢٨١ لوحة ٢٤٥ .

حرم من جوانبه هي مساحات فضاء تبرز المسجد بشكل متفرد، وقد اجريت اضافة مصليان خارج مبني المسجد الرئيسي في العقد الاخير من القرن الماضي كما أن الحمامات واماكن الوضوء في حالة تجديد دائم ، حديثاً اقيم صهريجان للمياه، ومن المباني الحديثة مكتبة لبيع الكتب في الجزء الجنوبي من المسجد، ايضاً معرض الزي المحتشم في الجزء الشرقي. وكل هذه المباني تشكل عمارة دخيلة علي المسجد ن حيث أنها بنيت من مواد بناء مخالفة لمواد المسجد مما ادي إلي تنافر معمارياً كما أنها أستعملت واجهات خارجة عن البيئة المحيطة، اضافة الي أنها يمكن أن تقام في أي مكان أخر.

*** ثانياً: مواد البناء:** Building Material

استخدم في بناء المسجد الحجر الرملي النوبي(Nubian Sand Stone)، والذي احضر من جبل اولياء وتم تقطيعه بواسطة عمال احضروا من مصر يساعدهم عمال سودانيين كما ان هناك طوب احمر واخر اسود محروق استخدم كحلية في البناء عند الواجهات.

وقد استخدم في بعض المناطق مادة الملاط كرابط للحجر والذى استعمل ايضاً للسور، وان تم تجديد السور في نهاية العقد الاخير من القرن الماضي بواسطة فنيين سودانيين اما الحلى المعمارية كانت تقطع من الحجر النوبي الرملي، وكان يقوم بذلك فنيين مصريين اتقنوا هذا العمل، ونجد أن هنالك بعض مواد البناء استعملت وأن كانت بصورة قليلة مثل الحديد حيث استعمل كحواجز في الشبابيك اما الخشب فقد استعمل في الابواب والشبابيك والسقف ايضاً الذى تحمله اقواس تنتهى باعمدة مربعة الشكل .

*** ثالثاً: طريقة البناء** Building Technique

أن طريقة البناء هي بعد تقطيع الحجر إلي كتل منتظمة القطع علي اشكال مستطيلة أو مربعة ، وباحجام مختلفة حسب حوجة العمل ثم توضع هذه البلكات بعد حفر الاساس Foundation ، ثم يبدا نظام الصف Coursing (المداميك) وهو ما يعرف بنظام الحجارة المربعة المصفوفة Ashlars علي

طريقة Ashlars وهي حجر مربع او مستطيل منحوت بابعاد متساوية متنتظمة توضع بنسب ثابتة[1]. اما نظام ربط الطوب الاحمر والاسـود (Brick bound) (المداميك) فاستخدام نظام الطوب الجانبة stretcher مما اعطي واجهة المسجد تباين متناسق.

* **رابعـاً : الزخـارف والحلـي المعماريـة** Decoration And Architectural Elements

أ/ الزخارف:

يذخر المسجد بالزخارف والحلي المعمارية فمن أهم الزخارف المستعملة هي استعمال الخط العربي كزخرفة ،وكدافع تعليمي يمثل ذلك الآيات القرآنية التي نحتت علي الجسم الخـارجي مـن المسجد ولمائذنتـه، وقـد كتبـت بـالخط الديواني[٢]، وهوخط عربى فنى رشيق وسهل من أجمل الخطوط العربية، كمـا عملت ايضاً زخرفة التواريق، وهي استخدام العناصر النباتية كزخرفة باسلوب (الاربسك) المحفور علي الحجر ، ونجد ذلك في مائذنته وهي احياناً تفصل بـين الخطوط أو تحتضنها.

كما نجد احياناً الزخرفة الهندسية ذات الأشكال المجرده من دوائر أو مثلثات او مربعات وهي تفصل بين الاحزمة الزخرفية المتنوعة.

ب/ الحلي المعمارية

تتمثل الحلي المعمارية علي الاشكال المعمارية التي أعلي الافريزالكورنيش Cornice، وهي اشكال مستدقة من أعلي ومـسطحة مـن أسـفل وهـي حليـة اسلامية ، اما قمة المأذنة فانها تنتهى بحلية من الكرات الثلاث حديدية متدرجة في الصغر من اسفل الي اعلي وهي تنتهي بهلال مقفول في قمة المأذنة

والماذنة عملت كلها من الحجر الرملي النوبي وهي مكونة من ثلاث ابراج وكلها قد زخرفت بالنقش البارز وبالحلي المعمارية التي سادت كافة اجزائها من

---

1 John Fleming - .etal . The Beginning Dictionary of Architecture penguin Books . 1979 P 19

٢ عفيفي البهنسي . الخط العربي ، اصوله ، نهضته ، إنتشاره . دار الفكر . دمشق ، ١٩٤٥ . ص57

قاعدة المادنة حتي قمتها وسيطر النحات علي الحجر الرملي النوبي واستطاع ان يخلق منه أشكال بديعة من المقرنصات والقريلات الحجرية للابراج كما استعمل الاشكال المجردة وايضاً الدوافع الزخرفية النباتية المحوره في زخرفته اما قمة المادنة فقد قطعت علي شكل كرة بيضاوية من قطعة واحدة من الحجر الرملي النوبي ويعلوها ثلاث كرات حديدية ثم هلال مقفول من الحديد مطلى بالفضة

الخلاصة

نستخلص فى النهاية ان مسجد الخرطوم الكبير قد انشىء فى نهاية القرن التاسع (١٨٩٨م) على نسق عمارة مساجد الدولة فى تلك الفترة وهى التى تتميز بالمبانى الضخمة والاسقف العالية والبناء من الحجر الرملى النوبى موحده فى مصر والسودان ونلاحظ ان المسجد قد بنى حسب ا صول العمارة الإسلامية والمخطط العام للمدينة الأساسية وهي عمارة تخطيط المدينة الاسلامية من حيث بناء المسجد فى وسط المدينة ، وعمل على شكل مربع كبير .

ويستوعب عشرة الف مصلى ونلاحظ دخول بعض العمارة الدخيلة على المسجد وهى اضافات استخدمت اخيراً . وقد بنى المسجد من الحجر الرملى النوبى المنتظم القطع على شكل بلكات Blocksكما استخدم كملاط الجير المخمر لربط الحجر الرملى مع استخدام الطوب الاحمر كحلية فى الواجهات واستخدم الخشب فى الابواب والشبابيك والسقف اضافة إلى استخدام الحديد كحواجز فى الشبابيك .

ان طريقة البناء هى النظم المعروفة فى بناء بلكات الحجر المستطيلة والمربعه الشكل مع الملاط الخفيف كرابط اما وضع الطوب الاحمر فهو نظام الطوبة الجانبية .

يذخر المسجد بالزخارف والحلى المعمارية الاسلامية سواء فى جسمه الخارجى او الداخلى .

عليه فان مسجد الخرطوم الكبير يعتبر من اغنى المساجد فى السودان فى شكله ومواد وطريقة بناءه كما تميز بزخارف وحلى اسلامية وبقى صامداً لمدة مائة وخمسة عام .

المـــراجـــع

١- سعاد ماهر محمد . *مساجد مصر واولياؤها الصالحون* ، الجزء الثالث وزارة الاوقاف المصرية القاهرة ١٩٧٦م

٢- عبد العزيز الدورى . المؤسسات الحكومية فى ر. ب سرجنت *المدينة الاسلامية* . ترجمة احمد محمد تعلب – اليونسكو ١٩٨٣

٣- عفيفى البهنسى *الخط العربى . اصوله، نهضته، انتشارة* . دار الفكر دمشق ١٩٤٥

٤- محمد ابراهيم ابو سليم .*تاريخ الخرطوم* دار الجيل ،بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩م .

٥- مصطفى محمد مسعده . *المكتبة السودانية العربية* .جامعة القاهرة الخرطوم،١٩٧٢م

٦- نعوم شقير .*جغرافية وتاريخ السودان* دار الثقافة بيروت , الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

7- Hassan .Y.F. The Arabs and the Sudan . U of k pressKhartoum . 1973 8- John Fleming - ,etal , The Beginning Dictionary of Architecture Penguin Books . 1979 .

8- K.A.C. Creswell U. Early Muslim Architecture . penguin . Books London ,

التطور التاريخي للأزياء في السودان

* الأزياء في عهد مروي (٥٩٢ ق .م.-٣٥٠م):

إن العصور التاريخية السودانية حتى ما قبل المسيحية والتي تتمثل في (عصر كرمة، نبتة، مروي وعصر المجموعة المجهولة) يمكن أن تمثل اجمالاً في موضوع الأزياء بالزي في عصر مروي.

فحضارة مروي تبرز مرحلة وسيطة في تاريخ الحضارات السودانية القديمة بعثت لنا حضارة سودانية حقة متفردة تطورت العناصر المحلية فيها إلي مرحلة عظيمة من الرقي وبلغ فيها السودان أوج إزدهاره الحضاري[1]. وخير مثال للإزدهار في عهد مروي فترة الملك نتكاماني (Natakamani) (١٢ ق. م - ١٢م) - البجراوية الهرم ٢٢ - زوجته الملكة اماني تيري (Amanitere) - البجراوية الهرم ١[2]- فقد ازدانت البلاد بنهضة عمرانية وشيدت كثير من المعابد والقصور ، كما بلغ الاتصال الخارجي لدولة مروي قمته ونشطت الحرف عامة والفنون الدقيقة متجلية في صناعة الملابس والزينة من حلي وغيرها.

فنجد في معبد الأسد (الإله أبادمالك) بالنقعة والذي شيد بواسطتهم ، ففي وجهة (Pylon) هذا المعبد وبالنحت الغائر (Low Relief) وعلي الجدران الخارجية ، نجد يمين بوابة المعبد نحت يمثل الملكة اماني تيري تلبس زياً حربياً مع زينتها وتمسك بيدها اليسري سيفاً مرفوعاً وبيدها اليمني تقبض علي مجموعة من الاعداء السيف مرفوع إلي أعلا ونفس المنظر علي الجانب الايسر للبوابة حيث نجد الملك نتنكاماني يمسك بصولجان الملك بيده اليمني ويضرب به أعداء البلاد الذين يمسك بهم بيده اليسري مع سيف وفي الاسفل الأسد ابادماك (Apedmak) يلتهم أحد الاعداء ويرتدي الملك الزي الحربي الذي يتكون من رداء قصير مفتوح به حزام للعوره ومزخرف بورود اما النصف الأعلي فيرتدي

---

١ محمد ابراهيم بكر. تاريخ السودان القديم. القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية ١٩٧١. ص ١٥٠.

٢ نفس المصدر. ص . ١٤٨.

غطاء حول كتفه الأيمن وينتعل الملك حذاء من الجلد كما انه تزين بكامل زينته.[1]

أما علي الخلفية الغربية للمعبد فنجد نحتاً غائراً أيضاً يمثل الملك والملكة والأمراء في موكب تعبدي للإله ابادماك وهم يرتدون أزياء ملكية أبرزت بتفاصيل دقيقة.[2]

*** تحليل الأزياء المروية:**

نجد في المشهد والذي يمثل الملكة اماني تيري وقد ابرز في يمين واجهة بوابة معبد الأسد في النقعة، أن ملابس الملكة الحربيُة تمثل بقطعه واحده تغطي اسفل الجسم من عند منتصف الخصر حتى تكاد تشبه الفوطة أو ما يعرف محلياً باسم (الكركاب)[3] وهو يماثله أيضاً في كثيرة زخرفته كما أن هناك حزام يشده ويحمل جراب السيف ، وتدلي الفوطة حتى الكعب تبرز اسفلها القدم مرتدية حذاء من الجلد مزخرف برسومات وهو يشابه حذاء الملك[4].

في مشهد مماثل ابرز بالنحت الغائر علي واجهتي (اليمني واليسري) لبوابة الهرم رقم (٦) بالبجراوية ، هرم الملكة أماني شختي (٤١ ـ ١٢ ق.م) نجد نفس موضع المشهد السابق حيث تمسك الملكة اماني شختي Amani Shakete بيدها اليسري حبلاً يلتف حول اعناق مجموعة من اعداء البلاد مختلفي المناطق ويثبت ذلك اغطية الراس كما تملك الملكة في نفس اليد بقوس مع مجموعة من الاسهم، اما يدها اليمني فتمسك بها حربة[5] وتشابه الوقفه نفس وقفة اماني تيري كما أن الملابس والزينة تتشابه أيضاً وإن كانت الملابس هنا تغطي كافة اجزاء الجسم ففي الجزء الأسفل حتى

1Crowfoot . J.W.The Island of Meroe. London . Oxford University P

2 Kendall. Timothy. Kush: Lost Kingdom of the Nile. U.S.A . Brockton Art Museuem . 1982.PP.16-18.

٣ انظر عون الشريف . قاموس اللهجة العامية في السودان ، القاهرة ، المكتب المصري ، الطبعة الثانية ١٩٨٥ ص ٨٩٤ . قُرباب (س) قطعه من الثياب كالتنورة غير انها لا حجزة لها وتشد كما تشد السروال وهي التي تسميها العرب نطاقاً فلان قرباب دم اصلها من كلمة قرب (ف) الخاصرة واضيفت اليها علامة النسبه البجاوية اب مثل : غيد شاب . تميداب . فاصبح معناها (الثوب) الذي يلبس علي الخاصرة. من اقوالهم (س) انا القرباب ود الصلب لمن يعرف الحقيقة او يباهي بقدرته. أم قرقبو (البطانة) نوع من الظباء كانه مقرقب للون الأبيض في عجزه.

4 Kendall.Op.cit.P.17.

5 Shinnie .P.L.. Meroe . A Civilization of the Sudan . New. انظر ايضا Kendall . Kfrederick A. Praeges N 967.PP.49-50.Op.Cit.fig.1

كعب القدمين وفي الجزء الأعلي حتى مرفق الكفين والرداء يشابه تماماً الرداء الـذي ترتديه الملكة اماني تيري والذي ابرز في الخلفية الغربية لنفس المعبد فقـد مثـل ايـضاً بالنحت الغائر كما نشير إلي أن الزينة في كافة الأشكال متشابهة وخاصـه العقـد ذو الحبات الدائرية الذهبية[1] التي تنتهي من أسفل بتماثيل صغيرة علـي شـكل دلايـة ويمثل احد الآلهة[2]. ونجد نفس العقد والدلاية في صور الملكـة نتاكامـاني في نفـس معبد الأسد بالاضافة إلي أن الاشرطة المتدلية من أكتاف الملكتين إلي أسـفل حتـى نهاية الرداء ومنتهية بعقدة تنزل منها خيوط تتشابه مع الشريط المتدلي من كتف الملكة نتكاماني أيضاً وبناء الاستخلاصات السابقة فإن الملابس والزينة المرويـة كانـت لهـا خصائصها ومميزاتها المتفردة.

الأزياء في العصر المسيحي

* شكل الأزياء:

تميزت الأزياء في العصر المسيحي في السودان من ناحية الشكل التفصيلي بالطول والأتساع[3]، فهي تغطي كافة اجزاء الجسم من مرفقـي اليـدين حتـى كعبي القدمين كما أنها كانت واسعة وهذا ينطبق علي كافة ملابس الجنسين وإن ارتدت النساء ثوباً فوق الرداء، وارتدي الرجال أيضاً عباءة مفتوحة من الأمام فوق الجلباب وهذه الأزياء ابرزت لنا في صـور الملائكـة والرسـل والقديـسين والأمراء والملوك الذين يمثلون السلطة الدينية أيضاً[4].

* السمات الرئيسية للألوان علي الأزياء:

الميزة الرئيسية لهذه الأزياء من ناحية الألوان أنها كانت ملونه بالوان زاهية

---

1 Karl -Heinz Priese. The Gold of Meroe. New York.The Metropolitan Museum of Art. 1993. PP. figs.12.17.

٢* ان الحلي التي تتزين بها الملكة اماني شختي والتي ظهرت في صورتها المنحوتة علي هرمها (هرم رقم ٦) وصفت اشكالها في نص هذه الدراسة . نجد أن الواقع اثبت وجود هذه الحلي بشكلها الذي صورها به النحات المروي في ذلك الزمان . والدليل علي ذلك أن الحلي الذهبية التي اخذها الطبيب جوزيف فرليني(Givseppe Ferlini) في عام ١٨٣٤ م من الهرم رقم ٦ مشابه تماماً للحلي التي تتزين بها الملكة والمرسومة علي مدخل الهرم(انظر صورة هذه القطع في كتاب ذهب مروي ترجمة صلاح عمر الصادق

٣ هذا الطابع نجده في كافة الصور المسيحية التي اكتشفت في السـودان مما جعلها إحدي -مميزات الفن المسيحي . انظر كنائس فرس وعبد القادر وكلبنارتي دنقلا العجوز.

4 Vantini. Giovanni Christianity in the Sudan . Italy .El. Bologna. 1981. Pls. iii.xii.xx.xxi.xix.xx.xxi.xxii

براقة وأن لوحظ أن كثيراً من ملابس الرجال كانت تزخرف بخطوط ملونة بنيه علي خلفية بيضاء ، أما أزياء النساء فتميل قليلاً إلي اللون البني الغامق وإن زخرفت بأشكال ملونة بالوان فاتحة[1].

*** الأشكال الزخرفية علي الأزياء:**

تتمثل زخرفة الأزياء المسيحية في أشكال الورود والنجوم وأشكال هندسية من دوائر ومربعات ومستطيلات علي شكل اشرطة ومثلثات ويلاحظ أن الزينة الرئيسية في العصر المسيحي كانت الصليب حيث نجده متدلياً من العنق علي الصدر فوق الرداء أو ممسكاً به أو مرسوماً علي الجبهة أو يعلو علي الراس شكل تاج[2].

*** زينة الرأس:**

تزين الكهنة والملوك والذين يمثلون السلطة الدينية في بعض الاحيان علي رؤوسهم بطاقية أو تيجان بسيطة تشبه الطاقية لها قرنان يتدلى من القرنين اجراس ومن كنيسة سونقي غرب الاقليم الشمالي نجد صورة تمثل الملك جورج الثاني (جرجه بن زكريا) ٩٦٩م يقف تحت حماية آحد القديسين مرتدياً التاج ذا القرنين ، كما نجد إبرازاً آخر لهذا التاج في صورة من كنيسة عبد القادر يظهر فيها الأبرخص أي حاكم نوباطيا ـ وضع علي رأسه التاج أو الطاقية ذات القرنين التي يعلوها هلال تحته نجمة داود كما يتدلي أيضاً من القرنين اجراس[3].

***الرموز الإسلامية في الزينة المسيحية:**

يشير ظهور الهلال فوق نجمة داود في هذه الفترة إلي ازدياد الإنتشار الإسلامي وبداية تغلغل الإسلام بنية الدولة المسيحية توطئة إلي التحول النهائي إلي الإسلام والذي اخذ صورة تدريجية في الشمال واكتمل بصورة نهائية بسقوط سوبا ١٤٠٥م[4] وان استمرت الطاقية ذات القرنين رمزاً للسلطه لدي ملوك سنار فقد ارتدوها بدلاً للتاج أيضاً وهو ما يتوافق مع الحس الإسلامي الذي يتطلب التواضع والبعد من السلطة ورموزها.

---

١ فانتيني ، ج، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، الخرطوم ، ١٩٧٨ ص.ص١٢١-٣.-

2 Vantini, John. The Excavation at Faras A Contribution to History of Christian Nubia, Italy. Nigrizia Press. 1970. PLS.20.6.

٣ شني ب، ل ، بلاد النوبة في العصور الوسطي. ترجمة نجم الدين محمد شريف. الخرطوم.مصلحة الاثار، ١٩٥٤ ، ص،ص ١٣ -١٧ . شكل ٥.

٤ صلاح عمر الصادق سنار الاثار والحضارة،مجلة البرلمان .العدد الأول .مارس ١٩٩٣، ص.ص ٧٣ - ٧٤.

الخلاصة

إن الأزياء في العهد المسيحي تتميز اجمالاً بالإتساع والتغطية الكاملة لكافة أجزاء الجسم وتتكون لدي المرأة من قطعتين في الغالب داخلي وقطعة مستطيلة من القماش كدثار خارجي،أما الرجال فهم يلبسون جلباباً ذا كمام يتدلي حتى اخمص القدمين ويتدثرون بعباءة خارجية.

اما الألوان لكافة الجنسين فقد كانت ألوانا زاهية براقة وان استعملت الالوان البنية الغامقة في بعض الأحيان . ان غطاء الرأس هو عنصر اساسي في الزينة المسيحية فقد استعملت النساء تيجان بسيطة او هالات القديسين بجانب آخر نجد ان الرجال كانوا يلبسون طاقية أو طاقية ذات قرنين أو تيجاناً بسيطة.

*** الأزياء في سلطنة الفور:**

"(صورة الحرمين) كانت سلطنة الفور مستقلة عن دول الأرض كلها لا تدفع جزية لاحد، ما عدا الحرمين الشريفين فانها كانت تخدمهما بمحمل وصره كل سنة ، فكان موكب المحمل يأتي إلي مصر ومعه الريش والسن والصمغ وغيرها من خيرات البلاد فيبيعها ويتم بثمنها نقود الصرة ، ثم يستطرد الحج إلي الحرمين مع الركب المصري" [1].

أورد الكلمات السابقة المؤلف بن عمر التونسي مؤلفه القيم تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان والذي عاش في بلاط سلاطين الفور من ١٨٠٣ حتى ١٨١٠م. نشر الكتاب في باريس سنة ١٨٥٠م بواسطة المستشرق الفرنسي بيرون علي مطبعة حجر بعد أن سلمه بن عمر الأصول العربية للكتاب[2].

***صورة المحمل:**

في صورة فوتوغرافية تاريخية نادرة لهذا المحمل في طريقه إلي مصر مخترقا شوارع أم درمان وذلك قبل أو حوالي ١٩٠٦م وهي آخر سنة لخروج المحمل

---

١ التونسي ، محمد بن عمر . تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان. القاهرة . المؤسسة المصرية العامة لتاليف والانباء والنشر ١٩٦٥، ص، ٤٠٦.

٢ المصدر نفسه.ص.١٥ـ٢٠

من دارفور[1]، ابرزت لنا الصورة أزياء حرس ومرافقة وزي قائده ممثل السلطان الذي يركب علي حمار في المقدمة ، أما المحمل فقد حمل علي جمال وقد اصطفت جماهير أم درمان تتفرج علي الموكب كما يظهر الجنود الأتراك.

*** أزياء الحرس ومرافقي المحمل:**

توحدت الأزياء في شكلها التفصيلي تماماً فهي تتكون من أربع قطع رئيسية وهي:

١- عمامة متوسطة الطول تلتف حول الرأس وينسدل احياناً طرفها الايسر علي الكتف[2].

٢- قميص ذو كمين يتدلي حتي الركبة.

٣- ثوب من القماش مستطيل يلتف حول الوسط عند الخصر وتعلق احد نهايته علي الكتف، وأحيانا يربط الثوب بقطعة قماش سوداء.

٤- سروال طويل يغطي أخمص القدمين.

وينتعل الحراس نعلاً جلدياً ذا سيور (شبب).

ونشير إلي أن الزى الذي يرتديه الحرس ومرافقوا المحمل هو مشابه تماماً للزى الذي ظهر في صورة اخري لاعيان الفاشر وحاشية علي دينار وأن زاد بوجود عباءة وأحزمة سوداء عريضة حول الوسط عند بعض الأعيان مما أعطي تبياناً جميلاً ما بين الأسود والأبيض[3].

*** زينة الحرس ومرافقي المحمل:**

تعتبر المسبحة هي الزينة الدينية المحبوبة لدي الفور وتجدها متدلية من أعناق كافة أعضاء الحرس ومرافقي المحمل كما يرتديها قائد المحمل ونجد نفس وضع المسبحة في صورة أعيان الفاشر.

ابرز التسليح الفردي للمجموعة كزينه فنجد البندقية وحزامها والسيف وجرابه الذي يربط باشرطة حول الوسط، والتزين بالسلاح يرتبط بقيم الشجاعة والرجولة والاستعداد والجهاد وهو اعظم قيمة عند الفور والسودانيين عامة.

---

1 Beaton, A.c The Fur: S.N.R.Vol.XXIX.1948.

٢ تسمي العمامة التي تنسدل بين الكتفين باسم عذبة وتعرف باسم عزبة الأنصار لان انصار المهدي إشتهروا بها. انظر عون الشريف ـ قاموس اللهجة العامية. ص٧٦٤

3 Colla, L.A. Dartur . 1916 "SNR.Vol.22.139. PLIx.Vi."

*** زي ممثل السلطان قائد المحمل:**

يتكون من نفس القطع السابقة وإن تفوق عليهم بانه يلبس عباءة بها اشرطة سوداء حول اطرافها، وينتعل الخف السلطاني المشهور المدبب طرفه الأمامي[1]، كما يحمل أيضاً عصا وهي رمز للسيادة.

*** الألوان في أزياء الفور:**

تميزت كل الأزياء باللون الأبيض ولا يوجد لون اخر ما عدا في بعض الأشرطة وحزام القماش السوداء عند بعضهم ونشير إلي تفضيل اللون الأبيض والأسود ان الدابة التي يمتطيها قائد المحمل بيضاء اللون مما يعطي الموكب توافقاً هارمونياً يبث تاثيراً نفسياً مهيباً.

*** أزياء النساء المحيطين بالموكب:**

تكاد تكون في الغالب أزياء النساء المحيطات بالموكب هي الأزياء السائدة في كافة أواسط وغرب السودان فهي تتكون من جلباب وثوب، اما الشابات فيلبسن وشاحاً علي الرأس والصدر (طرحة)[2].

* صورة أعيان الفاشر:-

تأكيداً إلي ما وصلنا إليه في موضوع الزي الفوروي، هناك صورة فوتوغرافية اشرنا إليها من قبل أخذت في الفاشر في يونيو ١٩١٦م أي بعد شهر من سقوط الفاشر عاصمة سلطنة الفور في يد الجيش الغازي وقبل خمسة اشهر من مقتل السلطان علي دينار في برنجيه نوفمبر ١٩١٦م. والصورة تمثل مجموعة من أعيان الفاشر (أنظر السودان في رسائل ومدونات ، العدد ٢٢ لسنة ١٩٣٩م)ويرتدي الاعيان الزي القومي لهم وهو مشابه تماماً للزي الذي ظهر في صورة حاملي المحمل.

---

١ تسمي العمامة التي تسدل بين الكتفين باسم عذبة وتعرف باسم عزبة الأنصار لان انصار المهدي إشتهروا بها. انظر عون الشريف . قاموس اللهجة العامية. ص٧٦٤.

٢ هناك فصل كامل في ملابس ملوك الفور في كتاب تشحيذ الأذهان التونسي وقد شمل الفصل بتفصيل دقيق ملابس الملوك وأيضاً عامة الشعب من رجال ونساء واضافة إلي الحلي والزينة والطيب الذي تستعمله النساء. انظر ص.ص ٢١٠ _ ٢٢٦.

ويتشابه الزي الفوراوي مع الزي العربي الإسلامي الأصيل حيث يتصف بالفضفضه والفخامة والألوان الهادئة كما أن الحذاء السلطاني العربي الإسلامي كان هو الشائع بين الفور.*

ونستخلص من الدراسة أهمية الملابس والأزياء وتطورها في دراسة الثقافة المادية للشعوب كما يتضح لنا ندرة الدراسات في التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للمجتمعات السودانية مما يصعب معه دراسة أزياء وملابس عامة السودانيين في المراحل التاريخية المختلفة. وتبقي ببدراسة حتى تنجز أهدافها هو دراسة أزياء الفئات الحكامية الدينية ونتمني أن تكون نجحت في ذلك.

---

* لمزيد من المعرفة عن الملابس ووظيفتها وتحليلها أنظر المقال الآتي : Yoder, Don "Folk Costume" In Richard Dorson, (ed) Folklor and folklife, Chicago, University of Chicago, Press. 1972.PP.295-325

المراجع

*** المراجع العربية**

١/ التونسي ، محمد بن عمر . *تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان*. القاهرة . المؤسسة المصرية العامة لتأليف والإنباء والنشر ١٩٦٥.

٢/ شني ب، ل ، *بلاد النوبة في العصور الوسطي*. ترجمة نجم الدين محمد شريف. الخرطوم.مصلحة الاثار، ١٩٥٤ .

٣/ صلاح عمر الصادق سنار الاثار والحضارة،*مجلة البرلمان* .العدد الأول مارس ١٩٩٣.

٤/ عون الشريف . *قاموس اللهجة العامية في السودان* ، القاهرة ، المكتب المصري ، الطبعة الثانية .١٩٨٥.

٥/ فانتيني ، ج، *تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث*، الخرطوم ١٩٧٨م.

٦/ محمد ابراهيم بكر. *تاريخ السودان القديم*. القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية١٩٧١.

المراجع الأجنبية:

1/ Al Tyaib, D.G."An illustrated Record of Sudanese National Costumes", Unpublished.M.A.Dis

2/Crowfoot , J.W.The Island of Meroe. London , Oxford University Press. 1911.

3/ Gillan ,J,A"Darfor , 1916". S.N.R.Vol.22,1916.

4/Heinz Priese,Karl. The Gold of Meroe. New York.The Metropolitan Museum of Art. 1993.

5/Kendall. Timothy. Kush: Lost Kingdom of the Nile. U.S.A . Brockton Art Museuem . 1982.

6/Shinnie ,P.L.. Meroe , A Civilisation of the Sudan_. NewYork. Friederick A, Praeges.1967.

7/Vantini, Giovanni. Christianity in the Sudan . Italy .EMI, Bologna. 1981

8/ Yoder,Don, "Folk Costume". In Richard Dorson.(ed). Folklore and folklife, Chicago. University of Chicago Press.1972.

سنار الأثار والحضارة

منذ فترة مبكرة من انهيار مملكة نوباتيا في القرن الرابع عشر الميلادي إلـي انتصار الفونج في القرن السادس عشر هنالك فجوة كاملة في الزمن التاريخي انه زمن الغموض والانكسار عصر مظلم قصير مثل شئ دائما ما يتخلل بين انهيار حضارة وميلاد أخري ـ كرفورد ـ مملكة الفونج سنار، (كلوستر ١٩٥١).

From the collapse of the Kingdom of Nobadia early in the 14th century to the Fung con quest in the 16th there is acomplete gap in history .It was a time of chaos and break –up a short dark age such as always intervence between the decay of one civilization and the birth of another O.G.S. Crawfort, the Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951.

لتحديد سنار اولا داخل نطاق المكان الجغرافي والزمـان التـاريخي فالنبـدأ بعاصمة الدوله سنار أو ما تعرف حاليا عند السكان محليا باسم (مكوار).

*** موقع سنار العاصمة:**

تقع سنار علي الضفة الغربية للنيل الأزرق جنوب محطـة ود الحـداد وشمـال سنار المدينة وشرق طريق مدني ـ سنار عند خط عرض ١٣،٣٤ شمالا ـ ٣٣ـــ ٣٤ شرقا خريطة رقم ٥٥ ك مقياس ٠٠, ٢٥٠ : ١ (مصلحة المساحة السودانية).

*** موقع سنار الدولة:**

حددت حدود دولة سنار شمالا حتى مدينـة مـشو بـالقرب مـن الـشلال الثالث عند ابو فاطمة وجنوبا حتى الروصيرص علي النيل الأزرق وشرقاً حتى حدود الحبشة واجزاء كبيره من بلاد البجه اما حـدودها الغربيـة فقـد شملـت اقليم كردفان ولكن نجد هذه الحدود قد انكمشت تدريجياً وخاصة في الأطراف منها بانفصال المشيخات المكونه للاتحاد الكونفدرالي لسلطنة سنار.

*** الزمان التاريخي:**

الزمان التاريخي الذي استغرقته هذه الحضارة السودانية العظيمة فقد اتفق المؤرخين علي بدايته في عام ١٥٠٤ سقوط دولة علوه اما نهاية الدولة فكانت

في عام ١٨٢١م غزو محمد علي السودان منهيا بـذلك الدولـة الـسنارية والـتي كانت تمثل السيادة السودانية علي السودان في تلك الفترة علي الـرغم مـن أن سلطنة الفور (١٦٤٠ ـ ١٩١٦م) والتي تمثل ضمير هذه السيادة كانت لا زالت تواصل مسيرتها علي نفس الأسس الحضارية ، ونشير إلي أنه منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد (انتقال العاصـمة مـن نبتـة إلـي مـروي) أصـبح أواسـط السودان يمثل السيادة ـ مروي ـ علوه ـ سنار ـ امدرمان ـ الخرطوم.

*** الأسم:**

ذكرت في المصادر التاريخية القديمة والحديثة منها بعدة أسماء هي :-

١ـ السلطنة الزرقاء

٢ـ مملكة الفونج ـ أحيانا الفنج

٣ـ سلطنة الفونج

٤ـ الدولة السنارية

٥ـ مملكة سنار

٦ـ الاتحاد السناري

ويتبين إلي أن كلمة (الفنج) قد وردت في شعر شاعر البطانـة الحردلـو عـندما قال متغزلا في محبوبته: دق الفنج الفقع عمارو ـ يوقد بعضو يضو كزي جمارو. وهو وصف للفم فهو يجمع بين سواد الشفاه وبياض الأسنان والفنج ضرب من المساحيق اسود تضعه النساء علي شفاهن والفقع عمارو هو القطن الذي برزت ثمـاره ومـن هنا ندرك أن الاسم الأول والثاني اسمين يفـسران بعـضها الـبعض وهـذه محاولـه للتفسير ، ان معني كلمة الفونج لم يتفق المؤرخين والدارسين حتى الآن علـي معـني محددا لها فالبعض يري أنها مستمده من لغة الشلك والبعض الآخر يردها إلـي لغـة النوير وفريق ينسبها إلي لغة القولي وكل فريق له دلائله ، ولكننا نري أنهـم اتفقـوا علي أنها كلمة مستمدة من أصول اللغات النيلية.

*** نشأة مملكة سنار:**

سوف نأخذ بالرواية المعتمدة والتي تقول أن نشأة مملكة سنار كانت نتـاج لتحالف العرب المحليين بقيادة عبد الله جمـاع والفـونج بقيـادة عمـاره دنقـس وقضائهما علي دولة علوة المسيحية في سوبا عام ١٥٠٤م.

لنقف قليلاً عند اسم عماره دنقس حيث نجد أن جزئي الاسم الأول منهما عربي الأصل والثاني محلي الأصل وأيضاً نفس هذا الوضع نجده عند مؤسس سلطنة الفور سليمان صولون ١٤٤٤ م كما تتشابه أيضا كلتا الروايتين في أصليهما. فيدعي الفونج أنهم من سلالة بني امية هربوا بعد سقوط دولتهم علي يد العباسيين اما الفور فيدعون بأنهم من سلالة العباسيين الذين هربوا أيضاً بعد سقوط دولتهم علي يد الفاطميين.

مما سبق يتضح لنا الأصل الواحد للجذور الحضارية للفونج والفور فهما قد وضعا الأسس الأساسية للحضارة العربية الإسلامية في كافة انحاء السودان وإن كانت بنسب متفاوتة ولكن تبقي حقيقة اساسية أن بزوغ مملكة الفونج كان ميلاد الحضارة العربية الإسلامية.

*** أصل الفونج والعبدلاب:**

هناك ثلاث نظريات حول أصل الفونج نذكرها دون مناقشتها:

أـ انهم امويون نزحوا عن طريق الحبشة.

ب ـ نيليون (شلك) قاطنين للمنطقة.

ج ـ انهم من البرنو من سلاله سلاطين دولة (كانم ـ برنو) في غرب افريقيا هربوا إلي السودان بعد هزيمة أحد سلاطينهم.

ولابد من ذكر أن صاحب النظرية الثالثة هو مستر اركل مدير مصلحة الاثار سابقا.

أما العبدلاب فقد اتفقت كافة الرويات عن أصلهم بارجاعهم إلي عرب القواسمة وتنتهي شجرة نسبهم إلي جهينة الذين ينسبون إلي عدنان فهم عرب لا جدال في عروبيتهم.

لقد تمازج الفونج والعبدلاب تحت ظلال الحضارة العربية الإسلامية مثل ما حدث في كثير من أنحاء العالم العربي الإسلامي وقد ضربت بجذورها في مسيرة القدر السوداني.

*** المعالم الاثرية بسنار:**

ليست هناك اثار بارزة علي السطح Outstanding Monuments بالصورة التي نتوقعها لعاصمة الدولة السنارية ما عدا بعض القباب التي بحالة

سيئة وغير معروف اصحابها وأن درج السكان المحليين بنسبها إلي بعض رجال الدين في زمن الدولة السنارية.

نجد علي سطح الموقع كثير من قطع الفخار من الطراز العربي الإسلامي ونشير إلي أن كل النتاج الحضاري ما بعد سنار بصفة عامه في كافة أنحاء السودان هو تراث عربي إسلامي وحتم اطلاق هذه التسمية المحدده الأسباب الآتيه:-

١ـ أن الثقافة العربية الإسلامية سيطرت سيطرة كاملة علي كل نواتج وتفكير وسلوك الإنسان في الغالبية العظمي من أجزاء السودان.

٢ـ عدم الدخول في تسميات مقيدة وغير محددة مثل تسمية (فخار الفونج) حتى وان وجدت القطعة في قري أو الحلفايه رئاستي العبدلاب فنكون بذلك قد حددنا أصل القطعة في نطاق قبلي محدد ومن المنطقي ان نطلق عليه (الفخار العربي الإسلامي) مثلما أطلقنا علي فخار المرحلة الحضارية السابقة (الفخار المسيحي) ـ ونضيف حقيقة معروفة هي إن المناطق الشرقية وساحل البحر الأحمر لم تدخل تحت سيادة دولة الفونج بصورة كاملة، لكننا نجد بها كثير من الاثار العربية الإسلامية التي تعود إلي ما قبل تأسيس الدولة السنارية مثل في عيذاب وجزيرة بني أمية (عيري) وجزيرة إبن عباس (بهدور) مواجهة لقبة عباس باليمن.

٣ـ اطلاق مصطلح Post Christian (ما بعد المسيحية) لتاريخ قطعة اثرية استخرجت من مواقع عربية إسلامية ـ اربجي ـ أو مواقع عربية إسلامية ـ مسيحية مشتركة ـ دنقلا العجوز ـ وبناء علي التسلسل الحضاري في السودان فإن الحضارة العربية الإسلامية هي التي سادت بعد نهاية المسيحية كليه في السودان بل هي زامنت المسيحية طويلا قبل سقوطها في ١٥٠٤م فيجب أن تسمي الأشياء بمسمياتها الواضحة حتى تفهم ومنعا للالتباس وضياع هوية القطعة.

كان لابد من هذا التوضيح ونواصل مستكشفين معالم الموقع الأثري نجد كثير من أداة التدخين الكدوس المصنوع من الفخار بأشكال وأحجام وألوان

مختلفة يغطي سطح الموقع وأيضاً نجد الأدوات الحجرية ممثلة في الموقع وخاصة حجارة الرحى المنقار(يستخدم في تخشين حجر الرحى وطحن الأشياء الصغيرة).

ونجد أساست لمباني من الأجر الأحمر المحروق Red Burnt Bricks والأجر المجفف بالشمس Sun dry Bricks والطين Mortar والحجر الأحمر مبعثر علي سطح الموقع.

ونشير هنا إلي أن حجم الحجر الأحمر المحروق مشابه في الحجم الحجر سوبا المسيحي (٧x١٧x٣٥ سم) ويبدو أن صانعي الطوب استمروا في استعمال القالب السابق لفترة محدودة ثم اتجهوا إلي البناء بالطين والأجر المجفف بالشمس بصورة أساسية وفضله الجميع وأستمر هذا النظام في مواد البناء حتى تاريخنا الحالي ويرجع هذا في أحد جوانبه إلي عامل الطقس الحار وارتفاع درجات الحرارة علي مر السنين والعصور.

*** الأسباب التي أدت إلي عدم وجود أثار قائمة بسنار:**

علي الرغم من أن سنار عرفت بمبانيها العالية الجميلة وبمساجدها وقصور سلاطينها وسوقها ودور الدولة وذلك علي حسب وصف الرحالة الاوائل الذين زاروها وأولهم ديفيد روبيني اليهودي الذي قدم من اليمن في طريقه إلي أوروبا في عام ١٥٢٢م وجيمس بروست في عام ١٧٢٢ م وتعود أسباب عدم وجود أثار قائمة إلي الظروف التي مرت بها سنار فقد نكبت هذه المدينة ثلاث مرات:-

* أولاً:- عندما نقلت المدينة إلي موقع جديد يقع شمال المدينة القديمة وذلك بعد دخول الأترك.
* ثانياً:- نقلت مرة ثانية إلي موقع سنار التقاطع حالياً وذلك بعد إنشاء ترعة مشروع الجزيرة التي حدت أمتداد المدينة وحصرتها مع النيل وازدهرت.
* ثالثاً:- عندما نشأت مدينة (سنار المدينة) في بداية العشرينيات من هذا القرن وذلك لقيام خزان سنار وخط سكة حديد الدمازين في كل هذه المرات كانت

تقوم الدولة بنقل مؤسساتها أولاً ثم يتبعها المواطنون لارتباط مصالحهم بهذه المؤسسات ناقلين معهم كل ما يمكن أن يستفاد به في أنشاء مدينتهم أو منازلهم وهذا ما حدث أيضاً لمدينة سواكن عندما نقل الإنجليز في عام ١٩١٠م الميناء من سواكن إلي موقع شمالاً يسمي الشيخ برغوث (بورتسودان حالياً) فقام الأهالي بأخذ الحجارة والأخشاب والحديد وغيره من مبانيهم بسواكن مدمرين بذلك تلك المباني الجميلة وتركت لنا كما نرها الآن.

*** أهم المعالم الأثرية الموجودة من الدولة السنارية خارج سنار:**

أهم المعالم الاثرية التي تركتها الدولة السنارية خارج العاصمة سنار هي القباب فنجد علي سبيل المثال لا للحصر علي النيل الأزرق وتركزت به غالبيتها:

١/ قبة الشيخ الخوجلي

٢/ قبة إدريس ود الارباب

٣/ قبة ابو قرون

٤/ قبة ود الترابي

٥/ قبة الصابونابي

*** وفي النيل الأبيض**

أ/ قبة الشيخ جاد الله ابو شره

ب/ قباب شبشه

*** نهر النيل**

أ/ قبة الكباشي ب/ قبة حمد النيل ج/ قبة الشيخ الطيب د/ قبة الشيخ العجيب هـ / قبة بانقا الضرير

وكل هؤلاء الفقهاء ذكروا في كتاب الطبقات لود ضيف الله الذي ولد في عام ١٧٢٨م وتوفي ١٨٠٩م حلفاية الملوك حاضرة العبدلاب في تلك الفترة.

*** لمحة من القباب في السودان: خصائصها وأصولها:**

أن فن بناء القباب تفردت به الدولة السنارية علي كافة حضارات السودان السابقة كظاهرة معمارية واجتماعية، وتستخدم القبة كمكان للدفن وهي من

ظواهر المعمار العربي الإسلامي ولا زالت تستخدم في كثير من أنحاء العالم العربي والإسلامي لعدة أغراض (مدافن ، مساجد ، معاهد .. الخ) أما في السودان فقد واصلت غرضها كمدفن فقط.

ونلاحظ أن طريقة الدفن داخل القبة قد استعمل بصورة كبيرة في شرق السودان حيث نجد مقابر كاملة في منطقة جبل ماman عند نهاية الحدود السودانية الإرترية شمال إقليم كسلا فهنالك أكثر من مئات القبور التي بنيت بهذه الطريقة وقد حاولت في عام ١٩٧٥م حصر عددها ولكنها كانت تلتف حول الجبل وتحتاج إلي عدد أكبر من الأفراد لإحصائها ويتواصل هذا النوع من المدافن باتجاه البحر الأحمر حيث نجدها في امادين قرب طوكر ومنطقة اسارما درهيب عند ميناء عقيق (وتعني كلمة اسارما درهيب ـ السبعة أماكن العالية ـ بلغة الهدندوه) ثم تسير متفرقة بعد نزولها من جبال البني عامر شمالاً إلي ساحل البحر الأحمر باتجاه ميناء عيذاب حيث نجدها بمنطقة محمد قول.

ويؤرخ لهذه القبور عند نهاية القرن الخامس عشر الميلادي أي متعا صره مع الدولة السنارية وان اختلفت كل من القبة السنارية وقبة المنطقة الشرقية في كل من مواد البناء ونظم البناء (تكبيس) واتفقت فيما عدا ذلك ، نشير هنا إلي حقيقة مؤسفة أن كافة هذه القباب بنوعيها لم تجري عليها دراسات اثرية من الناحية المعمارية أو الفنية أو توثيقها أو تحديد تاريخ واضح لها وإن كان هناك نشاط اثاري بدءاً بدراسة المعالم العربية الإسلامية في منطقة الواقعة شمال بورتسودان.

*** أهم المدن العربية الإسلامية من مملكة الفونج:**

١ـ اربجي:- تقع شمال الحصاحيصا علي الضفة الغربية للنيل وكانت اربجي هي الحد الفاصل بين سيطرة ملوك الفونج في سنار ووكلائها العبدلاب وذكرت في رحلات الطبيب الفرنسي بونسيه ١٦٩٨م عندما كان في طريقه للحبشة لمعالجة إبن الامبراطور الحبشي ومر بها ، كما ذكرها الرحالة جيمس بروس في رحلته من الحبشة إلي السودان في عهد الملك اسماعيل ملك الفونج.

٢ـ قري:- هي مشيخة قري حاضرة العبدلاب في ذلك الوقت تقع عند الشلال السادس (السبلوقة) بها قبة الشيخ عجيب المانجلك زعيم العبدلاب وابن عبد الله جماع.

٣ـ جبل موية:-عند سفح جبل موية بعد ١١ ميل من سنار المدينة باتجاه الغرب تنسب احد النظريات في أصل الفونج بأنها موطن الفونج الأول قبل تحالفهم مع العبدلاب.

٤ـ اليس:- (الكوه ـ النيل الأبيض) كانت من أهم مشيخات العبدلاب علي النيل الأبيض وقد ورد ذكرها في مخطوطة كاتب الشونه (أحمد بن الحاج أبو علي ١٧٨٤ ـ ١٧٨٥ وتوفي بعد ١٨٣٨م).

وبعد أن هزم الفونج قبائل الشلك التي كانت تسيطر علي النيل الأبيض وتشكل بغارتها المتكرره خطراً كبيراً علي المجموعات العربية التي تسكن الجزيرة احتلوا معبر اليس الشهير وهو موقع استراتيجي هام يضمن لهم السيطرة علي تحركات الجيوش والقوافل التي تعبر النيل الأبيض بكردفان ـ ولازال يستخدم المعبر بواسطة عربات النقل التي تتجه إلي غرب السودان ويعرف باسم مشرع ابو جبيره ونواصل مع كاتب الشونه فيقول:-

وتتضح أهمية اليس في أن حاكمها أو شيخها كان ذا رتبه رفيعه وكثيراً ما أتي ذكرها في الوثائق بعد ملك العبدلاب مباشرة. واشير إلي نقطة هامة إن القطع الأثرية المصنعة من معدن الذهب والتي تزن رطل وسبعة وقيات وتمثل اخر المكتشفات الذهبية قد احضرت من الموقع الاثري بالكوه (اليس الفونج) ومن الروايات المحكية في منطقة الكوه وحلة سعيد بصفة خاصة بان هذه المنطقة كانت مملكة في الزمان السابق تعرف باسم اليس وعليها ملكة تسمي أم صبروا ولاشك أن هذا تواتر الراوايات منذ وقت طويل تستطيع الحفريات الاثرية فحصه والتأكد منه مع ملاحظة عدم أخذها لنظم وطرق الدفن المتعارف عليها حالياً (شمال جنوب والرأس بالجنوب) نسبه لعدم معرفة السكان في ذلك الزمن لكافة النظم الإسلامية ونري جهل سكان تلك المنطقة بامور الدين ما اورده ود ضيف الله فقال:-

"يعتبر الشيخ محمود العركي أول من نشر علوم الدين في جهة النيل الأبيض إذا لم يجد في تلك البلاد حين قدومه مدرسة علـم ولا قـرآن يقـال أن الرجـال يطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهاره من غير عدة".

*** الأسباب التي قيدت القيام بنشاط أثاري للحضارة العربية الإسلامية :**

١ـ عدم وجود فريق من المتخصـصين الـسودانين في كافـة مجـالات الحـضارة العربية الإسلامية.

٢ـ عدم الاستعانة بالدول التي سبقتنا في مجالات الاثار العربية الإسلامية مثـل (مصر ، العراق، الاردن).

٣ـ خطأ المسلمات عن أوصاف الموقع العربي الإسلامي.

٤ـ تقدم الدراسات التاريخية وهيمنت النظريات التي وضعت في الثلاثينيات مع تأخر أو توقف البحوث الأثرية.

٥ـ عدم اهتمام البعثات الأجنبية العاملة في السودان باللقي العربية الإسـلامية إذا وجدتها أثناء عملها وذلك لعدم دخولها في مـشروع البحـث أو لعـدم وجود متخصصين وإن كان يتم تسجيلها.

٦ـ عدم الاهتمام بتطـوير وضـع معاملـة الحـضارات الإسـلامية العربيـة إنمـا الاستمرار في نفس الأسس التي تركتها الإدارة الأجنبية.

المصادر والمراجع

١/ محمد بن النور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السوان ، تحقيق يوسف فضل حسن ـ الخرطوم ١٩٧١م (طبقات ود ضيف الله).

٢/ التونسي ، محمد بن عمر ، تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ـ تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفي محمد مسعدـ القاهرة ١٩٥٩م.

٣/ نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان القديم ، بيروت ١٩٦٧م.

٤/ يوسف فضل حسن ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ ـ ١٨٢١ ـ الخرطوم الطبعه الثانية ١٩٧٢م.

٥/ يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان ـ الجزء الأول ـ الخرطوم ١٩٧٥م.

٦/ محمد صالح ضرار ، تاريخ سواكن والبحر الأحمر ،الخرطوم ١٩٨١م.

٧/ يوسف فضل حسن ، المصادر السودانية الاولية قبل المهدية ، مجلة الدراسات السودانية ـ العدد الأول ـ مجلد (٣) ، ١٩٧١م.

8/ O.G.S. Crawford , The Fung Kingdom of Sennar , Gloucester , 1951.

9/ Giovanni Vantini, Christianity in the Sudan , Italy 1981 ,

10/Jean - Pierre greenlaw , The Coral Buildings of Suakin , London 1976.

التراث الثقافي المادي السوداني (الآثار)
ودوره في حماية الامن القومي

لعب السودان دورا حضارياً مؤثرا في تشكيل الحضارة البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ وتشهد علي ذلك المواقع الأثرية التي تعود إلي تلك الفترة في كل من خور ابو عنجة وجبل نخرو ووادي هودي وموقع مستشفي الخرطوم والشهيناب وصاي وتؤرخ بعض هذه المواقع إلي مائة ألف سنة قبل الميلاد، كما أثبتت بقايا إنسان تلك العصور.

وقد أكدت الحقائق السابقة العمق الحضاري للسودان ومساهمة إنسانه في تطور الحضارة الانسانية، كما أدركت هذا الدور الدول الغربية ودول العالم كافة وذلك من خلال بعثاتها التي قامت بالتنقيب في السودان ولازالت تعمل. استمر السودان يواصل دوره الحضاري فنجده يقدم تراثا قومياً شمل كل جوانب الحياة ذلك أثناء مملكة كوش كرمة عند دنقلا (٢٥٠٠ ـ ١٥٠٠ق.م) التي أمتدت تأثيراتها الثقافية شمالاً إلي ما بعد وداي حلفا وجنوباً حتى مناطق كريمة وتمتاز كرمة بأنها حضارة محلية تركت أضخم المباني الأثرية كما قدمت لنا صناعات متطورة وخاصة في مجال الفخار الذي انتجته الحضارة الإنسانية في تلك الفترة وذلك بإجماع كافة علماء الآثار . أما فترة مملكة نبتة (٩٠٠ـ ٥٦٠ ق.م) والتي قامتعند جبل البركل يكريمة فقد تركت آثار كثيرة في شمال السودان وأواسطه وفي مصر أيضاً . فقد شاركت مملكة نبتة في أحداث الشرق الأوسط حيث حكم ملوك هذه المملكة السودانية مصر أيضاً لمدة تزيد عن ثمانين عاما وتدخلوا بصورة مباشرة في تسير أحداث المشرق العربي فقد تحالفوا مع مملكة يهوذا وأمير مدينة صور الفنينيقية وعدد من القابئل العربية جنوبي فلسطين، بالإضافة إلي أمراء المدن الفلسطينية ضد مملكة اشور وملكها سنحاريب، ويشير الكتاب المقدس (سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٩) إلي تلك الأحداث وإلي دور الملك السوداني ترهاقا في ذلك القتال ومجريات الحوادث . ومن هنا يعرف كل مسيحي أو يهودي منذ طفولته دور السودان في الحضارة البشرية من خلال

قرأته لكتابة المقدس فهي جزء من صلوته حيث يذكر أسم السودان في كثير من مواقع الكتاب المقدس تحت اسم كوش وهو الاسم الذي عرف به السودان قديما . ومن هنا فهم يقدمون هذا الدور التاريخي الحضاري ويحترمون منفذيه . عند قدوم عهد مملكة مروي (٥٦٠ ق.م ـ ٣٥٠ م) والتي تعتبر امتداد لمملكة نبتة ، فقد تركت الحضارة السودانية أعظم مخلفاتها في المدن التي تعود إلي تللك الفترة أو إنتاج فني من نحت وفخار وحلي ذهبية كما واصلت دورها في الاحداث التاريخية العالمية لذلك العالم القديم. وقد ذكرت مروي في كل الكتابات القديمة للمؤرخين الاروبين . فقد ذكرها أبو التاريخ هيرودوتس واسترابو وبليني وغيرهم، وارتبطت أحداث السودان بعالم البحر الأبيض المتوسط لكل من الحضارة الاغريقية والرومانية وقد جاء ذلك فيما تركه المؤرخون الأوربيبون وما كتبه الملوك المرويون علي المسلات المروية ويدرس هذا التاريخ في جامعات العالم عامة. وبذلك يدرك عظمة الشعب الذي أدي هذه الدور في تاريخ الحضارة البشرية . ويظهر بوضوح دور السودان في الأحداث من خلال ما جاء في الكتاب المقدس أعمال الرسل ٨ الإصحاح الثامن بأن الرسول فليبس كان قد التقي بوزير مالية الملكة المروية الكنداكة وهو في طريقه لزيارة الأماكن المقدسة اليهودية بفلسطين فهو يهودي الديانة وكان ذلك عام ٣٥م وقد قام فليبس بتعميده وتحويله إلي الديانة المسيحية، وقد ذكرت القصة بتفاصيل كاملة في الكتاب المقدس وفي عام ١٥٠٤م قدم السودان أعظم إنتاج كافة تراكماته الحضارية مدعما بذلك مسيرة دوره الحضاري وذلك بقيام الدولة الإسلامية السودانية في قلب القارة الأفريقية بعد سقوط الدولة الاسلامية في الاندلس في نفس الفترة مواصلاً دوره الحضاري من خلال الاسلام الذي ساعد السودان علي إنتشاره في كافة انحاء القارة الأفريقية من خلال الطرق التجارية والهجرات والسائحون في سبيل الله ومن هنا أدرك الغرب أن التواصل وان المستقرات الأولي لإنسان العصر الحجري القديم في خور أبو عنجة كانت هي في ضمير الغيب النواة الأولي لأول دولة إسلامية في قلب القارة الأفريقية لعبت دوراً في الأحداث العالمية ولازال هذا الدور يتواصل. نستخلص عدة جزئيات

أساسية مما سبق، أولاً: أن العمق التاريخي للسودان قد بدأمنذ فجر الحضارة الإنسانية وبداية التدوين التاريخي، كما ارتبطت هذه المعرفة التاريخية بالحضارات الإنسانية الاخري مما جعل تاريخ السودان مادة أساسية في كل مناهج التاريخ في أنحاء العالم.

الجزئية الثانية فقد اتصلت بالناحية الأثرية ، حيث يقبع السودان في أهم مستقرات الحضارة الإنسانية ذات العطاء الثر في مجال التراث الإنساني وهي أعظم ما قدمه الإنسان السوداني للحضارة ، وقد أثبتت بعثات الآثار العاملة في السودان من كافة أنحاء العالم هذه الحقيقة.

الجزئية الثالثة هي أن متاحف العالم قد ازدهرت وازدانت بالآثار من كرمة وصاي وجبل البركل و الكرو ونوري ومروي والنقعة وفرس ودنقلا العجوز والآثار السودانية هي مادة أساسية للعرض والدراسة في كل متاحف وكليات الآثار في العالم.

الجزئية الرابعة أن هناك أكثر من ثلاثون بعثة أجنبية كما أن هناك بعثات محلية تعمل في مجال التنقيب عن الاثار ولازالت بعثات أجنبية تتبع لجامعات أو مراكز علمية أو متاحف تتقدم للعمل في السودان وتقوم هذه البعثات بعكس هذا التراث خارجياً في بلدانها من خلال المعارض والنشر العلمي.

الجزئية الخامسة أندياح عدد السياح الزائرون للمواقع الاثرية السودانية في الفترة الخيرة وخاصة بعد أن أصبحت هناك مواقع للمناطق الأثرية في شبكات الانترنت وتشاهد هذه المواقع في كافة أنحاء العالم. إضافة إلي معارض الآثار السودانية في كثير من دول العالم عملت علي تنشيط حركة السياحة نحو السودان خاصة أن هناك كتلوجات رافقت هذه المعارض ومن مشاهدة كل ذلك سوي في الخارج أو مشاهدة المواقع داخلياً تدرك شعوب العالم الأوروبي أن الشعب السوداني ساهم ولازال في الحضارة الإنسانية بهذا الإرث المادي لا يمكن أن يكون ذو نزعة عدوانية أو تدميرية لأن واقع الحال يثبت أنه شعب بناء حافظ علي الحضارة وساهم واستمتع باستقرار وسلام مكنه من مواصلة بناءه الحضاري منذ عهد كرمة قبل أربعة آلاف وخمسمائة عام.

الجزئية السادسة من خلال البقايا المادية للإنسان السوداني وأنظمة حكمه من مقرات ومباني حكم ومدن ملكية منذ أول نظام سياسي سوداني في كرمة ونبتة مروراً بمروي ودنقلا العجوز وسوبا وسنار وأمدرمان والخرطوم يدرك العالم قوة استمرارية نظام الحكم في السودان وأنه من اقدم أنظمة الحكم في العالم وأن أسس بقائه تكمن داخله ولا يمكن تغيره من الخارج.

الجزئية الأخيرة هي أن التناسق الحضاري بين كافة أنحاء السودان وترابط أطرافه مع وسطه أعطي التكامل الحضاري للكل من خلال الجزء وترابط نسيجه الوحداوي أثناء تطوره الحضاري.

من كل ما سبق ندرك أن التراث الثقافي المادي السوداني (الآثار) أعطت السودان أمناً قومياً وقف مانعا أمام مبررات العدوان عليه بل جعلت كثير من شعوب العالم تدرك دور السودان الرائد في تقدم الحضارة الإنسانية كما ان الحضارة السودانية تميزت بالاستقرار والاستمرار معطية الدافع عن وحدته الحضارية التي تؤكدها بقايا تراثه الثقافي المادي . لقد خلق هذا التراث العزة للسودانيين وأعطي الشعور بالفخر والكرامة أمام الشعوب الخري والإيمان في المستقبل، وكما تدرك شعوب العالم الغربي هذا الدور الهام للسودان في مسيرة الحضارة الإنسانية فمن الأولي أن يدرك المواطن السوداني هذا الدور وأن يوظفه لمصلحة أمنه واستقرار وتقدم بلاده.

من معالم الخرطوم القديمة قباب الأتراك

(مقبرة الحكام الأتراك)واللواء آدم باشا العريفي

تقع هذه المقبرة شرق شارع القصر (شارع فكتوريا سابقاً) وشمال شارع البلدية (شارع عباس سابقاً) وتتكون من قبتين وصحن.

ليس هنالك من دليل قاطع علي تاريخ بناية هذه القباب ولكنه غالباً ما تكون بنيت بعد وفاة الحكمدار بوقت قليل

مثلاً القبة الشرقية بنيت بين عامي ١٨٤٤ ـ ١٨٤٥ وهي التي دفن فيها احمد باشا جركس الملقب (أبو ودان) الذي تولي الحكم بين (١٨٣٩ ـ ١٨٤٤م) توفي في ٢٥/ ١٠/ ١٨٤٤م.

أما القبة الغربية فربما تكون قد بنيت عام ١٨٥٦م ويرقد فيها موسي باشا حمدي الذي حكم (١٨٦٣ ـ ١٨٦٥م) وتوفي في ٦/ ٣/ ١٨٦٥م وتضم أيضاً رفات أحد أفراد عائلة موسي حمدي.

أما في صحن المقبرة فدفن محمد ممتاز باشا الذي حكم بين ١٨٧١ـ ١٨٧٣م كذلك يضم هذا الفناء رفاة آدم باشا العريفي وهو سوداني من ضباط الجيش المصري ومحمد بك راسخ مدير الخرطوم في الفترة التركية (١٨٥٩ ـ ١٨٦٢م) والماظ باشا محمد سوداني أيضاً من ضباط الجيش المصري وإبراهيم بك مرزوق وهو كاتب مصري وآخرين.

وتفيد بعض المصادر بأنه عندما عزم أحمد باشا جركس أبو ودان علي فصل السودان والاستقلال به عن سلطة محمد علي باشا في مصر، علم محمد علي بذلك واستدعاه للمثول بين يديه للتحقيق ولكنه رفض ومات فجأة وانطلقت الروايات تقول بأنه مات مسموماً بإيعاز من محمد علي باشا ولإزالة آثر هذه الرواية قامت الإدارة التركية المصرية بإقامة هذه القبة وأصبحت منطقة القباب مدفن لرجال الإدارة التركية الذين يموتون في السودان.

وتجدر الإشارة هنا إلي أن نظام الدفن في القباب في السودان كان نظاماً سائداً قبل دخول الأتراك للسودان واشتهر به رجال الدين وفقهائه، واستمرت هذه العادة في تكريم الموتى حتى الآن في بعض أجزاء السودان.

بالإضافة إلي مقابر المسئولين الأتراك كانت هذه المقابر عامة وعرفت بمقابر الخرطوم القديمة وتمتد غرباً حتى الجامع الكبير الذي يعرف باسم (جامع عباس) وكان هذا الموقع علي بعد كاف من المباني الحكومية والسكنية في ذلك الوقت حيث كانت تقع علي النيل، كما أن اختيار الموقع كان بغرض أن يستطيع كافة الناس رؤية هذه القباب فيدركوا ان الحكم التركي باقي وحسب منطوق قانون الآثار لعام لعام ١٩٥٢م ضمت هذه المواقع لقائمة المواقع التاريخية وتقع صيانتها والمحافظة عليها علي عاتق الإدارة العامة للآثار والمتاحف والتي قامت باحاطتها بسياج حديدي متين ويقوم علي حراستها الخفراء، وقفلها ناتج عن تاكيد المحافظة عليها ولكنها ليست مقفولة في وجه الزيارات الدراسية أو السياحية كما وانه مسموح أيضاً بتصويرها للدراسين والراغبين.

ونشير إلي أن شكل عمارة قباب الأتراك هي الولي من نوعها في السودان من حيث بناء هذا الشكل من القباب إذ نجد أن القبة تقوم علي غرفة مربعة تتحول زواياه الأربعة إلي مثمن حتى تسمح بقيام القبة وهذا النوع من القباب اثنان في السودان إحداهما قباب الحكام الأتراك بالخرطوم والأخرى في شرق السودان بـ (مكلي) بالقرب من أروما وهي خاصة بالشيخ عبد الله الحلنقي (أبو رايات) وكانت القبة الأولي قد بنيت زمن الفونج وقد ذكر ذلك في كتاب طبقات ود ضيف الله وأعيد بناؤها في العهد التركي علي طراز قباب الأتراك، وكانت قبة الشيخ عبد الله الحلنقي قد بنيت علي قاعدة دائرية من الأرض ثم ترتفع بشكل مسلوب لتكتمل وتقفل من أعلي، وهذا طراز قباب الفونج الذي يبدو واضحا في قبة ود بانقا وقبة بسبار العوني بالبسابير.

كانت أول قبة تبني بعد قباب الأتراك وهي قبة الأمام المهدي والتي بنيت في أثناء الفترة المهدية علي يد الخليفة عبد الله التعايشي بشكل غرفة مربعة تعلوها قبة ويوجد في كل الزوايا الأربعة قبة صغيرة تستخدم كحلية معمارية وقد ساد هذا الطراز بعد ذلك في بناء القباب في السودان، ويمكننا ملاحظة ذلك بوضوح في قبة الشيخ علي بيتاي في همشكوريب بشرق السودان.

بالإضافة إلي مقابر المسئولين الأتراك كانت هذه المقابر عامة وكانت تعرف باسم مقابر الخرطوم القديمة وقد أسست هذه المقابر منذ زمن الفونج

وهي أول مقابر عامة أقيمت في الخرطوم وتمتد غرباً حتى الجامع الكبير والذي يعرف باسم (جامع عباس) وكانت تغطي المنطقة التي أمامه وتشمل شارع القصر ويؤيد ذلك ضريح أبو جنزير الذي يعرف باسم ضريح الفقيه إمام بن محمد الحسي الذي كان يوجد في منتصف الشارع (شارع القصر) والذي عاش ومات ودفن بها في أيام الفونج والذي نقل إلي مكانه الحالي عند إنشاء شارع القصر شارع (فكتوريا) سابقاً أحيط بالجنازير فعرف باسم أبو جنزير وفي الوقت الحالي عند إجراء أي حفر في منطقة أرض المعارض بأبو جنزير تظهر هياكل عظمية هي بقايا مقبرة الخرطوم القديمة.

اللواء آدم باشا العريفي المدفون بقبب الأتراك

ولد آدم باشا محمد ضو البيت والذي يلقب بالتقلاوي سنة ١٨١٥م تقريباً وهو عربي الجنس وأبوه محمد ضو البيت شيخ عربان دار حامد بكردفان.

وهو عسكري سوداني كان لواء بالجيش المصري ويعتبر أول سوداني يصل إلي هذه الرتبة، وكان من أعظم ضباط الجيش المصري وقد تربي في مصر واشتهر بالبسالة والدراية وحسن السياسة، وتلقي تربيته العسكرية بمصر في عهد محمد علي كضابط حيث حارب تحت قيادة إبراهيم باشا بن محمد علي في حملته علي سوريا ثم عمل قائممقام في الفرقة المصرية التي تشكل جزءاً من الجيش العثماني في ١٨٥٣ - ١٨٥٥ ، وكان قائد الفرقة النظامية التاسعة مشاة سنة ١٨٦٢م وأرسل آدم باشا العريفي إلي السودان لينشئ فرقة مشاة سودانية وقاد فرقة مكونة من ألف جندي نظامي صاحبت احمد عوض الكريم أبو سن حاكم الخرطوم وسنار في جولته لجمع الضرائب من جبال فازوغلي سنة ١٨٦٣م.

أمر سنة ١٨٦٥م بإحضار الكتيبة السودانية من كسلا لمصر للعمل في المكسيك كإمداد وتعزيز أو تبديل للكتيبة السودانية الموجودة بالمكسيك من قبل، ولكن تمردت الكتيبة السودانية بكسلا وانتشر التمرد بين كل الجنود السودانيين في كسلا، ونسبة لحنكته في معالجة التمرد فقد هناه وأشاد به إسماعيل باشا والي مصر ورقي إلي رتبة لواء وعين قائداً لفرقة المشاة السودانية الأولي والثانية العاملة في السودان ولعدة اشهر قليلة في عام ١٨٧٢ تبلغ الستة شهور كان

يعمل حاكم عام للسودان قبل قدوم إسماعيل باشا أيوب. مات بالسودان ودفن بالصحن الخارجي بقباب الأتراك بالخرطوم بعد حياة حافلة بالكد والجهد وكان ورعاً تقياً يمارس بعض الأعمال الخيرية من بينها بناء مسجد.

أما عن حياته الاجتماعية فيقال أنه تزوج من ثلاث نساء من جنسيات مختلفة (سودانية ، تركية، مصرية) وقد ترك مجموعة من الأبناء منهم عبد الله وصالح وعلي وإبراهيم وقد توفوا إلي رحمة مولاهم ولكن لا زالت أسرة الباشا آدم العريفي تزور قبره مترحمة عليه.

المراجع

المراجع العربية

١. أحمد أحمد سيد احمد. تاريخ الخرطوم تحت الحكم المصري. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة ٢٠٠٠م.

٢. نعوم شقير . جغرافية وتاريخ السودان. دار الثقافة. بيروت ١٩٧٢.

٣. محمد نور ضيف. كتاب الطبقات . تحقيق يوسف فضل حسن. الخرطوم ١٩٧٠.

٤. مكي شبيكة. السودان عبر القرون. دار الثقافة . بيروت ١٩٦٤.

٥. محمد إبراهيم أبو سليم .تاريخ الخرطوم. دار الجيل. بيروت .١٩٧٩.

المراجع الإنجليزية:

1. Richard Hill. A Biographical dictionary of the Sudan. London . second edition.1967.
2. Salah Omer Elsadig "the domed tombs of Eastern Sudan " Sudan & Nubia.London. bulletin No.4. 2000.

رواد علم الآثار السودانيين

هناك مجموعة من علماء الآثار السودانيين كانت لهم الريادة في التخصص في هذا العلم، وقد بدأ التحاق بعضهم بمجال الآثار في السودان في نهاية الأربعينيات من هذا القرن ، كان عبد الرحمن آدم أول سوداني درس علم الآثار.

وقد درس هؤلاء الرواد في الجامعات الإنجليزية في بداية الخمسينيات والستينيات حين كان لا يوجد هذا التخصص في الجامعات السودانية حينذاك، وبدأ قبل خمسة وعشرين عاماً بشعبة للآثار بكلية الآداب جامعة الخرطوم في سنة ١٩٧٤م تحت رئاسة بروفسير عبد القادر محمود. وقد عمل هؤلاء الآباء من الآثار يبن السوادنيين علي تدريب الجيل الأول من أبناء وطنهم سواء أكان في المجال الأكاديمي أو العملي. وتزامل الجيلان فترة في خدمة قضية الآثار السودانية وتحملاً الحماية والصيانة والتعريف بهذا التراث الثقافي المادي الإنساني. وتم في هذه الفترة وضع الأسس الصحيحة للمقومات الوطنية للأثري السوداني، وتكاملت شخصيته العلمية المميزة، وتم عمل الإطار العلمي المشترك Scientific Frame بين الاثاريين السودانيين، بكل ما يتضمنه هذا الإطار من منهج علمي سام وقيم عليا وأحاسيس وأماني مشتركة نحو وطنهم بصورة خاصة والإنسان بصورة عامة. وبعد أن ثبتت أوضاع الآثار في السودان قام الجيل الأول بما هو مقدر له من الأخذ بيد الجيل الثاني تعليما وتدريباً ونصحاً وربطاً لخبرات الماضي مع تطلعات المستقبل.

*** عبد الرحمن آدم محمد ١٩٢٤ـ ١٩٥٤**

عبد الرحمن آدم سوداني تخرج من كلية غردون (جامعة الخرطوم حالياً) في سنة ١٩٤٨ وعمل بمجال الآثار وذلك بعد حيازته لدبلوم التخرج .وقد ولد عبد الرحمن آدم بشرق السودان بمدينة القضارف وينتسب إلي قبيلة البجة القاطنة تلك المنطقة وهو فخور بها ، وكان والده يعمل بحكومة السودان في وظيفة يوزباشي. وقد عين فور تخرجه في عام ١٩٤٨ في وظيفة ضابط آثار،

وهي بداية وظائف القطاع الجامعي بمصلحة الآثار السودانية حتى الآن. وبذلك كان أول سوداني يشغل هذه الوظيفة ثم أوفد إلي بريطانيا ١٩٥١ لدراسة الآثار بجامعة كمبردج، وقد إجتاز الجزء الأول للدراسة وفي أثناء تكملته الجزء الثاني توفي أثر حادث مؤسف، حين أختنق بالغاز في الحمام بكمبردج وكان ذلك في ٢٥ ديسمبر ١٩٥٤ وكان يبلغ من العمر حينذاك ثلاثين عاماً.

وأثناء سنوات خدمته القليلة قام بجولات كثيرة في أنحاء السودان متفقداً المواقع الأثرية ومحققاً في بلاغات عن مواقع أثرية جديدة. وقد شارك في هذه الجولات التفتيشية والاستكشافية مع مستر ب .ل. شيني، والذي كان يشغل آنذاك منصب مدير مصلحة الأثار، وكان عملهما معاً يتركز في شمال السودان، كما قام أيضاً بجولات أثرية في جبل مرة. إضافة إلي أن عبد الرحمن آدم يعتبر أول أثري سوداني يقوم بجولات أثرية في جنوب السودان، أما أثار منطقة البطانة فقام بتفتيشها وإستكشافها بواسطة جولة إستخدم فيها الجمال مع عالم الاثار الانجليزي سميث F.H. Smith والتي تعتبر أحد الأعمال الأسطورية في مجال الآثار من حيث الإثارة والنتائج العلمية. وقد نشرت نتائج هذه الرحلة في مجلة السودان في رسائل ومدونات Sudan Notes and Records. Vol.XXXI . كما شارك عبد الرحمن آدم في حفريات مستر شيني في عمارة غرب وفي سوبا شرق، وقد أسغرقت حفريات سوبا موسمين الأول (نوفمبر ١٩٥٠ حتى فبراير ١٩٥٢) والموسم الثاني (ديسمبر ١٩٥١ حتى فبراير ١٩٥٢) وقد شارك مع عبد الرحمن أيضاً كل من ثابت حسن ثابت وكنيث مارشال Keneth Marshal أما في منطقة العشرة الآثرية (جنوب الفتيحاب بام درمان) فقد أجري عبد الرحمن آدم حفرية بالاشتراك مع كينث مارشال، وقد نشر تقرير هذه الحفرية بمجلة كوش العدد الأول ١٩٥٣. والموقع يرجع إلي فترة ما بعد مروي Post Meroitic وهو عبارة عن مجموعة من المقابر التلية.

*** ثابت حسن ثابت محمد الشيخ (١٩٢١-١٩٩٦م)**

ولد ثابت حسن ثابت بمدينة الخرطوم بحري بحلة حمد ١٩٢١ ، وتلقي تعليمه الأولي بها ثم بمدني، والأوسط بمدرسة أم درمان الأهلية. أما الثانوي بكلية غردون

١٩٤٠ وكلية العلوم (المدرسة العليا في ديسمبر ١٩٤٢) . وثابت من قبيلة المحس وكان والده موظفاً بالأشغال، وقد بدأ ثابت حياته موظفاً بوزارة المعارف وتدرج فيها حتى وصل في اؤل الخمسينيات إلي وظيفة الباشكاتب، وهي وظيفة رفيعة جداً في ذلك الزمن وكان يعمل بمصلحة الآثار منذ ١٩٤٥ ويشارك أيضاً في الحفريات التي تجريها المصلحة بحكم وظيفته فيها، فقد شارك مع مستر شيني في حفريات الموقع المسيحي سوبا شرق عاصمة دولة علوة المسيحية، كما قام بالمشاركة في حفريات خور ابو عنجة (عصر حجري قديم) مع مستر اركل في ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ وايضاً قام بإجراء حفرية في الخرطوم شرق (شرق المقبرة المسيحية) سنة ١٩٤٩ حيث أكتشف فيها قبراً لطفل يبلغ من العمر ٦ ـ ٧ سنوات يرقد علي جانبة الأيمن علي شكل قرفصاء وكان الهيكل العظمي يحيط برقبته أثنان من العقود أحدهما من سكسك بيض النعام ولآخر من الفيانس الأزرق كما وجدت رؤوس سهام . وقد أرخ للقبر ٥٠ ق.م ـ ٣٠٠ ميلادية أي إلي أواخر الفترة المروية، ونشر ثابت تقريراً للحفرية بمجلة S.N.R العدد XXX ، ١٩٤٩.

كما نشر ثابت مقالاً عن مقبرة الأمير جحوتيحتب أمير منطقة سرة التي كانت تسمي قديماً 'تحخت' وكان القبر منحوتاً في جبل صغير علي مسافة ميل شرق النيل في القرية دبيرة علي بعد ٢٠ كم شمال مدينة وادي حلفا، وكان جحوتيحتب أميراً نوبياً عاش في عهد الملكة حاتشبسوت والملك تحتمس الثالث (المملكة المصرية الحديثة) والقبر يوجد الآن بمتحف السودان القومي، هذا وقد نشر مقال بمجلة Kush .Vol.VII. 1935 .

وقام ثابت حسن ثابت في الأعوام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م بإجراء تنقيبات باسم مصلحة الآثار في الموقع الأثري بود بانقا وكان مشاركاً في العمل مع فير كوتيه في البداية ثم قام بقيادة العمل منفرداً حيث أكمل التنقيب في الموقع، وقد أكتشف قصراً وملحقاته من معابد عديدة ومبان أخري ترجع إلي عصر الملكة أماني شاخيتو وزوجها أماني خبالي في القرن الأول قبل الميلاد. كما شارك مع بروفسير بوليسي رئيس البعثة الإيطالية بالجيلي بمسح لمنطقة الخرطوم بحري ـ الجيلي ، شرق وغرب خط السكة حديد في نهاية الستينيات.

شارك ثابت في كثير من المؤتمرات العلمية، وقدم أوراقاً علمية في مجال الآثار ففي المؤتمر السنوي السابع للجمعية الفلسفية السودانية الذي انعقد تحت موضوع "السودان في التاريخ" الذي انعقد في فترة من ١٥ ـ ١٦ فبراير ١٩٥٩م بجامعة الخرطوم، وقدم ورقة بعنوان "International Relation of Sudan in Napatan Times" (علاقة السودان الدولية في الفترة النبتية) وقد نشرت في مجلة S.N.R العدد XXL ١٩٦٠م.

ونشير إلي أن ثابت كان قد أرسل في بعثة لدراسة الآثار في أنجلترا في منتصف الخمسينيات حيث تم تأهيله في مجال الآثار توطئة لتولي منصب مدير مصلحة الآثار السودانية كأول مدير لها في يوليو ١٩٦٠. وأشرف في هذه المدة في حملة إنقاذ آثار النوبة التي نتجت عن قرار الجمهورية العربية المتحدة (مصر) بناء السد العالي مما هدد عدداً من المواقع الأثرية بالفناء نتيجة لغمرها بالمياه. وقد رأس ثابت تحرير مجلة كوش (مجلة مصلحة الآثار السودانية) وأشرف علي إخراج عدة أعداد منها، هذا وقد شارك أيضاً في حفريات خارج السودان في هولندا والأردن. وقد أنهت حكومة السودان عمل ثابت في ١٩٧٠ وهو يحمل نيشاناً من ملك الدنمارك وشهادة إشارة من مدير اليونسكو لإشرافه علي حملة آثار النوبة.

*** نجم الدين محمد شريف (١٩٣٨ـ١٩٩٤)**

ولد نجم الدين محمد شريق بقرية كويكا مركز عبري بالمديرية الشمالية بمنطقة المحس. وكان والده يشغل وظيفة عمدة المنطقة، وتلقي تعليمه الأولي بها ثم نال دبلوم جامعة الخرطوم في الآداب ثم بكالريوس شرف علم المصريات من جامعة درم بانجلترا، وكان ذلك أثناء ابتعاثه من قبل مصلحة الآثار في الفترة (٥٣ ـ ١٩٥٧) وتدرج في وظائف المصلحة حتى وصل إلي درجة مدير عام مصلحة الآثار في عام ١٩٧٣ وقد نال نجم الدين محمد شريف عدة كورسات منها كورس في دراسة الوثائق السودانية باللغات القديمة لمدة عام بجامعة درم وأيضاً عضوية عدة هيئات وجمعيات علمية خارجياً وداخلياً ، فقد كان عضواً في مجلس إدارة جامعة الخرطوم ومجلس كلية الآداب واللجنة الوطنية

لليونسكو، ولجنة الطوابع السودانية، واللجنة التنفيذية للجمعية الدولية لعلم الحفريات، والجمعية الدولية للدراسات المروية، وكان رئيساً لتحرير مجلة كوش وقد عمل علي تحرير وإخراج العدد الخامس عشر من المجلة ٦٧ ـ ١٩٦٨م.

قام نجم الدين بزيارت تفتيشية واستكشافية للكثير من المواقع الأثرية وخاصة في شمال وأواسط السودان، كما عمل مفتشاً لمكتب اثار وادي حلفا وأثناء عمله كنائب مدير لمصلحة الآثار السودانية ساهم في حملة إنقاذ اثار النوبة وفي نقل الآثار المهددة بالغرق من منطقة النوبة إلي متحف السودان القومي بالخرطوم ، حيث أعيد تشييدها في حديقة المتحف (٦٢ ـ ١٩٧١) كما شارك أثناء عمله كضابط آثار في التنقيب مع مستر شيني Shinnie مدير مصلحة الآثار آنذاك في دير الغزالي بشمال السودان في الفترة من ٥٣ ـ ١٩٥٥ كما شارك أيضاً مع عالم الآثار الأمريكي ادمز W.Y.Adams في حفريات مينارتي في موسمين ٦٢ ـ ١٩٦٣ ، وقد نشر دراسة لعدد من شواهد المقابر العربية استخرجت من هذه الحفريات وعددها ثلاثة منها واحد كامل وإثنان عبارة عن أجزاء من شاهدين وقد نشر هذه الدراسة بمجلة كوش العدد XII ، ١٩٦٤. وقام نجم الدين باجراء حفرية بمنطقة دبيرة شرق بالاقاليم الشمالي ٢٠ كيلومتر شمال وداي حلفا (وهي الآن مغمورة تحت مياه السد العالي) حيث تم التنقيب في اثنين من المقابر الآثرية التي ترجع إلي المملكة المصرية الحديثة (١٥٨٠ ـ ١١٠٠ ق.م) ونشر تقريراً عنها بمجلة كوش العدد XIII, ١٩٦٠م.

وشارك نجم الدين في كثير من المؤتمرات داخلياً وخارجياً ومثل بلاده في هذه المؤتمرات وخاصة مؤتمرات الآثار العربية والمؤتمرات العامة لليونسكو، كما دعي كأستاذ زائر في جامعة مورجان بالولايات المتحدة الأمريكية لتقديم عدد من المحاضرات عن الآثار السودانية حيث منح درجة الأستاذية Professorship من قبل الجامعة.

وفي مجال النشر نجده قد كتب في مجلات الآثار العالمية كما ساهم بمقال رصين في المجلد الثاني لكتاب تاريخ أفريقيا العام الذي أشرفت علي إصداره منظمة اليونسكو سنة ١٩٨١. والمقال بعنوان النوبة قبل نباتا ونشر بواسطة

مصلحة الآثار السودانية مجموعة من الكتيبات التعريفية عن مصلحة الآثار السودانية ونشاطاتها والمواقع الأثرية وتاريخها إضافة إلي نشرة لدليل لآثار حديقة متحف السودان القومي باللغة العربية والإنجليزية.

تقاعد نجم الدين عن العمل في ١٩٨٧. بعد أن تقلد عدداً من الأوسمة والأنواط فقد نال نوط الجدارة من ملك الدنمارك ومن رئيس جمهورية السودان ومن رئيس جمهوية فرنسا ووسام العلم والثقافة من رئيس السودان.

*** أحمد محمد علي الحاكم(١٩٣٨-١٩٩٦)**

ولد أحمد محمد علي الحاكم بقرية السلمة بمنطقة بربر في يناير ١٩٣٨ وتلقي جزءاً من دراسته بمدينة عطبرة، أما تعليمه الجامعي فقد كان بجامعة الخرطوم حيث التحق بها عام ١٩٧٥ وتخرج فيها في عام١٩٦٣ وقد أبتعث بواسطة جامعة الخرطوم إلي جامعة كمبردج بانجلترا حيث تحصل علي درجتي الماجستير في ١٩٦٤ والدكتوراه في الآثار عن العمارة المروية في عام ١٩٧١م. وبعد رجوعه إلي السودان قام بتدريس مادة الآثار بجامعة الخرطوم وفي الجامعات والمعاهد العلمية السودانية الأخري، كمحاضر وأستاذ مشارك .ثم تبوأ وظيفة أستاذ كرسي الآثار بجامعة الخرطوم في سنة ١٩٨٣، وهو أول سوداني ينال هذه الدرجة العلمية الرفيعة في مجال علم الآثار.

وفي عام ١٩٧١ قام بالتأسيس الفعلي لشعبة الآثار بكلية الآداب جامعة الخرطوم ورئاستها حتى سنة ١٩٨١، وكان يعاونه في التدريس بعض الأساتذة الأجانب والمتخصصون السودانييون في هذا المجال، وكان من ضمن هؤلاء المتخصصون السودانيين عكاشة محمد علي، وهو أول سوداني يتخصص في علوم المتاحف للدراسات فوق الجامعية من جامعة لستر بإنجلترا وقد خرجت الشعبة مجموعات من المتخصصين في علم الآثار والدراسات الآثرية السودانية وهم الذين يشاركون في العمل الاثري في السودان حالياً مع خريجي الجامعات الأخرى ، كما قامت بتغذية هيئات الآثار والجامعات العربية بالتمخصصين المتازين الذين أشرف أحمد محمد علي رسائلهم في مرحلة الماجستير

والدكتوراه، ويتشرف هؤلاء الباحثون بإشرافه العلمي الدقيق عليهم، وقد تبوأ هؤلاء الباحثين أيضاً التدريس في الجامعات والمعاهد السودانية في مجال الآثار والأثنواركيولجي Ethno archaeology .

وفي مجال العمل الحقلي الآثاري فقد قام الحاكم بكثير من المسوحات والتنقيب الآثاري إضافة إلي مجال الأثنوأركيولوجي ، حيث قام بإجراء دراسة عن الزخارف المعمارية وتطورها في منطقة وداي حلفا، وهي دراسة تحت إشراف شعبة الدراسات السودانية جامعة الخرطوم في عام ١٩٦٤ ، وكان بنفس العنوان في أكتوبر ١٩٦٥. وقد أجري حفريات أثرية مشتركة في مروي في عام ١٩٦٦م داخل المدينة الملكية وهو أول عمل لجامعة الخرطوم في مجال التنقيب عن الاثار بالاشتراك بين جامعة الخرطوم وبين جامعة غانا أولا ثم جامعة كالقري بكندا ثانياً (١٩٧١ـ ١٩٨٣) وكان الحاكم يمثل جامعة الخرطوم في هذا التنقيب ويمثل بيتر شيني جامعة غانا أولاً ثم كالقري ثانياً، كما أجري أيضاً مسوحات وتنقيباً أثارياً بمنطقة البحر الأحمر شمال بورتسودان ما بين عامي ٧٩ ـ ١٩٨١ بحثا عن المواقع الإسلامية بفريق سوداني فرنسي مشترك من جامعة الخرطوم وجامعة ليون الثالثة بفرنسا وكان العمل يتم تحت إشرافه، وتركز العمل الاثري في منطقة ميناء عيذاب الإسلامي ، والمناطق المحيطة وقد قاد الحاكم مجموعة من الجيل الأول من الآثاريين السودانيين في حفريات في مناطق السروراب غرب والباعوضة شمال أم درمان لعدة مواسم (٧٣ ـ ١٩٩٥).

أما في مجال النشر العلمي فقد كتب كثيراً من المقالات العلمية في مجال الآثار السودانية في عديد من المجلات المحلية والعالمية مما يضيق المجال عن حصرها هنا (أنظر قائمة مراجع هذه الدراسة)، كما شارك في التأليف المشترك مع بعض الباحثين مثل الدراسة المنشورة بالمجلد الثاني لتاريخ أفريقيا العام "حضارة نباتا ومروي" سنة ١٩٨١. وفي مجال التأليف الفردي فقد أصدر كتابا عن الثقافة السودانية ومرتكزاتها الثقافية (هوية السودان الثقافية ـ منظور تاريخي ـ ١٩٩٠).

ولكن يبقي كتاب الحاكم عن العمارة المروية وطرزها ومميزاتها ومواقعها في السودان من أعظم ماكتبه فهو يعتبر كدليل ومرشد لفهم العمارة المروية

(Guide Book) لدارسي الآثار السودانية وسيبقي أحد ركائز المكتبة السودانية في الدراسات الأثرية السودانية.

وفي ساحة المؤتمرات الآثارية والسمنارات والندوات فقد شارك الحاكم بجهد علمي كبير وكان صوتاً علمياً للسودان في هذه الملتقيات، قدم فيها كثيراً من الأوراق التي تم نشرها وكان إضافة حقيقية في مجال الدراسات الأثرية السودانية، وقد اتصل نشاطه داخلياً وخارجياً، ولم يقتصر علي دراسات الآثار المروية بل ساهم في دراسة الآثار الإسلامية ولإثنوغرافية.

وشغل الحاكم منصب رئيس مجلس الإدارة للهيئة القومية للآثار والمتاحف في الفترة من (٩٠ـ ١٩٩٤) . وقد توفي إثر علة سافر منها لإنجلترا وهو في قمة عطائه العلمي.

الخاتمة

يتضح لنا من الإنجاز العلمي والعملي سواء أكان في مجال إدارة الآثـار أو المجال الأكاديمي عظم الدور الـذي لعبه الـرواد الأوئـل في مجـال علـم الآثـار السوداني ، فقد تفرد كل منهم بدوره في إطار الكل وعملوا متضامنين بتخطيط أو بدون تخطيط علي دفع عجلة الدراسات الآثرية والآثار وحمايتها وصيانتها وحفظها والنشر العملـي عنهـا، كمـا أهلـوا الجيـل الأول مـن علمـاء الآثـار السودانيين الذين مـا زالـو مـع الجيـل الثـاني يحملـون الإرث التراثـي للأمـة السودانية.

إن التطور الذي نعيشه الآن مجال الآثار مـن إنـشاء للآثـار في الجامعـات الجديدة إلي إقامة متاحف جيدة في أقاليم السودان المختلفة إضافة إلي معارض الآثار الداخلية والخارجية والإصدارات السودانية عن الآثار ، الذين كان لهـم الفضل الأكبر في إثراء ثقافتنا السودانية.

المـــراجـــع

المراجع العربية

١ـ أحمد محمد علي ، *الزخارف المعمارية وتطورها في منطقة وادي حلفا* . الخرطوم . وحدة ابحاث السودان . جامعة الخرطوم ١٦٦٥م.

٢ـ ـــــ"ملامح من الحضارة المروية بالسودان" مجلة *الدراسات السودانية* معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية، جامعة الخرطوم. العدد الأول المجلد الرباع ١٩٧٣

٣ـ ـــــ ومحمد طاهر ، "المشروع الفرنسي السوداني للأبحاث العلمية في منطقة البحر الأحمر" *مجلة الآداب* ، كلية الآداب جامعة الخرطوم، العدد الخامس ١٩٨٣.

٤ـ ـــــ "الحركة الثقافية في المدن السودانية" ، *مجلة السودان للإدارة والتنمية*، المجلد الثالث العدد الثالث ١٩٨٤.

٥ـ ـــــ"علاقة الجزيرة العربية بالسودان من زمن الخلفاء الراشدين" *مجلة الدراسات الأفريقية* المركز الأفريقي السوداني، الخرطوم، العدد الأول، ١٩٨٥م.

٦ـ ـــــوآخرين، "حضارة نباتا ومروي" في جمال مختار (تحرير) *تاريخ افريقيا العام* المجلد الثاني، اليونسكو، ١٩٨٥ .ص.ص ٣٢٨ ـ ٣٠١.

٧ـ ـــــ. *هوية السودان الثقافية منظور تاريخي الخرطوم*، درا جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩٠م.

٨ـ ب،ل، شيني، *بلاد النوبة في العصور الوسطي*، (ترجمة) نجم الدين محمد شريف، مصلحة الآثار، ١٩٥٤ .

٩ـ نجم الدين محمد شريف، *السودان القديم وآثاره*، مصلحة الآثار مايو ١٩٧١.

١٠ـ ـــــ"النوبة قبل نباتا"،(٣١٠٠ ـ ٧٥٠م) في جمال مختار (تحرير) *تاريخ أفريقيا العام*، المجلد الثاني، اليونسكو ، ١٩٨٥.ص.ص ٢٤٧ ـ ٢٨٠.

١١ـ ـــــ *مصلحة الآثار*، رسالة المتحف رقم ٤،مصلحة الآثار بدون تاريخ ب.ت.

١٢ـ ـــــ *إنقاذ آثار النوبة*، رسالة المتحف رقم ٦ ، مصلحة الآثار ب. ت.
١٣ـ ـــــ *آثار المديرية الشمالية*، الخرطوم، مصلحة الآثار ب.ت.
١٤ـ ـــــ *الدليل الموجز لحديقة الآثار*، متحف السودان القومي، مصلحة الآثار.

المراجع الأجنبية:

1-Ahmed Mohamed Ali Hakem,'The City of Meroe and the Myth of Napat'. A new Prespective in Meroitc Archaeology. In S.Bushra (ed) Urbanization in the sudan, Preceeding of Annual Conference of the Philosophical society of the Sudan, Khartoum.1972.
2---------, The Nature and Development of Meroitic Architecture, Diss,Cambridge, 1971.
3---------, Meroitic Settlement of the Butana (central Sudan),Vacha, P.J.R.Tringham (G.W.Dimbaly),(ed) Man Settlement and Urbanism, London 1972,P.639-646.
4--------, Meroe Temple M250 and its' Significance in Meroitic Religious Architecture, Jounees International Paris,Univer offen thich 1973.
5- -------,Report on the Sorurab Archaeological Project Nyame Akwma, II.1977.
6- ----------, A History of Archaeological Research in Nubia and the Sudan, Africa in Antiquity I ,The Arts of Ancient Nubia and Sudan, the Essay. Brooklyn.N.Y. 1968.PP.36-45.
7- -------, University of Khartoum excavation at Sarurab and Bauda, North of Omdurman. Meroitica.5, 1979. PP.155.
8- -------, Continuity and Change in Meroitic Civilization SNR. 1982.PP.36-46.
9- --------, Napatan- Meroitic Continuity Reflections on Basic Conceptions on Meroitic Culture, Meroitica 10 ,1989.PP.885-894.
10- ---------, Some Reflections on Temple M.250, Six International conference for Meroitic Studies, Abstract of Papers.1989.
11- --------, Tumulus at Sorurab, Bauda and Djebel Um Murrihi,6 int. Conf. of Meroitic studies , paper, Khartoum. 1989.

12- ---------,Meroitic Architecture, A Background of An African Civilization, Khartoum 1988.
13- --------,et. Al., Preliminary Report of the Multi disciplinary Mission of the joint Sudanese- French Expedition to the Red-Sea Region 1981, SNR.LX.1979.PP.60,97-109.
14- ---------, and Abdel Rahim M.Khabir. "Sarourab 2: A New Contribution to the Early Khartoum tradition from Bauda site". In lech Krzyzniak. (ed) late prehistory of the Nile Basin and the Sahara. Pozanan. Poznan Archaelogical Museum.1989.PP.381-386.
15- -------, Reflections of Islamic Archaeolgy . Seventh. International conference for Meroitic studies, Berlin, 1992.
16- H.F.C. Smith and Abdel Rahman Adam, "Four Ancient Sites in the island of Meroe", SNR.XXXI.1950, PP.303-306.
17- K.Marshal and Abdel Rahman Adam "Excavation of Mound Grave Ushara", Kush.Vol.III.1960.PP.53-61.
18- Hassan Husssein Idress, "Obotury , Nigm el Din Mohammed Sherif, Ahmed Mohammed Ali Hakem, and Thabit Hassan Thabit", Kush.Vol.XVII. 1997.P.379.
19- Nigm ed Din Mohammed Sherif," Clearance of two Tombs at Debeira East",Kush.Vol.VIII.1960.PP.53-61.
20- -----------------, "The future of Sudanese Archaeology", Africa in Antiquity, Meroitica 5. Berlin.1979.PP.23-199.
21- --------------, A Short Guide to the Antiquities Garden, Sudan National Museum, Khartuom.
22- P.L.Shinnie," Obituary Abdel Rahman Adam", Kush_.Vol.VII, 1960.PP.53-61.
23- Thabt Hassan Thabit, "The Discovery of a Meroitic Child's Grave in Khartuom", SNR, Vol.XXX, 1949, PP.112-113.
24- ----------, "Tomb of Djehuty- Hetep (Tehuti Hetep) prince of Serra", Kush, Vol. V,1957. PP.81-86.
25- -----------,"International Relations of the sudan in Napatan Times" , SNR,VOl. XL, 196, PP.19-22.
26- W.Y.Adams With A Note on the Arabic Inscripitions from Meinarti by Nigm ed Din Mohammed Sherif, "Sudan Antiquities Service Excavations in Nubia , for the season, 1962,63". Kush.Vol.XII, 1964, PP.208-215.

متحف السودان القومي
مائة عام من العطاء الثقافي

كان للرحالة والعلماء الأوربيين الذين رافقوا حملة محمد علي باشا عام ١٨٢١م، والذين كانت لديهم معرفة عن الآثار والمتاحف في العالم ومصر، دور في قيام المتاحف العالمية بالبحث عن الآثار في السودان وذلك من خلال كتاباتهم عن المواقع التي زاروها كأهرامات مروي ونوري والكرو وجبل البركل وكرمه ومدينة مروي الملكية، وكانت هذه عبارة عن متاحف مواقع أثرية مفتوحة.

أما نشأة المتاحف في السودان بشكلها الحديث، فقد ارتبطت بقدوم الحكم الأجنبي للسودان عام ١٨٩٨م، حيث كان الحاكم العام الإنجليزي هو المسئول عن الآثار في السودان ، ولكن هذا الوضع عدل بإصدار قانون الآثار سنة ١٩٠٥م والذي ألزم الحاكم العام باختيار محافظ للآثار يقوم بالإشراف الكامل علي الآثار ومواقعها في جميع أنحاء السودان. وكان الاختيار لهذا المنصب يتم عادة من الموظفين الإنجليز الكبار التابعين لإدارة التربية والتعليم. وبدأت أولي الخطوات لقيام متحف في السودان بالخرطوم عام ١٩٠٤م عندما عرضت بعض المقتنيات الأثرية والتراثية ومواد التاريخ الطبيعي بغرفتين في مباني كلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم حالياً)، والذي كان بمنزلة النواة للمتاحف السودانية وعرف بمتحف الخرطوم، وكان متحفاً خاصاً يرتاده الأوروبيون وعائلاتهم وضيوفهم الأجانب، أضف إلي ذلك متحف مروي في كريمة في شمال السودان الذي افتتح في عام ١٩٥٢م كان متحفاً خاصاً مقصوراً علي الأوربيين.

ولقد ساعد المسح الأثري والكشف عن الآثار السودانية الذي جري بصورة علمية في فترات سابقة ولاحقة علي تأكيد أهمية المادة الأثرية وكيفية الاستفادة منها وعرضها علي الجمهور بالمتاحف لتتم دراستها، والكشف عن تلك الحضارات التي شيدها إنسان السودان قديماً، ومعرفة الأسس الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفنية التي قامت عليها الحضارة السودانية، وتتبعها منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الفترة الإسلامية.

وفي عام ١٩٣٢م سمح للجمهور بزيارة متحف الخرطوم (مازال حتى الآن مقر هيئة الآثار السودانية بمتحف السودان القومي). وفي عام ١٩٣٩م نقلت المقتنيات إلي مبني علي شاطئ النيل يتبع جامعة الخرطوم. (مكتب مدير جامعة الخرطوم حالياً).

في عام ١٩٥٢م نظم المتحف وفق النظم الحديثة للمتاحف حيث أنشئت للمرة الأولي وظائف أمناء متاحف وسمي المتحف "متحف السودان" وفي عام ١٩٥٦م بدأت مصلحة الآثار السودانية منذ ذلك الوقت في بناء متحف كبير علي مساحة ٣١٣٤٨ متراً مربعاً بمواصفات عالمية علي شاطئ النيل الأزرق عند ملتقي النيلين الأزرق والأبيض بالمقرن وذلك للحفاظ علي التراث السوداني وعرضه في قاعات حديثة وبأحدث وسائل العرض وتوخي سبل الراحة للزوار، وتسهيل مهمة الباحثين للاستفادة من المتحف، ودراسة قضايا التاريخ القومي السوداني وإشكالياته إلي جانب تمكين إدارة الآثار والمتاحف من حفظ نتائج حملة إنقاذ آثار النوبة ، التي هددها غرق مياه السد العالي في بداية الستينيات من القرن الماضي.

ولقد افتتح المتحف في عام ١٩٧١ وعرف باسم "متحف السودان القومي" ليقوم بدوره كواجهة للدولة والقيام بأهداف المتاحف في التعليم الحديث والشعبي والتجربة القومية، وبث الوعي القومي والثقافة والسياحة والترفيه في المجتمع السوداني، ولإبراز وجه السودان الحضاري لضيوف البلاد والمساعدة في جلب السياح وتحقيق عائد مادي للدولة، ولكن يبقي دور متحف السودان القومي في تمتين علاقات التبادل العلمي للمعلومات، وتوثيق التعاون مع جميع المؤسسات العلمية والتعليمية المحلية والإقليمية والعالمية العاملة في مجالات البحث الأثري والمتحفي من أهم الأدوار.

يتألف المتحف من شقين الأول حديقة الآثار التي تشكل متحفاً مفتوحاً في الهواء الطلق، حيث أعيد تركيب المعابد والمقابر وأعمدة الكاتدرائيات وعدد من الكتابات الصخرية المهمة التي أنقذت من المناطق التي غمرتها مياه البحيرة الناشئة نتيجة قرار الحكومة المصرية في عام ١٩٥٩م بناء سد أسوان العالي. لقد

وضعت هذه الآثار في حديقة المتحف حول بحيرة اصطناعية ترمز إلي النيل، حيث إنها كانت تقوم في الأصل علي ضفاف النيل، فقد أقيمت هذه المعابد هنا علي حافة البحيرة بالضبط، كما كانت علي شواطئ النيل في بلاد النوبة، ويوجد في الحديقة أيضاً بعض المقتنيات الاثرية التي أحضرت من منطقة شندي بالقرب من الخرطوم،وترجع إلي عهد مملكة مروي من القرن السادس قبل الميلاد إلي القرن الرابع الميلادي.

يبلغ طول هذه البحيرة الاصطناعية المحفورة في حديقة المتحف القومي ٢٠٠ متر، وعرضها ١٠ أمتار وعمقها ٨٠سم، وهنالك تمثال من الحجر الرملي لضفدعة في الطرف الأول للبحيرة وآخر في الطرف الثاني لها، ويرجع تاريخ هذه التماثيل إلي عهد مروي، وقد أحضرت من مكان يعرف بالبعصة شرق مدينة شندي.وكانت الضفدعة رمز المعبودة المصرية 'حكيت' ، وقد وجد التمثالان حول خزان قديم للماء 'حفير' وربما كان الهدف من وضع تماثيل هذه المعبودة حول الحفير الاستعانة بها في الحصول علي أمطار غزيرة.

علي يمين المدخل وفي الجانب الغربي علي حافة البحيرة تنتصب خمسة أعمدة من الجرانيت الأسود، علي تيجانها صليب منحوت علي طراز الصليب المالطي،وقد أتت الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية (مصلحة الآثار سابقاً) بهذه الأعمدة من كنائس كاتدرائية فرس في القرن التاسع الميلادي. وكانت فرس هذه قبل أن تغمرها مياه السد العالي أول قرية سودانية من الشمال بعد الحدود الفاصلة بين جمهورية مصر وجمهورية السودان.

ويلي هذا علي حافة البحيرة جنوب معبد عكشة، وهي قرية صغيرة علي الضفة الغربية للنيل علي بعد ٢٠كم شمال مدينة وادي حلفا، وهنا بني الملك رمسيس الثاني (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ق.م) معبدا من الحجر الرملي تكريما لشخصه هو.

وبالسير صعودا للجنوب مع النهر الصناعي يقع معبد بوهين في مدينة بوهين التي كانت احدي القلاع التي شيدها فراعنة الأسرة الثانية عشر (١٩٩١ ـ ١٧٧٨ق .م) في هذه المنطقة من بلاد النوبة لحماية الحدود الجنوبية لدولتهم،

وقد شيد المعبد في زمن الملكة المصرية حتشبسوت (١٤٩٠ ـ ١٤٦٨ ق.م) ، بني هذا المعبد وقفا علي الإله حورس وكان يسمي سيد بوهين، وقد أعيد بناء هذا المعبد فيما بعد بواسطة مهندسي الملك تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق.م)، وقد قام الملك السوداني تهارقا (٦٩٠ ـ ٦٤٤ ق.م) ببعض الأعمال في هذا المعبد، حيث نجد صورته علي الحائط الجنوبي للمعبد.

وبعد الخروج من معبد بوهين والسير نحو الجنوب نجد مظلة للكتابات والنقوش القديمة المهمة التي أحضرت من بلاد النوبة، ومن أهم هذه الكتابات وثيقة منقوشة علي الحجر الرملي وجدت فوق جبل الشيخ سليمان علي بعد ٧ أميال جنوب وادي حلفا، وهي من عهد الملك جر ثالث ملك في الأسرة المصرية الولي (٣١٠٠ ق.م) ، وتصور احتلال المصريين لهذا الجزء من السودان، وهي المحاولات الأولي للتسجيل بالرمز الذي يكاد يقارب الكتابة في أول أطوارها! وعلي يسار الوثيقة نجد مذبحا للملك السوداني تهارقا الذي عثر عليه في معبده الذي شيده في سمنة غرب علي بعد ٦٠كم جنوب وداي حلفا، وعلي واجهة هذا المذبح نري كتابة جميلة بالهيروغليفية تقول "لقد شيد ملك الوجه القبلي والبحري تهارقا ـ أطال الله بقاءه ـ هذا المعبد لأبيه الإله الطيب خع ـ كاو رع سنوسرت الثالث المؤله".

ونجد في جهة الغرب معبد سمنة غرب الذي بني في عهد تحوتمس الثالث تكريما للإله ديدون والملك سنوسرت الثاني الذي عبد هنا في هذا العصر، وبعد العبور للجانب الشرقي من البحيرة الصناعية نجد معبد سمنة شرق وقد بني في عهد الملكة حتشبسوت والملك تحوتمس الثالث والملك أمنحتب الثاني، وشيد المعبد وقفاً علي الإله خنوم إله الشلال الأول الذي كان يعبد علي نطاق واسع في بلاد النوبة، وقد بني من الحجر الرملي.

وبعد سمنة شرق هناك قبر للأمير حجوتحتب وهو أمير نوبي علي منطقة سرة، وقد وجدت علي جدرانه صور ونقوش، وفي عام ١٩٦٢م قطعت الأجزاء المهمة من هذا القبر ونقلت إلي الخرطوم وأعيد بناء هذا القبر في عام ١٩٧٠م، كما بني عليه جبل اصطناعي يرمز إلي الجبل الذي نحت فيه.

وهنالك شارع الأسود الذي يقود إلي المبني الرئيسي للمتحف، ونجد عدداً من تماثيل الأسود يبلغ عددها ٦ أسود، وهي مصنوعة من الحجر الرملي الأسود المحتوي علي الحديد،وقد أحضرت من البعصة التي تقع علي وادي الهواد شرق مدينة شندي، ونري علي جانبي المصطبة التي تقود إلي المتحف القومي تمثالين صنعا من حجر الجرانيت، وقد وجدا في جبل البركل، وهما للإله آمون معبود نبتة علي هيئة كبش وهو يحمي الملك السوداني تهارقا.

ونجد أيضاً تمثالين ضخمين يبلغ ارتفاعهما ستة أمتار من الجرانيت الرمادي للملك السوداني المروي نتكامني (١٢ ق.م ـ ٢٥م).

وفي مدخل مبني المتحف الرئيسي توجد قاعتا العرض الرئيستان، وتشتملان علي مقتنيات آثار تغطي عصور ما قبل التاريخ، تشمل كلا من العصور الحجرية: القديم والوسيط والحديث، والعصور التاريخية : المملكة المصرية القديمة والوسطي والحديثة، وحضارة كرما ونبتة ومروي والمجموعة المجهولة والعصر المسيحي والعصر الإسلامي. وقد رتب العرض حسب التسلسل الحضاري للسودان الذي يبدأ من العصر الحجري القديم (١٠٠,٠٠٠ ـ ١٢ ق.م)، ونجد من معرضات هذه الفترة فؤوساً حجرية من الحجر الرملي المحتوي علي الحديد.

ويلي ذلك معروضات لمجموعات حضارية ازدهرت في شمال السودان في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، وتعرف باسم حضارة المجموعة الثالثة، ثم تواصل الفترات الحضارية مسارها في المتحف، فنجد القطع الأثرية للمملكة المصرية الوسطي والحديثة (٢٦٠٠ـ١٦٥٠ ق.م) التي اكتشفت في شمال السودان.

ومن المقتنيات الأثرية المهمة بالمتحف آثار حضارة كرما ، وهي حضارة سودانية محلية سادت (٢٥٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م) عند الشلال الثالث، ويزدان المتحف بإنتاج هذه الحضارة وخصوصاً الفخار الذي بلغ مرحلة عالية من التقنية، ويعتبر من أجمل الفخار الذي أنتج في وادي النيل.

ويواصل المتحف عرض المقتنيات المادية للحضارة السودانية، فنجد معروضات فترة نبتة ومروي (٩٠٠ ق.م ـ ٣٥٠ق.م) ،التي بلغ فيها السودان

قمة ازدهاره الحضاري، وبدأ بحكم ملوك نبتة مروي لكل من مصر والسودان أو ما يعرف في التاريخ المصري بملوك الأسرة ٢٥ ، فهنالك في المتحف تماثيل لهؤلاء الملوك السودانيين الذين حكموا مصر أيضاً فنجد تمثال الملك تهارقا الذي حارب الآشوريين وتحالف مع دولة يهوذا في فلسطين وذكر في التوراة، إضافة إلي ذلك يقف تمثال ابنه اتلانيرسا وحفيده انلاماني وبعض القطع الأثرية الإغريقية الرومانية التي استوردتها مروي من عالم البحر الأبيض ، كما نجد نموذجاً لرأس الإمبراطور الروماني أغسطس الذي غنمه المرويون من الحامية الرومانية في أسوان علي يد ملكتهم اماني شختي (الكنداكة)، فوضع أسفل درج أحد المعابد بقصد في عاصمتهم مروي الذي شيد تكريسا لهذا الانتصار.
ولم يخلد النحات المروي ملوك فقط بل أقام التماثيل للملكات، فنجد في المتحف تمثال للملكة أماني ماليل الذي نحت طبقاً لميزات ومقاييس فن النحت المروي، ويواصل المتحف عرض مقتنيات الفترات اللاحقة المسيحية (٥٤٠ ـ ١٥٠٤م) التي تميزت بألواح الفيرسكو المصورة الملونة والتي تحكي موضوعات صورا من أحداث الكتاب المقدس، فنجد صورا لحياة المسيح ومشاهد من التوراة ، ومن أعظم اللوحات التي يتميز بها متحف السودان صورة ميلاد المسيح عليه السلام، ويختتم متحف السودان القومي عرضه بالفترة الإسلامية التي تمثلها مقتنيات من أوان فخارية وسيوف وأدوات حكم وشواهد كمقابر أحضرت من مواقع إسلامية، ويعتبر شاهد القبر الذي أحضر مع مجموعة أخري من جزيرة باضع علي الساحل المواجه للجزيرة العربية من أعظم مقتنيات متحف السودان القومي، وكتب بالخط الكوفي باسم محمد بن ميمون بن أحمد بن الوليد بن أبان المتوفى في ١٢ شعبان ٤٠٨ هجرية (١٠١٧ ميلادية)، ومازال العطاء الحضاري لمتحف السودان يتواصل.

العلاقات بين مملكة مروي السودانية
وعالم البحر الأبيض المتوسط
(٤٩٠ق.م.٣٥٠م)

في هذه الدراسة سوف يناقش الكاتب المواضيع المتعلقة بالعلاقات بين عالم البحر الأبيض المتوسط ومملكة مروي السودانية (٤٩٠٠ ق.م ـ ٣٥٠٠م) حسب ما توضحها المصادر التاريخية والثقافية المادية الأثرية ، كما تتطرق الدراسة إلي مميزات فن النحت النبتي و المروي ومميزات فن النحت الأغريقي الروماني والفرق بينهما. وهذه الدراسة تقع في ثلاثة محاور:

١ـ هيرودوتس والكتاب الكلاسيكيون.
٢ـ الثقافة المادية.
٣ـ خلاصة.

أولاً: لا شك أن الاحداث التاريخية قد لعبت دوراً نشطاً في دورة حياة المرويين اليومية عليه فإن التحليل التاريخي له أهمية بالغة لشرح هذه العلاقة بين مروي وساحل البحر الأبيض المتوسط كما أن القطع الأثرية والدوافع الزخرفية لساحل البحر المتوسط اتت لمروي واثرت علي الفنانيين المرويين الذين بدورهم عكسوها في اعمالهم. كنتاج لكل هذا تشير الأفكار إلي ضرورة دراسة المصادر الكلاسيكية والثقافية المادية الأثرية.

ثانياً: هنالك عدة مظاهر في الثقافة المادية الأثرية يجب نسبتها إلي منطقة البحر المتوسط ، والثقافة المادية الأثرية المقصودة هنا هي المواد الأثرية والمعماريةالتي عثر عليها في المواقع المروية ،ويمكن تقسيمها إلي المواضيع الهامة الآتية:

١ـ النحت.
٢ـ المعمار.

عليه ومن خلال المواضيع المذكورة اعلاه سيحاول الكاتب تحديد العناصر المروية والبحر وأسطية نتيجة للحقيقة التاريخية التي تقول خلال فترة

الامبراطورية الرومانية المتاخرة نجد أن كل ساحل البحر الأبيض المتوسط قدأصبح رومانياً. وبناء علي ذلك فاننا عندما نشير إلي أي موضوع يتعلق باليونان أوالرومان فهذا يعني كل دول ساحل البحر الأبيض المتوسط. وذلك لان الرومان علي الرغم من أنهم قهروا الأغريق إلا أنهم تبنوا كل عناصر الثقافة الأغريقية التي كانت تهيمن علي ساحل البحر المتوسط في ذلك الزمان واعتبروها تقافتهم.

لقد مزج فنانو البحر الأبيض المتوسط في فنون النحت والعمارة بين المميزات الإغريقية و الرومانية مع اساليب الفنون المحلية ليخلقوا نوعاً جديداً من الفن. وهذا الأسلوب الجديد سوف تتم دراسته منهجياً.

ان المواد المدروسة في موضوعنا هذا سوف تكون قائمه علي أساس المقتنيات الأثرية في متحف السودان القومي والمتاحف الخارجية اضافة إلي اصدارات البعثات الأثرية التي تعمل في مواقع الحضارة المروية.

تاريخ هيرودوتس: Herodotus History

يعتبر هيرودوتس من شهر الكتاب الذين ذكروا مروي حيث اعطانا فكرة واضحة عن كل جوانب الحياة المروية كالدين، التاريخ ، البيئة .. الخ وعليه من خلال تتبع الأوضاع التاريخية وملاحظة اقوال الكتاب الكلاسيكيين نستطيع إعادة تشيد الماضي عن مروي Meroe وعلاقتها بعالم البحر المتوسط قد اشار المؤرخ الإغريقي هيرودوتس (٤٩٠ ـ ٤٣٠ ق.م) اثناء زيارته لمصر إلي مروي كمدينة كبيرة وعاصمة للاثيوبيين Ethiopian ولسؤ الحظ فإن هيرودوتس لم يقم بزيارة مروي واقصي منطقة زارها جنوباً كانت الفنتين Elephantine التي سأل عندها الناس عن المرويين أو 'الاثيوبين' كما يعرفهم الإغريق ومن خلال اجاباتهم عليه تمكن هيرودوتس من اقتناء المعلومات ووصف مروي. ولكن طبقاً لهذه الظروف لا يمكن الأخذ بهذه المعلومات دون تردد أو شكوك حولها إلا إذا اثبتت أثرياً وبالدليل المادي ، فعلي سبيل المثال من العبارات المشكوك فيها والتي ذكرها هيرودوتس : أن السكان كانوا يعبدون الآله زيوس Zeus

وديونيسوس Dionysus منفردين ويكنون لهم الكثير من الأجلال وان هنالك مهبط وحي الآله زيوس (Herodotus : 1954:113). وبالطبع فهذا القول يحمل عدة تأويلات اولاً أن سكان الفنتين قد اعطوا هيرودوتس معلومات خاطئة. وحسب علمنا فانه لا توجد معابد لعبادة الآله والآلهات الاولمبية عند المرويين خلال فترة زيارة هيرودوتس وحتىالآن لا تؤيد الأدلة التارخية والأثرية هذه الفكرة.

والتأويل هوأن هيردوتس كان يؤمن بأن هنالك إله واحد (كبير الآلهة) كان في مصر واثيوبيا هو آمون Amon فإن هذا الآله هو زيوس في اليونان و كان كما ذكر سابقاً فربما كان هيرودوتس (Herodotus : 1954:119) يعتقد أن آمون هو الأسم المصري لزيوس،و يلمح إلي معبد آمون في جبل البركل علي انه مهبط وحي الإله زيوس ذلك لأن هذا المعبد مميز وله علاقة باختيار الملوك الجدد طبقاً لتنبؤات يتنبأ بها كبير الكهنة بالمعبد ولعلاقته ايضاً بتتويج الملوك الجدد حيث يتم تتويجهم في هذا المعبد بجبل البركل . وترك لنا الملوك المرويون العديد من النقوش التي تدعم هذا الأمر . وفكرة مهبط الإله زيوس تدعم أيضاًعندما نلاحظ أن الإغريق اطلقوا علي معبد الإله آمون في واحة سيوة 'مهبط وحي الإله آمون زيوس' ، وقد ورد ذلك عند زيارة الاسكندر الأكبر (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق.م)(Alexander the Great)لواحة سيوة عام ٣٢٣ ق.م.

إضافة لهذا فهناك عملات من المدينة اليونانية قورينة Cyerene بليبيا علي وجهها شكل يوضح رأس زيوس بقرن كبش رمز الإله آمون وهذا الرسم يعرف بآمون زيوس واحدي هذه العملات في المتحف البريطاني British Museum القسم الإغريقي وتؤرخ للعام ٤٠٠ ـ ٣٣٦ ق.م . (British Museum:1911: 17) كل هذه العوامل ربما توضح لماذا دمج الإغريق الآلهين واشاروا لهما بآمون زيوس كما أنه يمكن أن نقف علي مدي الأهمية التي كان يكنها الإغريق للإله آمون وبنوا له معبداً في دودنا Dodana في بلاد الإغريق العظمي Magna Graecia كرس لعبادته . (Herodotus : 1954:160) وهذه المقولة اخذت من مبحث اصل الآلهة الإغريقية وهذه العبارة تؤكد أيضاً

أن الإغريق علي معرفة باثيوبيا منذ عصور قديمة. وموضوع الديانة اليونانية القديمة قد ناقشها هوميروس Homerusالقرن التاسع ق.م وكذلك هيسود Heisod في القرن الثامن ق.م.

ويذكر لنا هيرودتوس ايضاً أن الآله أوزيرس Osiris وهو إله العالم السفلي عند المصريين يساوي الآله ديونيسوس وحقيقة أن اوزيريس شبيه بالإلهة الإغريقي هاديس Hades إله العالم السفلي ويبدو لنا واضحاً أن هيرودوتس تأثر بالاساطير الإغريقية التقليدية إذ أنه وعلي الفور نجده يصف النيل بانه يتلوي مثل الإلهات المينادس Maenads وهن الشابات المخمورات اللتان يتبعنا الاله ديونيسوس إله الخمر والدراما (Herdotus: 1954:112) .

نجد أن الكتاب الكلاسيكيون قد اتبعوا الكتاب الاغريق الأوائل في قصصهم التاريخية والأساطير. وهيرودوتس يعتبر الأول الذي أمدنا بمعلومات تتعلق بالعلاقة بين الإغريق والمرويين وهذه العلاقة بدأت خلال الحرب الفارسية عام ٤٨٠ ق.م. عندما كانوا المرويون يحاربون إلي جانب الفرس ضد اليونان وكان الجيش الاغريقي يقوده أركسيس Araxes بينما يقود الجيش الفارسي أرساميس Arsames ابن داريوس Darius حيث اعطي هيرودوتس وصف كامل للمرويين واسلحتهم وطرق حربهم.

طرق التجارة:

بعد هيرودوتس أستمرت العلاقات بين عالم البحر الأبيض المتوسط ومروي عبر عدة طرق تجارية وأهم هذه الطرق وأكثرها أمناً هو طريق النيل حيث تتحرك البضائع والمسافرين علي نهر النيل أو علي قوافل بمحاذاته وذلك بين مروي والاسكندرية Alexandria في مصر (Al Hakem: 1981:316,317) وطريق آخر بين مروي ومصر عبر الصحراء عبر واحة سليمة Selima وواحة الخارجة Kharga ثم اسيوط Assiut علي النيل. وهناك طريق آخر بين الاسكندرية ومروي وقورينة Cyreniaca عبر واحتى سليمة وسيوة التي منها ينقسم الطريق إلي إتجاهين واحد إلي الاسكندرية والآخر إلي قورينة. وطريق هام يعبر الصحراء السودانية ـ الليبية من مروي إلي قورينة ثم طرابلس Tripolitania وقرطاج

Carthage في تونس علي ساحل البحر المتوسط. وهذا الطريق يمر عبر مدن الصحراء الليبية مثل إنيدي Enedi والكفرة Kufra وجرما Germa (Ayoub:1968:P.78) ولعله من نافلة القول أن نذكر أن هذا الطريق لايزال يستعمل بين السودان وليبيا. هذا إضافة إلي أن الطرق التجارية بين مروي ومصر البطلمية (٣٠٥ـ٣٠ ق.م) علي ساحل البحر الأحمر وأحد هذه الموانئ ربما كان ميناء عقيق Aqiq في الجزء الجنوبي لساحل البحر الأحمر السوداني وذلك لوجود مخلفات مباني ذات مظاهر معمارية منتظمة واحجار قطعت بعناية ونجد أحدي هذه المباني يقف فوق كوم يطل علي البحروعلي الصحراء وتضم مباني هذا الكوم عمود عليه بقايا ملاط من البلاستر (plaster) (بياض).(Bloss : 1936:293) وبالقرب من هذا المبني توجد عدد من المقابر ذات شواهد قبور ضخمة مدفونة رأسياً . وبالقرب من ساحل تقف قلعة تركية كانت تستخدم إلي وقت قريب كإستراحة حكومية[1].

ديودوس الصقلي Dioderus Sicilus الذي عاش بين عامي ٨٠ ـ ٢٠ ق.م وصف الرحلة من رودس Rodhos أحدي الجزر الاغريقية في بحر إيجة Aegea إلي إثيوبيا مروي عبر الاسكندرية .واستغرقت الرحلة اربعة عشر يوماً. (Herdotus: 1814:274) وكان عالم البحر المتوسط يستورد الأفيال، العاج، الأبنوس وريش النعام من مروي. وخلال الفترة الرومانية كانوا يستوردون الحيوانات المتوحشة للقتال مع الانسان في عرض شعبي في مسرح مدرج 'Amphitheatre' وبالمقابل كانت مروي تستورد المقتنيات البرونزية (كمعدن نادر الوجود في مروي) ، المرايا ، المصابيح، والفخار والمصنوعات الزجاجية والبضائع المختلفة . وأهم الطرق بين السودان ومصر لهذا التبادل التجاري هو الطريق البري بمحاذاة ضفة النيل.

هذه الطرق الأساسية قد استخدمت بواسطة المرويين حتى تدهورت مروي خلال القرن الرابع الميلادي ثم استخدمت من بعد ذلك بواسطة الحضارات اللاحقة.

---

[1] قام الكاتب بزيارة تفتيشية للموقع لاول مرة عام ١٩٧٧م.

تصور الإغريق عن الثقافة المروية :

The Greek Conception of: Meroitic Culture :

يعتبر ديودرس الصقلي Dioderus Sicilus هو الثـاني بعـد هيرودوتـس الذي ذكر عدة احداث مهمة عن البطالمة وعلاقتهم مع المرويين كما ذكر أيضاً في كتابه بعض من الكتاب الإغريق الذين سبقوه والذين كتبوا عن اثيوبيا ولكن اعمالهم لم تكتشف بعد. وصف ديودورس مروي كأكبر واعظم المدن الأثيوبية . (Diodorus:1814:157) وكذلك من هذا المصدر المكتوب قد حصلنا علي معلومـات قيمـة تتعلـق كيـف ان مجمـع الآلهـة الإغريقيـة يحترمـون ويحبـون الأثيوبيين . وقد وصفوا الأثيوبيين بأنهم اناس ورعين متـدينين وهـذه العبـارة ذكرها هوميروس في الإلياذة اكثر من هذا فإن ديودورس وصف الملك الاثيوبي شاباكو Shabako (٧١٦ ـ ٧٠١ ق.م) والذي حكـم كـل وادي نهـر النيـل (مصر والسودان) بانه الرجل الورع الذي اتبع اسـلافه في عبـادة الآلهـة وانـه الحاكم المتطور . كما قدم هيرودوتس أيضاً اللقاء الـذي جمـع الملـك الاثيـوبي وجواسيس قمبيز Cambyses . وأن الملك الاثيوبي الذكي قد اعطي الإجابات الحكيمة والنصائح الحسنة لهؤلاء الجواسيس. اراهم حسن مظهر شعبه وثروتهم وقوة جيشه وقدرتهم العظيمة علي قهر جيشهم لكنه صـرح لهـم أن شـعبه لا يحب أن يغزو البلدان الأخري . كما أن الملك الأثيـوبي أخـبر الجواسـيس أن ينصحوا سيدهم أن لا ينظر إلي ملك آخر غير ملكه، ومن خلال دراسة المزامنة التاريخية بين مصر والسودان في تلك الفترة ندرك أن الملك المروي المقصود هو أماني ناتاكي لبتي Amani Nataki Lebte (٥٢٤ ـ٥٢٣ ق.م) الـذي دفـن في مقبرة نوري الهرم رقم ٧.

العبارات السابقة توضح مدي أعجاب الأغريق بمقدرات الاثيوبيين وهذه النقطة اصبحت واضحة عندما نذكر أن الكتاب الأغريـق لم يـصفوا الأثـوبيين بالبرابرة (Barbarians) الناس غير المتحضرين أو غير المثقفين. بينما وصـفوا غيرهم من الشعوب بالبربرية.

مروي والعصر الهيلينستي (٣٢٣ـ٣١ ق.م):

Meroe and The Hellenistic Period :

خلال الوقت بين وفاة الاسكندر في ٣٢٣ ق.م وموقعة اكتيوم ٣١ ق.م Actium ، نجد أن معظم اراضي البحر الأبيض المتوسط اصبحت نصف اغريقية وأن الأمم التي كانت جزءاً من أمبراطورية الاسكندر صار يحكمها من بعده الضباط الأغريق وكثيراً ما كانت تسمي هيلينية (شبيه الإغريق) .

مصر كان يحكمها بطليموس أحد ضباط الاسكندر وخلفاؤه صاروا يعرفون بالاسرة البطليمية (٣٠٥ـ ٣٠ ق.م) خلال هذه الفترة نجد أن مروي لا تتعامل مع مصر بذات الكيفية التي كانت قبل عام ٣٢٣ ق.م . واعتبروا أن الثقافة المصرية جزءاً من الثقافة الهيلينستية وعالم البحر الأبيض المتوسط. وكان الحكام الأغريق علي مصر ينظرون إلي مروي طبقاً لرؤيتهم الثقافية التي ذكرناها سابقاً وحتى التجارية الخاصة وصدرت البضائع الإغريقية إلي مروي.

هذا التغير الكبير في العلاقة بين مروي ومصر أصبح واضحاً لأن البطالمة غيروا كل أساليب الحياة في مصر بما فيها الفنون ، تخطيط المدن، التعليم والجندية إلي الأسلوب الأغريقي (British Museum : 1971:66) . ساعد علي هذا التغيير اغريق نوكراتيس Naucratis أقدم المدن الإغريقية في مصر التي امر باقامتها بسماتيك الأول Psammetichus (٦٦٤ ـ ٦١٠ ق.م) بعد موت الاسكندر تقسمت أمبراطوريته بين ضباط الإغريق: سيلقوس Selecus في الشرق أسس الأمبراطورية السلوقية أما قورينة في الغرب فتحكمها الأسرة البطلمية في مصر . ووطن الاسكندر وبلاده الأصلية مقدونيا واليونان فيحكمها ابنه.

هذا بإختصار الحالة التي عليها عالم البحر الأبيض المتوسط بعد موت الاسكندر في ٣٢٣ ق.م . وألقي هذا التغير بظلاله علي مستقبل العلاقات في مروي بين ثقافتها الوطنية وثقافة العالم الهيلينستي. ولعب بطالمة مصر دوراً كبيراً في إلتقاء الثقافتين مع بعضهما (Priese:1978:89) .

وفي ذات الوقت فأن قنوات إتصال قد فتحت مع عالم البحر الأبيض المتوسط وعلي وجهة الخصوص المجال التجاري وتواصلت هذه الاتصالات بصورة مستمرة.

أكد ديودوريس الصقلي هذه العلاقة حينما ذكر الملك الإثيوبي ارقامينس Ergamenes الذي تولي الحكم في فترة بطليموس الثاني حيث أن هذا الملك نـشأ تحـت النظـام الفلـسفي الاغريقـي أي تحـت تربيـة اغريقيـة. (Diodorus:1814:154) كمـا أن الملـك بطليمـوس الثـاني فليودلفـوس Philodelphus (المحب لاخويه) (٢٨٥ ـ٢٤٦ ق.م) عرف كملك مثقـف بـين الملوك البطالمة وانه تعلم بواسطة الفيلـسوف الإغريقـي اسـتراتون Straton والشاعر فيليتاس Philetas وهو ايـضاً كـان مهتمـاً بعلـوم الحيـوان ويرسـل الصيادين لصيد الحيوانات البرية والحيوانات الوحشية الغربية من السودان ليتم حفظها في حديقة الحيوانات الخاصة بهذا الملك (Diodorus:1814:176).

كل الحقائق السابقة تشرح لنـا كيـف أن الحـضارة المروية تـداخلت مـع الحضارات الأخري وفاعلت وتفاعلـت معهـا واثبتـت بأنهـا ليـست حـضارة معزولة حتى في فترات صمت الوثائق التاريخية والمصادر، كما أن الأدلة الأثرية أثبتت هذه العلاقة. (Priese:1978:96).

الامبراطورية الرومانية وراء الحدود المروية:

بينما الحضارة المروية تواصل تطورها بخطوات منتظمة وقوية معتمدة علي تراثها الوطني فأن العالم الخارجي قد طوته التغيرات الكبيرة عندما ظهرت إلي الوجود الأمبراطورية الرومانية في ٢٧ ق.م.

إذ اصبحت مصر بعد معركة اكتيوم البحرية مستعمرة رومانية . وامتـدت الأمبراطورية الرومانية حول كل البحر الأبيض المتوسط وصارت مصر محافظة رومانية يحكمها حاكم روماني.

هذه الأمبراطورة العدوانية وراء الحدود المروية تنظر إلي الثروات المرويـة بإهتمام شديد وأدراك المرويون أن عليهم حماية مملكتهم حتى لو دعاهم ذلـك إلي مهاجمة الحامية الرومانية إذا ما بدت لهم مهددة لأمنهم . وكان أول الصراع بين مروي وروما قد سجله الكاتب الرومـاني اسـترابو Astrabo (٦٦ ق.م ـ ٢٤م) في مجلدة الجغرافيا . وقد أعطانا تصوراً رومانياً للـصراع والـذي يمكننـا

ملاحظته من قوله "الاثيوبيون الذين يعيشون جنوبي اسوان Syene هم بدو غير كثيرين ولا يحبون الحرب بالرغم الاعتقاد بأنهم كذلك بواسطة القدماء الأنهم دائماً مثل قطاع الطرق يهاجمون الذين لايستطيعون الدفاع عن أنفسهم". (Shinnie:1967:44) وإذا قارنا هذا الوصف بوصف هوميروس في الإلياذة IIiad ، هيرودوتس في كتاب التاريخ وديودورس"[1]، لبدأ لنا واضحاً أن استرابو تعامل مع الحقائق من وجهة المقولة الرومانية الشهيرة "الجندي الروماني لا يمكن هزيمته" بما يعكس عقدة الشعور بالعظمة الرومانية عندما صار جايوس بترونيوس Gaius Petronius حاكماً علي مصر تقدمت الجيوش المروية في إتجاه أسوان، الفنتين وفيلاي ودخلوا هذه المدن واستعبدوا سكانها وانزلوا تمثال قيصر (Shinnie: 1967:44) هذه المعلومة تشير إلي أن الجيش الروماني إذا ماهوجم يمكن قهره بواسطة المرويين إضافة لهذا أكدت المكتشفات الأثرية هذا النصر للجيوش المروية عندما عثر قارستنج Garstang علي رأس الأمبراطور اغسطس Augustus في معبده (M295) في مدينة مروي الملكية. (Hakem:1975:129) والذي أقامته الملكة المروية أماني شخيتي ا بعد أن غنمته من الحامية الرومانية في فيلاي تبع هذه الأحداث أن استرابو نسب هذه الأعمال البطولية لبترونيوس عند وصفه لهذه الحرب حيث قال "بترونيوس أجبر الأثيوبيون علي الفرار. (Shinnie: 1967:45)" وإذا تمعنا في هذه العبارة يمكن شرحها في الآتي: عندما حقق المرويون أهدافهم رجعوا إلي وطنهم. ولكن بترونيوس طلب من المرويين أرجاع غنيمتهم وسألهم لماذا بدأوا الحرب.وهذا حوار يبدو غريباً بين الجيش المنتصر والآخر المنسحب. وعادة الجيش المنتصر يفرض رغباته علي المهزوم. بترونيوس سار بجيشه جنوباً وهزم المرويون وأخضع نبته Napta ثم وجد أن التقدم جنوباً صعباً فعقد اتفاقية مع المرويين أن يرسلوا سفراء إلي قيصر Gaesar في ساموس Samos يحملون طلباتهم (Welsby:1996:70).

---

[1] انظر "تصور الاغريق عن الثقافة المروية بهذه الدراسة".

من هذا التقرير يمكننا أن نقترح أن المرويين لم ينهزموا تماماً في هذا الصراع ويمكننا القول بأن النصر يتغير من جانب إلي آخر واننا نجد أنه حتى بترونيوس قد اخضع نبته. (Strabo:1981:301) ولكن عاصمة المرويين في مروي مستقرة وهادئة بعيدة عن اي أذي. (Hakem:p1981:301).

بليني الأكبر Pliny the Elder (٧٩م) كتب عن هذا الصراع قائلاً: ولكن علي أي حال ليست اسلحة روما التي جعلت الدولة مهجورة . (Shinnie:1967:47). ديوكاسيوي Dio Cassius كاتب كلاسيكي آخر ناقش نفس الصراع وقال في ختام نقاشه أن بترونيوس أجبر القائد المروي علي عمل اتفاقية صلح معه (Shinnie:1967:47) .

هذه الحرب بين مروي وروما حدثت بعد أقل من عشرة سنوات علي ضم مصر للامبراطورية الرومانية واسست لعلاقة مستقبلية بين الدولتين. وأن روما علمت أن المرويين لاييأسون وأنهم يواصلون القتال حتى بعد هزيمتهم. وأنه الأفضل للرومان أن يعملوا علي مهادنتهم بإبرام إتفاقيات سلام وفترات صلح معهم. وهذه السياسة تواصلت حتى اضمحلال مروي في (٤٠٠م).

الثقافة المادية Material Culture

النحت كعنصر من عناصر التواصل بين مروي والأمبراطورية الرومانية :ـ

علي مدي زمن طويل أسس الفن المروي أسلوبه وموضوعه ودوافعه الخاصة به وأن الفنانين المرويين تعاملوا مع الحجر الرملي النوبي والجرانيت وهذه المواد متوفرة محلياً . بناء علي ذلك أن الفن المروي تطور موازياً للفن المصري حتى في فترة زوبان الفن المصري في الفن الهيلينستي ثم بعد ذلك الفن الروماني الإمبراطوري. ثم بعد ذلك واصل الفنان المروي قضية فنه بكثير من الحذر من فن البحر الأبيض المتوسط الذي أصبح قريباً منه. وعرف الفنان المروي أن هذا الفن الأجنبي يستخدم مواداً ليست متوفرة لديه وأنه تعود علي استخدام الحجر الرملي والجرانيت. و البرونز استورد لمروي كتماثيل وآواني وان كان المرويين عرفوا صناعة البرونز.

كما هو معروف أن الرخام اكثر ملائمة من الحجر الرملـي في نحـت التفاصـيل الدقيقة. وأن احسن الأمثلة علي ذلك هو تمثال لاكون وأبنائـه Lacoon and his Sons . (Percard:1970:321,152) وإشكالية الرخام هو أنه يأخذ وقتاً طـويلاً في التصميم بينما الحجر الرملي يمكن تشكيله بسهولة شديدة. الجرانيت استخدم في الفن المروي في نحت التماثيل الضخمة مثل الجرانيت للملك تهارقا Taharga ٦٩٠ ـ ٦٦٤ ق.م . وقد إستخدم خصيصاً لابراز الملك أو الإله بحجم ضخم ، كما أنه من الصعوبة بمكان السيطرة علي قطع الجرانيت عند نحـت التماثيـل الـصغيرة ،المعـادن المنصهرة مع الجرانيت تكسبه ألوان مختلفة . ومن تمثالين ضخمين ربمـا تمثـال ملـك (ربما ملك نتك اماني Nete Kamani ١٢ ق.م ـ ١٢ م) أو أنهم آلهـة ومـن تمثـال آخر وجد في معبد ابزيس بمروي نجد أن هذه التماثيل أتبع فيهما الفنان مدرسة فـن النحت التقليدي القديم والتي استمر خلال الفن النبتي المروي وقد استخدمت علي وجه الخصوص في إبراز تماثيل الملوك والآلهة. وأظهار الـسمات الشخـصية محاولـة لأظهر القوة والهيبة وكل مظاهر السمو التي يبرزها الفرد.

الخصائص الفنية الرئيسية لمدرسة النحت النبتي :

The Main Artistic Characteristics of the Napatan and Meroitic sculpture School:

١ـ التمثال في وضع امامي.
٢ـ التمثال في وضع ساكن.
٣ـ ان ذقن التمثال تبرز للأمام.
٤ـ التمثال في حجم أكبر من الحجم الآدمي الطبيعي.
٥ـ رأس الملك يغطي بطاقية ذو كرتين متدليين.
٦ـ ملامح التمثال مثالية.
٧ـ الرقبة ضخمة.
٨ـ الرجل اليسري ممدودة للأمام.
٩ـ تمثـال الملـوك ترتـدي تيجـان ذات رؤوس كـوبرا Double Uraeus مزدوجتان ـ وترمز إلي حقبة الحكم في مصر العليا والسفلي.

١٠ـ الذراعان مفرودتان والأيدي مضمومتان.
١١ـ العينان لوزيتان نحتتا بعناية وينظرون للأمام بجدة وهما جاحظتان.
١٢ـ الجبهةعريضة.
١٣ـ كتفي التمثال عريضتان.
١٤ـ أنف التمثال مفلطح (أي كبيرة وعريضة وغير حادة).
١٥ـ الصدر عريض.
١٦ـ التمثال في هيئة مرتدياً الثياب.
١٧ـ التمثال ذو شفتين غليظتين.
١٨ـ الخصر (وسط التمثال) ضيق.

هنالك قطع فنية من البحر المتوسط استوردت لمروي خلال العصر الهيلينيستي (٣٢٣ـ ٣١ ق.م) بما فيها الرأس البرونزي للإله ديونيسوس الذي صنعه فنان أغريقي وعثر عليه في الهرم رقم (٥) . (Shinnie: 1967:38) ومثال آخر من العصر الهيلينيستي فازه علي هيئة ولد برأس من البرونز وعينان مطعمتان بالفضة وجدت في فرس.

الرأس من برونز للأمبراطور أغسطس الذي وجد في مروي يعتبر أول تمثال روماني في مروي وأنه من أوائل تماثيل هذا الأمبراطور وأبلغ الأمثلة لهذا النوع من التماثيل هو تمثال أغسطس في متحف الفاتيكان والمعروف ببرايما بورتا أغسطس Prima porta Augustus إن الأدلة الأثرية (راس أغسطس البرونزي) و الأدلة التارخية (ما دونه الكتاب الكلاسيكيون) يؤكد أن هذا الرأس للأمبراطور أغسطس والمصنوع من البرونز كان أصلاً في أسوان ولكنه أخذ بواسطة المرويون من معسكر لجنود رومانيين ووجود هذا الرأس في معسكر للجنود الرومانيين بغرض العبادة لأن الأمبراطور أغسطس اله وصار يعبد، وهو أي الأمبراطور أغسطس كبير قواد الجيش وعبادته جزء من النظام العسكري في معسكرات الرومان. (Gadd:1955:239).

إذ نظرنا إلي تمثال أغسطس نلاحظ أن الفن المروي أخذ تقنية تلوين كرة العين واستخدمها في التماثيل المحلية، وكما ذكرنا سابقاً من صعوبة تطبيق هذه التقنية في الحجر الرملي أو الجرانيت أو الديورايت، إذاً فقد أخذ الفنان المروي

الفكرة العامة لفنون البحر الأبيض المتوسط واستخدمها في الأشخاص غير الرسميين (الأشخاص العاديين).

عليه يمكن ملاحظة أن الفنان المروي مزج نوعين من الفن، الأسلوب المحلي التقليدي واسلوب البحر الأبيض المتوسط ومنهما خرجت للوجود مدرسة فنية محلية آخري ومميزات هذه المدرسة كالآتي:

١ـ المألوف :ـ التمثال بالحجم العادي.

٢ـ التناسق:ـ جسم التمثال متناسق.

٣ـ التعري:ـ التمثال عار أو نصف عار.

٤ـ الطبيعة:ـ يلون التمثال طبقاً للون جسد الناس المحليين أي اللون الطبيعي.

٥ـ البساطة:ـ التمثال يتزين ويرتدي الشعر والملابس المحلية ويبتعد عن ماهو غير عادي.

٦ـ الواقعية:ـ تبدو من لمس الشعر باليد اليسري.

٧ـ الحركة :ـ الحركة الديناميكية يدان موضوعتان في حركة متقاطعة.

٨ـ الكمال:ـ تفاصيل لون العين مكتمل.

هذه مميزات الجديدة انتشرت في كل فروع الفن ويمكن رؤيتها وتمييزها في عدد من التماثيل والنقوش.(Wildung:1998:Pls,270,274,275) بعد استعراض العناصر اعلاه يمكننا القول بدون تردد أن هذا هو فن مروي نفذ بواسطة الفنان المروي بمواد محلية وابتكر وتطور بواسطة المرويين.

واحياناً يبدو هذا الفن المروي ذو الأسلوب الجديد مشابه في الملامح لأسلوب فن البحر الأبيض المتوسط. ويجب علينا معرفة أن الثقافة المروية لم تكن ثقافة معزولة كثقافة الأنكا Inca في المكسيك أو الثقافة الصينية.

مميزات فن النحت النبتي المروي (المدرسة التقليدية) مع فن النحت الأغريقي:

أن المقصود هنا بالفن النبتي المروي هو المدرسة التقليدية أو يمكننا أن نقول المدرسة الرسمية وهي التي نشأت مع بداية الدولة النبتية وتركزت منحوتاتها

وتماثيل الملوك والملكات واستخدمت هذه المدرسة في القرن التاسع قبل الميلاد وحتى نهاية دولة مروي في ٣٥٠ م وأن كانت هنالك مدرسة ظهرت في اواخر القرن الثاني الميلادي والتي اشرنا إليها سابقاً وهي مزجت مؤثرات البحر البيض المتوسط في النحت مع المميزات المحلية في النحت عملاً متفرداً.

مقارنة ما بين فن النحت النبتي المروي (المدرسة التقليدية) وفن النحت الاغريقي الروماني:

١ـ ان التمثال النبتي المروي في حالة مواجهة امامية أي في مواجهة مع المشاهد في وضع مواجهة Frontality وأن جانبه الأيمن مشابه تماماً للأيسر بحيث انك لو قمت بقطع التمثال إلي نصفين يكون النصفين متطابقين تماماً، ويختلف الوضع في التماثيل الأغريقية حيث أن التمثال في وضع جانبي Profile جزئياً أو كلياً وهي من متطلبات الحركة التي تميزت بها التماثيل الأغريقية.

٢ـ أن التماثيل النبتية المروية في حالة جمود Static position وليس هناك أي حركة بادرة من التمثال أنما في وضع انتباه تماماً، بينما نجد التماثيل الاغريقية الرومانية تميزت بالحركة Dynamic Position وموضوعية هذه الحركة حتمتها أن هناك موضوع للتمثال.

٣ـ التماثيل النبتية المروية عادة فوق الحجم الطبيعي للإنسان Over Human Size وهي تبرز شكل إنسان خارق للطبيعة يترك شعور ما بين الرهبة والتقدير والضآلة أمام هذا الحجم الكبير للملك وهذا ما هدف إليه النحات أما في فن النحت الاغريقي الروماني فإن حجم التمثال مماثل لحجم الإنسان الطبيعي سوي للاله أو لشخص عادي.

٤ـ يتميز فن النحت النبتي المروي بان ملامح الاشخاص أو الألهة بها مثالية عالية Idealistic أي أنه في سمو عالي يبرز لنا الإنسان الكامل المترفع عن عكس أي شعور إنساني حقيقة أن فن النحت النبتي المروي يتميز بالمثالية Idealism أما فن النحت الاغريقي الروماني فيتميز بالواقعية Realistic.

٥ـ من مميزات فن النحت النبتي المروي أن الرجل اليسري متقدمة عن اليمني

التي تتخلف وتكون مشدودة عند الركبة بينما فن النحت الأغريقي الروماني يترك الحرية في الحركة في القدمين بما يتناسب مع الموضوع.

٦ـ فن النحت النبتي المروي نجد الأيدي ممتدة بجانب الجسم وقابضة ومضمومة بقوة كما أن هنالك طاقية ذات اطراف ورباط يشدها مع الراس ولا نجد ذلك في فن النحت الاغريقي الروماني.

٧ـ علي رأس الملوك النبتيين المرويين هناك تاج ذو رأس كوبرا مزدوج Double Uraeus يرمز للأحقبة في حكم مصر والسودان ولا يضع الاغريق أي شئ ما عدا اكاليل الغار في حالة الانتصار.

٨ـ عيون التماثيل النبتية المروية قطعت بصورة جيدة وهي لوزية مع تحديق إلي الأمام أما العيون الأغريقية فطبيعية علي حسب الموضوع.

٩ـ الجبهة عريضة عند التماثيل النبتية المروية عكس التماثيل الأغريقية و الرومانية.

١٠ـ غلاظة سمك الرقبة في التماثيل النبتية المروية تقابلها رقة في الاغريقية مع توازنها مع الجسم.

١١ـ الأنف عريض (مفلطح) مميز للأفارقة وحتمته طبيعة الجو الحار في المنطقة بينما في فن النحت الأغريقي الروماني الأنف صغير حتم ذلك الجو البارد لديهم.

١٢ـ في النحت النبتي المروي الشفاه سميكة وغليظة وهي من مميزات الأفارقة كما يتميز بصغر الحنك وهي لا توجد في الفن الأغريقي الروماني.

١٣ـ نجد في فن النحت النبتي المروي أن الأكتاف عريضة ومنخفضة مما تعطي حجم أكبر للصدر أي أن الصدر عريض وخصر التمثال ضيق وهو يتميز مع الأكتاف العريضة هو مقياس فني دقيق الا أن النحات الإغريقي الروماني لا يتقيد بهذا وإنما ينحت الجسم حسب الفكرة عن الشخص المنحوت له إذا كان بشراً أو إلهاً.

١٤ـ ان فن النحت النبتي المروي يتميز التمثال أنه يرتدي ملابس بينما في النحت الأغريقي الروماني نجد النمثال عار مما يبرز انسياب الجسم البشري.

١٥ـ لا توجد أسماء نحاتين معروفين في فن النحت النبتي المروي بينما نجد ذلك في الفن الأغريقي الروماني مثل النحات فدياس وبولي كلاتيس.

١٦ـ أن نسب التمثال Statue Proportion النبتي المـروي تتميـز بالـضخامة بينما نجد نسب التمثال الأغريقي الروماني تتميز بالصغر.

العمارة:

توجد مباني معمارية فريدة في مدينة مروي ومنطقتهـا تـؤرخ إلـي القـرن الثاني أو الثالث الميلادي هذه المباني ذات طـابع معمـاري رومـاني ـ مـروي، المهندس المروي خلق مزيج من هذين الطابعين.

الحمام الروماني المروي:

هذا المبني يمثل تعديلاً في الحمام الروماني وقد أبتكر ليناسب مناخ القطـر والعادات المروية التقليديـة. فـالطقس الحـار لا يـسمح ببنـاء مطـابق للحمـام الروماني بحجرتـه الحـارة Caldarum Room . هـذا الحمـام ربمـا يـستخدم كحوض خاص. فتخطيطه عبارة عن حوض حفـر في بـاطن الأرض الجـدران الداخلية غطيت بالبلاط (بالبياض) وهناك تماثيل ومقاعد حول حافة الحوض وقد وجد تمثال لرجل مستلقي علي جانب الحوض علي الطريقة الرومانية.

وكان هنالك غرفة جلوس أخري بمقاعد علي هيئة فرس البحر.

وهذا وصف مختصر لهذا المبني والهدف الرئيسي هو أن الحمام يعطي الطابع الروماني والمروي.

الكشك الروماني المروي Roman Meroitic Kiosk

في النقعة Naga هناك معبد مميز بميرات رومانية ـ مروية وأضـحة ويطلـق عليه الكشك الروماني المروي ذلك لأن المميزات الرومانية في هذا المبني واضحة جداً فيه أكثر من المميزات المروية.المبني يؤرخ للقرن الثاني أو الثالث الميلادي. ومبني بالحجر الرملي وتبدوا المميزات والزخرفة الرومانيـة وخاصـة الأعمـدة الكورنثية الأغريقية والجزء العلوي عند التاج مزخرف بالبيضة والسهم وزهرة

الأكنثوس. وفي الكورنيش هناك زخرفة الأسنان والأقواس الرومانية استخدمت في النوافذ والأبواب.

الميزات المروية تري في أعلي الباب حيث افريز من الكوبرا تحت قـرص الشمس المجنح ولم يعثر علي أية نقوش علي هذا المعبد. والمعبد يوضـح كيـف مزج المهندس المعماري المروي بين أسلوبي العمارة المروية المحلي والروماني في مبني واحد دون أن يفسد تجانس المبني.

الخاتمة

أن العلاقة بين السودان (الـذي يعرفـه الأغريـق بأثيوبيـا) وعـالم البحـر الأبيض المتوسط بدأت في القـرن التاسـع ق.م عنـد ذكـر هـوميروس الـشاعر الأغريقي الكبير هذه العلاقة في الألياذة والأوديسا، والسودان معـروف لـدي العالم خلال فترة نبته (الأسرة الخامسة والعشرين) عندما كـان الملـوك النبـتين يحكمون وادي النيل (٧٥٠ ـ ٦٥٦ ق.م) والكتاب الأغريق كانوا أول من كتب عن المرويين واصفين بلادهـم وذاكـرين للـصلات بـين الأسـاطير الإغريقيـة والسودانية (الاثيوبية).

إن ديودور الصقلي تبع هيرودوتس في تأويلاته الأسطورية واضاف أيضاً معلومات جديدة عن العلاقة بين مصر البطليمية ومروي. والمؤرخين الأغريـق أعطونا معلومات متكاملة عن المرويين إلي جانب أننا وجدنا أن بعض الكتاب الرومانيين غلبت عليهم النعرة الرومانية عند وصفهم للأحداث.

طرق التجارة للبحر الأبيض المتوسط زادت من قوة هذه العلاقة وساعدت من إستمراريتها دون توقف حتى نهاية مملكة مروي في القرن الرابع الميلادي ـ والمصادر التارخية ودعمتها الثقافة المادية التي ألقت مزيداً من الضوء علي هذه العلاقة.

في النحت نجد التمثال القائم بذاته Statue In The Round في كـل من الفن المروي التقليدي وفن البحر الأبيض المتوسط أن الفنان المروي قد قام بمزج كل من مميزات الفنين واخرج لنا أسلوب له مميزاته الخاصة وايضاً ميزات البحر المتوسط الرومانية، ظهرت في عمارة المباني وفي المظـاهر الرئيـسية لهـذه المباني التي يمكن تلخيصها في مظهرين:

اولاً: أن هذا الأسلوب ليس عاماً ولكنه يظهر فقط في عدة مباني.

ثانياً: هذه المباني أيضاً لها عناصرها المعمارية التقليديـة الـتي مزجـت مـع عناصر البحر البيض المتوسط.

المــراجــع

مراجع غير عربية:

1- Ayoub, M.S.1968. Fezzan. Tripoli. Kingdom of libay Ministry of Tourism Antiquites.
2- Bloss, J.f.E. 1936 'The Story of Suakin' S.N.R . Vol. XIX.PP.271-3000
3- British Museum. 1911.A Guide to the department of Coins and Medals is the British museum.London .B.M.
4- British Museum .1971. introductory Guide to the Egyptian. Collection London. B.m.
5- Picard, Charles. 1970. 'The Hellenistic World and Rome Before Sulla' in Bene Huyghe (ed) larousse Encyclopedia of Prehistoric & ancient Art. Paris .Hamlin .PP.321-352.
6- Gadd , K.M.1955. From Ur. To Rome. London.
7- Hakem, A.M.A. 1975. 'The City of Meroe and the Myth of Napata Anew Prespective in Meroitic Archaeology' Adab .Vls.2,3.PP.119-133.
8- ...., 1981'The Civilization of Napata and Meroe ' in Gamal Mukhtar (ed) General History of Africa. Vol.II . California. UNESCO.P.298-325.
9- Hreodotus. 1954. The Histories Book II. Aubrey De Selincourt. (Translation). Edinburgh. The Penguin Book.
10- Priese, karl Heinz. 1978.'The Kingdom of Kush. The Napata Period '. In Michael Botininck (ed) Africa in Antiquity. Vol. I .New York. The Brooklyn Museum.PP.74-88.
11- Shinnie, P.L.1967. Meroe. Lodon , Frederich. A Praeger.
12- Diodorus, Sicilus. 1814. The Historical library of Diodorus the Sicilian. Vol.I, Book III. G. Booth (Translation). London. H.I. Rhodomannus, and F.Ursinus.
13- Strabo. 1949.The geography. Vol,VII Horance Leonard Jones (Translation).London.
14- Welsby, Derek. A.1996. the Kingdom of kush. London . BM.
15- Wildung, Detrich. 1998.'The Kingdom of Meroe'. In Dietrich Wildung (ed) Sudan Ancient Kingdoms of the Nile. Paris. Institute du Monde arabe. Pls. 270,274.275.

التحنيط في وادي النيل

. أمن إنسان وادي النيل بالبعث وبالحياة الأخري وأنها الأبقي لذلك إهتم بمدفنه أثناء حياته ووضع في هذه المدافن كافة الأثاث الثمين والحلي والزينة الشخصية وأماكن للتعبد وتقديم النذور وتوظيف بعض الأفراد ليقوموا بخدمتها وتشهد علي ذلك الأهرامات في مصر والسودان والتي جعلت مدافن للملوك والملكات ونشير بأن السودان به ٢٢٣ هرماً وقد أمن الإنسان في وادي النيل أن الروح تابعة للجسم تفني بفنائه وتبقي لبقائه لذلك عملوا علي المحافظة علي الجسد حتى يعيش عليه الميت في الحياة الثانية فعملوا علي تحنيطه وذلك لإعتقادهم بأنه إذا زالت الجثة المحنطة أو ما ينوب عنها من التماثيل الحجرية أو الخشبية تزول جميع أجزاء الإنسان الأخري.

طرق التحنيط:

أن عادة دفن الشخص منذ عصور ما قبل التاريخ تعتبر وسيلة لحفظ جثمان الميت لذلك كان الدفن حفر عُملت بصورة منظمة وكان يوضع مع الميت سلاحه ومتعلقاته الشخصية وخير مثال ما وجدته البعثة البولندية في الموقع الاثري بالكدرو بقيادة ليخ كرزنياك. كما نجد أن إنسان عصور ما قبل التاريخ قد قام بعد ذلك بدفن موتاهم علي جلود الحيوانات ووضعوا أيضاً أواني الأكل الفخارية وذلك لاعتقادهم بان الميت يحتاج إليها

وتطور بعد ذلك هذا الفن علي يد كهنة مصر واستخدموا الصمغ الصنوبري وهو يحفظ الجثة زمناً طويلاً علي شكلها المعهود. ثم إنتظم فن التحنيط بصورة متكاملة في مصر والسودان .(وادي النيل) وكان لرئيس التحنيط تأثير خاص فلا يبقي للاشتراك معه في اجرائه الا من يثق بهم من رجال الكهنوت الاتقياء ومن الجراحين والعملة وبعض ارباب الصنائع التي يستلزمها التحنيط طبقاً لاسراره وتعليماته واعدا

اللفائف من غزل الكتان وغيره وكان مساعدوه لا ينتخبون لهذه المهنة الا بطريق التوارث مما يصلح فيهم لها طبقاً لتعليمات الفراعنة وعنايتهم الكلية بالتحنيط.

وكانت الامكنة المخصصة لاعمال التحنيط ترتب إلي اقسام منها يباح دخوله للجميع وهي التي تشتمل علي اعداد الأجزاء الصناعية المفردة والثاني القاعة الخاصة بدرس علم التشريح فنياً لا يدخلها غير الاستاذ وقت القاء الدرس، والثالث مخصص لوضع الجثث المحنطة التي بعد انتهاء اعمالهم تسلم لاقاربهم واصدقائهم ويتبعون في وضعها في المقابر التعليمات التي تلقي إليهم بوثائق تشمل أصحاب الجثث وملخص تاريخهم والمرض المسبب للوفاة والمكان المصرح بالدفن فيه بعد أداء الرسوم التي تقررت لنفقات التحنيط حسب الدرجة المتفق عليها فتوضع الجثة في تابوت خشبي ويحلي بالنقوش وكان يكتب علي غطاء كل تابوت ثمنه وبيان مشتملاً. وقد وصف هيرودوتس كيفية عمل التحنيط عند قدماء المصريين سنة ٤٥٠ ق .م وهي علي ثلاثة أنواع:

النوع الأول:

يبدأ المحنطون عملهم بإزالة الأعضاء التناسلية ، ويستخرجون المخ عن طريق الأنف بالآت حادة حديدية معوجة ويملون الجزء المجوف مكان المخ بالطيب والصمغ والصنوبر ويستعملون لهذا الغرض أداة خشبية وخنجر من المعدن ومقراضا صغيراً.

ويبدأ تحنيط الجثة بوضعها علي مائدة خشبية مستطيلة ويضع المحنط علي الجانب الأيسر ماء يقدره بنسبة حالة الجثة ممزوجاً مما يستدعيه العمل. ويبدأ في شقها من بداية الجنب الأيسر إلي نهايته بقطعة حادة من الحجر الذي كانوا يسمونه حجر أثيوبيا وعرفه علماء طبقات الأرض بإسم حصاة أثيوبيا ومتي أتم المحنط عملية الشق إنتقل من مكانه مسرعاً ويتبعه الحاضرون ويرجمونه بالحجارة ويلعنونه، ثم يستخرجون الأحشاء بعد ذلك وكل الأجزاء اللينة فكانوا يضعون الأحشاء والمعدة والرئتان والكبد في أواني تسمي الأواني الكانوبية وهي أربعة ويتركون القلب والكلي وكانت هذه الأواني أحياناً تصور في شكل هيئة معبودات علي صورة قرد وإنسان وصقر وابن آوي. ثم بعد ذلك يغسلون الجوف بنبيذ البلح الممزوج بكمية من المر والخيار والشنبر والطيب ثم يخيطون الجلد ثانية ويغسلون الجثة ويضعون فوقها كميات من أملاح ورتنج صمغي ويغطونها بمسحوق النطرون (العطرون) (Natron) أما المخ فيستخرج من فتحة الانف ويملئ بعد

ذلك بلفائف بها صمغ مدة سبعين يوماً وبعد انتهاء هذه المدة يدهنون الجثة بزيت شجر الأرز والعطر وتملاء البطن بمواد دائمة مثل القرفة والصمغ ويضعونها في لفائف مصمغة بالصمغ العربي ويدهنون غطاء الوجه ويرسمون فوقه صورته وكانوا يعتنون في أن تكون اللفائف العلوية محلاة برسوم ونقوش هيروغلوفية بغاية الإبداع والإتقان. ثم يأتي أقارب المتوفي وينقلون الجثة في صندوق خشبي مصنوع علي شكل آدمي ويوضع في جانب قاعة مخصصة لهذا الغرض. وهذا النوع عندهم هو أهم أنواع التحنيط التي يقصدون منها المغالاة والزينة متي كانت الجثة جثة أحد العظماء والمشاهير الذين يراد بمظاهر التحنيط وفخامته الأيحاء ما كان له من علو لمنزله وعظم الشأن بين قومه.

النوع الثاني:

ليس كل الناس يرغبون التغالي في أعمال التحنيط علي وجه الذي سبقت الإشارة إليه بل كان أوساط الطبقات ومن حكمهم لا يميلون إلي الأحزان والبذخ يكتفون في عملية التحنيط بما يقي الجثة من التلف فيكتفون بحقنها بكميات من الدهن السائل المستخرج شجر الرز وتستعمل غالباً في بطن الميت بدون شق الجسم وبدون إخراج شيء من المحتويات والأمعاء ويسدون منفذ الحقن منعا لسقوط السائل ثم يضعون الجثة مدة سبعين يوماً في محلول مقوي وبمضي هذه المدة يستخرجون الجثة منه ويخرجون منها السائل الذي يجذب معه الأحشاء الذاتية ويجففون العظام بمسحوق النطرون وفي هذه الحالة لا يكون باقياً من الجثة سوي العضلات والعظام والجلد وبإتمام تجهيزها علي هذه الطريقة توضع في لفائف معقمة ويبقي جزء الوجه فيدهنونه بلون أحمر وتسلم بعد ذلك إلي أسرة المتوفى لدفنها في المكان المعد لأمثالهم.

النوع الثالث:

هو تحنيط الفقراء الذين لا يستطيعون لكثرة النفقات وهو ينحصر في إيداع الجثة مدة سبعين يوماً في محلول قلوي من النطرون وتستخرج منه بعد ذلك وتجعل في لفائف بسيطة وتسلم إلي أهلها لدفنها.

ويوجد هناك نوع رابع للتحنيط أقل درجة من الثلاثة أنواع السابقة ذكرها لم يتكلم عنه هيرودوتس وإنما كان مستعملاً عند قدماء المصريين بواسطة جعل جثث الفقراء في لفائف ممزوجة بمركبات تقيها من التعفن والتلف زمناً محدداً، ثم تدفن في مكان رملي علي عمق متر تقريباً ووجدت جثة محنطة علي هذه الحالة. كتب هيرودوتس وديودوريس الصقلي بعض المعلومات عن التحنيط ولكن لم يصل إلينا منها إلا النزر القليل لأن الكهنة وحدهم كانوا يحتكرون لأنفسهم معرفة أسرار التحنيط الذي به تحفظ الجثث ولم يبوحوا لأحد بتركيب الأجزاء والمواد التي كانوا يستعملونها لهذا الغرض. وبفضل التحليلات الكيمائية في الطرق الحديثة استطاع الباحثون الوقوف علي شيء من هذه المواد.

التحنيط في العهد النبتي المروي:

في عهد ملوك نبتة الأوئل وخاصة بعانخي (٧٥١ ـ ٧١٦ ق.م) تبني كثير من العادات المصرية في الدفن وخاصة التحنيط. وعند ما فتح رايزنر G.A.Rieisner في ١٩١٦ ـ ١٩٢٣ هذه المقابر الملكية (الكرو ـ نوري ـ البركل ـ البجراوية) وجدها كلها قد نهبت بواسطة اللصوص الباحثين عن كنوز هؤلاء الملوك وقد حركت الموميات وبعثرت عظامها وذلك في سبيل البحث عن الأسورة والعقود وقد اختفت بعض الموميات من بعض المدافن، ولكن نجد أن النصوص والمناظر المسجلة علي جدران هذه المدافن توضح لنا طرق المدافن الملكية.

ظهر التحنيط فقط في زمن بعانخي كما أشرنا من قبل في هرم في (الكرو Kurru 17) حيث وجدت أربعة أغطية من الحجر الجيري للأواني الكانوبية (١٩ ـ ٣ـ ٢٦١) وأيضاً وجدت إثنين من الأواني (٧٢٠ ـ ٣ـ ١٩) (٦٦ ـ RCK ١,٦٥) وكانت هذه الجرار موضوعة بالتتابع علي الأركان الأربعة لغرفة الدفن. ومن المعروف أن بعانخي هو الذي أتم فتح مصر بعد كشتا Kashta وهو أول من بني هرم في الكرو بعد أحضر المهندسين والبنائين من مصر كما احضر الكهنة الذين قاموا بتحنيطه.

وقد إشتمل التحنيط أيضاً الملكات فقد حنطت الملكة تابيري Tabiry إبنه كشتا وزوجة بعانخي في مقبرتها بالكرو(Ku 53) (RCK,86 88) وقد وجدت أجزاء من العين المحنطة مع تمائم ومجموعة كبيرة من الخرز وقد فسر وجود هذا الخرز بكميات كبيرة بأن الجسم بعد تحنيطه فأنه يغطي بشبكة من الخرز.

وفي مقبرة شبكا Shabaka (الكرو ١٥) (BC 701 -716) فاننا نجد أغطية الآواني الكانوبية وأيضاً تمائم العين الحارسة وذلك لحماية المومياء وفي مقبرة تانوت أماني Tanwet Amani (Ku 16) وفي قبر أمه الملكة كلهاتا Qalhata (Ku 5) واللذان يعتبران أحسن مقابر في الكرو فاننا نجد مناظر جنائزية علي الحائط ونصوص دينية ترتبط مع طقوس وممارسات التحنيط.

إن جعراني القلب الكبيران (MFA 21,301,MFA21.302) والتي وجدت في الكرو ١٦ والتي كتب فيها الفصل الثلثين من كتب الموتي والتي يجب أن تضع في المومياء في مكان القلب أثناء عمليات التحنيط.

وفي مقبرة نوري Nuri حيث جميع المدافن مطابقة لعادات الدفن المصرية وهناك بعض المظاهر بدأت تظهر ففي Nu 1 وهي أول مقبرة ملكية بنيت بواسطة تهارقا Taharga (٦٩٠ ـ ٦٦٤ ق.م) هناك ثلاثة جرار كانوبية عليها اسم تهارقا وجدت بها أيضاً نقش بصيغة Formulae والتي تشير إلي وضع أولاد حورس الأربعة تحت حماية الإلهات وكان يضع موميات ملوك نبتة داخل توابيت من الخشب المزخرف.

وتعتبر مقبرة أنلاماني (٦٢٣ ـ ٥٩٣ ق.م) واسبلتا أول مقابر تضم تابوت حجري (Sarcophagus) (Khartoum.SNM NO. 1868) وهو مغطي بكتابات هيروغلوفية مأخوذة من نصوص الأهرامات مع مناظر جنائزية. لكن بعد أنلأماني وأسبلتا Nu 8 (٥٩٣ ـ ٥٦٨ ق.م) (RCK 2. 78 -102 PLS 24 34) كان ملوك نبتة يدفنون في تابوت خشبي.

معتقدات الموت عند النبتيين والمرويين

إن سكان وادي النيل في مصر والسودان هم أول من اهتدوا إلي اله، واول من اشترعوا شريعة تقربهم إليه، وأن معتقداتهم الدينية كانت الطلقة الأولي في

اتجاه العقيدة الصحيحة التي تاثر بها من جاؤا بعدهم من عظماء البشرية ولقد استطاع عقل اولائك السودانيين الأوائل في نبتة ومروي أن يلهمهم بان لهم حياه أخري بعد هذه الحياة الدنيا محاسبون حساباً دقيقاً عن أفعالهم في حياتهم الأولي ، حينما تتجرد أرواحهم من هياكلها المادية لتخلد في برزخ الأبدية حيث تجزي أرواحهم بالخير خيراً وبالشر شراً.

ولقد كان الناس في نبتة قديماً يحرصون علي نيل رضي الآلهة وإدخال السرور عليهم بإتباع السلوك القديم وتمسكهم بالأخلاق القومية لأنهم كانوا يعتقدون بان التمتع بالسعادة والهناء بعد الموت يتوقف علي أعمالهم في الحياة الدنيا. ولقد أدت تلك العقيدة بدورها في الاعتقاد بأنه لابد من تقرير أعمال الإنسان قبل أن يتقرر استحقاقه لصحبة الآلهة ومن هنا نبعت فكرة محاسبة المرء علي أعماله في الحياة الدنيا أمام الإله اوزريس في العالم الأخر، فإذا ما مثل الميت أمامه، خاصة ومن يحفون حوله من الآلهة صغاريبتدرهم بقوله.

سلام عليكم يارباب العدل الجالسين حول ازوريس والقادرين علي غفران الخطايا والذنوب. أعيروني آذاناً صاغية : (لقد سعيت إليكم فأمحو جميع خطاياي)(كتاب الموتى ١٧، ٨٤).

ولم يكن دعاؤه هذا للتدليل علي حسن سلوكه وعدم ارتكابه للمعاصي فحسب ، لكنه فوق ذلك رجاء لتطهيره وتبرئته............ وهو اعترف بان المرء لا ينبغي له أن يعتمد علي أعماله الطيبة فقط، بل هو في عون الآلهة وغفرانهم .... ولقد كان المروي يشعر شعوراً قوياً بقيمة متانة الخلق وضبط النفس في معاملته للناس وكان من تعلم الآباء للأبناء والمعلمين للتلاميذ والحكماء لعامة الناس أن ليس هناك مجال للانحراف أو التمرد إذا ما حزم أمره علي انتهاج خطة معينة. وكان يرون العقل الثابت الرصين غير المتمرد منحه سماوية وكان مما يفخرون به قولهم ،(لم استسلم إلي الهم والغني والقلق وليس من ذوي الحدة أو التردد) . كانت الحكمة والاتزان والهدوء من السجايا التي كانوا يرون انه من الواجب أن يتصف بها الناس جميعاً.

كتاب الموتى:

كتاب الموتى هو مجموعة لفائف من أوراق البردي تحوي نصوصاً وتعاويذ وأدعية وصلوات، كان الغرض منها طرد الرواح الشريرة من مقبرة المتوفى ، وتسهيل الطريق له إلي العالم الآخر. وقد سمي كذلك للعثور علي نصوصه في مقابر الموتى والفصل الخامس والعشرين بعد المائة من هذا الكتاب يوضح طريقة محاكمة المتوفى علي ما قدمت يداه بعد الحياة الدنيا من خير أو شر . أمام محكمة العدل الإلاهية ، التي يرأسها الإله أوزاريس أمام الموتى وتتكون هذه المحكمة من ٤٣ قاضياً ، وللمتوفى أن ينكر اقترافه أية خطيئة أمامها فتكلف أحد أعضائها أن يزن قلبه بميزان للتأكد من صدقه، فإذا كان صادقاً دخل جنة اوزاريس يستمتع بما فيها مما تشتهيه النفس إلي الأبد ، أما إذا ثبت كذبه فأنه يلقي به إلي حيوان مفترس ، يؤتي به لهذا الغرض ، فيلتهمه أو يلقي به في النار.

وكان يوزن قلب المتوفى بعد وضعه في كفة الميزان . ويوضع في الكفة الأخرى ريشة فإذا خفت قلبه كان صادقاً، أما إذا ثقلت فيكون من الكاذبين.

الفصل ١٢٥ من كتاب الموتى:

قاعة المحكمة قاعة الحقيقتين يجلس أوزريس قاضي الموتى علي عرش وتقف خلفه شقيقتاه إزيس و نفتيس يقوم أنوبيس بإدخال الميت مرتدياً ثوباً من الكتان فيحي القاضي وكافة الحاضرين قائلاً:

"تحية لك أيها المعبود الكبير سيد الحقيقتين لقد أتيت إليك مائلاً أمامك وعندما أحضروني إليك رأيت كمالك، إني أعرفك وأعرف إسمك وأعرف إسم الإثنين والأربعين معبوداً الذين بجوارك في هذه القاعة قاعة الحقيقتين إنهم إولئك الذين يعيشون حراساً يراقبون الأشرار ويرتون من دمهم في هذا اليوم أعد لوزن الطباع والأخلاق أمام الكاهن الطيب لم أرتكب إثماً ضد البشر لم أسيء معاملة أحد من رجالي لم أكلفهم القيام بعمل ما فوق طاقتهم لم أفتر علي الآلهة ولم أعذب الفقير، لم اجوع احد ولم اطفف في الكيل لم اقلل في القياس

القصبة لم أغش في مساحة الحقول ولم أقلل في الوزن ، لم أحذف شيئاً من ثقل الميزان، لم أغش في الوزن لم أنزع اللبن من فم الأطفال الصغار لم أعوق سير المياه في موسم الفيضان لم أعطل سير الإله عند خروجه.

الكتابة المقدسة علي ظهر جعران القلب:

ياقلبي وياقلب أمي ويا أيها القلب الذي لازمني في جميع أطوار حياتي لا تقف لتشهد ضدي أمام القضاة ولا تجعل كفة الميزان تثقل في غير مصلحتي أمام حارس الميزان إذا إنك الروح (الكا) التي في جسدي والإله خنوم الذي يحرص علي أن تكون أعضاء جسمي سليمة لا تجعل أسمي تفوح منه رائحة كريهة ولا تسيء إلي سمعتي ولا تفتر علي الكذب أمام الإله.

تشيع ملوك نبتة مروي:

أثناء إجراء عمليات التحنيط يقمن النساء بعمل المناحة ووضع القرع علي الماء في طشت من الفخار والضرب عليه والبكاء وذلك في شكل حلقة دائرية وهن يقلن حي ووب

وبعد تحنيط المتوفى وربطه بغالي القماش من الكتاب أو بعادي القماش مثل الدمور وبعد ذلك يوضع الميت في تابوته الخشبي ثم يوضع التابوت علي عنقريب ووضع كتاب الموتى معه. ويحمل التابوت علي العنقريب علي المناكب يحوطه الكهنة ورجال الدين أو يوضع علي محفة يجرها الثيران يتقدمه حمله البخور والزهور والأواني المختلفة التي يوضع بها العطور والزيوت والمياه المقدسة وعدد من النسوة النائحات يمجدن المتوفى ويرددن مناقبه، وهناك فرقة جنائزية تعزف علي الآلات الموسيقية المروية موسيقي جنائزية تتناغم مع أصوات النساء والنائحات وخلف العنقريب الذي يحمل التابوت يسير المشيعون ونساء أسرة المتوفى وبناته وقريباته ووجوههن ملطخة بالسكن السخام وشعورهن محلولة ويضعن الرماد علي الرأس يضربن علي خدودهن ويشققن جيوبهن (المناحة) وهن يلقن (حي ووب). وخلف الجميع يسير الخدم وحملة الأساس اللازم لتأثيث المسطبة لخدمة (المتوفى) في دنياه المقبلة فقد كان المرويين يؤمنون بالبعث.

وعندما يصل الموكب إلي مدينة الموتى الإهرامات الملوكية (كل ذلك بين ترتيل الكهنة) ثم يتوقف الموكب عند وصوله إلي المسطبة ويوضع التابوت مع العنقريب إلي جانبها ثم يمر الجسد بسلسلة من المراسم لتمكنه من استرداد جميع قدراته البدنية إذ يأتي كاهن خاص يلقنه بعض صيغ وكلمات دينية ثم يوضع في مقره الأخير.

الغرفة الجنائزية يطلق بعدها البخور وتذبح ذبيحة ويرش الماء إذا كان الاعتماد الديني السائد هو أن المتوفى يبدأ حياة جديدة وذلك لإيمان المرويين بالبعث حيث تقول النصوص أن يدخل الأفق ويصعد السماء.

وفي بعض الأحيان كانوا يكسرون وراء المتوفى زير من الفخار أو جرة خوفاً من أن تعود روحه فتفزعهم (وكما تقول النساء حالياً عند ذكر المتوفى فلان يعصرنه طوباته) ومن هنا أيضا انحدرت إلينا عادة كسر الزير اثر وفاة احد افراد الأسرة ولازالت هذه العادة تمارس عند الجعليين أما عند قبائل الجنوب فإنهم يقذفون الحراب باتجاه السماء وذلك حتى لا يعود ملاك الموت ويأخذ أحد آخر.

دراسة العملة

أهمية العملة :

تعد المسكوكات جانبا متقدما من جوانب الحضارة الإنسانية فلم يعرف الإنسان القديم المسكوكات في حياته اليومية فكان يعتمد علي معطيات البيئة في إطار حدود البيئية ويقوم بالصيد وجمع الثمار من الأشجار بغير ثمن ، فاتخذ من الكهوف ملجأ له ثم بعد الزحف الجليدي ألتجا إلي ضفاف الأنهار وبذلك تكونت المجتمعات الاولي ونشأت الحاجة إلي الأشياء الأخري التي لا يمتلكها البعض فأعتمد البعض علي الآخرين ، إلا أن هذه العملية قد جانبتها بعض الصعوبات فكيف يمكن تقسيم أو تجزئة هذه السلع مثل الحيوان فاتجهوا إلي إيجاد سلعة وسيطة يتفق عليها الطرفان وهذه السلعة تختلف من منطقة لأخري ومن أفضل هذه السلع الوسيطة هي معدني الذهب والفضة وذلك لأنها تتميز بعدة خصائص :

أولا : عدم سهولة تلفها .

ثانيا : قابلية حفظها ونقلها .

ثالثا : سهولة تجزئتها .

رابعا : إمكانية جمع القطع الصغيرة والمسكوكة وإعادة صهرها مرة أخري .

وتختلف المصادر الوثائقية بحسب أزمانها وأنواعها وبحسب الموضوع المراد معالجته أثاريا أو تاريخيا فنجدها قد صنفت إلي صنفين رئيسين هامين هما :

١. المصادر التاريخية الوثائقية : وهي تشمل المدونات التاريخية بمختلف أشكالها وصورها .

٢. مصادر غير خطية : وهي تشمل مصادر غير مادية متمثلة في الأدوات والفنون والرسم والمباني والقطع الأثرية التي تعود إلي فترة ما قبل التاريخ .

وبناء علي ما سبق يمكن إدراج المسكوكات كمصدر وثائقي من الصف الاول والثاني لأنها عادة لا تشمل في كل الحالات علي كتابة فقد تحمل صور ورسومات ، وشعارات دون الكتابة فعند ذلك ندرجها في الصنف الثاني .

تعد المسكوكات من المواد التاريخية الهامة ونظرا لأهميتها فقد أصبحت علم مستقلا بذاته يسمي بالنوميات Numismatic أو المسكوكات وهي عبارة عن قطع صغيرة من معدني الذهب أو الفضة أو الكتروم أو البرونز أو النحاس ذات رسومات ونقوش علي وجهيها وجه العملة Obverse وظهر أو قفا العملة Reverse وذات وزن معلوم ومعيار مقبول نجد أن الدولة بمؤسساتها الحكومية هي التي فقط يحق لها إصدار العملة وذلك بسكها مما يحفظ للعملة سلامتها من الغش والتلاعب ، ولم تعهد إلي الأفراد أو المؤسسات الخاصة .

تلعب النقود دورا هاما في كونها تعتبر من المصادر التاريخية الهامة للدولة حيث من خلالها يمكن فهم الحضارات السابقة ، وأيضا الاطلاع علي الأدوار المختلفة للحكم ، من ناحية تاريخية واقتصادية كما أنها تشتمل علي الفنون والنحت ومظاهر تطورها وشتي جوانب الحضارة الأخري .

تاريخ نشأة العملة :

بدأ تاريخ نشأة العملة منذ قيام سكان السواحل لآسيا الصغري وخاصة اليونانين اللدين Lydianذكر[1] باختراع العملة فهم أول من قام بسك العملة، هيرودوتس أنه عثر علي الكثير من هذا العملة في بلادهم . فالليدين كانوا تجارا ولتسهيل المعاملات التجارية وحركة السفن باعتبار أن بلادهم حلقة وصلة ومعبر ما بين الشرق والغرب فكانت الحاجة لنشأتها منذ بادي الأمر فقام الملك أرديس ٦٥٢ – ٦٢٥ ق . م بأول سك للعملة ، وكانت عبارة عن صفائح صغيرة غير منتظمة الشكل ، تحوي رسومات ومن اميزها رسم يحمل صورة أسد وهو فاغر فاه (لدينار يوناني من العصر المبكر يرتقي إلي ما بين ٥٥٠ – ٦٠٠ ق.م) وأول من نقش أسمه من الملوك الليدين علي النقود هو الملك اليانس (٦١٥ – ٥٦٠ق.م) وأول من فصل بين معدني الذهب والفضة في المسكوكات هو الملك كروزوس .

---

١ صلاح عمر الصادق ،الريال المجيد عملة تركية تداولت في السودان ، ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م مجلة وازا العدد ١١ ،١٩٩٦، ص ٨٢.

بعد اليونانيين الليدين قام اليونانيين الأيونين منهم بسك العملة وكانت تسير علي نفس الرسم والنقش والتي كانت في عملة اللدين ، إلا أنها أختلفت عليها في الكتابة ، تميزت العملة اليونانية بأنها أصبحت منتظمة الشكل ذات استدارة كاملة وذات وزن معلوم احتوت علي نقش ورسومات خاصة لأسد وايل وذلك في عام ٦٠٠ – ٥٥٠ ق.م . كما أن اليونانيين يعدوا أول من سك العملة وذلك بمضاعفة أعدادها المتداولة بكميات كبيرة ، وذلك للمعاملات اليومية ومعدني الفضة Silver والذهب Gold وقامت بسك فئة درهمين Didrachm وأربعة دراهم Tedradrachm وذلك في القرن الثالث قبل الميلادي .

أما الرومان فإنهم ساروا علي نفس الأسس التي سار عليها اليونانيين إلا أنهم لم يبلغوا درجة التقدم الذي قام به اليونانيين ، أما البيزنطيين فقد أتبعوا نفس الأسس هذه ولكن أدخلوا إشارات المسيحية بجانب صورة الأمبراطور والرسومات الأخري أن القرن الثالث قبل الميلاد هو بداية التعامل الفعلي للعملة فقد أنتشرت دور سك العملة في جميع أنحاء الدولة فأصبحت كل دولة تقوم بسك عملتها الخاصة بها وثبتت شاراتها وشعاراتها باسم الحاكم وغير ذلك مما تفرضه الظروف.

المصادر الإسلامية لدراسة العملة :

علي الرغم من المسكوكات تعتبر مصدر تاريخي وثائقي هام إلا أنها تقدم لنا دائما معلومات صحيحة ودقيقة فلذا يجب عرضها علي المصادر الأخري ومقارنتها بها حتي يمكن نستدل علي صلتها وهذه المصادر تشمل الكتب والرسائل منها :

١. كتاب النقود للبلازدي (البلازري الكرملي كتاب[١] شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي (٨٤٥هـ- ١٤٤١م) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني سمي بهذا الاسم ، لأن جده لأبيه يكني بالمقريزي نسبة لحارة المقارزة في بعلبك)[٢].

---

١ البلازي الكرملي. تاريخ النقود العربية. القاهرة.١٩٩م.

٢ محمد مصطفي زيادة واخرون. دراسات عن المقريزي في مجموعة ابحاث الهيئة العامة للتأليف والنشر١٩٧١ ص .ص ٢٥،٢٩،٣٠.

٢. بعض الفصول من كتب تتحدث كفصل خاص عن العملة مثل مقدمة بن خلدون (٨٠٨ هـ - ١٤٠٦م) قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر "صبح الاعشي في صناعة الإنشاء" ١٤ جزء القلقشندي (٨٢١هـ - ١٤٧١م) الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال بن علي ابن اليمن ولد القلشقندي سنة ٧٥٦هـ ببلدة قلقشندة من أعمال مديرية القليوبية[١].

٣. شملت كتب التاريخ ذكر النقود وأصحابها وبعض المعلومات عنها .

٤. كما شملت كتب الفقه والحسبة والخراج والمكاييل والموازيين ، علي ذكر النقود وأوزانها ومعياره .

٥. مصادر التي تعتبر متصلة بهذه المصادر كتبت بواسطة أرباب الحكم أو من تولي الحكم عنهم كما تشمل الكتب التي أقتبست من هذه المكتبات بالإضافة إلي المناشير والمصطلحات والعقود التي تعتبر أكثر أهمية من المصادر التي كتبها رجال العلم والدين والتي تعبر عن آرائهم واجتهادهم بينما هذه تعتبر المراسيم والأوامر المخولة من السلطة التي نفذت وصفة نفاذها تمنحها الصحة والدقة دون غيرها .

بداية العملة الإسلامية :

استخدام المسلمين في المدينة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين والأمويين عملات ساسانية وحميرية وبيزنطية كما هي عليه في تجارتهم ويعزو إلي أن في ذلك الوقت لم تكن المدينة أو مكة دولة بالمعني الشمولي حتي يكون لها دور سك للعملة فقد ظلت تستخدم هذه العملة علي ما هي عليه كما أمر الرسول وعارض استخدام العملة التي رسم عليها صور التي تعبد من دون الله أما غير ذلك فهو ليس حرام .

---

١ القلقشندي. الامام شهاب الدين احمد بن علي :صبح الاعشي في صناعة الإنشاء.١٤ جزء. القاهرة ١٩١٣.

وأستمر الحال علي ما هي عليه إلي أن جاء عبد الملك بن مروان وأهتم بتعريب العملة وفيما بعد بدأت الدولة الإسلامية بسك العملة[1] .

العملة في السودان :

دخلت العملة في السودان بدخول الأسكندر الاكبر مصر عام ٣٢١م واستمر التعامل بها أما الدولة السنارية (١٥٠٤ – ١٨٢١) فكانت تستعمل العملات الاجنبية مثل الريال المجيدي والأسباني وريال ماري تريزة كما كانت هناك عمله محلية ليست واسعة الاستعمال إنما استعملت بين التجار أما سك العملة السودانية فقد استعمل في دولة المهدية وخاصة زمن الخليفة عبد الله التعايشي كانت عملته المتداولة تسمي مقبولة[2] إضافة إلي السلطان علي دينار (١٩٩٨ – ١٩١٦م) اصدر عملته بالفاشر وكانت تعرف باسم قرش رضينا.[3]

دلائل العملة :

لنقف قليلا عن ماهية وطبيعة هذه العملة المستخدمة من حيث نجد أنها تشتمل علي دلائل عديدة في حياة المجتمع الإنساني وهي :

الدلائل الأثرية والتاريخية :

العملة تعتبر جزء هام في حقل الآثار وخاصة التنقيب حيث يستعين بها الباحث الآثاري في تحديد أدوار طبقات الاستيطان حيث عادة توجد العملة هناك ، كما أن هذه المستوطنات تبني مع إصدار العملة وتمتاز العملة بأنها ذات دلالة تقريبية لأنها تظل تستعمل بعد التاريخ حيث نجدها تلعب دورا هاما في تعيين المنهج التاريخي الذي يعرف بالتاريخ من حيث حدين الحد الأدني والحد الأعلي .

الدلائل السياسية :

الناحية السياسية فأنها تبين لنا أسماء الملوك والأمراء والسلاطين والحكام ومدي توسع ملكهم في ذلك الوقت تحديدا دقيقا وتسلسل هؤلاء الحكام .

---

١ محمود اسماعيل ابراهيم واخرين: تاريخ العالم الاسلامي للرياض. وزارة المعارف. الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ص ١٦٩.
٢ سليمان كشة. مسكوكات الأمام المهدي والخليفة. مطبوعات مجلة مرآة السودان. سبتمبر ١٩٤٦.
٣ A. J. Arkell. "The coinage of Ali Dinar" 1898-1916.SNR.XXXIII.1940.151.

الدلائل النفسية :

درج بعض الخلفاء والحكام باستخدام العملة كنوع من التأثير النفسي علي أصحابها والاستعانة بهم فكما حدث في عهد الدولة الفاطمية فإن الفـاطميين قبل الدخول إلي مصر قاموا بضرب العملة ووضع اسم الخليفة الفاطمي ومصر محل ضرب العملة وقام جواسيسهم بنشر هذه العملات بين أيادي البسطاء من المصرين مما أفزعهم وعند دخول القائـد جـوهر الـصقلي إلـي مـصر لم يقابـل صعوبة في فتح مصر حيث استسلم الـشعب ونجـد أيـضا أن خـصوم وأعـداء الخليفة الطائع لله قاموا بسك عملات رسم عليها مظاهر شرب الخمر وضرب علي العود مما يعيره ويتنافي مع أخلاق الإسلام .

الطريقة الفنية لسك العملة Monetary Technique :

المعلومات عن الطرق التي كانت تسك Minted بها العملات القديمة هي أساسا لإظاهر القيمة التاريخية للنقود حيث أن هنالك بعد الدلائل أعطتنا المنهج أو الطريقة البسيطة التي استعملت أولا لكبس Punching ألواح من الإلكتروم Electrum (مزيج من الذهب الفـضة) وأنـه لمـن الـضروري لإعطـاء نظـرة موسعة شاملة لمصانع سك العملة والأدوات التي استخدمت بواسطة العاملين في دار السك وهي تحتوي علي فـرن صـغير مـبني مـن الطـين يغـذي بـالفحم Charcool والأدوات التي تحتاج اليها هي بسيطة للغاية[1] .

ميزان Balance لوزن المعدن (غفل غير مشغول) التي سوف تصبح عمله وأزميل ومكبس وسندان صغير كلاهما يستعمل للقالب المنقوش Engraving Dies ونحتاج للملاقط لوضع ألواح المعدن فوق المسبك التي يوضع فيها قالب السندان Anvil die وفوق المعدن الذي يرقد علي قالب الـسندان Iower die يوضع مكبس ضخم Large Punch في نهاية الذي فيه نحت القالب الأعلي أو قالب المكبس Upper die وفي نهاية الجزء الأعلي لهذا المكبس يضرب بواسطة أزميل Hammer .

1Grieson.Philip. Numismatic. London.Oxford University Press.1975.PP 1-17.

وهكذا يضغط المعدن الساخن (ألـواح القفـل) بـين الـسندان والمكـبس Anvil Punch فيحمل رسم علي كل الجانبين وتصبح عملـة وقالـب المكـبس وقالب السندان (الختمين) وعندما لا يكونا عنـد الاسـتعمال يحفظـا في رف خشبي أو وعاء .

وقالب الـسندان Anvil die يظهـر لنـا وجـه العملـة Obverse وقالـب المكبس punch die يظهر لنا ظهر العملة القفا Revese وأنه من الأهميـة في دراسة سك العملة قديما أن ندرك أنه نحتاج لأكثر قالب مكبس احتياجنا لقالب السندان والأخير ليس من السهولة كسره وذلك نسبة للحماية التي تحيط به من السندان الضخم الذي بيت (وضع) فيه ولكن قالب المكبس ينحت في نهايـة المكبس وذلك لتلقي ضربات الأزميل أو المطرقة التي تؤدي إلي تشققه وكسره ومدتهم قليلة ودائما ما يحتاجون لتجديد .

خطوات دراسة العملة :

١/ الفحوصات المعملية للتاكد من :

١ – ١ نوع المعدن .

١ – ٢ نسبة المعدن الرئيسي .

١ – ٣ نسبة المعادن المتداخلة – وزنها نوعها

١ – ٤ نوع العملة (يونانية ، رومانية ، بيزنطية أو إسلامية .. الـخ).

١ – ٥ حجم العملة .

٢ دراسة النقوش الموجودة بها :

٢ – ١من حيث نوع الكتابة .

٢ – ٢تاريخ استعمالها .

٢ – ٣مناطق استعمال الكتابة .

٢ – ٤معني الكتابة .

٣ دراسات للزخرفة المحلي بها :

٣ – ١دوافع الزخرفة .

٣-٢نوع الزخرفة .
٣-٣تصميم الزخرفة .
٣-٤ماهية الزخرفة .
٣-٥الأسلوب المستخدم في الزخرفة .

٤. دراسات الأشكال :

٤-١نوع الأشكال – إنسان أو حيوان – نبات .. الخ.
٤-٢بداية استعمال هذه الأشكال .

٥ دراسات اختصاصية :

٥-١مكان حيازتها وحالتها :
٥-٢تاريخية .
٥-٣ سياسية .
٥-٤اقتصادية .
٥- ٥ أسطورية .
٥-٦دينية .
٥-٧اجتماعية .

المراجع

المراجع العربية :

١. البلاذري – الكرملي ، *تاريخ النقود العربية* ، القاهرة ، ١٩٣٩.

٢. القلشقلندي – الإمام شهاب الدين أحمد بن علي ، *صبح الأعشى على صناعة الإنشاء* ، ١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٣.

٣. سليمان كشة ، *مسكوكات الأمام المهدي والخليفة*، مطبوعات مجلة مرآة السودان – سبتمبر ١٩٤٦.

٤. صلاح عمر الصادق ، *الريال المجيدي –عملة تركية تداولت في السودان ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥م، مجلة وازا العدد ١١* ، ١٩٦٩ ص ٨٢.

٥. محمد إسماعيل وآخرون ، *تاريخ العالم الإسلامي* ، وزارة المعارف الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠، ص ٦٩.

٦. محمد مصطفى زيادة وآخرون ، *دراسات عن المقريزي مجموعة أباحث* ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة – ١٩٧٠ ،ص ٢٩،٢٥، ٣٠ .

المراجع الأجنبية :

7.A. J. Arkell. "The coinage of Ali Dinar Sultan of Darfourr" 1898-1916.SNR.XXXIII.1940.151-160.

8. Philip Grieson. Numsimatic. London . Oxford university Press.1965.PP.1-17.77

آثار وصيانة الباخرة ملك

تنبع أهمية الباخرة الحربية ملك من مشاركتها في صنع أحداث هامة في تاريخ السودان في الفترة من عام ١٨٩٨م والأعوام التي تلته. تم صنعها بواسطة مجموعة تورن كروفت ـ ساوث هامبتون بتقانة حديثة بحيث كان بمكانها الإبحار في المياه الضحلة نوعا بالنيل وروافده، إذ يبلغ طولها حوالي مائة وخمسة عشر قدما وعرضها واحد وعشرون قدما وعمقها في حدود خمسة أقدام وغاطسها قدمان. وصلت أجزاؤها من انجلترا عن طريق البحر ومن ثم إلي القاهرة ، ثم بواسطة المجري النهري الملاحي جنوبا بالبواخر إلي منطقة وادي حلفا وبالسكة حديد من وادي حلفا إلي منطقة العبيدية التي تقع عند نهاية الشلال الخامس حيث جمعت أجزاؤها في عام ١٨٨٦م في حوض مؤقت.

تم تسليحها بعدد اثنين مدفع نوردين 'Norden feldt Guns' وواحد مدفع رشاش 'quick firing 12 powder' وواحد مدفع هاترز 'Howitze' واربعة مدافع ماكينة مكسيم 'Maxim Machine gun' ثبتت هذه الأسلحة فوق السطح العلوي المسلح.

كانت الباخرة ملك تقوم بإرسال الإمدادات والمعدات تحت إمرة W.S.Gordon حفيد الجنرال غردون المعروف ب (Monkey Gordon) أضف إلي ذلك أنها كانت حاملة العلم لأسطول الغزو النهري كما أنها اشتركت في حملة إعادة احتلال السودان بقيادة كتشنر الذي اعتمد في تقدمه إلي ام درمان علي أسطول البواخر الحربية المكون من عشر قطع من بينها الباخرة ملك وصاحبتيها سلطان وشيخ.

الباخرة ملك علاوة علي اشتراكها في معركة كرري الشهيرة وحسم تنائجها لصالح العدو فقد اسهمت في احداث شمبات وضرب قبة المهدي وضرب الأمير احمد فضيل في الرصيرص أبان فترة عملها في النيل الازرق بعد اعادة احتلال الخرطوم.

في عام ١٩٢٥م تم تجريد الباخرة ملك من أسلحتها ومن ثم رأي الحاكم

العام ضرورة أن تباع بالمزاد بعد سحب كل الأجزاء القيمة منها أو يتم تقطيعها للاستفادة منها هي وباخرتين هما سلطان وشيخ، ولكن صرف النظر عن فكرة البيع بحجة أنه لا يوجد من يشتريها بعد تجريدها من أجزائها القيمة، كما أنه أيضا عدل عن فكرة التقطيع نظرا للتكلفة العالية لعملية التفكيك إلي أجزاء واستعاض عنها بإدخال بعض التعديلات عليها لتلائم أغراض أخري.

في عام ١٩٢٦م تقدم نادي النيل الأزرق للزوارق بطلب لاستئجار الباخرة ملك كمقر له وبغرض حفظها للذكري. وبالفعل تم تأجيرها بموجب عقد إيجار بواقع اثني عشرة جنيها مصريا في العام ثم خفض بتاريخ ١/ ١/ ١٩٣١م إلي ستة جنيهات مصرية بعد التماس تقدم به النادي نسبة لظروفه المادية وأعيد مرة أخري إلي اثني عشر جنيها مصريا اعتبار من ١/ ١/ ١٩٤٧م وقد كانت اجارة الباخرة لنادي النيل الزرق للزوارق مشروطة بعدم أجراء أي تعديلات أو إصلاحات عليها إلا بعد موافقة مسبقة من إدارة السكة حديد وان تتم الصيانة والتعديلات بترسانة مصلحة البواخر النيلية.

كانت الباخرة ملك محتفظة بكل مكوناتها العضوية ولم تطالها يد التغيير والتحوير حتى قبيل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م حيث استخدمت بـام الطوارئ كمستودع للوقود احتياطي متحرك بالنيل البيض ولأغراض هذه الوظيفة تمت إزالة أجزاء من الجزء العلوي لتخفيض وزنها وبالتالي زيادة السعة التخزينية لها كما أزيل الزنك من علي السطح لتغطية عنابر الباخرة البوردين أضف إلي ذلك استعمال اللواح الفولاذية الواقية لعمل أبراج مضادة للطائرات علي البواخر العاملة في النيل البيض. في عام ٢٤/ ٦/ ١٩٤٤م تم الاستغناء عنها كمستودع للوقود حيث كانت وهي فارغة في منطقة كريكرة (جنوب كوستي) ومن ثم إحضارها إلي الخرطوم بعد ارتفاع المنسوب بغرض صيانتها.

في عام ٣/ ١/ ١٩٥٤٥ م زار الحاكم العام ترسانة البواخر النيلية ببحري بغرض تفتيش الباخرة ملك حيث وجه بإكمال الصيانة وإعادتها إلي حالتها الأصلية ووضع الأسلحة عليها وأن سعادته سوف يتصل بأحد قواد الباخرة الذين عاصروها لمعرفة التفاصيل المتعلقة بها وذلك بغرض تحويلها إلي باخرة

عرض ومن ثم صدر توجيه بإعادتها لنادي النيل الأزرق للزوارق في عام ١٩٤٦م. وجاء رد الجهة المنوط بها أمر أجراء الصيانة أن الباخرة قد فقدت معظم أجزاؤها الأصلية واستبدلت بغيرها ،لذا تري أنه يصعب أمر استعادتها لشكلها الأصلي لعدم وجود الرسومات الأصلية للاسترشاد بها في عمليات الاستعادة وقتها.

في عام ٢٤/٩/١٩٤٦م ومن خلال مكاتبة بين نادي النيل الأزرق للزوارق ومصلحة البواخر النيلية وردت إشارة إلي اكتمال أعمال الترميم بالباخرة متضمنة اقتراح بإزالة جزء من المدخنة لخلق حيز اتساعي علي ظهر الباخرة العلوي، وقد أورد النادي المعني تبريرا لذلك بان لديهم تأكيدات أن أزاله هذا القسم من المدخنة لا يؤثر علي القيمة التاريخية للباخرة ملك. هذا علاوة علي تجديد البواب والنوافذ وأحواض الغسيل ودورة المياه وإضافة مشرب Bar في الجزء الأعلى بما في ذلك إضافة عدد من الكراسي والطاولات الخ..

وتتوالي النداءات منادية بضرورة الحفاظ علي الباخرة ملك مؤكدة أهمية استعادتها كقطعة متحفية ليتطور الأمر في عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م ويشهد تكوين لجنة صغيرة من كل من :

- Mr.R.J.N.Wallis حاكم مديرية الخرطوم.
- Mr.R.L.Hill من كلية غردون التذكارية
- Mr. A.E. C.Gregg ممثل السكة حديد
- مستر شيني مدير الآثار والاثنوغرافيا

ورد في التقرير الذي رفعته هذه اللجنة أن الباخرة ملك قد تم ترميمها بالأسلوب الذي أعادها إلي هيئتها الأصلية إلي حد ما ، وعليه وحسب ما ورد في التقرير فأن التحويرات الخارجية المطلوبة تتلخص في الآتي:

(أ) إزالة قطع الأسلحة التي نصبت علي متنها نسبة لأنها لا علاقة لها بأسلحتها الأصلية التي كانت عليها سابقا.

(ب)وضع الأسلحة الأصلية التي كانت علي متنها من قبل.

(ج) إزالة سقف الزنك الذي يظل الأسلحة.
(د) إعادة طلاء جسم الباخرة بغرض استعادة لونها الأصلي ' أن لم يكن رمادياً وان كان غير معروف فلا مانع من المحاولة.

ويستطرد التقرير ويشير إلي أن التعديلات المقترحة عالية يمكن العدول عنها بناء علي الأوضاع المتعلقة بالباخرة حيث أنها بمثابة مقر لنادي النيل الأزرق للزوارق باستثناء مقترح تغيير الطلاء. ويضيف التقرير أيضا أن الحل الأمثل وصولا إلي قطعة متحفية من الباخرة ملك يمكن تحقيقه بعمل وصف تفصيلي للباخرة مصوبا بالرسومات التوضيحية التي تبين المظهر الأصلي للباخرة ملك ليؤطر ويوضع في مكان مناسب منها. وقد اتصل المستر Gregg بالجهة الصانعة والتي ارسلت الرسومات فعلا.

والجدير بالذكر أن الباخرة ملك ظلت في الفترة من ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٦م دون أن تتلق أي نوع من الترميم والصيانة الفعلية بحيث وصل الأمر إلي تخاطب مصلحة البواخر النيلية مدير السكة حديد مبدية رغبتها في التخلي عنها لصالح نادي النيل الأزرق للزوارق لعدم مقدرتها علي تحمل تكاليف صيانتها وحراستها ، أعقب هذه الرغبة في التخلي عن الباخرة ملك مقترح أخر بتاريخ ١٨/ ٦/ ١٩٥٨م بإتباع الباخرة ملك لأحد المتاحف كقطعة متحفية أو بيعها لنادي النيل الزرق للزوارق نظير مبلغ معين ـ وترك أمر اتخاذ القرار لمجلس الوزراء الذي أكمل إجراءات البيع للنادي المعني فيما بعد خلال العام ذاته ١٩٥٨م عرضت مصلحة البواخر النيلية علي نادي النيل الأزرق للزوارق شراء الباخرة ملك رسمياً بقيمة أسمية عبارة عن خمسين جنيها مع التامين علي عدم التصرف فيها بالبيع لأي جهة أخري إلا بعد الرجوع لإدارة السكة حديد واخذ موافقتها بما في ذلك عمل جميع الإصلاحات بترسانة مصلحة البواخر النيلية.

وقد ظلت الباخرة ملك بحوزة نادي النيل الزرق منذ عام ١٩٢٦م وحتى اليوم عدا فترة الحرب العالمية الثانية التي استخدمت فيها الباخرة كمستودع للوقود.

بعد امتلاك نادي النيل الزرق للباخرة ملك رسميا خضعت لعدد من الصيانات في الأعوام ١٩٥٩/ ١٩٦٤/ ١٩٧٧م. خلال فيضان ١٩٨٨م جرفتها

المياه حيث بقيت علي اليابسة في موقعها الحالي وقد بات أمر أعادتها إلي الماء محفوفا بالمخاطر نسبة لان المياه كانت تتسرب إلي داخلها من القاع قبل الفيضان المذكور، مما يجدر ذكره أن نادي النيل الأزرق للزوارق تقدم بطلب لهيئة النهر بغرض صيانة الباخرة ملك خلال عامي ١٩٨٧و ١٩٩٧م وفي كلا العامين تم عمل التقديرات ألازمة دون أن يتمكن النادي من أكمال المهمة.

بقيت الباخرة ملك في مكانها الحالي منذ عام ١٩٨٨م بحيث أن الجزء الأسفل منها مطمور بأكمله تحت الأرض مما يعرضه لمزيد من التآكل بفعل تأثير التربة الطينية الرطبة، إذا وضعنا في الاعتبار أنها ظلت علي حالها هذا لاثني عشر عام مع ملاحظة وجود طبقة سميكة من الطمي المترسب داخل غرفة الماكينة فضلا عن وجود كميات من المياه بداخلها الشيء الذي يؤدي إلي استمرارية عملية التآكل من الداخل. فيما يتعلق بالماكنة فقد كانت تعمل بالبخار (قيزانات) (Boilers) وريشتين داخل قبوتين اسطوانيتين.

تجثو الباخرة حاليا علي مسافة عشرين مترا تقريبا الشاطئ بحيث تتوازي مع اتجاه سريان مياه النيل الأزرق علي محور شرقي غربي تكون فيه مقدمتها إلي جهة الشرق.

في الرابع والعشرين من شهر يونيو ١٩٩٥م صدر القرار الجمهوري رقم (٢٤٩/ ٩٥) بنزع ملكية الباخرة ملك وأيلولة ملكيتها إلي وزارة النقل علي ان تقوم وزارة النقل بتعويض نادي النيل الأزرق للزوارق تعويضا عادلا.

بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٩٩٦م وزعت وزارة الشئون الخارجية مذكرة موجهة لكل من (جامعة الخرطوم ، القوات المسلحة ، وزارة النقل، دار الوثائق المركزية، الهيئة القومية للآثار والمتاحف ، مكتب شئون رئاسة مجلس الوزراء ، هيئة النقل النهري ونادي النيل الأزرق للزوارق. تناولت المذكرة موضوع جمعية ملك البريطانية ورغبتها في استعادة الباخرة ملك بهدف صيانتها ومن ثم عرضها للجمهور في بريطانيا.

أشارت المذكرة إلي مضمون مخاطبة تمت بين رئيس الجمعية ووزير النقل بالإشارة إلي لقاء تم بين سيادته وبعثة تقصي حقائق زارت السودان وناقشت

الهدف الأساسي للجمعية وهو استعادة الباخرة ملك. وبعد دراسة المذكر بواسطة الجهات التي وجهت إليها تواصلت هذه الجهات لوجهة نظر موحدة مفادها ضرورة وأهمية البقاء علي الباخرة ملك في السودان وعدم التفريط فيها واعتبارها قطعة أثرية تابعة للهيئة القومية للآثار والمتاحف.

س . ج. في الاثار

- كلمة الآثار تعني الأشياء القديمة وأول من أبتدع هذه الكلمة هم الأغريق القدماء Archailgia مستمدة من أصل Archaio وتعني القديم وباضافة المقطع logos وتعني كلمة أو علم فتصبح الكلمة علم الآثار Archaeology وهو العلم الذي يدرس البقايا المادية لماضي الإنسان ويمكن تعريفه أنه أحد العلوم التي تبحث عن المخلفات المادية لإنسان العصور السابقة بدأ من العصور ما قبل التاريخ حتى الحديثة وذلك من أجل معرفة الإنسانية لماضيها منظمة منه حاضرها، واضعة الخطوات السليمة لمستقبلها. وتشمل الآثار كل أدوات الإنسان الحجرية المبكرة التي ترجع إلي اثنين مليون سنة وأيضاً تشمل الأدوات التي صنعت ودفنت أو وجدت في الوقت الحالي وهي تضمن أي شيئ صنع بواسطة الإنسان سوي إدوات بسيطة أو أدوات معقدة أو المنازل المبكرة أو المعابد أو المقابر أو القصور أو الأهرامات.

وقد عرف قانون الآثار السوداني لسنة ١٩٩٩م في المادة الثالثة منه الاثار بانه يقصد أي شيء خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة مما يكشف عنه أو ينص عليه سواء كان ثابتاً أو منقولاً مما يرجع تاريخه إلي مائة عام ويجوز للهيئة أن تتملك لأسباب فنية وتاريخية أي عقار أو منقول آثار. وإذا كانت للدولة مصلحة في حفظه وحمايته بصرف النظر عن تاريخه وتعتبر من الآثار والوثائق والمخطوطات وأيضاً بقايا السلالات البشرية والحيوانية والنباتية.

- هناك رابط بين الآثار في مصر والسودان في فترتين تاريخيتين معينتين وهما المملكة الوسطي والحديثة فنجد في المملكة الوسطي عام ٢٠٠٠ ـ ١٧٥٠ ق .م حيث ارتبطت البلدين حضاريا وان كان لكل منهم خصوصيته ففي تلك الفترة اقامت المملكة الوسطي عدد من الحصون في السودان وذلك في عهد الأسرة الثانية عشر فشيدوا قلاع في اماكن استراتيجية ما بين اسوان وسمنه وكان للنوبيين في هذا العصر مركز تجاري في كرمه جنوبي الشلال

الثالث وهنا احتك السودانيين بالمصريين سلمياً وانتعشت التجارة ما بين البلدين. اما زمن الدولة الحديثة (١٥٨٠ ـ ١١٠٠ ق .م) فقد تمازجت الحضارتان تماماً ووصل النفوذ المصري حتى جنوب ابو حمد واقيمت كثير من المعابد في صولب وصاي وصادنقا والبركل. وبعد ذلك التاريخ ازدهرت الحضارة السودانية حاملة مميزاتها الخاصة وكان ذلك في فترة مروي (٩٠٠ ق .م ـ ٣٥٠ م) حيث انقطع السودان سياسياً عن مصر وان استمر الأتصال الحضاري وقد وقعت مصر تحت الاحتلال الإغريقي علي يد الأسكندر الأكبر في ٢٢٣ وان استمر السودان دولة ذات سيادة تحت مملكة نبته ومروي ٩٠ ق .م وحتى ٣٥٠ م ، حيث انهارت مملكة مروي وقامت ممالك سودانية مستقلة حتى دخول جيش محمد علي السودان ١٨٢١م.

- هذا سؤال جيد فهناك عدة قوانين محلية وعالمية تعمل علي حماية الآثار اضافة إلي اجراءات ووسائل إدراية لحماية هذه المواقع فهناك قانون الآثار الحالي لسنة ١٩٩٩م والذي صدر لأول مرة في ١٩٠٢ ثم عدل في ١٩٥٢م. وهو قانون يعمل علي حماية المواقع والآثار كما أن هناك قوانين عالمية تصدرها منظمة اليونسكو وتلتزم بها الدول مثل حماية وصيانة الممتلكات الثقافية وأيضا إتفاقية عدم الاتجار بالاثار أو تهريبها اضافة إلي ذلك هناك إدراة بالهيئة القومية للآثار والمتاحف وهي أمانة الآثار مهمتها حماية المواقع الأثرية عن طريق مفتشي وضباط الآثار كما أن هناك خفراء آثار وأيضاً شرطة سياحة ايضاً بها حماية المواقع الأثرية وعلي رأس هذه القوة عميد شرطة كما انها تقوم بحماية المتاحف بجانب ذلك هناك شرطة مكافحة التهريب وإدراة الأمن الأقتصادي وتحمي المواقع بسياجات محكمة واحياناً حوائط ممتدة ولأفتات.
- نعم يقوم التاريخ الإنساني القديم والحديث علي ما تركه الإنسان من تراث ثقافي في مجال العمارة والنحت والنقش والفنون والموسيقي والصناعات الدقيقة والأعمال اليومية وصناعة الفخار والعملة والمخطوطات .ومن كل

ما سبق واضافه إلي الأحداث اليومية يقوم المؤرخ بصياغة التاريخ معتمداً علي الأدلة المادية للآثار والتراث .

١/ كلمة كوش هو الأسم القديم للسودان الحالي والذي اطلقه المصريون منذ المملكة المصرية الوسطي (٢٠٠٠ ـ ١٧٥٠ ق .م) أطلقه العهد القديم علي السودان والسودانيين (ترهاقا الكوشي) وهكذا عرف السودان عند العبرانيين بكوش اضافة إلي الحوليات الأشورية في العراق اطلق اسم كوش علي السودان.

٢/ نبته هي عاصمة مملكة نبته مروي السودانية (٩٠٠ ق.م ـ ٣٥٠ م)وكانت تقع عند جبل البركل.

٣/ سوبا هي عاصمة علوة المسيحية (٥٤٠ ـ ١٥٠٤ م) وموقعها حالياً هو موقع سوبا شرق.

٤/ البجراوية هي القرية الحديثة التي تقع بالقرب منها آثار مدينة مروي عاصمة مملكة نبته مروي (٩٠٠ ق .م ـ ٣٥٠ م) .

ـ الرابط بين اللغة الهيروغليفية والتطور التكنلوجي هو المواصلة الحضارية في مجال تطور التقني فاللغة الهيروغلوفية كشفت لنا تكنلوجيا العالم القديم مثل صناعة وعمل الساقية. وصناعة الفخار وصناعة مواد البناء وطرق البناء . وسائل التنقيب عن المعادن مثل الذهب وتكنلوجيا استخلاصه كما ساعدت علي معرفة تكنلوجيا الأدوات سوي كان في مجال الطب أو الزراعة أو الصناعة . ومن هذه التكنلوجيا القديمة ارتكز التقدم التكنلوجي الحالي فليس هناك شيء يقوم علي فراغ.

ـ عرف السودان الآثار من قبل ولكن لم تكن بالكثافة والخطوة الحالية وبدات العصابات المنظمة تنظيماً دقيقاً بسرقة وتهريب الآثار بل التنقيب عنها وبدات تتكون سوق للإتجار في الآثار السودلنية غير المشروع في الأثار محلياً وخارجياً وبدأ تهريب الآثار عن طريق شلاتين عند منطقة البحر الأحمر والحدود السودانية المصرية في الشمال الشرقي ةبدأ التحديد الفعلي لتراث السودان القومي مما استدعي قيام شرطة حماية الآثار والتي بدأت تلعب

دوراً مؤثراً في الحد من نشاط سرقة الآثار وهي تقوم بحماية المتاحف القومية وايضاً المواقع الآثرية الكبيرة.

- الصلة بين الهيئة القومية لللآثار والمتاحف القومية ووزارة السياحة هي أن الهيئة القومية للآثار والمتاحف تتبع لوزارة السياحة والتراث القومي مع إدارة السياحة وقد انشئت الوزارة مرتكزة علي هذين الجسمين.
- يعزي تكاثر ظاهرة سرقة الآثار إلي زيادة وعي الناس بأهمية الآثار السودانية كما ازداد معرفة العالم الخارجي بهذه الآثار وأهميتها وقيمتها التراثية العالمية وكان ذلك نتيجة لمعارض الآثار التي اقيمت في الفترة الأخيرة في اميركا والدول الأوربية وأصبحت ظاهرة الأتجار بالآثار عالمياً لها اسواق علي مستوي عالي من التنظيم والسرعة كما انها داخلياً أصبحت تجارة تتداول بها علي مستوي عالي من التنظيم والسرعة كما أنها داخلياً اصبحت تجارة تتداول بها ملايين الدولارات واصبحت هناك عصابات منظمة للحفر والبيع والتهريب خارج السودان كل هذا ادي إلي هذه الهمجية علي الآثار السودانية وتهرب الآثار إلي أوربا وأمريكا لتوضع في متاحف خاصة داخل قصور خاصة الآثرياء.
- لقد لعب المستعمر دوراً في حفظ الآثار السودانية ولكن بغرض ارسال القطع النادرة والهامة إلي وطنه وإلي الدول الأوربية الأخري فقد حافظوا عليها سليمة وعلي مواقعها الأثرية وذلك بغرض ارسال القطع التي يريدونها إلي بلدانهم ليستمتع بها أبناء بلدانهم أما بقية القطع فقد عملوا متحف في مروي وفي الخرطوم وحرموا منه دخول السودانيين حتى سنة ١٩٣٢ م وكانوا يعتبرون أنهم أولي بمعرفة الثقافة أكثر من أحفاد مبدعيها من السودانيين.

أولا: جبل البركل يقع عند الشلال الربع في مدينة كريمة علي الضفة الشرقية للنيل وهو عبارة عن نتوء صخري كبير مسطح عند قمته وقد أقام النبتيون أسفله في بداية القرن التاسع قبل الميلاد عاصمة مملكتهم وايضاً المعابد المختلفة وان كان الجبل قد عرف منذ فترة اقدم فقد اقام به فراعنة المملكة

المصرية الحديثة بعض المعابد وقد كان معروف في مصر باسم الجبل المقدس وقد اقيم به معبد للاله آمون ويعتبر من معابد تتويج الملوك المرويين وقد استمر استعماله حتى نهاية دولة مروي ٣٥٠م وقد أقام به الملوك المرويين قصور ملكية عليه فالجبل يعتبر المركز الديني لمملكة المروية.

ثانياً: عرف السودان الأهرامات في زمن مملكة نبتة ومروي (٩٠٠ ق.م - ٣٥٠ م) وقد دفن الملوك الأوائل بعانخي وترهاقا وتانوت أماني وغيرهم كما دفنت الملكات في أهرامات فكانت الأهرامات في الكرو ونوري والبركل ثم انتقلت إلي مروي وتم الدفن في ثلاثة مقابر ملوكية (الشمالية والجنوبية والغربية) وعدد الأهرامات في السودان تفوق مصر أي حوالي ٣٠٠ هرم.

- نعم توجد آثار في كافة أنحاء السودان في الوسط وآثار مملكة مروي ومنطقة شندي وآثار ما قبل التاريخ في الخرطوم في مواقع العصر الحجري وايضاً توجد آثار سوبا عاصمة مملكة علوة المسيحية وآثار مملكة الفونج في سنار وقري وآثار جبل موية وسقدي بالقرب من سنار وكوستي وآثار المستوطنات العربية في خور اوميك والتي ترجع إلي القرن الرابع الهجري كما توجد الموانئ العربية الإسلامية وآثارها في باضع وعيذاب وسواكن وهي مدن اسلامية عربية كاملة كما توجد كثير من القباب التي ترجع إلي بداية دخول العرب السودان.

أما غرب السودان فهناك آثار الداجي والتنجور والفور في عين فرح وطرة واوري وشوبا والفاشر وهي كل مواقع ترجع إلي بداية دخول الإسلام إلي منطقة دارفور.

أما في الجنوب فقد اجرت بعثة بريطانية مسح آثري واكتشفت كثير من المواقع الأثرية والفخار وافران لصهر الحديد في مريدي و واو. اهتمت الدولة بهذه المناطق فكانت ترسل البعثات إلي هناك عند استقرار الأمن فقد سبق أن عملت عدة بعثات في شرق السودان (نرويجية - ايطالية - فرنسية ويابانية) وقد نشرت هذه البعثات اعمالها . كما اجريت انا بنفس مسح لكل القباب في شرق

السودان وقمت بنشره في كتاب بعنوان (Domed Tombs of Eastern Sudan) يوجد الآن في مكتبات الخرطوم والجامعات والمراكز العلمية ونفس االأمر ينطبق علي الجنوب ففي فترة السلام في السبعينيات قامت بعثة بريطانية تابعة للمعهد البريطاني في شرق افريقيا ـ نيروبي بالمسح والتنقيب في ثلاثة مديريات جنوبية.

اما غرب السودان فهناك بعثة فرنسية تتبع لجامعة ليل الفرنسية تعمل الآن في زنكور في شمال دارفور ونأمل أن يعم السلام حتى تعمل مزيد من البعثات في هذه المناطق.

ـ اكتشفت هذه المومياء بواسطة لصوص وتجار الآثار والذيين قاموا بالحفر في المنطقة ثم عرضوا المومياء للبيع بمبلغ مليار جنيه علي أن يتم الاستلام في الموقع وكان الترويج للبيع يتم عن طريق صور اخذت للمومياء داخل القبر قام رجال الأمن بعمل كمين للبائعين وقبض عليهم في الموقع وهم يستلمون المليار جنيه والتي أصروا علي احضارها نقداً. والمومياء ترجع إلي فترة نبتة وهي محنطة بغرض حفظها وهي لزكر يبلغ الخمسين من العمر بقي سليماً شعره وجلده وأظافره وقد قدم المعمل البريطاني في لندن تقريراً بذلك ترجع أهميتها إلي توضيح معرفة السودانيين لفن التحنيط وبالتالي إلي معرفة الطب كما وجد قماش مما يؤكد إلي معرفة السودانيين الغزل والنسيج وأن الملابس كانت متوفرة في فترة نبتة مروي.

المدافن المسيحية القديمة كلبنارتي

في سنة ١٩٦٩ ، قامت جامعة كنتكي بإجراء حفريات إختبارية بمقبرتين مسيحيتين بالنوبة السفلي تمت الأولي بجزيرة كلبنارتي ، وكانت الثانية علي مقربة منها بالضفة الغربية لنهر النيل. وقد كان من نتائج ذلك الكشف العثور علي معظم الجثث وهي محنطة طبيعياً وإحتفظت العظام ببقايا اللحم والجلد والشعر عليها.

وتعد هذه الحالة من الفرص النادرة لدراسة الأحوال الصحية التغذية ، ومعدل الوفيات في أوساط المجموعات السكانية بالنوبة المسيحية بصورة أكثر إتساعاً اما إذا إقتصر الدليل الأثري علي مخلفات العظام بمفردها.

وللقيام بمثل هذه الدراسة تم إرسال بعثة ثانية إلي كلبنارتي في عام ١٩٧٩م وكان ذلك تحت رعاية جامعتي كنتكي وكلورادوا. وفي ذلك الوقت أسفرت عمليات التنقيب عن الكشف عن مائتي قبراً، تقريباً. وتم إرسال المخلفات الإنسانية إلي جامعة كلورادوا بينما إحتفظت جامعة كنتكي بالقي الأثرية ومعظمها أكفان من النسيج.

***المدفن:**

أسفرت أعمال التنقيب عن حقائق مميزة وأظهرت نتائج البحث أن كلا المقبرتين تعودان إلي فترة زمنية واحدة ، ويمكن أن يؤرخ لهما للفترة ما بين٦٠٠ـ٨٥٠م، وتشير جميع المدافن إلي وحدة زمنية واحدة فيما يتعلق بالطقوس والشعائر الجنائزية في كل المدافن مستطيلة الشكل وموجهة من الشرق إلي الغرب ، وتم تغطية أكثرها بحجارة مسطحة الشكل رصفت عند مستوي سطح الأرض.

أمثلة قليلة من تلك المدافن تم رصف سطحها بالآجر المحروق غير أن البحث لم يستطيع أن يبرهن علي وجود مسطبة الآجر والتي أشتهرت بها مدافن الفترة المسيحية في النوبة السفلي.

معظم ممرات المدافن إحتوت علي قاعدة مستوية بإستثناء ما يقرب من الـ

١٠٪ منها والتي إحتوت علي قواعد أكثر إتساعاً كما تم حفر حجرة جانبية صغيرة بالجانب الشمالي في أغلب الأحوال . تم العثور علي معظم الجثث مستلقية علي ظهرها إلا أن ما يقدر بحوالي ٢٧٪ من الجثث بمدافن الجزيرة و ٤٣٪ بمدافن الضفة الغربية تم العثور عليها مستلقية علي جانبها الأيسر مستقبلة إتجاه الشمال. تم تغطية وجه الميت بالآجر أو بكسار من الفخار كبيرة الحجم، والقليل من هذه الجثث تم تغطيتها بالكامل بالآجر أو الحجارة. وبإستثناء النسبة العالية للجثث الموضوعة علي جانبها الأيسر فإن كل ماذكر آنفاً من طقوس يتناغم وما هو متعارف عليه فيما يختص بالعادات والممارسات الجنائزية الخاصة بالمدافن النوبية المسيحية.

*** مخلفات المدافن:**

يبدو جلياً أن كل الجثث تم تكفينها ولف أشرطة وخيوط حولها ساعة الدفن. كما تم إستخدام مواد مختلفة لتغطية الجثث فأقلية منها قد تم تكفينها بأكفان بيضاء صنعت خصيصاً لهذا الغرض. وتم تكفين البقية بأكفان كانت مستخدمة من قبل.

بعض الموتي ومعظمهم من الأحداث تم دفنهم بكامل ثيابهم أو بأجزاء منها. أيضاً تم العثور علي رفاة إمراة شابة وهي ترتدي سترة من القطن جيدة الصنع ويبدو كما وأنها لم تستخدم إلا لذلك الغرض. بعض الأجساد تم تكفينها مستورة وعلي الرغم من الترقيع والرتق الذي نالها إلا إنها حفظت بالونها الزاهية. أما بقية الأكفان فقد تم عملها بخياطة قطعتين أو أكثر من القماش دائماً ما تكون مختلفة عن بعضها البعض، بالإضافة إلي إستخدام القماش تم العثور علي سبعة أجساد مكفنة بالجلد علي ثلاثة من الأحداث تم نغطيتهم بجلود الأغنام.

وبالرغم من التباين الذي أبرزته المواد التي أستخدمت في صنع الأكفان إلا أنها تنتمي للفترة المسيحية القديمة وهي تختلف بدرجة كبيرة عن منسوجات الفترات المتأخرة. وقد سجلت المنسوجات الصوفية حضوراً أعلي من القطن

والكتان حيث لم يعثر عليهما إلا في مناسبات قليلة كما وانه لا توجد أمثلة لإستخدام الحرير. ومن المؤكد أن الكتان والذي تم إستخدامه خصيصاً لأغراض الدفن كان مستورداً من مصر، أضف إلي ذلك المنسوجات الصوفية الملونة والمصبوغة. غير أن الجزء الأعظم من المنسوجات الصوفية والقطنية تم إنتاجه بمنطقة النوبة.

كان من الموجودات غير المألوفة إستخدام الشعر الآدمي في عمل الأكفان في كلا المقبرتين ففي مواضع عدة عثر عليه في شكل حبال وأشرطة هذا بالإضافة إلي ثلاثة بسط تم نسجها بالكامل من الشعر الآدمي. ويعد هذا الإكتشاف الأول من نوعه في كل المواقع النوبية الاخري التي تم التنقيب فيها .

وكما جرت العادة فإن المدافن المسيحية لم تشتمل علي الكثير من اللقي الاثرية بإستثناء المواد المنسوجة. إلا أن الشاهد في هذه المدافن يشير إلي العثور علي إحدي عشرة صليباً صغيراً من الحديد وجدت حول عنق الميت متدلية بخيط. أيضاً عثر علي ثلاثة قلادات من الخرز وأخري من الحديد هذا بالإضافة إلي قرط من البرونز، كل هذه اللقي أو معظمها تم العثور عليها بمدافن الأحداث. ومن أميز ما عثر عليه قبر كبير الحجم لإنسان راشد وهو مسجاة علي عنقريب ـ سرير خشبي ـ وقد تم تغطية الجثة بدثار وعليه ألوان زاهية . من محتويات القبر الاخري جرة ومصباح من الفخار وضعتا بجانب رأس الميت ، ومن الواضح أن هذا القبر يرجع تاريخه إلي الفترة المسيحية المتأخرة.

مزامير مروي
مقترح للترميم والدراسة[1]
(ترجمة)

يعتبر المزمار[2] المزدوج (الثنائي) هـو الآلـة الموسـيقية الأساسـية في العـالم القديم وهو آله واحدة بسيطة تتكون من مزمارين منفصلين يحملان معاً ويعزف عليهما بالنفخ في آن واحد.

وقد ظهرت هذه الآلة في الألف السادس (تأكيدا منذ الألف الثالث ق.م) وإستمرت حتى نهاية العصور القديمة. وهذه المزامير هـي الأسـاس للمـزامير الشعبية الموجودة الان في إقليم البحر الأبيض المتوسط.

أطلق الأغريق علي هذه الالة أسم أولوس (Aulos) ولهـا أنـواع مختلفـة. وكمثال لذلك فقد وضع الموسوعي جيوليان بولوكس Gulian Pollux قـوائم تحتـوي علـي عـشرين نوعـاً موضـحاً طريقـة اسـتعمالتها والـشعوب الـتي تستعملها.ومن المنشورات العلمية وزيارة المتاحف عملت قائمة للمزامير الباقية والتي لها أكثر من خمسمائة شكل.

إن المزامير الأولي كانت تصنع من قطع العظام تربط بمحجر أو لسان من الخشب ورغم وجود مئات القطع من المزامير القديمة هذه إلا أنه لم تبقي مزامير كاملة.

المزامير(Auloi)في العصور الهيلينستية أصبحت أكثر تعقداً وصممت من البرونز والخشب وصارت بهذه الطريقة عرضه للكسر بالنسبة للخـشب والـصدأ للبرونـز. وجدت مجموعة من المزامير في بومبي ولكنها عانت كثيراً نسبة لإكتشافها منذ وقـت قديم وقد أجريت لها العديد من دورات الترميم ولازالت حتى يومنا هذا.

إن خبيئة المزامير التي يعود تاريخها للعـام ٢٠ ق .م والـتي عثـرت عليهـا بعثـة

---

1 Maurice Byrne 'The Aulio of Meroe A proposal For Conservation and Research' Ninth International Conference Of Nubian Studies. Abstract of Papers. Museum of Fine Arts. Boston. 1988.

٢ المزمار يعرف في السودان محلياً باسم الصفاره.

متحف بوسطن للفنون الجميلة الأمريكية [1] في عام ١٩٢١م في الهرم رقم ٦ بمروي (هرم الملكة أماني شختي ـ الكنداكة) تعد أكبر كمية من المزامير يتم العثور عليها في مكان واحد. وفي رأي أنها معدات موسيقية مكتملة لعازف محترف ماهر شارك بلاشك في الحفل الموسيقي الجنائزي للملكة أماني شختو. ومروي كجزء من العالم الروماني [2] فإن لهذه الآلآت جودتها العالمية والفنية الدقيقة.

وجدت المزامير المروية في حالة متكسرة ولكنها مع ذلك كان طول المزامير ٧ أمتار (٢٣ قدم) إضافة إلي إعداد ضخمة من كسارة المزامير التي تنتمي علي الأقل أربعة أنواع من المزامير قد تم العثور عليها. هذه البقايا الآن في حالة هشة لا تسمح بحملها وهي تحتاج لعملية ترميم عاجلة ليس لحفظها فقط بل ويمكن تأريخها. وهنالك إختلافات وفوارق بين هذه البقايا (من ناحية القطر،السمك،المسافات بين الثقوب وتوزيعها، الشكل الخارجي، المادة... الخ) بحيث تمكن من ضم هذه البقايا إلي بعضها البعض.

ومقارنة الأجزاء المرممة من المزامير التي عثر عليها في (بومبي، اليونان ، تركيا، سلوفينا،لندن،...الخ) تمكن الآن من ترميم أي طقم من المزامير ويمكن استنساخ هذه المزامير ويكفي المعروف عن استعمال القصب [3] في عمل المزامير، هذه النسخ يمكن العزف عليها.

إن دراسة موازية قد عملت عن الشكل القديم لزوج من المزامير التي تعزف معاً في وقت واحد وقد أعطيت هذه الدراسة المقدرة علي مؤلفة ستة عشر مزماراً ووضعها في شكل أزواج متوالفة تعزف معاً [4] وذلك عن طريق اكتشاف الصوت الموسيقي لكل مزمار مما يضيف إلي معرفتنا بالموسيقي في الفترة الرومانية [5].

---

١ كانت البعثة بقيادة عالم الأثار الأمريكي اندرو رايزنر، وتوجد المزامير بمتحف بوسطن (المترجم).

٢ لم تكن مروي جزء من العالم الروماني إنما كانت علي اتصال حضاري متكافي مع عالم البحر المتوسط في تلك الفترة.

٣ يوجد القصب في السودان حتى الآن وخاصة في المناطق الوسطي والجنوبية ويمكن ملاحظته الآن في منطقة الشلال السادس (السبلوقة) وكان كثير التواجد في عهد مروي (المترجم).

٤ قام المؤلف بصناعة هذه المزامير وعزف عليها عند تقديمه للورقة بموسيقى هزت مشاعر الحاضرين والبالغ عددهم ألف شخص كان ذلك فى قاعة الاستماع (الايدريوم) الخاص بمتحف بوسطن (المترجم).

٥ من الاصوب ان يقول المؤلف في الفترة المروية فقد صنع المزمار من مادة محلية وعزف عليه عازف مروي بموسيقي جنائزية علي مشيعي الملكة لرعاياه المرويين (المترجم).

الملك إسبلتا والمملكة النبتية المروية

إسبلتا بن الملك سنكامنسكن بن الملك أتلانيرسا بن الملك تهارقا بن الملك بعانخي بن الملك كشتا بن الرئيس (ألآرا ٧٨٥ ق.م) . ولد بنبته (كريمة) تولي الحكم بعد موت أخيه الملك أنلاماني (٦٢٣ــ ٥٩٣ ق.م) ودفن أنلاماني في المقبرة الملكية بنوري في الهرم رقم ٦ داخل تابوت حجري من الجرانيت الأحمر قطع من محاجر تمبس عند الشلال الرابع ويزن التابوت خمسة عشر طن ويوجد الآن بمتحف السودان القومي بالخرطوم يقف أمامه تمثال الملك أنلاماني الذي وجد في أحد الحجرات بمعبد آمون بجبل البركل المقدس ، كما يوجد تمثال آخر للملك أنلاماني ببوسطن.

تتويج أسبلتا واعماله :

حسب ما جاء في رواية لوح التتويج بدأ الجيش بالإجتماع بعد موت خلفه. وقررت لجنة من الضباط وكبار الموظفين في البلاط إستشارة الأله آمون في نبتا وقد رفض الإله في البداية أختيار العاهل الجديد من ضمن خلفه أخوة الملك الذين قدموا له أولاً، وخلال دورة ثانية قدم أليه إسبلتا وحدة وهو الذي إختاره الأله ملكاً.

ويقوم الملك إسبلتا بعد ذلك بجولة في مراكز العبادة الهامة تقوم الألهة بالتاكد علي الملك الجيد من خلال تسلمه الشارات الملكية. ومن المؤكد أن زيارة نبتا كانت لاغني عنها حيث جبل البركل المقدس حيث وجود معبد آمون به ثم رحلة إلي معبد آمون بالكوه.

ونجد أنه في لوح التتويج أن أم الملك انسلاسا تقف أمام الأله آمون تطلب الملك والسيادة لابنها وهذا يدل علي المكانه الرفيعة التي تتمتع بها أم الملك إذا أن في المشاهد الدينية لا تصحبه زوجته فقط كما هو الحال في مصر بل كذلك في صحبة أمه ويعتبر أسبلتا من عظماء الملوك النبتيين المرويين حيث قام بالسيطرة علي أجزاء المملكة وتامين حدودها وبناء كثير من المعابد وإصلاح المعابد الكائنة وقد سجل ذلك في عدة نصب منها نصب التتويج والنفي لكهنة وتعيين كاهن وصيانة مقبرة بعانخي.

كان المصريون يهددون نبتة في عهد إسبلتا ففي عـام ٥٩٠ سـار الفرعـون المصري بسماتيك الثاني في النوبة العليا حتى ربما نبتة مما حدا باسبلتا إلي نقل العاصمة من نبته إلي مروي في الداخل في نفس العام.و إستمر دفن الملـوك في أهرامات الجبانة الملكية بنوري وكان منهم إسبلتا.

تماثيل إسبلتا :

ويمثل تمثال إسبلتا الذي يوجد بمتحف بوسطن مثال لفن النحت النبتي بكل مميزاته من تفاصيل جسمانية وتـشريحية وزينـة وملابـس ومفـاهيم فنيـة. وقـد أكتشف التمثال بواسطة بعثة جامعة هارفارد الأمريكية ومتحف بوسطن للفنون في حفرة خارج معبد آمون بجبل البركل وهذا التمثال الضخم هو واحـد مـن عشرة تماثيل ملكية وضعت في حرم المعبد وكان التمثال والتماثيل الأخري قد اسقطت وضربت بواسطة هجوم مصري علي نبتة في ٥٩١ ق.م . وهو واحـد من ثلاثة تماثيل أخري محفوظة في متحف بوسطن للفنون.

ونشير إلي أن تمثال إسبلتا علي هيئة راس إنسان بجسم أسد أو ما يعـرف بتمثال أبو الهول وقد كتب أسم إسبلتا في الخرطوش حيث وجد بالحاج يوسف شرق الخرطوم والتماثيل بمتحف السودان القـومي بـالخرطوم كمـا أن قاعـدة لتمثال إسبلتا مع قدمية حتى منطقـة الركبـة. واسـم إسـبلتا داخـل خرطـوش وجدت بام دروم شرق الخرطوم بحري والقاعدة الآن بمتحف السودان القومي وهو يعتبر أحدث إكتشافات لآثار نبتية مروية جنوب مدينة مروي، وقـد كـان لكاتب هذه السطور شرف اكتشافه.

مات إسبلتا في عام ٥٦٨ ق.م ودفن بنوري بالهرم رقم ١٨ داخل تابوت من الجرانيت الأحمر قطع من محاجر تمبس عليه رسومات جميلة ونـصوص مـن كتاب الموتي وقد دفن معه أثاثه الجنائزي الذي يحتوي علـي كـثير مـن القطـع الآثرية النادرة وأيضاً المصنوعات الذهبية المطعمة بالحجارة الكريمة والتي توجد الآن بمتحف بوسطن ويوجد معها التابوت الحجري الذي يزن خمسة عشر طن والذي أخذ بواسطة البعثة الأمريكية من هرمه في بداية القرن الماضي.

بعض من أسرة الكوشيين. ملوك نبتة ومروي من آلارا حتى أسبلتا (٧٨٥-٥٦٨ ق.م)

١٠٠٠ ـ ٨٥٠ ق.م تأسيس إمارة حول نبتا بكريمة ـ شمال السودان

٧٨٥ حكم الأمير الارا، شقيق كشتا ، دفن في الكرو هرم رقم ٩

٧٦٠ حكم الملك كشتا ، والد بعانخي وكشتا، سيطر السودان علي مصر العليا، دفن في الكرو هرم رقم ٨.

٧٤٧ ـ ٧١٦حكم الملك بيبه (بعانخي) ، ولد شبتكا وترهاقا السيطرة الكلية علي مصر (العليا والسفلي) وحكم ملوك نبتا بوصفهم فراعنة علي مصر، الأسرة الخامسة والعشرون النوبية دفن بالكرو الهرم رقم ١٧ .

٧١٦ـ ٧٠٢ حكم الملك شبكا كان أول فرعون نوبي يقيم في طيبة بمصر، له تمثال بمتحف ميونخ بألمانيا منشور في كتابه "ممالك علي النيل" دفن بالكرو رقم ١٥ .

٧٠٢ ـ ٦٩٠ حكم الملك شبكتا والد تانوت أماني وزوج الملكة كالهارتا أم تانوت أماني وزوج الملكة آرتي ، دفن بالكرو بالهرم رقم ١٨.

٦٩٠ ـ ٦٥٦حكم الملك تهارقا ، والد اتلانيرسا ،دحره الآشوريين عن مصر فتراجع إلي نبته وتوفي بعد خمس سنوات بها له تمثال بمتحف السودان القومي دفن بنوري بالهرم رقم ١.

٦٥٦ ـ ٥٧٥حكم الملك تانوت أماني . تزوج زوجة أبيه الملكة أرتي، وقد حلم بأنه أعاد السيطرة علي مصر فسجل ذلك في لوح حجري عرف بأنه "لوح الحلم" وحرك جيوشه من نبته نحو مصر واستطاع تحقيق حلمه بالسيطرة علي الحكم مرة أخري ولكن بعودة الآشوريين وهزيمته فقد حكم مصر وتراجع إلي نبتة وكان آخر الملوك النوبيين علي مصر . دفن بالكرو الهرم رقم ١٦.

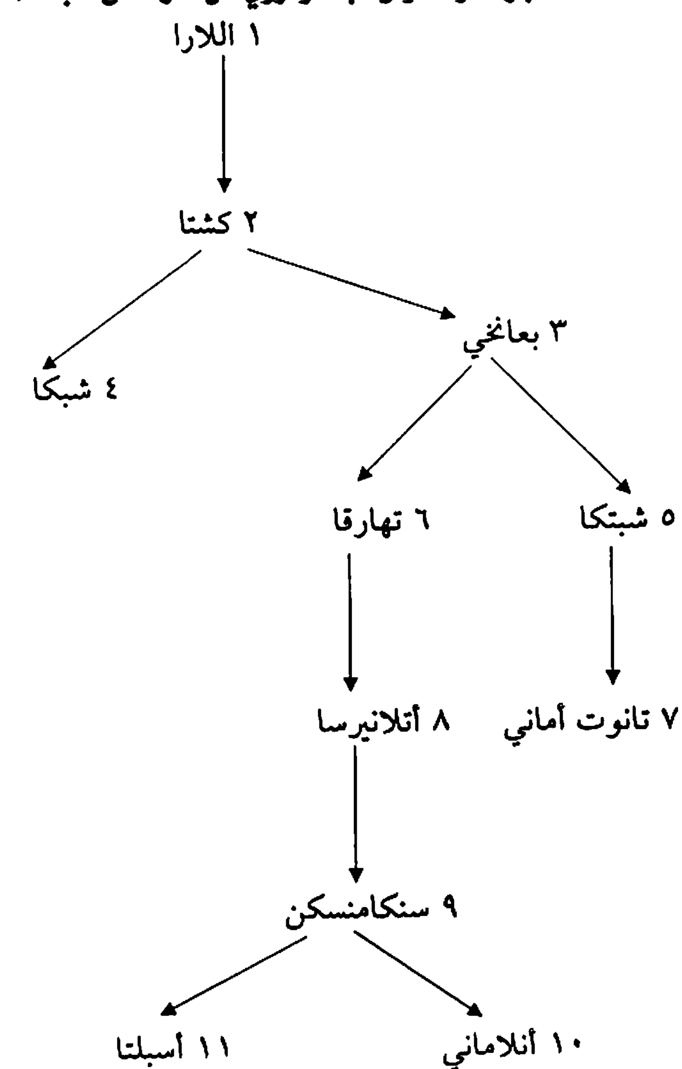
٦٥٦ ـ ٦٤٣حكم الملك أتلانيرسا ، والد سنكامنكن ، له تمثال بمتحف السودان القومي بالقرب من تمثال والده ترهاقا . دفن بنوري .هرم رقم ٢٠.

٦٤٣ ـ ٦٢٣ حكم الملك سنكامنسكن ، والد أنلاماني واسبلتا له تمثال كامل بمتحف بوسطن بأمريكا وأيضاً تمثال في شكل ابو الهول برأس بشري بمتحف السودان القومي ـ دفن بنوري . هرم رقم ٣.

٦٢٣ ـ ٥٩٤ حكم الملك أنلاماني ، له تمثال بمتحف السودان القومي . دفـن بنوري . هرم رقم ٦.

٥٩٣ ـ ٥٦٨ حكم الملك أسبلتا ـ تولي الحكم بعد شقيقه أنلاماني في نبته ثم نقل العاصمة إلي مروي بعد هجوم المصريين عليها في نبته له تمثال بمتحف بوسطن بأمريكا دفن في نوري . هرم رقم ٨.

شجرة ملوك كوش "نبته ومروي" من الارا حتى أسبلتا (٧٨٥-٥٦٨)



الموانئ البحرية التاريخية في السودان كأحد المنشآت المائية في الوطن

إن أسم السودان مشتق من الأسم الذي أطلقه الرحالة الجغرافيون العرب في العصور الوسطي علي الأراضي التي تقع جنوب مصر "بلاد السودان" أي أرض السود وهو اسم مبني علي لون سحنة العنصر البشري الذي كان يقطن المنطقة في تلك الفترة التاريخية.

وتبلغ مساحة السوادن حالياً حوالي المليون ميل مربع، وتمتد من قرروره وغمولي في الجنوب حتى شلاتين وأرقين في الشمال. ويجاور السودان مصر في الشمال وفي الشرق أثيوبيا وأرتريا والبحر الأحمر الذي يمتد خط ساحله بطول ٨٠ كم. وكينيا ويوغندا وزائير في الجنوب وإفريقيا الوسطي وتشاد في الغرب وليبيا في الجنوب الغربي.

ويشكل الجزء الغربي للبحر الأحمر في السودان ونهر النيل والأنهر التي فيه المسطحات المائية الرئيسية وذلك إذا تغاضينا عن الأودية والخيران والأنهر الموسمية التي تكثر بالسودان . هذا الموقع الجغرافي المتميز للسودان كملتقي للطرق التجارية الإفريقية.

وذلك لتوسطه القارة الإفريقية وامتداد حدوده بين تسع دول مما أدي إلي تداخل بين القبائل في هذه الحدود، إضافة إلي امتداد ساحله علي البحر الأحمر وتفرد هذا الساحل بكثرة الخلجان مما أدي إلي قيام كثير من المراسي والموانئ الطبيعية منذ أقدم العصور فأصبح أحد بوبات الثقافة والتجارة لدواخل القارة الإفريقي. والموانئ البحرية التاريخية الثلاث هي باضع علي الجزء الجنوبي وعيذاب في الشمال وسواكن في الوسط.

كل المعطيات السابقة أدت إلي قيام حضارات مزدهرة في كل أنحاء السودان منذ عصور ما قبل التاريخ فقد نشأت في العصورالحجرية حضارات في أماكن متعددة ومن أهم مواقعها خور أبو عنجة ومستشفي الخرطوم والشيهيناب في أواسط السودان، وقد بدأت هذه العصور قبل ٤٥٠٠ ق م ـ أما منطقة النوبة في

شمال السودان في هذه الفترة فكانت تواصل تطورها الحضاري فنجد نشوء حضارة المجموعة الأولي والثانية التي استمرت منذ (٣١٠٠ ق م ـ حتى ٢١٥٠ ق م) ثم تلا ذلك مرحلة المملكة المصرية الوسطي والحديثة (٢١٥٠ ـ ١١٠٠ ق م) والتي ازدهرت حضارة كرمة في الجزء الأول منها ، ثم تابع السودان تطورها الحضاري فنجد نبته مروي (٧٥٠ ق م ـ ٣٥٠ م) ثم العصر المسيحي (٤٥٠ ـ ١٥٠٤ م) وكان بعد ذلك قيام أول سلطنة إسلامية في أواسط السودان وهي سلطنة الفونج (١٥٠٤ ـ ١٨٢١ م).

هذا ما كان من أمر شمال السودان ـ أما شرق السودان منطقة ساحل البحر الأحمر فقد تفاعل في تطوره التاريخي بالأحداث التي تجري في بقية السودان وإن ارتبط في مجريات تطوره التاريخي بالموانئ البحرية علي الساحل الذي ارتبط بالتوزيع القبلي ، كما لعبت الهجرات العربية الوافدة من الجزيرة العربية دوراً هاماً في تاريخ هذا الساحل من خلال الموانئ التي أنشئت وقد تميزت هذه الموانئ باستقلالية ذاتية حتى سقوطها مع بقية موانئ البحر الأحمر تحت يد السلطنة العثمانية في بداية القرن السادس عشر الميلادي[1].

الموانئ البحرية التاريخية السودانية وتوزيع قبائل الساحل :

لعبت القبائل السودانية القاطنة للساحل والظهيرة دوراً أساسيا في تاريخ هذه الموانئ منذ أقدم العصور فقد ذكر هذه القبائل كثير من الرحالة والجغرافيين العرب ومنهم اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر اليعقوبي) (٨٩٥ م) في كتابه 'تاريخ اليعقوبي' فقد ذكر قبائل الحدارب والحباب والأمرأر[2].

وأول العناصر البشرية التي قطنت هذه الموانئ التاريخية الثلاثة (باضع وعيذاب وسواكن) ووجدت الآثار الدالة عليهم هم العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية وخاصة حضرموت باليمن وعرفوا محلياً باسم الحداربة (الحضارمة) وقد عمل هؤلاء علي التمازج مع السكان المحليين ، وقاموا مجتمعين

---

١ محمد صالح ضرار 'تاريخ سواكن والبحر الأحمر'.. دمشق.. الدار السودانية للكتب ١٩٨١ .ص٥٢.

٢ مصطفي محمد سعيد 'المكتبة السودانية العربية' .. القاهرة ـ جامعة القاهرة ـ الخرطوم ١٩٧٣ ص.٢٢.

علي التنشيط الحركي والعمراني لهذه المنشآت المائية وتبادلوا التجارة مع القبائل في الظهيرة ومع الموانئ الأخري في البحر الأحمر[1].

لقد شاركت قبائل الساحل في هذا النشاط وتوزيع هذه القبائل حسب النشوء التاريخي للموانئ أي حسب تسلسلها التاريخي (باضع وعيذاب وسواكن) .. ففي ميناء باضع جنوب الساحل السوداني عند عقيق نجد أن القبيلة التي تقطن هناك هي قبيلة البني عامر الذين يمتدون جنوباً من طوكر حتى الحدود السودانية الإرترية .. أما ميناء عيذاب في شمال الساحل السوداني فنجد قبيلة البشاريين التي تمتد من شمال مدينة محمد قول حتى الحدود السودانية المصرية ، أما آخر الموانئ التاريخية السودانية فهي ميناء سواكن في الساحل باتجاه الداخل أما قبائل الأمرأر فهي تمتد من سواكن حتى دنكناب شمال بورتسودان.

إن القبيلة التي تميزت بتوزيعها علي كافة هذه الموانئ الثلاث فهي قبيلة الرشايدة والذين يمثلون آخر الهجرات العربية إلي السودان فقد قدموا من الجزيرة العربية في بداية القرن التاسع عشر الميلادي[2].

التكوين الجيولوجي للساحل السوداني وأسباب نشوء الموانئ البحرية :

إن إبراز التكوين الجيولوجي لساحل البحر الأحمر السوداني يمكن أن يلقي الضوء علي الأسباب الطبيعية لنشوء هذه الموانئ البحرية والمواد التي استخدمت في بنائها وبناء السكان لمنشآتهم .. ففي عصر البلتوسين تكونت الشعب المرجانية علي شكل كورنيش بطول الساحل السوداني الذي يبلغ ٨٠٠كم وبعرض كيلو ونصف وبسمك مترين فوق سطح البحر.

وتتكون هذه الشعب المرجانية من صخور مرجانية ورسومات لحفريات اختلطت ببعضها بواسطة الحجر الجيري الرملي .. وتعتبر الشعب المرجانية المصدر الأساسي لمواد البناء في كل ساحل البحر الأحمر وقد بنيت منها كل الموانئ التاريخية الثلاث (باضع وعيذاب وسواكن) كما بنيت منها منشآت السكان من منازل ومساجد وغيرها . كما يستخرج الجير من هذه الشعب ،

---

١ إبن بطوطة رحلة إبن بطوطة القاهرة ـ دار الكتاب المصري ، بدون تاريخ ص . ١٦٤.

٢ يوسف فضل حسن دراسات في تاريخ السودان ـ الخرطوم ـ دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٧٥ ص . ١٧٣.

وتوجد كثير من المحاجر وتسمي محلياً (مناقب) إضافة إلي ذلك فأن الجير يستخدم في الطلاء وأيضاً يخلط مع الرملة ويخمر ويستخدم كملاط رابط لكتل الصخور المرجانية ويؤكد ما ذكر سابقاً قرين لو Greenlaw حينما يقول :

"The house and mosques of Suakin well built of modrepore, or rock-coral , brought from the sea -bed[1] "

إن هناك عدداً كبيراً من الخيران والأودية (تأتي من جبال البحر الأحمر) محملة بمياه الأمطار في فصل الخريف، والأودية تكون مصبات خليجية أو مراسي قاطعة في الأشعاب المرجانية ومن هنا تتكون موانئ ومراسي للمراكب والسفن ونسبة لكثرة هذه الخيران والأودية فقد كثرت الموانئ والمراسي الطبيعية[٢].

ومن هنا فقد عمل التكوين الجيلوجي والطبوغرافي في ساحل البحر الأحمر علي نشوء الموانئ وعلي توفير مواد بناء مدنها.

الموانئ البحرية التاريخية (باضع وعيذاب وسواكن):

بدأ نشاط موانئ الساحل السوداني منذ فجر التاريخ فقد ورد ذكرها منذ عهد المملكة المصرية القديمة (٢٦٣٥ ـ ٢٥٧٠ ق م) كما ذكرت في زمن المملكة المصرية الحديثة الأسرة الثامنة عشر (١٥٥٠ ـ ١٣٠٥ ق م) وفي زمن الملكة حتشبسوت (١٤٩٠ ـ ١٤٦٨ ق م) حيث ذكرت أنها أرسلت بعثة بحرية إلي بلاد بونت جنوب ساحل البحر الأحمر المصري ويؤكد كثير من علماء المصريات بأنها في السودان ارتبط نشاط هذه الموانئ إضافة إلي التجارة أيضا بحركة التعدين فهي الظهيرة وقد وجد هذا النشاط اهتمام فراعنة مصر وخاصة الأسرة الثامن عشر[٣] واستمر الدور التاريخي للموانئ السودانية وخاصة في العصر البطلمي والروماني وقد أشار إلي ذلك الموضوع المؤرخ الروماني بليني الأكبر إلا أن بطليموس الثاني والثالث أقاما محطات تجارية علي الموانئ الساحلية

---

1 Jean - Pierre Greenlaw."The Coral Building of Suakin." London Oriel Press. 1976-P.87.

٢ أحمد محمد علي حاكم ومحمد طاهر "المشروع السوداني الفرنسي للابحاث العلمية في منطقة البحر الاحمر" مجلة آداب ، جامعة الخرطوم ـ العدد ٥ لسنة ١٩٨٣ ـ ص . ٥٢.

3 Zyhlarz , Ernest . "The Countries of the Ethiopian Empire of (Kush) and Egyptian Old Ethiopia in the New Kingdom", Kush VI . 1958- P.24.

السودانية وخاصة باضع وكانت هذه المحطات إضافة إلي نشاطها التجاري تقوم باستيراد الحيوانات من دواخل القارة الإفريقية للملوك البطالمة[1] وتواصل الدور التاريخي في العهد البيزنطي المسيحي ولكن قمة ازدهارها وتشكيل تاريخها كان علي يد العناصر العربية قبل وبعد الإسلام بصورة أكبر.

بناء علي ما سبق ذكره سنركز دراستنا علي هذه الموانئ الثلاث في الفترة العربية الإسلامية ونبدأ بأقدمها وهي:

ميناء باضع:

ألف العرب السواحل الإفريقية في زمن الخلفاء الراشدين وكانت لهم مراكز وتجمعات هامة، حيث وصلوا إلي صيغة تعايش مع العنصر المحلي، وميناء باضع كانت حجر الزاوية في هذه العلاقة فقد كانت ميناء هاما ومدينة تحت إمرة المسلمين نفي إليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصحابي الجليل أبا محجن الثقفي في السنة السادسة للهجرة وقد أورد الطبري في كتابه (تاريخ الرسل والملوك) :- وقال الواقدي: وفي هذه السنة غرب عمر أبا محجن الثقفي إلي باضع[٢].

تستخلص من ذلك أنها كانت تابعة للخلافة الإسلامية وسيطرتها عليها تامة حتى غدت سجنا (منفي وعلي ماظهر) فإن المسلمين استطاعوا أن يحولوا هذه العلاقة والسيطرة إلي علاقة تجارة مزدهرة واتفاق متبادل حتى غدت مراكز تجارية هامة إذ صدرت كثيرا من المنتجات السودانية التي تتوافر في أرضي الظهيرة حيث ذكر أن الخليفة عثمان بن عفان طور ميناء جدة وأصبح ميناء مكة الرئيسي ليسهل أمر الإمدادات والحجاج الوافدين بالبحر الأحمر وربما كان لهذا أثره في ازدهار باضع حيث انجذب كثير من المهاجرين العرب المسلمين نحو الساحل الإفريقي وأصبحت علاقة المسلمين بسكان الداخل ثابتة ومؤسسة.

تقف آثار مدينة باضع هذه شاهدا علي العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة ، وموقعها اليوم في الطرف الجنوبي لجزيرة الريح علي أرخبيل عقيق عند الحدود

---

1 Pliny the Elder . " The Natural History" Book, VI, 34.H , Rackham, M.A. (tran) London. Harvard University Press, 1947. P. 465.

٢ الطبري ، محمد بن جرير تاريخ الرسل والملوك مجلد ١٧ ، القاهرة ـ دار المعارف ١٩٦٣ ص.٣٨.

السودانية الإرترية ويشتمل الموقع علي مساحة تقدر بحوالي الستمائة متر طولا ومائتي متر عرضاً ، تتبعثر علي هذه المساحة بقايا أطـلال مبـاني مـن حجـارة المرجان(Goral) المحلية ، بعض هذه المباني كبير في حجمه وهي مرصوصة حول شارع يخترق المدينة وتلحق به بعض الميادين والساحات.[1] احـد هـذه المبـاني يظهر أنه كان مسجداً شبيها بالطراز الحجازي زمن الخلفـاء الراشـدين ويـشبه المسجد الجيدي الموجود حاليا بجزيرة سواكن والمشيد سنه ١٨٥٣[2] وتغـذي المدينة بالمياه بواسطة مجموعة كبيرة من الخزانات متصلة بقنوات مغطاة وعليها طبقة من الجبص والجير [3]. وهذا النظام ليس معروفاً في دواخل السودان وإن وجدت هذه الخزانات في الجزيرة العربية. تلتحق بهذه الآثار مقبرة واسعة ...[٤]

توجد بعيذاب مقابر كثيرة لاتتناسب وحجم المدينـة هـذا يـشير إلـي زيـادات فجائية مثل الحجاج الموسمين ومـن بـين هـذه المقـابر هنالـك مجموعـات غـير إسلامية ويعزي ذلك إلي طبيعة مجتمع عيذاب المركب الذي ضم عناصر غـير مسلمة كتجار اليهود والنصاري والبجة الوثنيين.

لقد اشتهرت عيذاب بالمباني الكبيرة فقد ذكر ابـن بطوطـه جـامع القـسطلاني كأحد المعالم المعروفة في العالم الإسلامي وقتها، كما توجد بها صـهاريج حفـرت في الأرض وغطيت جدرانها بالجبص لحفظ المياه ومما يؤكد طبيعة ميناء عيذاب التجارية وجود كميات كبيرة من قطع الخزف والزجاج والفخار وكلها مـن الأنـواع الرفيعـة الغالية الثمن وفيها الخزف الفاطمي والمملوكي الشهير والذي يشبه إنتاج الفـسطاط وكذلك أعداد هائلة من الخزف الصيني الذي أنـتج خصيـصا في مـصانع إندونيـسيا وفيتنام والصين وقطع الزجاج الملون التي تشير إلي ارتباط عيذاب بـسواحل الـشام وجمهوريات إيطاليا [٥]، كل هذا يؤكد حقيقة أن ميناء عيذاب لها صـلات بعواصـم

---

1 J.W.Crowfoot . "Some Red Sea Ports in The Anglo – Egyptian Sudan" . Geographical Journal . Volume , XXXVII . May 1911 . P. 542-4.

2 Hinkel , F.H. "The Arcgaeological Map of the Sudan . The Area of The Red Sea Coast and Northern Ethiopian Frontier VI". Berlin . 1992. P 319.

3. H . E. Hebbert. " Elrith – A Red Sea Island" S.N.R. Vol. XVII 1935 . PP 31-13.

٤ بشير ابراهيم بشير 'عيذاب: حياتها الدينية والادبية' مجلة الدراسات السودانية ـ جامعة الخرطوم العدد الثاني المجلد ٥ يوليو ١٩٧٩ ص. ٧٤.

5 Mutsuo Kawatoko "Preliminary Survey of Aydhab and Badi Sites". Kush . Vol.XVI.1993.PP . 204 -7 ,212.F.2.

العالم والعالم الإسلامي بصفة خاصة خلال فترة ازدهارها وقد زارها كثير من الرحالة والجغرافيين العرب أمثال ابن بطوطه وابن خلدون ، وقد دمرت ميناء عيذاب علي يد السلطان المملوكي بارسباي في حدود عام ١٤٢٦ م.

*** ميناء سواكن:**

تقع ميناء سواكن جنوب ميناء بورتسودان وعلي بعد ٥٠ كم منها ، عند خط عرض 19°.9 شمالا وخط طول ٠٢ . ٣٧° شرقا خريطة رقم NE-37.A مقياس ٢٥٠,٠٠٠ : ١ (مصلحة المساحة السودانية) وتقع سلسلة جبال البحر الأحمر غرب سواكن علي بعد عشرات الكيلومترات منها ممتدة جنوبا – شمالا وكانت سواكن تعتبر أهم ميناء علي البحر الأحمر حتى عام ١٩٠٩م ، عندما فتحت ميناء بورتسودان[1] وتربط سواحل البحر الأحمر بدواخل السودان وإفريقيا ، كما أنها تتاجر مع الموانئ الشرقية علي الساحل الآخر مثل ميناء مخا والحديدة في اليمن وجدة وينبع في السعودية والعقبة في الأردن وقد وجدت وثائق التعاملات التجارية مابين سواكن وهذه الموانئ هي تعكس مظاهر من أوجه الحياة في تلك الفترة ولكن هذه الموانئ وهي تعكس كثيراً من أوجه الحياة في تلك الفترة ولكن هذه الوثائق لم تدرس من قبل الدراسين ، وقد أضاف أهمية لمواقعها أنها كانت تتوسط موانئ الساحل الغربي مثل عصب ومصوع في إرتريا وعيذاب في السودان وراس بنياس والقصير في مصر ، وقد تعاصرت مع عيذاب قبل نهاية عيذاب في العقد الثالث من القرن الخامس عشر الميلادي.

. تتكون ميناء سواكن من ثلاثة مناطق أو أجزاء متكاملة بحيث يقع الجزء الأول منها علي الأرض الساحلية ثم يأتي الجزء الثاني وهو الرئيسي ويقع داخل الجزيرة وقامت علية كل مباني سواكن الهامة ومحيط الجزيرة اثنان ونصف كيلومتراً وتبعد عن البر أو الجزء الأول بحوالي ٤٠ متراً ، أما الجزء الثالث فهو جزيرة تعرف باسم الكوندنسر أو جزيرة الكنداسة تبعد حوالي ٨٠ متراً شمال جزيرة سواكن (الجزء الثاني) وكانت تستعمل الجزيرة في أعمال تتعلق بالميناء مثل مربط للسفن وبعض الأعمال الإدارية ، ترتبط هذه الجزيرة في الجزء

1 Roden . D."The twentieth Decline of Suakin SNR , Vol LI, 1970.P.."

الشمالي الغربي منها بالبر وذلك من خلال أرض محاطة أو يربخ يقل فيها مياه البحر وجزيرة الكنداسة أصغر من الجزيرة الرئيسية.

ويعود تاريخ سواكن إلي العصور الفرعونية[1] ولكن مباني المدينة تبرز لنا الفترة الإسلامية (٦٤٦-١٩٠٩م) ويعود تاريخ المباني الحالية في الجزيرة إلي (١٥٣١-١٩٠٩م) وتتكون المباني من المنازل والجوامع والمنشآت الحكومية مثل مبني المحافظ والجمارك والمحكمة والرصيف كما تشمل المباني أيضاً المنشآت العسكرية مثل الطوابي والأسوار، وقد بنيت المباني علي أساس العمارة العربية الإسلامية وهي تنقسم معماريا إلي ثلاث فترات هي :

١ـ الفترة القديمة وترجع إلي فترة التركية (القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر الميلادي).

٢ـ الفترة الوسيطة وترجع إلي أواخر القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وتعود المباني إلي العمارة التركية ، وتعلو المباني إلي ثلاثة طوابق بنسب متناسقة.

٣ـ الفترة الثالثة وتتميز بالعمارة التركية ـ المصرية وترجع إلي نهاية القرن التاسع وبداية القرن العشرين الميلادي.

إن مباني سواكن ذات الأشكال المربعة الفنية في معمارها وزخارفها ومشربياتها البارزة وخير ما يمثل هذا الإبداع المعماري جوامع الجزيرة وخاصة الجامع الشافعي التي تقول الروايات إنه قد بنته الملكة شجرة الدر (١٢٥٠م).

لقد لعبت المواني البحرية السودانية علي ساحل البحر الأحمر دورا هاما في تاريخ المنطقة وعملت علي انصهار العناصر العربية والمحلية في تمازج متفرد عمل علي إثراء شعوب المنطقة العربية برفاهية مادية وثقافية مما أدي إلي تشكيل الوجدان الواحد في كل حوض البحر الأحمر ولازال دور هذه الموانئ حيويا ومستمرا لأنه عندما ازدهرت هذه الموانئ ازدهرت الأمة العربية والإسلامية وأبزرت حضارة لازالت شواهدها المادية تقف شامخة إلي اليوم.

---

١ ضرار . تاريخ سواكن.ص ١٤٨.

المـــراجـــــع

المراجع العربية:

١/ ابن بطوطه (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي) رحلة إبن بطوطه القاهرة دار الكتاب المصري. بدون تاريخ

٢/ أحمد محمد علي حاكم وحمد طاهر 'مشروع السودان الفرنسي للأبحاث العلمية في منطقة البحر الأحمر' *مجلة آداب* جامعة الخرطوم. العدد ٥ لسنة ١٩٨٣.

٣/ الطبري (محمد بن جرير) *تاريخ الرسل والملوك* مجلد ١٧ القاهرة دار المعارف ١٩٦٣م.

٤/ بشير ابراهيم بشير 'عيذاب حياتها الدينية والادبية' *مجلة الدراسات السودانية* - جامعة الخرطوم - العدد الثاني المجلد ٥ يوليو ١٩٧٩م.

٥/ محمد صالح ضرار *تاريخ سواكن والبحر الأحمر* الخرطوم، الدار السودانية للكتب ، ١٩٧٥م.

٦/ مصطفي محمد مسعد *المكتبة السودانية العربية* القاهرة - جامعة القاهرة بالخرطوم ١٩٧٢م.

٧/ يوسف فضل حسن *دراسات في تاريخ السودان* الخرطوم - دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٥م.

المراجع الأجنبية:

1/ Hinkel , F.H. "The Arcgaeological Map of the Sudan , The Area of The Red Sea Coast and Northern Ethiopian Frontier VI". Berlin , 1992.

2/Jean – Pierre Greenlaw."The Coral Building of Suakin." London Oriel Press. 1976.

3/J.W.Crowfoot . "Some Red Sea Ports in The Anglo – Egyptian Sudan" . Geographcal Journal , Volume , XXXVII . May 1911 .

4/Mutsuo Kawatoko "Preliminary Survey of Aydhab and Badi Sites", Kush . Vol.XVI,1993.

5/ Pliny the Elder . " The Natural History" Book, VI, 34.H , Rackham. M.A. (tran) London. Harvard University Press, 1947.

6/Roden , D."The twentieth Decline of Suakin SNR , Vol LI, 1970.

7/Zyhlarz , Ernest . "The Countries of the Ethiopian Empire of (Kush) and Egyptian Old Ethiopia in the New Kingdom". Kush VI . 1958.

وكما خط ونقش الفنان المسلم علي العملة فقد مارس ذلك علي الأواني النحاسية بكافة أنواع الخطوط العربية وقد ابدع في ذلك ، في السودان وجدت هذه الأواني النحاسية في كافة أنحاء العالم الإسلامي فنجد في السودان احد هذه الأواني وهي:

- سلطانية إسلامية من النحاس الأحمر المطلي بطبقة من الفضة ، ويبلغ إرتفاعها ١٠,٥ وقطرها ٢٨,٥ سم وسمكها عند الشفة ٢ ملم. وتاريخ السلطانية يرجع إلي ١١٠٧ هـ/ ١٧٩٥م. وجدت بالخرطوم.

- **وصف السلطانية:**

سلطانية مزخرفة بعدة صفوف من الأحزمة من الخارج وتعتبر الكتابة العنصر الزخرفي الأساسي كما أن هناك زخرفة في بطن السلطانية من الداخل في الجزء الأسفل.

- **شفة السلطانية:**

هناك زخرفة بسيطة عبارة عن حزوز متفرقة وهي أعلي الشفة.

- **أسفل الشفة:**

هناك كتابة حزية احدث عهداً بخط الرقعة وهي (صاحب فاطمة بنت حماد سنة ١١٠٧) وسنة ١١٠٧ هجرية تعادل ١٦٩٥ ميلادية. وهي عادة درج علي كتابنها أصحاب الأواني المعدنية. والكتابة كما ذكرنا بخط الرقعة البسيط ليس بها أي جماليات وانما الغرض منها إقرار حقيقة وهي في جزء بسيط من الشفة السفلي طولها ١٣م.

***الرقبة:**

يلي ذلك منطقة الرقبة حيث هناك من الزخرفة التجريدية وهي لخط متموج متصل يحتوي في كل ثنية من ثناياه علي زخرفة صغيرة ملفوفة وتتكرر هذه الزخرفة.

- **أعلي بطن السلطانية:**

يوجد حزام من الزخرفة علي شكل سلاسل يفصل بينها شكل سلاسل وردة صغيرة داخل دائرة.

- **بطن الإناء:**

في بطن الإناء من الخارج تأتي الكتابة العربية وهي بالخط السلطاني ، وقد كتبت الكتابة بطريقة النقش البارز داخل أشكال أسطوانية وكل أسطوانة كتابية تنتهي بدائرة أصغر تحمل عنصر زخرفي يختلف عن الذي يليه ثم يتكرر مرة أخري وهي زخرفة وردية أو نجمية.

ونعطي مثال للكتابة داخل أحد الإسطوانات حيث تقول:

- (لصاحب السعادة والهامة).
- (ولطول العمر ما ناحت حمامة).

ثم تأتي بعد ذلك زخرفة السلاسل تليها زخرفة نباتية ما يعرف بزخرفة التوريق وقد استخدمت عند القاعدة وبحزام اكبر في اشكال متكررة ومتصلة بصورة غزيرة وفي أسفل قاعدة الاسطوانة وهو جزء ظاهر للناظر نجد حزام اكبر عرضاً يحمل زخرفة السهم المتكرر.

ثم يأتي الحزام الأخير في أسفل القاعدة حيث نجد زخرفة التوريق وعملت بنظام الحز ، أما في داخل السلطانية وفي منتصفها نجد زخرفة التوريق وقد عملت بنظام الحز وقد اختفت أجزاء من مظاهر هذه الزخرفة والإناء كان يستعمل كآنية للزينة في وظيفته وهو يعتبر من روائع الفن الإسلامي.

مملكة كوش السودانية ودورها الحضاري

٢٥٠٠ ق.م. ٣٥٠م

البعد الزمني للإسم:

جاء أول ذكر لاسم كوش في السجلات الهيروغلوفية في فترة المملكة الوسطي (٢٠٤٠ ـ ١٥٥٠ ق.م) أثناء حكم الأسرة الثانية عشر (١٩٩١ ـ ١٧٨٥ ق.م) وإبان تولي الملك سنوسرت الأول (١٩٧٠ ـ ١٩٢٩ق.م) والذي عرف عند الإغريق باسم زوستريس، وقد أشارت الكتابات الهيروغلوفية إلي أن والدة الملك أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشر ووالد سنوسرت الأول كانت سودانية الأصل من شمال السودان.

لقد أشار الملك سنوسرت الأول في لوح ذكر أنه كرسه لحملاته الحربية في منطقة النوبة كان قد نصب في معبد بوهين بشمال السودان ويوجد الآن بمتحف فلورنسا شمال إيطاليا بالرقم ٢٥٤٠ ـ ١٥٤٢ وجاء في اللوح بأنه في العام الثامن عشر من حكمة قد هزم عشرة أقاليم تقع جنوب مصر (جنوب أسوان) علي يد قائد منتوحتب، وأول هذه المناطق هي كوش التي وردت بالنطق كاش وقد صور في قمة اللوح الملك سنوسرت الأول يقف أمام الإله منتو إله الحرب عند المصريين قائلاً: (لقد أتيت لك بكل أقاليم النوبة تحت قدميك أيها الإله المجيد).

ويهمنا في هذا النقش هو ورود إسم كوش كدولة قائمة ذات سيادة وأن حدود مصر كانت شمال أسوان قبل سنوسرت الأول، ويشير علماء الآثار إلي أن كوش المقصودة هنا هي كرمة عاصمة المملكة كما أن مسألة إخضاعها لسلطة المملكة الوسطي لا تؤيدها القرائن الأثرية ، فقد أشارت المصادر الأثرية إلي إقامة ملوك الأسرة الثانية عشرة عدداً من القلاع تبدأ من الشلال الأول في أسوان شمالاً وحتى سمنة جنوباً وذلك لحماية بعثات التعدين والطرق التجارية براً وبحراً، ولم تشمل هذه القائمة مدينة كرمة عاصمة مملكة كوش والتي تقع جنوب هذه القلاع أو المناطق المحيطة بها كما أن المسافة طويلة ما بين كرمة وسمنة آخر القلاع المصرية وهذا يؤيد عدم وقوع مملكة كوش تحت سيطرة ملوك الأسرة الثانية عشرة وإنما كانت مملكة سودانية مستقلة.

كما اورد اسم كوش أيضاً في عهد نفس الملك السابق سنوسرت الأول وذلك في مقبرة حاكم الجنوب سارينوت الأول المحفورة في صخر جزيرة الفنتين بأسوان وقد إستمر ذكر إسم كوش طيلة فترة المملكة الوسطي وقد وجد في كثير من نقوش تلك الفترة.

أما في فترة المملكة الحديثة (١٥٥٠ ـ ٣٠ ق.م) فإن اسم كوش ورد في معبد الملكة حتشبسوت (١٤٩٠ ـ ١٤٦٨ ق.م) بالدير البحري في النوبة جنوب ابيدوس (العرابة المدفونة).

إن إسم كوش قد ذكر عدة مرات في الكتاب المقدس (العهد القديم) وفي أجزاء مختلفة منه ، فنجد عند تعداد أبناء سيدنا نوح عليه السلام في سفر التكوين الآية ١٠ يشير الكتاب المقدس إلي أن من أبناء حام ونوح نجد كوش وهو جد الكوشيين (أي السودانيين) . كما نجد ذكراً آخر لاسم كوش وأرضيها في سفر التكوين أول أسفار الكتاب المقدس الفضل الثاني حيث يقول الكتاب في وصفه لجنة عدن وهي أحد جنان الجنة التي أنزل منها آدم إلي الأرض:ـ(وكان يخرج من عدن نهر فيسيقي ويحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب ، وذهب تلك الارض جيد وهناك اللؤلؤ وحجر العقيق واسم النهر الثاني جيحون ويحيط بجميع أرض كوش واسم النهر الثالث دجلة ويجري شرقي اشور والنهر الرابع هو الفرات) وقد جاء شرح الكتاب المقدس عن كوش ما يلي:ـ "أرض كوش تقع جنوبي مصر" السودان والحبش" ونجد في سفر الملوك الإصحاح ١٩ إطلاق صفة الكوشي علي الملك السوداني ترهاقا (٦٨٨ ـ ٦٦٣ ق.م) حيث ورد ما يلي:

"ورجع معاون رئيس الركان إلي لخيش فوجد ملك اشور هي أحد الأمبراطوريات الكبيرة في بلاد ما بين النهرين (العراق) (٧٤٤ ـ٦١٢ ق.م) والملك المعني هو اشور بانيبال (٦٩٩ ـ ٦٢٧ ق.م) وقد ذكرت الحوليات الاشورية المكتوبة بالخط المسماري والتي اكتشفت في مدنية نينوي في شمال العراق كل هذه الأحداث ، ونجد اشور بانيبال يقول" إلا أن تارقو" تهارقاً نسي قوة الإلة اشور والإله العظيمة سادتي ووثق بقوته الخاصة في زحفه نحو الحكام

الذين نصبهم والدي لحكم مصر، حيث صمم تارقو علي قتلهم ونهبهم وتقليل أهمية مصر وقد إنزل الهزيمة بهم، ودخل سفس التي هزمها والدي، وضمها إلي إقليم بلاد اشور أتاني الرسول الاشوري واخبرني بما جريْ.

ونود أن نشير إلي حقيقة تاريخية مهمة هي أن كل ما ذكرته النصوص الهيرغلوفية المصرية أو العبرية اليهودية أو المسمار الآشورية العراقية عن إنتصارتها وتمجيد آلهتها وإيرادها للأحداث عن مملكة كوش وملوكها كان يعبر عن وجهة نظر هذه الممالك وكان ذلك أدب تلك الحقبة في الحروب والعلاقات الدولية ، وقد تركت لنا مملكة كوش أيضاً كثيراً من السجلات الأثرية التي تشير فيها إلي إنتصاراتها علي هذه الممالك وأن هذه الحروب إنتهت لصالحها وليس لصالح الأعداء كما يدعون.

ولكن تبقي حقيقة تاريخية مهمة أخري من ذكر كل ما وردنا من الحوليات السابقة وهي أن مملكة كوش السودانية لعبت دوراً مؤثراً في تاريخ الشرق الوسط وكانت قوة عظمي وحدت كل وادي النيل (مصر والسودان) وخاضت حروباً دفاعاً عن حقها في الوجود وساهمت بفاعلية في الحضارة السودانية والعالمية.

إن هذه المملكة التي تكونت أولاً في كرمة شمالاً ودنقلا ثم في نبتة عند جبل البركل بكريمة ثم مروي شمال شندي بصورة متتابعة سميت في الكتب الهيرغلوفية والعبرية والآشورية باسم مملكة كوش.

المسح الأثري لمدينة بربر الإسلامية

عرفت منطقة بربر منذ فجر التاريخ الإنساني بتراثها الحضاري المتواصل فقد وجدت فيها الأدوات الحجرية الأولي لإنسان العصر الحجري القديم في السودان (١٠٠,٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ق.م) متمثلة بمنطقة جبل نخرو علي الضفة الغربية للنيل المواجهة لمدينة بربر، وبهذا تؤكد منطقة بربر عمقها التاريخي كأحد المستقرات الأولي للإنسان علي النيل.

تواصل التطور الحضاري لمنطقة بربر في العصور التاريخية حيث ازدهرت المنطقة في الفترة المروية (٩٠٠ ق.م - ٣٥٠ م) ويتمثل ذلك في المدينة المروية الكاملة بالضانقيل شمال مدينة بربر. هذا العطاء الحضاري استمر حيث بلغت مدينة بربر أوج ازدهارها في الفترة العربية الإسلامية (الفونج، والتركية، والمهدية ١٤٠٥ - ١٨٩٨م).

كانت بربر منطقة تواصل حضاري استمر في هذه الفترة حيث نجد انها كانت حلقة وصل ما بين سكان النيل وسكان البحر الأحمر في جانبه الغربي أو الشرقي وسكان غالبية افريقيا كما ضمت كثير من العناصر الإسلامية من كافة انحاء العالم الإسلامي وشكلت ملتقي لحجاج الاراضي المقدسة في الحجاز من كافة انحاء السودان وحجاج غرب افريقيا أيضاً إضافة إلي ذلك كانت بربر معبر وملتقي للطرق القديمة بين السودان ومصر مثل طريق دراوه بربر شندي وهو طريق سفري وتجاري للقوافل ما بين السودان ومصر عبر الصحراء الشرقية لمصر والسودان.

واشهر طرق القوافل بها بالتفصيل هي: طريق إلي اسوان طوله ٧٨٨كم وطريق إلي كورسكو داخل مصر يمر بابي حمد ثم يقطع صحراء الشرقية للسودان ومصر ثم يلتقي مع النيل عند كورسكو وطوله ٦١٠كم وطريق من بربر إلي سواكن وهو طريق تجاري وطريق حج أيضاً ويقطع هذا الطريق جبال البحر الأحمر ماراً بعدة آبار حفرت علي مسافات متباعدة بطول الطريق وهو من أشهر الطرق في تلك الفترة فقد سار عليه كل حجاج السودان ودول غرب

وأواسط افريقيا وطول الطريق ٤٠٨كم والجدير بالذكر أن هـذا الطريـق سـار عليه الرحالة السويسري جون لويس بوركهارد وهو في طريقـه مـن بربـر إلـي سواكن ثم إلي الأراضي المقدسة في الحجاز وكان ذلك عام ١٨١٣ وقد اعطي وصفاً كاملاً للطريق في كتابه (رحلتي إلي بلاد النوبة)[1]. كما سار أيضاً علـي هذا الطريق العالم السوداني بابكر بدري في رحلات تجارية ورحلات حج وكان ذلك في عام ١٨٩١ وقد اعطي وصفاً لهذه الرحلات عن هذا الطريق في كتابـه (حياتي. الجزء الأول) كما أن هناك طريق القوافل من بربر إلي مصوع علـي ساحل البحر الحمر الأرتري ويمر هذا الطريق بكسلا وهو طريق هـام للتبـادل التجاري وطول الطريق ٩٠٥كم. هذه طرق القوافل الخارجة والقادمة لبربر من الشمال والشمال الشرقي والشرق ولكن توجد طرق أيضا خارجة وقادمة لبربر من الجنوب والغرب فهناك طريق حجاج غرب واواسط افريقيا الذي يتحـرك من تمبكتو في مالي شاقاً غرب افريقيا إلي بربر ومنها يتحرك إلي سواكن، كما أن هناك طريق سنار بربر ماراً بكل من شندي والحلفايا ثم سنار متابعاً طريـق النيل ثم النيل الرزق وكانت بربر مدينة قوافل تنقل خيرات القارة الأفريقية إلي العالم الخارجي عن طريق مصر والحجاز وتأتي بخيرات تلك الدول إلي القـارة الأفريقية وكان هذا النشاط التجاري والديني يدور في فلك العروبة والإسلام.

لقد كانت بربر ملتقي حضاري للقوافل البرية لكافة انحاء السـودان والعالم القديم في تلك الفترة كما كانت ميناء نهري هام للسفن الصاعدة والهابطة مـع النيل شمالاً وجنوباً نحو المدن الهامة التي تقع علي ضفتيه ناقلـة الحـضارة عـبر التجارة فهي كانت المدخل إلي دواخل قارة أفريقيا.

كان هذا التمازج الحضاري الذي التقي تفاعل في بربر عبر تناريخها الطويل والتي تركت العهود المختلفة بصمتها فيها من خلال تلاقح حضاري بناء. تقف عمارة مدينة بربر شاهداً مادياً عليه وتهدف هذه الورقة إلي استعراض تـاريخ بربر كمدينة من مدن القوافل العربية الإسلامية وأيضا إلي القاء الـضوء علـي أوضاع عمارة بربر حالياً التي تركتها لنا تلك الفترة وتحليل هذه العمارة بكـل

1 John Lewis Burchardt. Travels in Nubia. London.1819.

انواعها من عمارة عسكرية ومدنية ودينية والدور الذي لعبته في تـاريخ مدينـة بربر من خلال سكان المدينة ذو الخلفيات الحضارية المختلفة والذين انـصهروا تصاهروا في هذه المدينة العربية الإسلامية.

لقد كان هذا التراث الثقافي المادي لمدينة بربر نتاجا لعناصر حضارية متباينة تجاورت ثم تمازجت ثم عاشت بسلام لتقدم لنا عمارة تعتبر من التراث الثقافي العالمي التي يتوجب الحفاظ عليه.

اسم بربر:

هنالك عدة تفسيرات لإسم بربر فقد قيل أنه من اسم امرأة كانت تحكمها في الزمان السابق وتسمي بربرة وهناك تفسير آخر ينـسب الاسـم إلـي حركـة القوافل بالبر وكانت بربر ملتقي لهذه القوافل التي تقطع مسافات طويلة حتـى تصل إليها. ولكن من المتفق عليه أن اسم بربر ظهر في الفترة العربية الإسلامية (فترة الفونج) ولم تذكره أي مصادر سـابقة لهـذه الفـترة. وقـد سميـت أيـضاً بالمخيرف وذلك لأنها اطيب مناطق السودان هواء واوفرها خيراً.

المسح المعماري لمدينة بربر القديمة:

المنطقة المسوحة من مدينة بربر القديمة (القيقر) هـي جـزء مـن مـشروع بربر- العبيدية الأثري (B.A.A.P) هو عمل مشترك بين الهيئة القوميـة للآثـار والمتاحف الـسودانية (NCAM) ومتحـف اونتـاريو الملكـي (ROM) بتورنتـو. ويهدف هذا العمل إلي القيام ولأول مرة بالتسجيل والتوثيق العلمي للمبـاني والمواقع الإسلامية بمدينة بربر القديمة وهذا العمل قد قام به الكاتب في الاطار العام للمشروع.

مشروع بربر العبيدية الأثري (B.A.A.P) بدأ في اواخـر العـام ١٩٧٧م[1] بينما تم تسجيل بربر القديمة خلال الحملة الثانية للمـشروع (٢٥فبرايـر - ١٥ مارس)[2].

---

1 Julie Anderson Salah El-Din Mohammed Ahmed. Archaeological reconnaissance in the Berber Abidya Region 1997 . Kush. Vol.XVIII.1998

2 Julie Anderson Salah El-Din Mohammed Ahmed. Archaeological reconnaissance in the Berber Abidya Region 1997 .Apost Meroitic Double Shaft tomb in El-ferikha. Archaeoloie du Nil Moyen Vol.9. 2002.PP 15 .16.

موقع ووصف مدينة بربر:

مدينة بربر القديمة (القيقر) تقع علي الضفة الشرقية للنيل علي بعد حوالي ٣٨٠كلم شمال الخرطوم. وموضحة في خارطة السودان (NE.36.K) بمقياس الرسم ٢٥٠,٠٠٠:١ واحداثيات طول ٣٠ً ٥٩َ ٣٣ْ شرق وعرض ٣٠ً ٥٨َ ١٧ْ شمال[١] ونشير إلي انه تم التسجيل كل مبني علي حدي. لحسن الحظ فإن الخارطة التاريخية لمدينة بربر القديمة (القيقر) والتي تعود للعام ١٩٠٨م قد افادت كثيراً في تعريف وتسجيل المواقع حيث سجلت علي هذه الخارطة كل المباني الموجودة وذلك بواسطة مكتب المساحة بربر.

تقع المدينة علي منطقة مرتفعة يطلق عليها (قوز الفونج) وهذا القوز يمتد باتجاه الجنوب حيث يكون الجزء الجنوبي من المدينة وقد كان من المناطق السكنية الهامة خلال فترة الفونج (١٤٠٥ ـ ١٨٢١) . والمدينة بنيت بالطوب اللبن ماعدا مباني المصبغة حيث بنيت بالطوب الأحمر وطليت بالاسمنت . وكانت لمدينة سواكن علاقة تجارية متميزة مع مدينة بربر امتدت منذ فترة دولة الفونج حتى الدولة المهدية (١٨٨٥ـ ١٨٩٨)[٢] كما ان كلتا المدينتين قد اتخذتا هندسة تخطيط المدن الإسلامية وكانت لهما تجارة مشتركة[٣].

بربر في فترة الفونج عام ١٨١٣. منازلها وقوافلها

من خلال وصف الرحالة جون لويس بوكهارد John Leiws Burckardt والذي زار بربر في رحلته إلي الحجاز نستطيع أن نلم بوصف للمدينة ومبانيها فيقول بوكهارد

"ومنازل المدينة تفصل عامة فيما بينها بفناء كبير مما يؤدي هذا إلي عدم وجود شوارع منتظمة والمباني مبنية بصورة جيدة من الطين أو الطوب اللبن (الطوب المجفف بالشمس) وشكلهم علي الأقل جيد مثل تلك التي في مصر العاليا وكل المنزل يتكون من ساحة كبيرة تقسم إلي فنائات داخلية وخارجية

---

١ انظر خريطة مصلحة الاثار السودانيةNE.36.K مقياس رسم ٢٥٠,٠٠٠:١.

2 Jean pierre Green Low. The Coral Building of Suakin. Oriel Press. Leads.1976.PP8,9.

٣ محمد صالح ضرار. تاريخ سواكن والبحر الحمر.الدار السودانية، ١٩٨١ ، ص.ص ٧١-٧٢.

وحول هذه الساحة توجد غرف العائلة وكلاها في الطابق الأرضي ولم اري في هذه البلاد طابقاً ثاني أو سلم، ولبناء السقف توضع فروع اشجار فوق الجدران وتغطي هذه الفروع بالحصير والتي تصف فوقها فروع القصب ويغطي كل ذلك بطبقة من الطين والسقف له ميلان حتى يسمح بسقوط مياه المطار وهناك قناة تسحب عليها مياه المطار إلي فناء المنزل مما يجعل ساحات المنازل موحلة في موسم المطار.

واثنان من الوحدات السكنية للمنزل تقطن بواسطة العائلة وثالثة تستخدم كسكن ورابعة تستخدم كضيافة ووحدة سكنية خمسة تستخدم بواسطة خادمات المنزل والغرفة بها أكثر من شباك صغير ولذلك لابد من ترك الباب مفتوح للحصول علي ضوء كافي، والباب مصنوع من الخشب وأيضاً له قفل خشبي مثل الذي يستخدم في سوريا ومصر ولكن بصناعة غير متقنة ولا يوجد اثاث في هذه الغرف ماعدا سرير خشبي يغطي بحصير وهو نسيج من جلد يفرشون الحصير علي ارض الغرف وينامون أيضاً علي سجاد صنع من الشعرْ.

أما عن وضع المدينة كملتقي للقوافل التجارية والسفرية فيقول بوكهارد (وبالرغم من ان سكان بربر مزارعين الا أنهم يستغلون اوقات فراغهم من حقولهم في الأعمال التجارية لان مدينة بربر اصبحت سوق مركزي للتجارة الجنوبية إلي مصر لابد ان تمر بالمدينة وكثير من القوافل الصغيرة تحمل وترحل من هنا دون الاحتياج للمؤن من الاسواق الجنوبية لذلك نجد أن أي بضاعة من تجارة الزنوج بما في ذلك العبيد يمكن شراؤها من بربر بنسبة خمسين إلي عشرين في المائة اكثر من شندي وتعتبر بربر سوقاً عاماً.

أما وضع بربر كملتقي للقوافل التجارية من العالم الخارجي عن طريق سواكن وأيضاً قوافل حجاج غرب واواسط افريقيا فيذكر بكهارد ان هناك القوافل القادمة من دواخل السودان والتاكا في رحلة تستغرق عشرة ايام لمبادلة سلعهم من جلود الثيران والجمال، كما تاتي قوافل سواكن التي تستغرق رحلتها عشرة أيام أيضاً وهي تحمل التوابل والبضائع الهندية من أقمشة كتانية وغيرها ويفيدنا بوكهارد أن طريق بربر سواكن من طرق الحج الرئيسية لحجاج غرب

وأواسط افريقيا وذلك لوجود الآبار علي مساره، وأنا هنا اقتبس ما قاله بوكهارد بالنص:

"Caravans also arrive occasionally from Taka, across the Eastern mountains a journey of ten or Twelve days, to buy the same articles , or to exchange ox hides and Camels for them. Small caravans, composed prinicipally of bisharein, come also from Suakin , a journey of days, with spices and piece goods, chiefly cambries. This route is not frequented by foreign traders, from apprehension of the treachery of the Bisharein, but if any pilgrims, Happen to be at Berber, in their way to Mekka when one of these caravans sets out in its return, they often take same route, in which water is found in plenty. The usual route of the Negro pilgrims , however, is either along the banks of the Nile, or by way of taka"

خلفية تاريخية ووظيفية للمباني:

إن جزء من منطقة بربر يمكن تاريخه لعصور ما قبل الإسلام اما المدينة القديمة فإن المظاهر الأثرية فيها فانها تعود لفترة الفونج والتركية (١٥٠٤ - ١٨٨٥م) ومباني المدينة يمكن تصنيفها وفقاً لوظيفتها والخلفية الحضارية لنشاتها حيث هنالك المباني الإدراية مثل مبني المركز (رئاسة مفتش الحكومة)، مبني المديرية (رئاسة المديرية)، مخازن الاسلحة والذخيرة ومدينة الحجاج. اما المباني الأخري فهي مباني مدنية ودينية الطابع مثل المصبغة، المساجد والخلوات (المدارس القرآنية) والكنيسة.

المباني الإدراية تحتل الجانب الشرقي من المدينة ويطلق علي هذا المربع من المدينة القيقر، أما المساجد والخلوات فتقع في حي المخيرف في المربع الجنوبي للمدينة، ويفصل خور الدكة المدينة القديمة عن المدينة الحديثة.

وصف وتحليل المباني معمارياً:

١. **موقع رقم (١)** NE.36.K.4.E 1 مسجد الشيخ محمد المصري صورة جوية رقم AD-140840131 مصلحة المساحة NE.36.K خط طول ٣٣° ٤٤´ ٥٦" شرق، خط عرض ٣٤ ٨° ٥٤´ ١٧" شمال.

محمد المصري ولد في الحجاز وتعلم في مصر ومنهـا دخـل الـسودان عـن طريق دنقلا ودفن في مدينة بربر المخيرف ومكان دفنه يعرف بمقـابر المـصري . ونشير إلي أن محمد النور ضيف الله (١٧٧٩ ـ ١٨١٠م) في كتابه الطبقات الذي يعتبر من اهم المصادر لمعرفة فترة الفونج (١٤٠٥ ـ ١٨٢١م) سرد في كتابه هذا سيرة الشيخ محمد المصري[1].

بني المسجد في فترة الفـونج (١٥٠٤ــ ١٨٢١م) وقـد تم هـدم جـزء مـن المسجد خلال فترة المهدية (١٨٨٥ ـ ١٨٩٨م) ثم اعيد بناؤه مرة اخري في عام ١٩٣١م وواصل الناس الصلاة فيه حتى عـام ١٩٧٧م حيـث سـقط الـسقف وهجر المسجد.

المسجد مستطيل البناء ابعاده (١١٢٠ x٩٥سم) مـبني بـالطوب اللـبن (ابعـاد الطوبة ٢٥x ١٥x ٦سم) واعواد شجر الـدوم. لـيس هنـاك ابـواب أو شـبابيك أو سقف. ارتفاع الجدران حتى السقف تبلغ ٣٢٥سـم وسمـك الجـدرا ٥٣سـم. قـد استخدم الخشب في عدة استخدامات في دعامة الابواب اولاً، والشبابيك ثانياً وايضاً اربعة اعمدة مربعة بنيت بالطوب اللبن لا تزال واقفه، والمسجد مطلي مـن الـداخل والخارج بالزبالة (روث الحمير أو الاغنام مخلوط بالطين).

٢. **موقـع رقـم (٢)NE.36.K.4.E 2** خلــوة المــصري صــورة جويــة AD-140840131 مصلحة المساحة NE.36.K خط طول ٣٠ً ٥٩َ ٣٣ْ شرق، خـط عـرض ٤٥ً ٤٨َ ١٧ْ شمـال. الخلـوة بنيـت خـلال فـترة الفـونج (١٥٠٤ـ ١٨٢٢١م) بناها الشيخ محمد المصري (١٠٦٥هــ ـ ١٦٥٤م)[2] لتعليم الأطفال القرآن . وقد استمرت الخلوة في تعليم القرآن حتـى عـام ١٩٤٥م وقد بنيت من غرفتين احداهما لازالت واقفة أما الأخـري فلـم يبقي منها غير الساس . ابعاد الخلوة (١٠٠٠x٥٥٠سم) وراتفاع جدرانها

---

١ محمد النور بن ضيف الله .كتاب الطبقات في خصوص الولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان ، تحقيق يوسف فضل حسن. الطبعة الولي دار االطباعة. جامعة الخرطوم ١٩٧١م.ص.ص ١٠٠ -١٠١ .

٢ طارق احمد عثمان" الإسلام ودوره في العلاقات السوادنية المصرية." مجلة دراسات افريقية . العدد الثامن والعشرون جامعة افريقيا العالمية. الخرطوم ديسمبر ٢٠٠٢م ص ١٧٩.

٢٤٠سم وسمك الجدران ٢٥سم سقف الخلوة سقط وهي مطلية من الداخل والخارج بالزبالة والأساس بني من الطوب اللبن لارتفاع ٧٠سم عن سطح الأرض.

٣.**موقع رقم(٣)** **NE.36.K.4.E3** مسجد الفكي محمد .صورة جوية رقم 14084.131.AD (مصلحة المساحة السودانية) . خارطة رقمNE.36.K خط طول ٣٠ً ٥٩َ ٣٣° شرق، خط عرض ٣٠ً ٥٨َ ١٧° شمال .

المسجد بني بالطوب اللبن بقي منه الجدران في جزئه الجنوبي / الشرقي والجزء الغربي وجزء من الأعمدة المربعة لا يزال واقفا ويتصل هذا المسجد بخلوه تسمي خلوة الواقعة (مدرسة يوم الحساب) بمعني أن أي شخص يرتكب ذنبا يمكنه أن يجيء إلي هذه الخلوة لطلب الرحمة والمغفرة . الناس الذين يسكنون بالقرب من المسجد يؤمنون بأن الوالي المحجوب الذي عاش خلال فترة نهاية الفونج قد امر الناس في المخيرف أن يبنوا هذا المسجد وقد خص في دعوته النساء لكي يشاركن في أعمال البناء لهذا نجد في الجدار الغربي للمسجد غرفة كانت مصلي للنساء واساس المحراب في الجزء الشرقي.

٤.**موقع رقم(٤)** **NE.36.K.4.E 4** المركز صور جوية رقم AD 14084.131 مصلحة المساحة السودانية ، خارطة رقم .NE.36.K خط طول ٤٦ً ٥٩َ ٣٣° شرق، خط عرض ٣٦ً ٥٩َ ١٧° شمال.

المركز معظم مبانيه ما زالت اقفة، غرفة الاجتماعات ومكتب المامور واقسام الكتبة والمحاسبين.

المبني يؤرخ للفترة التركية(١٨٢١ ـ ١٨٨٥م) مبني منذ ايام الأتراك الأولي في مدبنة بربر[1] ابعاد المبني ٣٧٠٠X١٥٥٠سم وبه اثني عشر غرفة ترتفع جدرانها لاربعة امتار والجدران الخارجية ارتفاعها ٢ متر والمبني بني بالطوب اللبن.

---

١ محمد الأمين الغبشاوي. تاريخ بربر. مكتب النشر، الخرطوم ١٩٥٣. ص.ص ١٤،١٥.

أبعاد الطوب (٧x١٧x٢٧سم) واستعمل جزوع شجر الدوم كعتب للابواب والشبابيك، الجداران الخارجيةو مطلي بالزبالة والداخلية بالبياض (الرمل والجير) واستعمل الاسمنت في بعض الغرف الغرفتان في الجهة الغربية في حالة جيدة من الحفظ حيث لا يزال مدخلها المتبقي واقفا.

٥.**موقع رقم(٥) NE.36.K.4.E 5** المديرية صورة جوية رقم -AD. 14084 .131 مصلحة المساحة السودانية خارطة رقم .NE.36.K خط طول ٥٩´ ٣٣° شرق، خط عرض ١٧´ ٣٠´ ٥٩° شمال.

· المديرية بنيت علي ضفة النيل ولم يبقي من مبانيها غير حائط صغير ويمكن معرفة خارطة البناء من سطح الأرض ارتفاعها من الحائط الصغير ١سم عن سطح الأرض وبني بالطوب اللبن وبقية مباني المديرية دمرتها جيوش المهدية التي احتلت بقيادة الأمير محمد خير الذي قام بتحويل المدينة لموقعها الحالي[1] والعامل الأخر الذي ساعد في تدمير المدينة القديمة اخذ الناس لمواد بنائها المتمثلة في الطوب اللبن والأحمر. المديرية تم بناؤها خلال فترة التركية (١٨٢١ـ ١٨٨٥م) وهي عبارة عن احد المباني الأساسية حيث كان يحكم منها معظم شمال السودان.[2]

٦.**موقع رقم(٦) NE.36.K.4.E 6** المصبغة صورة جوية رقم AD. 14084 131 مصلحة المساحة السودانية خارطة رقم .NE.36.K. خط طول ٥٩´ ٣٣° شرق، خط عرض ٣٠´ ٥٩´ ١٧° شمال المصبغة تم بناؤها خلال فترة الحكم التركي (١٨٢١ ـ ١٨٨٥م)[3] وبنيت بالطوب الأحمر والاسمنت وتوضع انابيب الفخار في جزء المصبغة لحركة مياه الصبغة وتمد البئر المصبغة بالماء وهي المرحلة الأولي في عملية الصبغ.

· مبني المصبغة مستطيل ٥٥٠٠x١٧١٠سم وارتفاع ٣٥٠ سم وسمك جدرانها ٨٨ سم المبني مطلي من الداخل والخارج بالاسمنت ويعتبرر فريد من

---

١ نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان. الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٧. ص.ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

1 B.M.Holt. The Mahdist State in the Sudan 1881-1898.2nd . (ed) London Oxford University Press 1977.P.7.

٣ الغبشاوي ص ١٢.

نوعه في السودان ويشير إلي مستوي عالي في تقنية البناء والمصبغة تشير إلي ما وصلته مدينة بربر من تطور في مختلف مناشط الحياة.

٧.**موقع رقم(٧) NE.36.K.4.E 7** مسجد السيد محمود صورة جوية رقم .AD 131 -14084 مصلحة المساحة السودانية خارطة رقم NE.36.K.4 خط طول ٣٠ً ٥٩َ ٣٣° شرق، خط عرض ٣٠ً ٥٥َ ١٧° شمال.

المسجد بني في الفترة التركية (١٨٢١ ـ ١٨٨٥م) الموقع الآن في حالة سيئة فقد دمر تماما بواسطة النشاط الزراعي ولم يبقي غير اساسات المسجد التي نتمكن بواسطتها من تتبع حارطة بناء المسجد.

هذا المسجد يشابه في مواد وتقنية بنائه مسجد محمد المصري ومسجد الفكي محمد ، وبناء علي الخريطة التاريخية فان المسجد كان واقفا حتى عام ١٩٤٠م[1].

وحقيقة فان كل مباني مدينة بربر القديمة قد تم تدميرها في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي حيث تم توزيعها كاراضي زراعية بواسطة المفتش الحكومي الإداري في ذلك الوقت .

٨ – **موقع رقم(٨) NE.36.K.4.E 8** بيت سر التجار (كبير التجار) صورة جوية رقم AD.14084.131 مصلحة المساحة السودانية. خريطة رقم .NE.36.K خط طول ٣٠ً ٥٩َ ٣٣° شرق، خط عرض ٣٠ً ٥٩َ ١٧° شمال.

منزل سر التجار بني خلال التركية (١٨٢١ ـ ١٨٨٥م) ويقع شمال المركز ولم يبق منه غير جزء من جدار واساسات المبني وذلك لأن البيت قد تم تدميره واستخدامه لاغراض الزراعة سمك الجدار ٤٥سم ومبني من الطوب اللبن وأبعاد الطوبة (٢٤X١٤X٨سم) كان سر التجار يعتبر من أهم الشخصيات في المدينة خلال الفترة التركية خاصة في بربر ومدن أخري كسواكن وغيرها[2].

٩ – **موقع رقم(٩) NE.36.K.4.E 9** مخزن الأسلحة والذخيرة صورة جوية رقم AD.14084.131 مصلحة المساحة السودانية خريطة رقم .NE.36.K خط طول 30 59 33 شرق، خط عرض 30 59 17 شمال.

---

١ خريطة بربر القيدمة(القيقر) مصلحة الآثار السودانية، مكتب بربر ١٩٤٠م.

2 John Lewis Burchardt, Travels in Nubia.London .1819.P.296.

يقع مخزن الأسلحة والذخيرة في منطقة مرتفعة قرب وادي الدكة في الجزء الشمالي من المدينة الذي يفصل بربر القديمة عن المدينة الحالية والمبني قد تم استخدامه خلال الفترة التركية (١٨٢١ـ ١٨٨٥م) وقد لعب دوراً كبيراً في المقارمة خلال الثورة المهدية عندما احتلت جيوش المهدية مدينة بربر [(١)].

بني مبني الأسلحة والذخيرة في شكل مستطيل يمتد ٣٤٠٠سم من الشرق إلي الغرب ٤٨٠٠ سم من الشمال إلي الجنوب وبني من الطوب اللبن في شكل دفاعي ثم قاموا بطلائه بالجبص (البياض) أبعاد الطوبة الواحدة ٨x١٧x٣٢سم أرتفاع الجدران ٤٧٠سم من فوق سطح الأرض وهنالك برجان احدهما في الجزء الجنوبي الشرقي والآخر في الركن الشمالي الغربي ومنهما يمكن مراقبة كل المناطق المجاورة. ارتقاع البرج ٤٧٠٠سم وقطره ١٠١٠سم وسمك الجدار ٥٩٠سم وهنالك طريق صاعد يقود إلي كلا البرجين.

١٠.**موقع رقم(١٠) NE.36.K.4.E10** منزل حسين باشا خليفة صورة جوية رقم AD.14084.131 مصلحة المساحة السودانية . خريطة رقمNE.36.K خط طول ٥٩ً ٣٣ْ شرق، خط عرض ٥٩ً ٣٠َ ١٧ْ شمال.

بني منزل حسين باشا خليفة خلال الفترة التركية (١٨٢١ ـ ١٨٨٥م) لواحد من أهم الشخصيات خلال تلك الفترة ، ولكنه تم هجره بعد أن تم تدمير المدينة بواسطة جيوش المهدية. ابعاد المنزل ١٠٥٠x٧٦٠سم ويتكون من أربعة غرف بدون سقف كل الجدران بنيت بالطوب اللبن وراتفاع الجدران ٥٠٠سم وسمكه ٣٠سم والأبواب والشبابيك من خشب الدوم ورغم ازالتها من مكانها إلا أن بقاياها لا زالت موجودة.

١١. **موقع رقم(١١) NE.36.K.4.E11** الكنيسة صورة جوية رقم AD.14084.131 مصلحة المساحة السودانية. خريطة رقم .NE.36.K خط طول ٥٩َ ٣٣ْ شرق، خط عرض ٣٠ً ٥٩َ ١٧ْشمال.

الكنيسة مبنية من الطوب الأحمر المحروق وبنيت بواسطة البعثة الرومانية

---

١ شقير ص ص . ١٨٨ـ ١٩١.

الكاثوليكية كما بنوا ثلاثة اخري في الخرطوم والأبيض وجبال النوبة[1] وهـذه الكنيسة قد تم ذكرها في عدة مصادر تاريخية[2] أهمها الأب كمبـوني (١٨٨١) والذي بني هذه الكنيسة في ١٨٧٤ [3] والكنيسة بنيت علي ضـفة النيـل حيـث تنتشر قطع الطوب المحروق فوق سطح الأرض . أبعاد الطوب (٣٦x١٥x٧سم) بالقرب من الكنيسة توجد بئر (ساقية) بنيت بالطوب المحروق في شكل دائري وطليت بالملاط (جيررمل).

١٢. **موقع رقم (١٢) NE.36.K.4.E 12** مدينـة الحجـاج صـورة جويـة رقـم AD.14084.131 مصلحة المساحة السودانية خريطة رقم NE.36.K خط طول ٥٥َ ٣٣ْ شرق، وخط عرض ٣٠ً ٥٩َ ١٧ْ شمال.

. مدينة االحجاج هو المكان الذي يجتمع فيه الحجاج من كل مناطق السودان ووسط افريقيا خلال فترة الحج حيث يسافرون منه عـن طريـق القوافـل إلـي سواكن حيث تعتبر بربر في ذلك الزمان هي الطريق الوحيد الآمن إلي سواكن ومن هناك يعبر الحجاج البحر الأحمر إلي الأراضي المقدسة. ومدينـة الحجـاج مكان لتجمع الحجاج تقع عند الحافة الشرقية لمدينة بربر عند بداية الطريق إلي الشرق وقد تم بناؤها خلال فترة الفـونج (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م) وهـي مـستطيلة الشكل مقسمة إلي غرف صغيرة يبلغ عددها أكثر من ستين غرفة بنيت بالطوب اللبن . ويمكن ملاحظة النشاط العمراني الحديث.

1 Fr.Elia Tonioli"The First Century of The Roman Catholic Mission in Central Africa .1840-1946" ,SNR.Vol XXVII. 1946,PP.119. 122.123.

2 Richard Hill. Egypt in the Sudan 1820 -1881. London. Oxford University Press. 1966.P.128.

3 Giovanni Vantini.Chrisitianity in the Sudan. Rome .1981.P.243.

الخلاصة

نستخلص من الدراسة الدور الذي لعبته بربر كملتقي للقوافل القادمة من خارج القارة الأفريقية عن طريق ميناء سواكن وموانئ البحر الأحمر الأخري مثل جدة والقصير وينبع وزبيد والعقبة وأيضاً الموانئ الهندية كما هي ملتقي لقوافل حجاج السودان وحجاج غرب واواسط أفريقيا إلي الأراضي المقدسة في الحجاز ولا زالت مدينة الحجاج التي توجد في الجزء الشرقي للمدينة حتى اليوم شاهداً مادي علي ذلك وتبرز لنا هندستها المعمارية ووظيفتها الدينية والحضارية كملتقي لثقافات واعراق واللسن مختلفة جمعتها العقيدة والإيمان.

وتقف مباني مدينة بربر تراثا ثقافيا لهذا الدور الحضاري الذي لعبته مدن القوافل العربية من خلال قوافل التجارة والحجاج والمسافرين وكان للدور الديني لعمارة المدينة Architectural Function هو المكرس لهذا الدور الحضاري مما اتاح للقيم الثقافية أن تؤدي دورها بكفاءة نلاحظها من خلال دراسة عمارة المدينة فنجد مسجد وخلوة محمد المصري ذي الأصول الحجازية والقادم من مصر تؤدي دوراً ثقافيا في تعليم السكان أصول الدين الإسلامي ، كما يظهر التسامح الديني في مجتمع بربر من خلال العمارة وذلك بالسماح باقامة كنيسة ترعي شئون رعيتها من المسيحيين أما مسجد الفكي محمد فقد تم تنفيذه بمشاركة النساء في بناية واقامة مصلي لهم فيه ، كما أن هناك مسجد السيد محمود واصحاب هذه المساجد من العناصر ذات الأصول المحلية التي ساهمت مع غيرها في هذا التمازج الحضاري.

• ويلاحظ أن عامل الزمن الذي صمدت أمامه هذه المدينة طويلاً بعمارتها المتوائمة مع بيئتها قد يهزمها في النهاية يبدأ التآكل والانهيار مما يتطلب الترميم والصيانة لمبانيها حتى نحافظ علي مدينة تمثل لنا الدليل المادي لنواتج الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة.

المـــــراجـــــع

المراجع العربية:

١. بابكر بدري، *تاريخ حياتي*. الجزء الأول. مطبعة مصر بالسودان. الخرطوم ، ١٩٥٩.

٢. طارق احمد عثمان الإسلام ودوره في العلاقات السودانية المصرية ، *مجلة دراسات افريقية*. العدد الثامن والعشرون جامعة افريقيا العالمية. الخرطوم. ديسمبر ٢٠٠٢م.

٣. محمد صالح ضرار، *تاريخ سواكن والبحر الأحمر*، الدار السودانية ١٩٨١م.

٤. محمد النور بن ضيف الله . *كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء و الشعراء في السودان*. تحقيق يوسف فضل حسن. دار الطباعة جامعة الخرطوم. ١٩٧١م.

٥. محمد الأمين الغبشاوي ، *تاريخ بربر*. مكتب النشر الخرطوم ١٩٥٣م.

٦. نعوم شقير، *جغرافية وتاريخ السودان*. الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٧م.

المراجع الأجنبية:

1. Fr.Elia Toniolo"The First Century of The Roman Catholic Mission in Central Africa .1840-1946" ,SNR.Vol XXVII. 1946.
2. Giovanni Vantini.Chrisitianity in the Sudan.Rome .1981.
3. Jean pierre Green Low. The Coral Building of Suakin, Oriel Press. Leads.1976.
4. John Lewis Burchardt, Travels in Nubia.London.11819.
5. Julie Anderson Salah El-Din Mohammed Ahmed, Archaeological reconnaissance in the Berber – Abidya Region 1997 .Apost Meroitic Double Shaft tomb in El-ferikha. Archaeoloie du Nil Moyen . Vol,9. 2002.PP.15 ,16.
6. Julie Anderson, Salah El-Din Mohammed Ahmed,

"Archaeological reconnaissance in the Berber – Abidya Region 1997".,Kush,Vol.XVIII.١٩٩٨

7. B.M.Holt. The Mahdist State in the Sudan 1881-1898,2nd . (ed) London Oxford University Press 1977.
8. Richard Hill. Egypt in the Sudan 1820 -1881. London. Oxford University Press. 1966
9. Salah El-Din Mohammed Ahmed and Julie Anderson " propectins archaeologiques El Fauilles de Sauvetuge dans le Voisnage du site Dangeil (1997 et 1999) Societes Urbaines. En Egypte et au Soudan. University Charles – De Caulle- Lille III(cripel, 21. 2002).

قصة حفريات جبل موية

" في إقليم الجزيرة جنوب ملتقي النيل الأزرق والأبيض لم تستطيع حضارة مروي المتمصرة أن تستأصل كلياً تقاليد حضارية محلية قديمة خالصة. في جبل موية ليس بعيداً من سنار وجدت عدة مئات من مقابر تبرز أساسا تنمية حضارية لمستوي يرجع إلي العصر الحجري الحديث . وتؤرخ هذه المقابر ما بين ٤٠٠ ق.م - ٤٠٠م معاصر للفترة المروية في امتدادها الجنوبي، وبرزت في هذه المقابر الخرز Beads والتمائم بل ادوات حديدية وكل ذلك يظهر ان سكان جبل موية علي اتصال فعال مع جيرانهم المتقدمين في سنار. ووجدت مقابر في أقصى النيل الأزرق في الروصيرص وأيضا في شرق كردفان بها فخار من طراز جبل موية"

هنكل [1]

أن موقع الحفرية الفريدة علي قمة سطح الجبل والبانوراما المحيطة ومباني ولكم Wellcome's Buildings العملاقة يصيب المشاهد بالدهشة والإعجاب والاستغراب الباعث للخيال.

قام السير هنري ولكم Sir Hennry Wellcomes بإجراء حفرية علمية في منطقة جبل موية وأبو قيلي وجبل سقدي بناء علي رخصة صدرت من مصلحة الآثار آنذاك حوالي ١٩١٠ وقد بلغ عدد العمال المحليين في الحفرية أكثر من ألف عامل وأوقف العمل بها في عام ١٩٣٩ بعد وفاته بثلاثة سنوات، كما أن نخبة من رواد علم الآثار الخالدين قد شاركوا في هذا العمل مشاركة ميدانية وبحثية ونذكر علي سبيل المثال رايزنر Dr.Reisner الذي يعتبر أبو الدراسات السودانية الآثارية، شارك أيضاً في بعض المواسم في حفريات جبل موية كما شارك أيضاً بالإشراف علي الحفرية عالم الآثار المعروف اورك باتيس Oric Bates واشرف العالم والمؤرخ كروفورد Crowford علي حفريات ولكم في ابو قيلي ، اما سير لورنس كروين Kireoan عالم الآثارالإنجليزي الشهير فقد

---

1 Friedrich W. Hinkel.. The Archaeological Map of The Sudan Akademic Vertage. Berlin 1977.P.8.

شارك في دراسة المقتنيات والمعلومات التي خرجت من الحفرية وساهم مع فرانك اديسون F.Addison في إعداد وصياغة المجلد (جبل موية) وقام الجيولوجي المعروف جربهام Grabham أول محافظ للآثار منذ ١٩٣١ والذي كان يعمل مع إدارة الجيولوجيا في تلك الفترة بإعداد الدراسات الجيولوجية وقد نشر دراسات ونتائج الحفريات في ثلاث مجلدات (جبل موية وأبو قيلي) بالإضافة إلي المقالات التي نشرت بمجلة مصلحة الآثار كوش Kush وأيضا بمجلة (السودان في رسائل ومدونات) S.N.R وفي بعض الكتب والمجلات الأخرى.

فيما يتعلق بالميجور يوريب Majar Uribe فانة لم يكن ابنه أنما كان يشغل وظيفة مساعد أمر Resistant Commandant في بعثة ولكم الأثرية ولم يستدعي ولكم لبريطانيا في ١٩١٤ إنما كان اندلاع الحرب العالمية الأولي ١٩١٤ ـ ١٩١٨ هي السبب الرئيسي في إيقاف الحفرية ومحاولة مواصلتها مستقبلاً وكان ولكم يأمل في ذلك وكان لهذا يرسل يوريب سنويا للحفاظ علي المنزل.الذي بني فوق قمة جبل موية ولا يزال باقياً حتى الآن ومواصلة شئون البعثة وكان يرسل معه كافة التكاليف وقد شيدت مدرسة لأهالي قرية جبل موية علي السهل المتصل بالجبل بتعليمات من ولكم ولكن لظروف مرضه وهو السبب الأساسي الذي أدي به للقدوم إلي السودان حيث كان قد نصح بواسطة الأطباء في بريطانيا بان طقس مصر مفيد لصحته وعندما قدم إلي السودان تحسنت صحته حتى ١٩١٤ وقد توفي متأثراً بمرضه في ١٩٣٦.

لم يكن الذهب احد العناصر التي يبحث عنها ولكم ولم يكن من أهداف بعثته بالإضافة إلي ذلك فإن منطقة جبل موية لم تعرف عنها كمنطقة تواجد لمعدن الذهب كما أن الجيولوجي جربهام والذي نشر كثير من التقارير عن المصادر الجيولوجية والمعدنية لم يشير إلي منطقة جبل موية كمنطقة تواجد للذهب ولم يتضمن ذلك في التقرير الجيولوجي الذي نشر في كتاب (جبل مويه) كما نشير إلي حقيقة اساسية وهي أن منطقة جبل موية لم تكن قديما أو حديثاً مكان لتواجد الذهب بل أن الخريطة الجيولوجية للسودان تبين أن

التكوين الجيولوجي لمنطقة الجبل بأنه تكون من مجموعات من الشست الغير مميز . Undifferentiated Shiest Group

توضيحا لوضعية الموقع الأثري بجبل موية فإنه مسجل في سجل المواقع الأثرية للهيئة القومية الاسم : جبل موية / الخريطة : ٥٥ ك (55K) الأبعاد : ١٣ ، ٢٩ شمالاً ٣٣ ، ٣٨ شرقاً، الوصف : فؤوس حجرية العصر الحجري الحديث ، أدوات حجرية.

وعدد المواقع الأثرية المسجلة بالإقليم الأوسط تفوق الـ ٢٥ موقعا وتتم زيارة دورية لها وهناك بعض الخفراء المعينين لحماية المواقع المهددة فقط أو المتداخلة مع المناطق السكنية أو المطروقة الآن خمسة خفراء موزعين ما بين الكسمبر حتى أبو نعامة ونسبة للنشاط الأخير حول منطقة جبل موية فانه يوجد خفير معين للموقع ، وتشير إلي أن الاعتماد في حماية المواقع علي السلطات المحلية بالمنطقة من شيوخ وعمد وضباط مجالس وشرطة والحافظين والمواطنين الذين يعتبرون أهم ضلع في هذه المجموعة ، كما أن هناك لافتات في بعض المواقع للحفاظ عليها واجريت عدة موسحات وتنقيبات نذكر منها اربجي وسنار وسنجة وابو حجار وقد شاركت في بعض هذه النشاطات بعثات أجنبية (بولندين وألمان) إضافة لكل ما سبق فإن هذه المواقع الأثرية تخضع لاتفاقية (حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي) لسنة ١٩٧٢م
Convention Concerning The Protection of World Cultural and Natural Heritage.

تاكيد للحقيقة فانه لم يتم نهب لآثار جبل موية بل إن القطع الأثرية التي أخذت من الموقع مسجلة وموضوعة في مجلد (جبل موية) رقمها ونوعها وموقع استخراجها وتاريخها ومكان تواجدها حاليا وقد توزعت هذه اللقي بين كثير من المتاحف ومتحف السودان القومي أحدها. والاستيلاء الغير مشروع علي الممتلكات الثقافية (قطع أثرية وغيرها) فانها تخضع لمطالبة الدول لها لدي (اللجنة الدولية الحكومية لتعزيز وإعادة الممتلكات الثقافية إلي بلادها الأصلية أو ردها في حالة الاستيلاء غير المشروع ، ونشير إلي أن كثير من مقتنيات جبل

موية فد غرقت مع سفينة أثناء نقلها إلي بريطانيا أثناء الحرب العالميـة الأولـي عند الميناء الإنجليزي.

The Intergovernmental Committee For promoting the return of cultural property to its countries foreign as its restitution in case of illicit proportion.

واللجنة شكلتها منظمة اليونسكو في اجتماع ١٩٧٨

اكتشافات تماثيل ملوك الكتاب المقدس (التوراة)

السودانيين بدوكي كيل ـ بكرمة ـ شمال السودان

تمت هذه الاكتشافات في يوم ١١ يناير ٢٠٠٣ بقرية دوكي كيل في كرمة والتي تقع في الولاية الشمالية، علي الضفة الشرقية للنيل علي بعد حوالي ٣٠ كلم إلي الجنوب من الشلال الثالث عند أبو فاطمة. وذلك خلال الحفريات الأثرية التي تقوم بها البعثة السويسرية بقيادة البروفسير شارلس بونيه موسم ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م تحت إشراف الهيئة القومية للآثار والمتاحف.

لقد كانت هذه المنطقة عاصمة أول مملكة سودانية معروفة ازدهرت في الفترة من ٢٥٠ قبل الميلاد إلي ١٥٠٠ قبل الميلاد . وتعتبر بقاياها من أقدم المدن المعروفة في كل القارة الأفريقية ولا تزال مبانيها شاخة. واستمرت أهمية كرمة في الفترات المتأخرة وهي فترات الدولة المصرية الوسطي والحديثة وحضارات نبتة ومروي والأخيرتان عاصمتان لمملكة سودانية ازدهرت في الفترة منذ القرن التاسع قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي. ولهذه الفترة موقع أثري هام في كرمة يقع علي بعد حوالي ١ كلم إلي الشمال من مدينة كرمة القديمة وبه بقايا مجموعة كبيرة من المعابد والقصور والجبانات.

والاكتشاف الأخير هو عبارة عن العثور علي مجموعة من تماثيل ملوك نبتة مصنوعة من حجر الجرانيت، محطمة جزئياً وموضوعة بعناية داخل حفرة عمقها حوالي متران وعلي الرغم من أن هذه المجموعة وجدت محطمة إلا أنه و من خلال الكتابة الهيروغليفية بها، ورووس التماثيل أوضحت أنها للملوك وهم ترهاقا ـ تانوت أماني ـ تمثالين للملك سنكامنسكن ـ انلاماني ـ أسبلتا، وهذا الكشف يوضح أهمية منطقة كرمة ودروها في تاريخ الحضارة السودانية ، واثنان من هؤلاء الملوك ذكرا في العهد القديم (التوراة) وهم ترهاقا وتانوت أماني.

التماثيل المكتشفة تعتبر دليلاً قاطعاً علي أن موقع كرمة من المواقع أو المدن الهامة خلال فترة مملكة نبتة والحالة التي وجدت عليها تماثيل الملك تدل علي أن

حملة بسماتيك الثاني (٥٩١ ق.م) حاول القضاء علي آثار مملكة نبتة في الكوة والبركل ، ولكنه فشل واستمرت المملكة.

الحفريات بمنطقة كرمة تقوم بها البعثة السويسرية من جامعة جينيفا بالتعاون مع الهيئة القومية للآثار والمتاحف ، وقد بدأ هذا العمل منذ بدايات حملة إنقاذ آثار النوبة . تولي قيادة العمل في هذا الموقع البروفسير شارلس بونيه ونتيجة لمجهودات العمل المتواصل في مجال البحث الأثري بالمنطقة تم اكتشاف عدة مخلفات أثرية كان لها دورها البارز في تصحيح مسار التراث الحضاري السوداني و العالمي فقد لعب السودان أثناء فترة هؤلاء الملوك دوراً أساسي في أحداث الشرق الوسط.

هذه التماثيل المحطمة تدل علي غزو الملك بسماتيك الثاني لمملكة نبتة والذي حكم خلال الأسرة السادسة والعشرين وقد كان هذا الغزو في بدايات القرن السادس قبل الميلاد ، وقد صحب هذا التحطيم أيضاً بعض المعابد والتماثيل بالبركل وتشمل تماثيل الأسرة النبتية والتماثيل التي تم اكتشافها حتى الآن هي تهارقا، تانوت أماني، سنكامنسكن، انلاماني واسبلتا ، وهم لأسرة واحدة وتشمل تهارقا وهو جد الملك سنكامنسكن بن الملك انلانيرسا وانلانيرسا واسبلتا هم ابناء سنكامنسكن أما الملك تانوت اماني فهو بن شقيق الملك تهارقا وهو أخر الملوك السودانيين الذين حكموا مصر والسودان.

الملك تهارقا ٦٩٠-٦٦٤ ق.م

ابن الملك بعانخي حكم لمدة ستة وعشرين سنة واستطاع خلالها أن يسيطر علي كل وادي النيل حتى الدلتا واتخذ من منطقة البركل عاصمة له واستطاع كذلك أن يسيطر علي منطقة فلسطين الحالية. شيد عدة معابد للأله آمون في كل من جبل البركل والكوة كما أضاف جزء لمعبد بوهين كما شييد معابد في مصر . توجد مقبرته في نوري ودفن فيها في أكبر هرم وقد ذكر في الكتاب المقدس في سفر الملوك حيث ائتلف مع مملكة يهوذا في فلسطين لمحاربة الإمبراطورية الآشورية في العراق.

الملك تانوت أماني ٦٦٤ ـ ٦٥٦ ق.م:

خلف الملك تهارقا في الحكم آخر ملوك نبتا ممن حكموا مصر الفرعونية له تمثال معروض بمتحف السودان القومي. هو ابن الملك شباكو واستطاع الملك تانوت أماني السيطرة علي مصر ٦٦٣ ق.م ولكنه سرعان ما تراجع إلي منطقة البركل اثر هجوم الآشوريين علي مصر . دفن في المقبرة رقم (٦) بالكرو وقد ترك تانوت أماني لوح عرف باسم لوح الحلم يذكر فيه بأنه حلم بفتح مصر مرة أخري بعد خروج ترهاقا منها إلي نبتة من قبل وقد تم له فتح مصر ولكنه تراجع إلي نبتة بعد عودة الآشوريين.

الملك سنكامنسكن ٦٤٠ ـ ٦٢٢ ق.م:

يعتبر سنكامنسكن من أقوي ملوك فترة نبتة، فقد استطاع ان يبقي علي ديانة الأله آمون رع في معبده بجبل البركل، وجد له تمثال في بدايات القرن العشرين بمنطقة جبل البركل ومعه تمثال لزوجته أماني ماليل التي لها تمثال بمتحف السودان القومي .أتي سنكامنسكن للحكم خلفاً للملك اتلانيرسا في بدايات القرن السابع ق.م وله تمثال بمتحف السودان القومي وهو علي شكل أبو الهول.

هنالك تمثال للملك تهارقا وتانوت أماني ولا يوجد تمثال كامل للملك سنكامنسكن بالسودان ، والتمثال الوحيد لهذا الملك معروض بمتحف بوسطن للفنون الجميلة بالولايات المتحدة الأمريكية.

الملك انلاماني والملك اسبلتا توليا الحكم في الفترة من ٦٥٠ ـ ٥٧٥ ق.م ، وقد عثر لنصب يخص الملك انلاماني في موقع الكوة ، ويوجد تمثال يخصه بمتحف السودان القومي ، وعثر علي نصب الانتخاب للملك اسبلتا في نبتة .

تعتبر مملكة كرمة أول مملكة افريقية ذات كيان إداري وسياسي وديني في القارة الأفريقية حيث امتدت فترتها من العام ٢٥٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م وهي ذات اصول محلية نوبية غير متأثرة بالحضارة المصرية القديمة، ومن المعالم الاثرية الهامة

التي تزخر بها مملكة كرمة ما يعرف بالدفوفة الشرقية وهي عبارة عن معبد جنائزي يتم به الطقوس الدينية الجنائزية ومرتبط بالجبانة الموجودة قربها، أما الدفوفة الغربية فهي كانت تمثل معبداً والمقر الإداري لولاة مملكة كرمة وقد استخرجت كثير من المقتنيات الأثرية من كرمة.

استطاعت البعثة السويسرية ومن خلال عملها بالموقع والذي استمر لأكثر من ثلاثون عاماً اكتشاف تسلسل حضاري لتطور مملكة كرمة وتم تقسيمها لثلاث فترات تاريخية هي كرمة القديمة والوسطي والحديثة وامتازت هذه الفترة بصناعة الفخار الجيد الصنع والمميز المعروف بفخار أحمر مصقول و أسود في الأعلى Black topped red polished ware .

يمثل هذا الاكتشاف إضافة حقيقية للتاريخ السوداني القديم وأن مملكة كرمة لم تفقد مكانتها المرموقة حتى في ظل الوجود المصري لوقوعها في الطريق التجاري وهي للملوك:

١/ تمثال للملك طهارقا Taharqa يبلغ إرتفاعه حوالي ٢,٥ متر.

٢/ تمثال للملك تانوت آماني Tanutamani.

٣/ تمثالان للملك سنكامانسكن Senkanamisken.

٤/ تمثال للملك أنلاماني Analamani.

٥/ تمثال للملك أسبلتا Aspelta .

وهؤلاء الملوك حكموا السودان في الفترة من ٦٩٠ إلي ٥٩٣ قبل الميلاد واثنان منهما (تهارقا وتانوت آماني) حكما السودان ومصر وامتد نفوذهما حتى منطقة فلسطين.

ـ تماثيل لنفس المجموعة من الملوك كانت قد وجدت محطمة عند جبل البركل في عام ١٩١٧م، وربما دلت هذه الاكتشافات علي آثار لحملة عسكرية قام بها

الفرعون المصري بسماتيك الثاني ضد السودان أو ثورة قام بها كهنة آمون ضد الملوك في عهد الملك أسبلتا. كما أن مجموعة التماثيل الأخيرة تشير لأسم كرمة القديم وهو بنبس Pnubs ، هذا الاسم الذي ذكر في كثير من الوثائق الكوشية وهو لمعبد يكون جزء من رحلة التتويج إذا كان يتم تنصيب الملك في جبل البركل ومن ثم يقوم برحلة لعدة معابد داخل مملكته ولم يكن يعرف مكان هذا المعبد من قبل وقد وجد اسمه علي ظهر هذه التماثيل في هذا المعبد.

- هذه التماثيل في غاية من الإتقان والجمال وتعتبر قطع متحفية من الدرجة الأولي وسوف يتم ترميمها وتعرض في متحف حضارة كرمة المقترح والذي سوف يتم تشييده إلي الشرق من المدينة القديمة.

دراسات في الفولكلور

سواكن بين الأسطورة والواقع

عرفت سواكن بالعمق التاريخي منذ نشأتها، حيث يبدأ فجر بزوغها بالتاريخ الأسطوري والذي تفاعلت فيه مع مرور الزمن الأسطورة مع الواقع فتلازمتا حتى وقتنا الحاضر. والأسطورة هي إحدى الأنواع الأدبية الشعبية العالمية[1]، وتعتبر من ضمن ركائز الأدب الشعبي المشكلة لمواد التراث الشعبي التي يعني علم الفلكلور بدراستها.

عرفت الأسطورة أو الخرافة بتعبير أدق، بأنها قصة حدثت في الماضي القريب وشخصياتها تتكون من شخصيات خارقة للطبيعة وبشر عاديين.

يعتقد الناس علي الساحل الغربي للبحر الأحمر وفي سواكن بصفة خاصة أن جزيرة سواكن مسكونة بالجن، فهم لا يقتربون منها بالليل ونسجوا في ذلك كثير من القصص الخرافية تمتعت قطط سواكن بوضعية متميزة في هذه القصص وتنتج عن ذالك مكانة خاصة لها في الجزيرة فأصبحت المالك الفعلي لها وتعامل بكل تقدير واحترام وخوف من قبل السكان وذلك لقناعتهم الذاتية بأنها ليست قطط بل جان متمثل في شكل قطط. والجان هو العنصر المشترك في كل قصص الأساطير التي تدور حول سواكن، أما القطط فقد ارتبطت بالقوة الغامضة الغير منظورة وقد عبده الفراعنة في مصر وعرف باسم (باست) (بأ يعني روح أست ازيس) والمعني الكامل للإسم روح الإله ازيس وهي زوجة الإله ازوريس اله عالم الموتى واعتقدوا أنها سيدة السحر والسحرة[2] وهكذا اكتسب القط احترامه ووضعيته من ألاف السنين. ليس في مجتمع سواكن فقط.. بل نجد هذه المكانة المميزة في كل المجتمعات وعلي الخصوص المجتمع المصري ويوضح هذا محمد صابر في كتابه (مصر تحت ظلال الفراعنة) حيث يقول: كثيرون منا يذكرون تحذير أمهاتهم لهم من ضرب القطط ليلاً فيقلن في هذا الصدد "أوع تضرب القطط بالليل لأن له سبعة أرواح وإن أهانته تعد أذية كبيرة" لماذا يخشى الناس القطط بالذات ويتجنبون أهانته ويحسنون معاملته[3].

---

١ محمد الجوهري- علم الفولكلور- القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة- ١٩٧٨م ، ص.ص ٧٣-٥.

2 Cootes. R.J & Snellagrove,LE. The Ancient world. Hong Kong Longman.PP.1984.34-35.

٣ محمد صابر، مصر تحت ظلال الفراعنة- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية- بدون تاريخ.ص.ص ٥٦٨ – ٥٧٠.

لقد حافظت هذه المعتقدات الخرافية علي التراث المادي لسواكن وساعدت علي أن يظل هذا الواقع حقيقة ملموسة ممثلاً في مباني الجزيرة التي بقيت قائمة بصورة سليمة وجيدة علي مدي زمني طويل حتى بدت عوامل الطبيعة والبشر العمل علي تأكلها وانهيارها في السنوات الأخيرة[1].

والآن..بعد هذه المقدمة نأتي لنحدد الفواصل بين ما هو واقعي وما هو أسطوري في قصة نشأة سواكن وكيف تمازجت الأسطورة مع الواقع في تناسق وتناغم أعطي مدينة سواكن خصوصيتها من بين مدن العالم أجمع. والواقع الفعلي في قصة سواكن هي موقعها الجغرافي الفريد وشكلها المتكامل.

الواقع في قصة سواكن:

أولاً: الكينونة:

تكون مدينة سواكن السودانية علي الساحل الغربي للبحر الأحمر جنوب ميناء بور تسودان علي بعد (٥٠) كلم منها، عند خط عرض 11°،١٩ درجة شمالاً وخط طول ٢٠َ،٣٧° درجة شرق. وتقع سلسلة جبال البحر الأحمر غرب سواكن علي بعد عشرات الكيلومترات منها ممتدة جنوب- شمال وكانت سواكن تعتبر أهم ميناء علي البحر الأحمر حتى عام ١٩٠٩م. عندما فتحت ميناء بور تسودان[2]. وترتبط سواحل البحر الأحمر بدواخل السودان وأفريقيا ، كما أنها تتاجر مع الموانئ الشرقية علي الساحل الأخر مثل ميناء مخا والحديدة في اليمن وجدة وينبع في السعودية والعقبة في الأردن. ومما أضاف أهمية لموقعها أنها كانت تتوسط موانئ الساحل الغربي مثل عصب ومصوع في أريتريا وعيذاب وعقيق في السودان ورأس بنياس والقصير في مصر.

ثانياً: الوجود:

توجد سواكن من ثلاثة مناطق أو أجزاء متكاملة، حيث يقع الجزء الأول منها علي الأرض الساحلية ثم يأتي الجزء الثاني وهو الرئيسي ويقع داخل

---

١ تقرير خبير اليونسكو، مايكل باري لين Michael,Barry- بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩٩٣م

2 Roden, D." The Twentieth Century Decline of Suakin". SNR, Vol.11.1970.P.9.

الجزيرة وقامت عليه كل مباني سواكن الهامة ومحيط الجزيرة اثنين ونصف كيلومتر وتبعد عن البر أو الجزء الأول بحوالي (٤٠) متر، أما الجزء الثالث وهو الجزيرة تعرف باسم الكوندنسر- أو جزيرة الكنداسة تبعد حوالي (٨٠) متر شمال جزيرة سواكن (الجزء الثاني) وكانت تستعمل الجزيرة في أعمال تتعلق بالميناء مثل مربط السفن وبعض الأعمال الإدارية.. ترتبط هذه الجزيرة في الجزء الشمالي الغربي منها بالبر وذلك من خلال أرض محاطة أو بربخ تقل فيها مياه البحر، وجزيرة الكنداسة أصغر من الجزيرة الرئيسية (سواكن)[١].

وقد سميت جزيرة الكنداسة وهو النطق المحلي للاسم الإنجليزي الكوندنسر (Condenser Island). وقد أطلق عليها الإنجليز عند محاصرة جيوش الأنصار بقيادة الأمير عثمان دقنة لجزيرة سواكن.

وقد نتج عن حصار المدينة قطع المياه مما أدي بالقوات الإنجليزية بقيادة جرهام (Graham) إلي تكثيف مياه البحر (تحليتها) بالتبخير بواسطة مكثف (Condenser) وضع علي الجزيرة في عام ١٨٨٤م وكانت تعرف قبل هذا التاريخ باسم جزيرة (عبد الله الجبرتي) ويوجد ضريحه بها[٢].

إن مباني سواكن تعكس مبادئ تخطيط المدن الإسلامية في العصور الوسطي واللاحقة، ويقسم معمارها إلي ثلاث حقب معمارية:

١. الفترة القديمة: وتمثلها مباني ترجع إلي التركية القديمة وخير مثال لهذا المعمار هو الجامع الحنفي والشافعي داخل الجزيرة والذي يرجع البعض بناء الجامع الشافعي إلي عهد أقدم إلي فترة المماليك، ويقال أنه قد بنته الملكة شجرة الدر (١٢٥٠م). ويؤرخ لهذه من القرن الخامس حتى القرن الثامن عشر الميلادي[٣].
٢. الحقبة الوسطي: وترجع إلي نهاية القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر وينتسب معمار هذه الفترة إلي طراز المعمار التركي وتتميز مباني هذه الفترة بأنها تتكون من ثلاثة طوابق بنسب متناسقة.

---

1 Greenlaw, Jean Pierre. The Coral Buildings of Suakin. London Oriel Press. 1976.PP.10-11.

٢ محمد صالح ضرار- تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الخرطوم، الدار السودانية للكتب-١٩٨١م،ص ١٢٤.

٣ المصدر نفسه ص.١٤٨.

٣. الحقبة الأخيرة: و أسلوب معمارها هو العمارة المصرية التركية وتبدأ من نهاية القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين، وتتميز المباني بـالكبر وعدم التناسق.

هنالك تمازج تام بين كل هذه المباني حتى التي ترجع إلي فترات مختلفة كما أن هذه المباني ذات الشكل المكعب نجدها قد ازدانت وزودت بفتحات شبكية ومشربيات بارزة.

إن مباني سواكن متشابهة في طرازها لمباني مصوع وجدة والحديدة والمخا وصنعاء وأسلوب المباني مشابه لمباني مكة والمدينة القديم، فسواكن قد نـشأت مدينة إسلامية وتطورت علي هذا النسق..

وكان غالبية البناءين يحضرون من جدة وقد أفادني المشرف علي قبة الشيخ أبو الفتح محي الدين الشاذلي القرشي الكائنة بسواكن بأنه سمع بأن بنائين القبة كانوا قد أحضروا من جدة[١]. إضافة إلي ذلك فإن قبة السيد محمد عثمان تاج السر الميرغني المدفون بسواكن بعد أبو الفتح بمدة زمنية طويلة سنة ١٩١٣م فقد قام ببنائها بنائين محليين جداوية (أي أصولهم من جدة)[٢].

يصف ديرك مايوس Derek.H.Mathews بأسلوب ساحر بليـغ (مهنـدس مصلحة الأشغال العامة السودانية) سنة ١٩٥٣م سواكن فيقول:

"إنه من المثير للدهشة بعد المرور من خلال سهل الملح العـريض مـن بـور تسودان حتى القدوم والإطلال علي سواكن التي تلوح للعين المباني البيضاء من البعد في الفضاء المنبسط مثل ناطحات السحاب بالرغم من أن أقـصي ارتفـاع ارتفاع لبعضها لا يزيد عن أربعة طوابق، لكنها تبدو عملاقة بتباينها مع السهل الخالي. أنها مدينة تتراء كما كأنها نحتت من الجبن".

وفيما يلي النص الحرفي:

---

١ مقابلة للكاتب مع الشيخ أبو الفتح عبد العليم اوونور المشرف علي قبة الشيخ أبو الفتح محي الدين الشاذلي القرشي بسـواكن ـ المقابلة بتاريخ ١٩/ ٩/ ١٩٩٣م بسواكن شريط رقم ٣٤٦٧ (معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية .. جامعة الخرطوم).

٢ مقابلة مع الخليفة حسن ابو محمد جيلاني المشرف علي قبة السيد محمد عثمان تاج السـر بسواكن مقابلة بتاريخ ٢١/ ٩/ ١٩٩٣م بسواكن، شريط رقم ٣٤٦٧ (معهد الدراسات الأفريقية).

" It is supervising, on going across the wide salt from Port Sudan, to come upon Suakin looming out of the flatness. The white building look like skyscrapers, and although none has more than four floors, they seem semantic, in contrast to the empty plain. The town looks as if they have been carved out of cheese"(١).

ثالثاً: الاسم:

عرفت سواكن بعدة أسماء ولازالت تطلق عليها وتداخلت هذه الأسماء مع الأسطورة، فقد ورد اسم سواكن في المصادر الأوربية القديمة باسم سواكم (Suakem) حيث ذكرها القبطان البحري البرتغالي دون جوان دوكاسترو Don Juan da Castro عند وصفه لميناء سواكن سنة ١٥٠٥م. فقد قال أن مساحة الجزيرة لا يوجد موطن قدم إلا وقد بنيت عليه المنازل، وعليه فإن كل الجزيرة هي مدينة وكل المدينة هي جزيرة، هذه هي سواكن.

وهذا وصف دوكاسترو:

"In this space there is not a foot of ground but what is taken up with house، so that all the island is a city، and all the city an island. This is Suakin. "(٢)

وقد ذكرها أيضا باسم جون افنتون John Ovington الذي عمل كقسيس بشركة الهند الشرقية منذ سنة ١٦٩٠م حتى ١٦٩٣م في كتابه (رحلة إلى سوارت) (A voyage to Suratt) الذي يحكي فيه تجربته ووصفة لبعض الأماكن والموانئ الهامة ومنتجاتها فقد ذكر أن من سواكم يأتي سن الفيل والتبر التي يحضرها تجار هنود.

قال افنتون:

"From Soachim (Suakin)، elephant's teeth and gold dust، which are bought by the merchants of India"(٣)

---

1 Mathews, Derek H.' The Red Sea Style'. Kush, Vol.1, 1953. Pls. XVII, XIX, XX.Figs.13, 16, 17.
2 Green law, op.cit.10.
3 Ovington,John".A Voyage to Surat" . In Sir William Foster (Ed) The Red Sea And Adjacent Countries. London .University Press Oxford. 1949, P.176.

ونشير إلي أن سن الفيل كان يأتي من ظهيرة الساحل للبحر الأحمر من دواخل السودان، أما الذهب فإنه كان يأتي من مناجم البحر الأحمر (جبيت ودرهيب وانيب) ومناجم منطقة النوبة في شمال السودان مثل (دويشات وام نباردي ووادي امور).

وحول هذا الاسم سواكن (Suakin) فإننا لا نستطيع تتبع أصوله أو معناها أو دوافع استعماله بواسطة بعض أوربي عصور الاستكشاف الأوربي، وقد تلاحظ لدينا أن جون بور كاهارت (John Lewis Burchard) (١٧٨٤-١٨١٧م) أشهر الرحالة المستكشفين في عصره والذي زار سواكن في طريقه إلي مكة في ١٨١٤م. وقد ذكرها باسم سواكن[1].

إن اسم سواكن هو اسم يوجد ما يفسره في الأسطورة الثانية التي سنذكرها لاحقاً عند استعراضنا للأساطير وقد ذكر بواسطة الرحالة والكتاب والجغرافيين العرب نذكر بعضاً منهم:-

فقد ذكر المسعودي (٩٥٦م) في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وياقوت الحمري (١٢٢٩م) في معجمه (معجم البلدان) وأيضاً ذكر أبو الفداء (١٣٣١م) في مختصره، كما أشار إليها القشقلندي (١٤٧١م) في مؤلفه (صبح الأعشى في صناعة الانشاء).

أخيراً نأتي إلي الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٧م) الذي زار سواكن وهو قادم إليها من مكة وذكرها باسم سواكن وقدم صورة وصفية واقعية بديعة لسواكن عكست كافة أوجه الحياة وأحوالها في تلك الفترة وقد رأيت أن أذكر نموذج منها يمثل لنا هذه الكتابات العربية عن سواكن، وهذا بعض ما قاله ابن بطوطة:

وبعد يومين من مسيرنا وصلنا إلي حي من العرب يعرفون بأولاد كاهل، مختلطين بالبجاة عارفين بلسانهم.

وفي ذلك اليوم وصلنا إلي جزيرة سواكن، وهي علي نحو ستة أميال من البر، ولا ماء ولا زرع ولا شجر، والماء يجلب إليها في القوارب وفيها صهاريج

---
1 Burckhardt,J.L.Travels in Nubia,John Murrau.1819.

يجتمع بها ماء المطر. وهي جزيرة كبيرة وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش، والمعزي عندهم كثير والألبان والسمن، ومنها يجلب إلي مكة وحبوبهم من الذرة كبيرة الحب يجلب منها إلي مكة.

ذكره سلطانها: (وكان سلطان جزيرة سواكن حين وصولي إليها الشريف زيد بن أبي نمي وأبوه أمير مكة وأخوه أميريها بعده وهما عطيفة ورميثه اللذان تقدم ذكرهما.. وصارت إليه من قبل البجاة فإنهم أخواله ومعه عسكر من البجاة وأولادهم كاهل وعرب جهينة[1]*.*

أما الاسم الثالث الذي أطلق علي سواكن فهو اسم سواجن وتنطق با (ج) المعطشة (سواجن) وهو اسم يتداخل مع الأسطورة الأولي والثانية يفسرها وتفسره، ويطلق هذا الاسم فقط من قبائل الرشايدة العربية القاطنة بشرق السودان وعلي سواحله. والرشايدة هم آخر هجرة عربية قدمت للسودان في بداية القرن التاسع عشر الميلادي[2]. وقد درجوا علي نطق (ج) كجيم معطشة ولا يعرفون لسواكن اسم آخر غير هذا الاسم (سواجن).

والآن إلي الاسم الأخير الذي يرتبط بالأسطورة الثالثة والأخيرة وهو الاسم الذي يعرف به قاطني المنطقة مدينة سواكن ، فقبيلة الهدندوة تعرف سواكن باسم (اوسوك)[3] وتعني الكلمة السوق بالعربية ويبدو أن كلمة اوسوك هو تخريج محرف لكلمة السوق العربي باللسان التبداوي والحقيقة أن سواكن تمثل السوق الرئيسي لقبائل الهدندوة الذين يسكنون التلال المجاورة ولا يقدمون لسواكن إلا للتسوق.

مما سبق، هذه هي معطيات الواقع في قصة سواكن من حيث موقعها ووصفها واسمها، وقد أوضح الواقع بعض الأشياء وصمت عن البعض الآخر وهنا تتداخل الأسطورة لتتضمن في مضامينها تفسيراً لهذا الواقع وما غض عليه وإعطاء إجابات وتعليلات ترضي وتزيل ما التبس علي النفس البشرية في

---

١ ابن بطوطة- رحلة ابن بطوطة- القاهرة، دار الكتاب المصري- بدون تاريخ.ص١٦٤.
٢ يوسف فضل، دراسات في تاريخ السودان، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٥م.ص١٧٣.
٣ مقابلة للكاتب مع بعض أفراد من قبيلة الهدندوة في سوق سواكن. ١٠/ ١٩٩٣م.

تفسيرها لبعض الظواهر أو تؤيد الأسطورة رواء معينة عجز الواقع عن تأييدها فنشأت أو خلقت الأسطورة لتمزج ما بين الواقع والخيال، فالأسطورة تحمل مضامين من الواقع.

الأسطورة في قصة سواكن:

لقد عرفنا في بداية هذه الدراسة الأسطورة ولكنه كان تعريفاً للشخصيات المشكلة لبنائها، وهو تعريف يتطابق مع تفسير الأساطير التي سوف نذكرها، ولكن هناك وظيفة للأسطورة Function رأينا أن نقدمها من قاموس الفولكلور الذي يعرف الأسطورة تعريف وظيفي بالاتي:

"الأسطورة: قصة تقدم وكأنها حدثت في زمن الماضي وهي تفسر المعتقدات الكونية الخارقة للطبيعة لدي الناس مثل أربابهم وأبطالهم وسماتهم الثقافي ومعتقداتهم الدينية، والغرض من الأسطورة هو التفسير، وهكذا تخبرنا الأساطير عن خلق الإنسان والحيوان ومظاهر الأرض[1]".

الأسطورة الأولي:

كانت جزيرة سواكن علي البحر الأحمر جزيرة خالية معزولة يسكنها الجن وكان أحد ملوك الحبشة قد أهدي سبعين جارية بكر إلي نبي وملك إسرائيل سليمان بن داود، وكان علي صداقة مع ملك الحبشة وأرسلت إليه في بيت المقدس بأورشليم، وقد أبحرت بهن السفن من مصوع في الجنوب في طريقهن إلي الشمال إلي القدس، وفي الطريق ألقت السفن مرساها في سواكن واستطابت الإقامة بها وفي الليل واطأ السواكنين الجن الجواري ولما وصلنا إلي ميناء العقبة ثم سرنا إلي القدس ففرح بهن سليمان ولكن بعد شهور ظهر عليهن الحمل وغضب سليمان واستفسرهن عن الأمر فحكين لهن كيف أثناء إقامتهن بالجزيرة قد قام بزيارتهن بالليل جن فوطؤهن وهن غير مسؤلات عما حدث لهن وصدق سليمان قصتهن، ولكي لا يزعج صديقة ملك الحبشة فإنه قد قام بإرجاع الجواري مع أطعمة وملابس إلي جزيرة سواكن وبعد مدة أرسل

---

1 Standerd Dictionary of Folklore. (Ed) Maria. Leach. London, Funk & Wagnalls Company. 1950, P.778.

إليهن أطعمة وملبس ومركب (سمبوك) وبعد مدة ولدة الجواري فكان هؤلاء الأطفال نواه سكان سواكن ، أما السمبوك فكان نواه تجارة سواكن البحرية وهكذا عرفت سواكن بأنها عملت بواسطة الجن (سواجن) ومن هذه اللأسطورة اشتق هذا الاسم (سواجن) وهو الاسم الذي يطلقه عليها الرشايدة كما ذكرنا سابقاً.

ويؤمن السكان في سواكن بهذه الأسطورة ويقولون أنهم يشاهدون في المساء أشخاص ذو بشرة نحاسية يجوبون طرقات سواكن ويعتق السكان أن هؤلاء الناس هم اخر سلالة ذلك الجن وإنهم يعاقبون كل من يأتي بفعل سيئ في سواكن[1].

إن بناء شخصيات الأسطورة هنا قد قامت علي عنصر بشري طبيعي (ملك الحبشة- الجواري-الملك سليمان). وعنصر خارق للطبيعة (الجان) كما توفر الأسطورة عنصر الزمان والمكان- زمن الملك سليمان ابن داود وملك الحبشة. أما المكان- أرض الحبشة وسواكن وبيت المقدس. والآن لنري كيف توظفت هذه العوامل في بناء الأسطورة وإعطائها شيئ من الواقعية، إن الأدلة التاريخية تؤيد العلاقة التجارية ما بين موانئ البحر الأحمر وسواحل البحر الأبيض، بل تؤكد النصوص الدينية في التوراة إن الملك سليمان بن داود في القدس أورشليم كان يستورد البضائع الأفريقية من سواحل البحر الأحمر الغربية في السودان والحبشة فتقول التوراة النص:

"وجميع آنية شرب الملك سليمان من الذهب وجميع آنية بيت وعر لبنان من ذهب خالص لا فضة.. هي لم تحسب شيئاً في أيام سليمان. لأنه كان للملك في البحرسفن ترشيش مع سفن حيرام. فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاثة سنوات أتت ترشيش حاملة ذهب وفضة وعاجاً وقروداً وطواويس فتعاظم الملك سليمان علي كل ملوك الأرض في الغني والحكمة[2]".

إن مضمون الأسطورة يفيد بأن سواكن قد أنشئها أناس أتوا من الخارج وقوي خارقة للطبيعة وعليه فإنه ليس هناك حق لقوة محلية الادعاء بإنشاء

1 Bloss, J.F.E."The Story of Suakin", SNR, Vol.XIX, 1936.P.273.

٢ الكتاب المقدس، دار كتاب المقدس، القاهرة، مطبعة عنتر ١٩٦٩. ص٥٥٣.

سواكن، هذا المضمون الأسطوري يتشابه تماماً مع المضمون الواقعي الذي يقول بأن أصول السكان القاطنين للجزيرة هم نسل لأقوام أتوا من الخارج للميناء منذ زمن بعيد. وقدموا من جهات مختلفة من العالم المجاور والبعيد وأسسوا تجارة رابحة في الجزيرة وقد ابتعد هؤلاء عن جنسياتهم السابقة واكتسبوا جنسية فخروا وتعصبوا لها وهي أنهم سواكنية وإن كان هذا لا ينفي أن هناك عائلات من قبيلة محلية أتوا من الجبال المجاورة واستوطنوا القيف (خارج الجزيرة الرئيسية) وادعوا الحق في إنشاء سواكن وقد وظفت الأسطورة الثالثة لتثبيت هذا الحق وسنوضح ذلك في حينه، ولنعود الآن لأصحاب الأسطورة الأولي.. إن هؤلاء السواكنية هم من وظفت الأسطورة لصالحهم ولتفسير تواجدهم ولإعطاء الحق الشرعي لهم في سواكن ولتخدم ترابطهم ووحدتهم الذاتية ولتخلق لهم كينونة تعود بهم لازمان سحيقة في التاريخ.

إن القارب (السمبوك) الذي أهداه نبي الله سليمان والذي أسبغ رعايته وعطفه النبوي علي المستوطنين الأوائل للجزيرة أسلاف الحاليين والذي لايزال يستعمل حتى الآن في تجارة سواكن كان هو الرمز والدليل المادي الملموس الرابط لأحداث الأسطورة مع أحداث الواقع الحالية.. لقد تداول هذا السمبوك طيلة القرون وحتى الآن فهو رمز لسواكن الماضي والحاضر[1].

وفي النهاية نجد أن تركيب هذه الأسطورة متكامل من حيث بناء الشخصيات المشكلة لها ومن حيث الزمان والمكان والوظيفة التي هدفت إليها.

الأسطورة الثانية:

إن نبي الله سليمان ابن داود ملك بني إسرائيل كان قد جعل من سواكن سجناً للمجرمين وكان يعتقد أن سواكن اخر مكان في العالم فهي خير مكان

---

١ نشير إلي أن هناك اختلاف بين مركب البحر الأحمر ومركب البحر الأبيض في الجزء الغاطس في الماء، فالأولي نجد ان غاطسها ومقدمتها تبدأ محدبة وتنتهي في نهايتها عند الماء بصورة مسلوبة تماما وقد حتم هذا التحدب الشديد الذي ينتهي باستداق في مقدمتها يعطيها فرص للمرور والمنارة بين هذه الشعب التي تشكل خطراً جسيما علي السفينة، بينما لا يحتاج مركب البحر الأبيض إلي هذا التحدب بل تأخذ شكل نصف بيضاوي وذلك لعدم وجود شعب مرجانية بالبحر الأبيض تعوق الملاحة.

لحبس هؤلاء المجرمين وبذلك لا يسبب أي ضرر ويهربوا منها، وبمرور الزمن نما عدد هؤلاء السجناء واعتادوا علي الحياة في الجزيرة وبعد مدة شكل هؤلاء السجناء مستوطنة مزدهرة وعملوا علي الاتجار مع البجة في التلال المجاورة وازدهرت تجارتهم وازداد رخاء وسمت مكانتهم الاجتماعية وأصبح الاسم يخجلهم ويلحق بهم العار ويذكرهم بوضاعة أصلهم، فعملوا علي تغييره فأصبح الاسم سواكن.

نلاحظ في كلتا الأسطورتين الحالية والسابقة أن هنالك شخصية محورية قد تكررت في الأسطورتين وهو الملك سليمان ابن داود، وفي كلتا الحالتين ترمز هذه الشخصية إلي المشيئة المقدسة في إنشاء سواكن. أما الاعتقاد بان سواكن هي أخر مكان في العالم فهذا الاعتقاد يرد أيضا في الأساطير الإغيريقية القديمة ونجد في ملحمة الإلياذا للشاعر الإغريقي هوميروس (Homerus) القرن التاسع. م، يذكر أن الآلهة الإغريقية تقضي حوالي اثنا عشر يوماً في السنة في أرض الأثيوبين والتي يعتبرها الإغريق أبعد مكان في العالم[1]. جاء في الأسطورة إن سواكن قد اتخذت سجناً لمجرمين من قبل سيدنا سليمان فنجد في الواقع أن ساحل البحر السوداني كان يتخذ كمنفي أو سجناً علي مدي عدة عصور ويذكر لنا المؤرخ الإغريقي ثيودور الصقلي (Diodor sicilian) (٦٠ ق.م-٣٠٠م) في تاريخه أن ملوك مصر الفراعنة كانوا ينفون أسري الحرب وعتاة المجرمين إلي جبال البحر الأحمر وذلك للعمل في مناجم الذهب الملكية[2] وقد أورد الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك أن سيدنا عمر ابن الخطاب قد قام بنفي الصحابي أبو محجن الثقفي إلي باضع ميناء السودان القديم[3] (عند جزيرة عقيق جنوب طوكر ٦٤كلم). كما إن ملك الفونج قد نفي إلي سواكن بعد هزيمته من منافس له وقد ذكر ذلك كاتب الشونة في مخطوطته[4]. ونجد في

---

١ عبد المعطي شعراوي. هوميروس شاعر الالياذه والادوسا. القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١.ص.٣٢.

2 The Sicilian, D. The Historical Library of Diodours the Sicilian. Book 111, London, 1814

٣ الطبري محمد بن جرير- تاريخ الرسل والملوك- مجلد ١٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م..ص ٣٨.

٤ مخطوطة كاتب الشونة بخط اليد، بإذن من بروفسير يوسف فضل.

التاريخ الحديث أن الحكومة المصرية سنة ١٨٨٢م قد قامت بنفي أنصار عرابي إلي سواكن[1]، إن خلفية سواكن كمنفي يخدم الأسطورة ويقربها من الواقعية إضافة إلي ذلك فإن تحول الاسم من سواجن إلي سواكن كما عرفها الكتاب العرب فهو يفيد تفسير الاسم.

الأسطورة الثالثة:

إن هنالك قبيلة من البجة كانت تسكن المرتفعات الجبلية المجاورة أصيبت لسوء الحظ بالكوارث فأصابها المرض وأيضاً أصاب ماشيتها وكثرت الحيوانات الوحشية المفترسة أكثر من ذي قبل وهاجمتهم وافترست حيواناتهم وأصبحت هذه القبيلة البجاوية التي كانت من أغني وأقوي القبائل في المرتفعات من أفقر القبائل ولم تستطيع العيش في التلال وتركتها ونزلت إلي الساحل بالقرب من سواكن حيث تعلموا صيد السمك وبعد فترة أقاموا صلات تجارية مع القبائل التي تسكن التلال ومدوها بالسلع وعملوا علي توفير البضائع وأصبح المكان يعرف باسم أسوك وتعني السوق.

إن الأسطورة تبدأ أيضاً مثل الأسطورتين السابقتين بمرحلة عصيبة وضيق في الحياة ثم تأتي مرحلة الانفراج والإزدهار في نهاية الأسطورة أي إن كل القادمين إلي سواكن في البداية يواجهون مرحلة عصيبة ثم تفرج لهم الحياة وذلك عن طريق البحر وازدهار تجارتهم فيه.

إجمالاً نجد أن هذه الأسطورة ترمي إلي أن سواكن قد أنشئت بواسطة البجة الذين نزلوا إليها من التلال وهنا يبدأ السبب الذي وظفت من أجله الأسطورة والعنصر البمستفيد من تداولها وذيوعها. إن حق الإنسان في تأصيل نفسه طبيعة بشرية. إن الاسم الذي سميت به سواكن حسب الأسطورة (أوسوك) فهو لايزال يستعمل من قبل البجة (الهدندوة) لسواكن حتى الآن.

من هنا نجد أن الأسطورة قد بنت علي مقدمات أسطورية وواقعية وتوصلت إلي نتائج واقعية هو أمر مقبول في علم الأساطير. أشير إلي أن

---

١ محمد صالح ضرار - تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الخرطوم، الدار السودانية للكتب-١٩٨١م،ص٢٤.

الأساطير الثلاثة السابقة تعتبر اشهر الاساطير حول نشأة سـواكن ، أن هنـاك بعض الاساطير الأقل أهمية.

وفي نهاية هذه الدراسة نقول أنـه ومـن خـلال معطيـات الواقـع في قـصة سواكن والتي استعرضناها وتحليل الجانب الأسـطوري وابـراز العلاقـة بيـنهم نستطيع أن نبني هيكلاً متكاملاً لقصة سواكن، وهذا ما هدفت إليه الدراسة.

المـــراجـــع

المراجع العربية:

(١) ابن بطوطة- *رحلة ابن بطوطة*- القاهرة، دار الكتاب المـصري- بـدون تاريخ.

(٢) الطبري محمد بن جرير- *تاريخ الرسل والملوك*- مجلد ١٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م.

(٣) *الكتاب المقدس*- دار الكتاب المقدس، القاهرة، مطبعة عنتر- ١٩٦٩م.

(٤) تقرير خبير اليونسكو، مايكل باري كين- بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٩٩٣م

(٥) عبد المعطي شعراوي- *هوميروس شـاعر والأوديـسا*-القـاهرة، الهيئـة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

(٦) محمد الجوهري- *علم الفولكلور*- القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة- ١٩٧٨م

(٧) محمد صابر، *مصر تحت ظلال الفراعنة*- القاهرة- مكتبة الأنجلو المصرية- بدون تاريخ.

(٨) محمد صالح ضرار- *تاريخ سـواكن والبحـر الأحمـر*، الخرطـوم، الـدار السودانية للكتب-١٩٨١م

(٩) مخطوطة كاتب الشونة. نسخة اصلية بخط اليد.

(١٠) يوسـف فـضل، *دراسـات في تـاريخ الـسودان*، الخرطـوم، دار جامعـة الخرطوم للنشر، ١٩٧٥م.

المراجع الإنجليزية:

1- Bloss, J,F,E. The story of Suakin. SNR,Vol.XIX.1936.
2- Burckhardt,J.L.Travels in Nubia,John Murrau.1819.
3- Cootes. R.J & Snellagrove,LE. The Ancient world. Hong Kong Longman.1984.
4- Greenlaw, Jean Pierre. The Coral Buildings of Suakin. London Oriel Press. 1976.
5- Hinkel, F,H. The Archaeological map of the Sudan, the

area of the Red Sea Coast and northern Ethiopian Frontier VI. Berlin, 1992.
6- Mathews, Derek H. The Red Sea Style. Kush, Vol.1, 1953.
7- Roden, D. The Twentieth Century Decline of Suakin. SNR, Vol.11.1970.
8- Stander Dictionary of Folkore.(ed) Maria Ieach. London, Funk & Wagnalls company.1950.
9- The Sicilian, D. The Historical Library of Diodours the Sicilian. Book 111, London, 1814.

الريال المجيدي عملة تركية
تداولت في السودان ١٢٦١هـ /١٨٤٥م

مدخل تاريخي:

إن بعض أجزاء السودان عرفت التعامل بالعملة من قبل ، فقد عرفت العملة كأسلوب للتعامل المالي في الجزء الشمالي لوادي النيل منذ سنة ٣٣١ ق.م. وهي الفترة التي دخلت فيها العملة إلي مصر لأول مرة في عهد الاسكندر الأكبر بطريقة موحدة[١]. وكان يستخدم النقود في كافة أنحاء إمبراطوريته، إذا استثنينا مستعمرة نقراطيس اليونانية علي ساحل البحر المتوسط المصري التي عرفت العملة منذ فترة طويلة نسبة لوجود جالية يونانية بها وتعامل أهلها بالتجارة[٢] وخاصة إذا علمنا بأن أول عملة في التاريخ سكت في مدينة اجينا اليونانية وهي جزيرة يشتغل سكانها بالتجارة البحرية[٣].

نتيجة لذلك نجد في أنحاء متفرقة من السودان عملات يونانية ورومانية وأيضا عملات سكت في العصر المسيحي"البيزنطي" والدليل علي ذلك قطعة العملة الرومانية التي سكت في الإسكندرية ووجدت بمدينة عبري في شمال السودان وهي تحمل علي الوجه "OBVERSE" وجه العملة حيث يوجد رأس أو شكل رئيسي أو شعار تبرز الجهة المصدرة لها" رأس الإمبراطور أغسطس ٢٧ ق.م ـ ١٤ م. وعلي القفا "REVERSE" ظهر العملة يوجد به شعار الجهة المصدرة للعملة وفئتها" شكل الصقر الروماني وعليها نقش باللغة الإغريقية يحمل القاب الإمبراطور أغسطس وتوجد هذه العملة بمتحف السودان القومي.

كما أن هناك قطعة عملة وجدت بمدينة الأبيض "غرب السودان" وهي ترجع إلي عصر الإمبراطور الروماني دقليديانوس ٢٨٤ ـ ٣٠٧م[٤]، وقد

---

1 Grierson, Philip. Numismatics. London, Oxford University Press.1975.P.11

٢ إبراهيم نصحي. تاريخ التربية والتعليم في مصر: الجزء الثاني عصر البطالمة.القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٥. ص ١١.

3 Grierson , Philip. Op.cit.10.

4 Arkell, A.J.'A Roman Coin of the Emperior Diocletain at El Obeid'. SNR. Vol 16, 1933.P.187.

أرسلت إلي قسم العملة بالمتحف البريطاني الذي قام بالفحص المعملي والتحليلي الكامل واثبت أنها ترجع إلي عصر الإمبراطور الروماني دقليديانوس وأعطي احتمالاً قويا بأنها دخلت السودان عن طريق التبادل التجاري بين سواحل البحر المتوسط وغرب السودان حيث نعلم بأنه في تلك الفترة كانت منتجات أفريقيا من ريش النعام والعاج والأبنوس وأيضا الحيوانات المفترسة التي تستخدم في حلبة المصارعة الرومانية وغيرها من المنتجات تأتي غالبيتها عن طريق السودان إلي سواحل البحر المتوسط(١) لقد أعطينا هاتين العملتين كمثال لإثبات أن العملة دخلت بعض أجزاء من السودان كأسلوب للتعامل المالي وإن كانت بطريقة غير موحدة أو منتظمة.

كانت هذه العملة تقييم حسب وزن المعدن الذي تحتويه بالإضافة إلي قوة الوضع الاقتصادي للدولة التي تصدرها، كما أن هناك جانباً هاماً وهو اغفال الدراسات السودانية للعملة التي تداولت في السودان ودورها الاقتصادي وانعكاساتها الثقافية من أقدم العصور(٢)، مما أعطي الانطباع بأن السودان كان يتعامل بالمقايضة إلي ما قبل الفترة التركية "١٨٢١ ـ ١٨٨١م" بالرغم من أن العالم قد عرف العملة منذ القرن السابع ق .م . وكما ندرك أن أسلوب التعامل بالمقايضة هو أسلوب أولي"بدائي" في التعامل الاقتصادي وقد عمل الاستعمار علي تثبيت هذه الفكرة في ذهن المواطن السوداني حيث نجدها كتبت في كتب تلك الفترة والتي كان يدرس عليها الطالب في مراحله الدراسية الأولي مثال لذلك كتاب "سبل كسب العيش في السودان" وذلك حتى يزرع في أذهاننا بأننا شعب غير كفء لتولي أموره الاقتصادية ولم نعرف التعامل بالعملة إلا عن طريقهم.

ريال مجيدي :

إن العملة موضع التحليل فهي عملة فضية ضربت أو سكت في تركيا "القسطنطينية" عاصمة الخلافة العثمانية عام ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥م. في عهد

1 Shinnie, P.L. Meroe. New York. Frederick A. Praeger inc. 1967.PP.50-2

2 Madani, Y.H. Development and traditional Crafts in the Sudan: A Case Study , in Ahmed, A.Nasr.(ed), Folklore and Development in the Sudan.Khartoum ,IAAS.KUP.!981.PP.181-4.

السلطان عبد المجيد بن محمود ١٨٣٩ هـ / ١٨٦١م. ونـود أن نـشير هنـا إلـي حقيقة تاريخية وهي أن سلاطين آل عثمان قد درجوا علي الكتابة في عملاتهم بالنسبة للتاريخ علي كتابه السنة الهجرية التي تولوا فيها السلطة ثم بعـد ذلـك سنوات حكمهم فقط، ففي العملة التي لدينا نجد أن السلطان عبد المجيد قد كتب علي الوجه 'OBV.' سنة ١٢٥٥ هـ وهي السنة التي تولي فيها الحكم وكتب علي القفا 'REV.' السنة السادسة - وهي السنة السادسة من توليه الحكـم أي أنـه في هذه الحالة تكون العملة موضوع الدراسة قد ضربت عام ١٢٦١ هـ وذلك بأننا قد أخذنا سنة ١٢٥٥ هـ وأضفنا إليها ٦ سنوات من حكم السلطان عبد المجيد فتصبح سنة ١٢٦١ هـ السنة الحقيقية التي ضربت فيها هذه العملة وهي تعادل السنة الميلادية ١٨٤٥م.

ودخلت السودان كعملة متداولة في نفس عهد هذا السلطان أثنـاء ولايـة محمد علي باشا علي مصر ١٨٠٥ - ١٨٤٨م. والذي تم في عهده غزو السودان وكان ذلك بداية الحكم التركي في السودان ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١م. وهي السنة التي سقطت فيها سنار عاصمة الفونج وكان الفونج يمثلون السيادة الـسودانية الحقيقية علي أرض السودان في تلك الفترة[١].

لقد عرفت هذه العملة في السودان باسم 'الريال المجيدي' نسبة لأن السودان لم يعرف هذه العملة إلا في عهد السلطان عبد المجيد بن محمـود كمـا أن اسمـه نقش علي وجه هذه العملة وقد ساد هـذا الاسـم 'الريـال المجيـدي' علـي كـل العملات الفضية للاحقة من فئة الريال والتي سكت في عهود السلاطين الذين تولوا بعد عبد المجيد[٢].واستمر التعامل بها سائداً حتى فـترة المهديـة ١٨٨١ - ١٨٩٨م. حيث سكت مصانع سك العملة المهدية عملتها الخاصة في أم درمان وذلك دليلاً علي استقلال سلطة المهدية الذاتي وتحررهـا مـن سـيطرة الحكـم التركي وقيام الدولة السودانية المستقلة السيادة[٣].

---

١ صلاح عمر الصادق. سنار الآثار والحضارة، مجلة البرلمان ١، ١، مارس ١٩٩٣، ص ٧٣-٧٨.

٢ نعوم شقير. تاريخ وجغرافية السـودان. بيروت، دار الثقافية ،١٩٧٢ ص ١٨١.

3 Holt, P.M.The Mahdist State in the Sudan 1881-1898. Nairobi, Oxford University Press. 1958.PP.257,260.

أن قطعة العملة التي بين يدينا تزن ثلاثة وعشرون جراماً وقطرها ٣,٧ سم وسمكها ٢,٥ مم ونجد علي الوجه اسم السلطان التركي عبد المجيد بن محمود الذي ضربت في عهده هذه العملة ويحيط بالاسم علي شكل دائرة أهله أمام كل هلال نجمة وهو شعار إسلامي وأيضا شعار العلم التركي في ذلك الوقت وقد كتب عليها بخط الطغراء وهو خط ابتدع من قبلا الأتراك وهـو امتـزاج الخـط بالرسم والروايات عن نشوئها تستند إلي حد ما إلي أهل النميات[1] العملة

ونجد أسفل اسم السلطان سنة الحكم وهي السنة التي ضربت فيها العملة السادسة ولما كان السلطان عبد المجيد قد حكم اثنان وعـشرين سـنة ١٨٣٩ - ١٨٦١ وتبع نفس الطريقة السابقة مع وضع أسمه علي العملة.



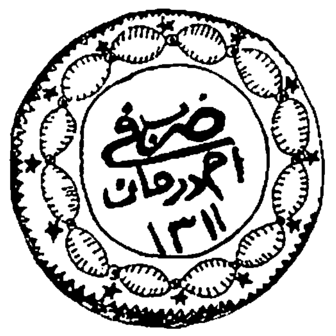
شكل (١) عملة تركية (الريال المجيدي)
وجه العملة السلطان عبدالمجيد



شكل (٢) قفا العملة (Rev)



شكل (٣) عملة المهدية مفرولة



شكل (٤) قفا العملة (Rev)
ضرب في ام درمان ١٣١١

---

١ ناجي زين الدين المصرف . بدائع الخط العربي. بغداد ، ١٩٧٢، ص ١٧٤، شكل ٢٦٧.

أما عن القفا "ظهر العملة" REV " فنجد نفس الزخرفة الأهلة والنجمة تحتوي داخلها عبارة "عز نصره" والمقصود السلطان عبد المجيد ثم أسفلها عبارة "ضرب في قسطنطينية ١٢٥٥ هـ" وهي مكان السك "الضرب" وسنة تولي السلطان الحكم ١٢٥٥ هـ. "السنة الحقيقية للسك هي عام ١٢٦١ هـ / ١٨٤٦ م" وتوجد هذه العملة بمتحف السودان القومي مجموعة العملة.

ونشير إلي أن الأمام المهدي قد اتبع نفس الأسلوب فقد أرخ لسنة حكمه من تاريخ مغادرته للجزيرة أبا للمسيد وأخيراً لقدير في ١٨٨١ م ـ ١٢٩٨ هـ[1] الرحلة التي يشير إليها لإتباعه بأنها الهجرة ، فقد كتب سنة حكمه علي قفا العملة وسنة هجرته من الجزيرة أبا.

أن الريال المجيدي كان هو القالب الذي استلهم منه السلطان علي دينار سلطان دارفور "١٨٩٨ ـ ١٩١٦م" شكل عملته فقد أصدر عدة عملات كان أشهرها قرش رضينا " الذي أصدره لنقص العملات الصغيرة في دارفور سنة ١٩٠٨م وأوقف إصداره سنة ١٩١٤م" بأمر من السلطان بعد توفره في التداول كما سك أيضاً عملة من فئة الربع الريال من الفضة المخلوطة بنسبة كبيرة من النحاس وعددها حوالي الثمانمائة قطعة[2] وقد سكت هذه العملات مشابهة تماماً للريال المجيدي من حيث الطغراء "اسم السلطان" علي وجه العملة وكتابة "ضرب في الفاشر" علي ظهر العملة، ولا نستغرب هذا التقليد للعملة التركية فقد كان السلطان علي دينار موالياً للخلافة العثمانية في تركيا.

بالرجوع إلي العملات التي سكت في عصر السلطان عبد المجيد فنجد أنه سك ثلاثة أنواع من المعادن ذهب وفضة ونحاس، ففي نفس الفترة التي صدرت فيها العملة الفضية موضع الدراسة نجد أنه أصدر عملات ذهبية ذات أوزان

---

1 Job, H.S.The Coinage of the MAHDI AND THE khalifa.SNR. Vol.3,1920.PP.165-6.
2 Akell, A.J. The Coinage of Ali Dinar, Sultan of Darfur 198 -1916.SNR,Vol.24. 1940.PP.151-160.

مختلفة وأيضاً عملات نحاسية ضربت في القسطنطينية ومصر كما ضرب "سك" عملات فضية في بغداد ، وعرفت عملة مصر باسم "مصر محروسة".

لقد أصدر السلطان عبد المجيد العملات الذهبية في بداية سنوات حكمه والغرض من ضرب العملة الذهبية هو الدعاية لحكمه وإظهار رفاهية وقوة الدولة الاقتصادية ولكننا نلاحظ انه في نهاية حكمه قد أصدر العملة النحاسية وهي أرخص المعادن الثلاثة ومن هنا نستطيع أن تبين قوة وضعف الدولة من خلال العملة[1].

مما سبق يتضح لنا أنه بدخول الريال المجيدي للسودان كان ذلك بداية توحيد كامل للعملة في كل أنحاء السودان وأن العملة تداولت من قبل بعض أجزاء السودان.

ونشير إلي أن الريال المجيدي قد استخدم بصورة عالية في العادات والتقاليد السودانية كزينة وحرز لدرء الأخطار المتوقعة للمرأة الحامل والعروسين والطفل المختون. ونعتقد أن هذا الموضوع يستحق الدراسة المنفصلة التي توضح علاقة العملة بالمعتقدات والتقاليد.

---

١ محمد باقر حسيني."دليل لمجموعة عبد الله شاكر الصراف". مجلة المسكوكات ١٩٦٩،١،٢.ص.٧٥ ـ ٨٠.

القيم الدلالية للعمارة الشعبية في قبة
الشيخ أبو الفتح محي الدين الشاذلي (رجل سواكن)
من خلال الرواية الشفاهية (نص مقابلة)

مقدمة :

تعتبر القباب من أهم المباني التي تميز عناصرها العمارة الشعبية (Folk Architecture) في السودان، والتي ظلت في تواصل مستمر منذ عهد قديم حتى وقتنا الحاضر. وذلك لعدة أسباب منها أولا ، أنها تبني بواسطة الشعب جماعيا وبرغبته الذاتية فهي تمثل له رمزاً دينياً يربط ما بين السماء والأرض. ولم يعرف في تاريخ السودان بصفة عامة أن قام حاكم ببناء قبة لنفسه أو لغيره إلا لغرض سياسي، فهي تمثل له سلطة زمنية وإن تدثرت بثياب الدين . ثانياً ، إن مظاهرها المعمارية (Architectural Elements) تخضع في تفسيرها إلي معتقدات شعبية ودينية مثل العتبة الصخرية التي توضع في مدخل باب القبة، وهي من الصخر الرملي المحتوي علي الحديد Ferricrete Sand stone ونفس هذا النوع من الصخر يوجد في مدخل الاهرامات المروية والمعابد وامام المذابح بل يصنع منه مذبح المعبد، والأعلام الملونة التي توضع حول ضريح الولي (Shrine) أو القماش الأخضر الذي يكسو الضريح ونفس اللون الأخضر يستعمل في طلاء القبة كما أن الهلال الذي يعلو القبة له رمزيته أيضا. ثالثا ،إنها تبني لغرض عام اي لممارسة شعبية يشترك فيها كافة الناس محققة بذلك عدة قيم دلالية (Significant Values) مختلفة.

إن القيم الدلالية التي تعزي إلي العمارة الشعبية هي قيم ثقافية ووظيفية وتتضمن القيم الثقافية قيما تاريخية ووثائقية وأثرية وزمنية ومعمارية وجمالية ومنظر المدينة (Town Scape) وقيم منظر الطبيعة (Scape Value) أما القيم الوظيفية فهي تشمل القيمالاستعمالية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقيم دينية (Religious Values). فيما يخص القيم النفسية فهي تتكون من قيم الاستغراب وقيم الاستمرار والتغيير (Continuity & change Values) .

إن القيم الدلالية التي ذكرت سابقا بدون تفصيل يمكن أن تستنبط بكل تفاصيلها من خلال قراءة الرواية الشفاهية لنص قصة قبة الشيخ أبو الفتح (راجل سواكن) والتي أوردها الراوي محمد أبو الفتح عبد العليم أو نور المشرف علي أمر القبة (لقد توفي الراوي بعد ثلاثة شهور من المقابلة فله الرحمه) خلال مقابلتي التي أجريتها معه بسواكن يوم ١١/ ٩/ ١٩٩٣م . والمودوعة بارشيف معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية بالرقم ٣٤٦٧. وأشير إلي أن دراسة القبة تمدنا بالكل المتكامل لهذه القيم. وأخيرا ترجع أهمية هذه الرواية الشفاهية إلي المعلومات الغزيرة والقيمة التي أوردها الراوي وقام بإيضاح بعضها وعملت من جانبي علي توضيح الباقي في الهوامش

نص المقابلة :

بسم الله الرحمن الرحيم .

مدينة سواكن

مقابلة مع الشيخ محمد أبو الفتح عبد العليم اونور المشرف علي قبة الشيخ أبو الفتح وهو أحد أحفاد الشيخ ويبلغ من العمر مائة عام أو يزيد ، ولد بسواكن وقضي كل عمره بها.

نتوجه بالاسئلة إلي الشيخ محمد أبو الفتح،

من هو الولي المدفون داخل القبة؟

أبو الفتح محي الدين القرشي بعدين ابن علي عمر ده أبوه في الأنبياء، يخش في الخلفاء، يخش لغاية عبد الله توصل القرابة أنا كله ما غلقته في ناس اليقروا، مش اليافطة[1] كده أخر تاريخ عبد الله . التاريخ أسالك هو المدفون فيه ماكلمتك.

- التاريخ المدفون بتين؟

٨٠٥ هجرية في اليافطة في انت ماشفته.

_ البنا القبة دي منو؟

---

١ اليافطة بقصد اللافته وهي اللوحة التعريفية بالشيخ ابو الفتح الموجودة داخل القبه

البنا القبة الأتراك، تركية الحكومة كانت تركية.

- أنت حضرت البناية؟

أنا ما حضرت التركية لكن جدودنا كلمونا[1]، كانوا يدوله قروش وزيت وعيش ومواهي ومعايش بدوله، في الجزير في المسجد بتاعهم. كانوا كبار نحن ما حضرنا لكن منهم التاريخ أدونا[2] كان أبوي كان الحرس بتاع أبو الفتح ده لغاية مامات.

- القبة دي بنوها ليه؟

القبة بنوها كان جنازه جابوها من مكة هو كان حي يقول ودوني سواكن اه في لوح ما شفته كده مكتوب يافطة السنة الهجرية هو هاجر.

- بنوها ليه؟

بنوها ليه اقولك في المديرية ما شفته[3] في واحد سمعنا ممتاز يقول له أمير كبير ممتاز باشا[4] كان عمل نور يعمل نور سياج في الليل يعمل والأتراك كمان زي ما تعرف هم مجانين يقولوا نحن من دون الحكومة في تاني واحد يولع نور كونوا ديش قالوا يروحوا القبور[5] ديلك السراج من فين يطلع. طلع ديش ناس زي عشرين ثلثين نفر دياشه وأمباشات بتاعه قال يبان علينا نور لما نصل القبر يقطع عشان كده قالوا ولي قالوا: لا بد بكره قالوا وورونا التاريخ بتعاه بكره شالوا الجيش ده البشوفوا نور هو لما نحن نوصل قال النور ينسحب ، ارموا حبل فيه رصاص الحبل شافوه وقع الصباح صبحوا باتوا هناك وقع في القبر ده كده بنوا القبة قالوا ده راجل ولي ده ممتاز.

- انت تعرف القبة بيبنوها كيف عندك فكرة؟

انا بنايته ما حضرته والبناء كان بيجيبوا أسطوات من جدة[6] هنا مافي ناس

---

١ يشير الراوي إلي تواتر الروايات الشفاهية في المعرفة.

٢ لقد عبر الراوي بإسلوب بسيط بليغ عن كيفية انتقال التاريخ الشفاهي في المجتمعات التقليدية.

٣ الراوي من قبيلة البجا التي تتحدث اللهجة التبداوية ويتحدثون العربية بشيء من اللحن.

٤ ممتاز باشا هو احمد باشا، كان محافظا علي سواكن في سنة ١٨٦٥م وأول من ادخل زراعة القطن إلي السودان بصورة نظامية ، توفي سنة ١٨٧٥م.

٥ القبور، منطقة المقابر حيث توجد القبة الأن.

٦ اسطوات من حدة، يقصد هنا عمال مهرة، وهي كلمة دخلت التركية من الفارسية.

اسطوات يبنوا القبة ما عاوزه حاجات طيب لما مش الأتراك شديد بني تستني لغاية التاريخ ده كم سنه يمكن كم ألف يمكن قريب الألف وزيادة[1]

- هي بنيت بعد موت أبو الفتح؟

أبو الفتح جابوة الناس في سمبوك[2] جابوه من مكة سمبوك مركب بتاع شراع تعرف زي بتاع الخرطوم البروح ملكال وكده جابوه مع ناس،تاج السر[3] ده استناه قال ليه يا سواكن الرجال ده ولي جهوزة[4] خالص الكفن بتاعه خالص الريحه المعاه خالص في عشرين نفر معاه السمبوك ايه سرب من الجهة ديك اللي هي عاوز يدفنوه الناس طوالي طلع ، سواكن كله طلع جابوه اسطوات من جده جايين البناية دي بتاعه جده هسع الواحد إن ما عارف ده قبر يكون هو تحت ختوة تحت في صندوق الصندوق من خشب اسمو الساج[5] الجته ما تاكل عليه.

- في حاجات مكتوبة موجودة جوه القبة دي؟

لا مافي تاني مافي

- مش في كتابه جوه في حجر مكتوب؟[6]

ايوه في الحجر ده جاي مع الجنازة.

- الحجر شاهد القبر ده؟

ايوه الحجر مكتوب باليد منجور كله ناس والواحد لو ما كان ماهر في القرآن ما يقدر يفهم.

- مكتوب شنو فيه؟

مكتوب السنة الهجرية التي هاجر النبي صلي الله عليه وسلم هاجر أبو الفتح السنة الهجرية، مكتوب فيه كده.

---

١ نسبة لكبر عمر المتحدث فإن الإحساس بالتقدير الزمني لديه ضعيف.

٢ السمبوك ، قارب شراعي يستخدم لنقل البضاعة والركاب بين موانئ البحر الأحمر والمحيط الهندي.

٣ تاج السر هو محمد عثمان تاج السر بن محمد سر الختم أكبر انجال محمد عثمان الختم منشئ الطريقة الختمية. ولد تاج السر بالحديدة باليمن سنة ١٨٥١م وتوفي بسواكن ١٩١٣م، وله قبة بها.

٤ جهوزة خالص أي ادواته الجنائزية موجوده معه.

٥ الساج أو الصاج خشب يجلب من جنوب وشرق آسيا لسواكن وهو خشب لا يدخله السوس أو الماء ومنه تصنع السفن بسواكن.

٦ حجر مكتوب هو شاهد قبر من الرخام الرمادي.

- الناس البنوها دي بنوا القبة جاءوا من الحجاز؟

من الحجاز ايوه جوه.

- مافي ناس من الناس المحليين بنوا معاهم القبة دي؟

لا ما في الناس في رواشين[١] سرايات يبنوا لكن بتاعة القبة شفت تاج السر القبة البنوا جابوا اسطوات من مصر ، ما بقدروا علي الفن ده ما بقدروا.

- الطريقة بتاعة الولي أبو الفتح شنو؟

طريقة شاذلية[٢] مش في الجامع بتاع الشاذلية في بورتسودان ديم مدينة، شاذليه.

- البيشرف علي القبة دي منو المسئول منها؟

زمان في مصر مش في جوامع في الصلاة كان في أوقاف من الأوقاف كان تجي منها عليهم جنيه والإمام يأخذ جنيه والخطيب يأخذ جنية دي تجي من الأوقاف لكن الإنجليز لخبطوا واحدين أدوهم واحدين قالوا الزاوية بتاعتكم واقعة في القبب مافي.أنا قريب الإنجليز ده في جوطة في المديرية هو شتمه المعتمد مافهمه المعتمد شتمه قال تقول واقع.. في القبة ما في المتر واقع نحن شتمناه، كان جنيه هي مش كده جنيه.

- هسع انت المشرف علي قبة دي انت التشوفها والتبرعات وكذا؟ أرعاها

أنا يوم دحين قولتلك كم يوم من بورتسودان جيت عيان شهرين[٣]ماروح هناك كان أروح يوم الأثنين والجمعة اخره كان يجي أخذه مره يجيني مئتين وثلثمائة مرة مائة مرة يجيني خروف مره، مش أخذ لوحدي في ولايات هناك ما عندهم رجال مساكين من جنسنا نص أديه ونص أخذه أيوه ولما أنا ما موجود أي واحد يعمل فاتحة ويشيل ما حرام.

- انت جنسكم شنو؟

---

١ الروشان يقصد به البناء المربع من الخشب علي سواحل البحر الأحمر.

٢ الطريقة الشاذلية: مؤسسها الأمام أبو الحسن الشاذلي (ابو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجابر الشاذلي) من اقطاب الصوفية، توفي ودفن بحميثرا في الطريق الصحراوي ما بين قنا وعيذاب في ١٢٥٨م وهو في طريقه للحج عن طريق ميناء عيذاب في الساحل السوداني

٣ تمت المقابلة مع الرواي في سواكن بعد حضوره من بورتسودان في اليوم الثاني وذلك بعد شفائه من مرض ألم به.

ما قولتلك شاذلية.

ـ دي الطريقة الجنس بتاعكم؟

الجنس بني أمية.

ـ في حولية في ناس بيجوا في القبة دي كان بتعمل زمان؟

زمان في ناس بيجيبوا خروف من بره شفت البرهانية البرهانية بتاع بورتسودان تعرف كان بلاط جوه مافي، البلاط البرهانية عملت الراكوبة دي عملتا البرهانية كان كل عيد كل جمعة بجوا يعملوا عزومة يعملوا أكل يجيبوا من بورتسوادن أكل وعيش أنا حاضرهم.

ـ هسع قاعدين يجيبوا الأيام دي؟

أبوه جاءوا أسمع عندهم طبل[1] يضربوها مرتين أنا صادفتهم يعرفوني هم يدوني كم أربعين جنيه خمسين جنيه يدوني.

ـ في قبة زي دي كده هنا؟

أيوه في جنبه كان في قبة بتاعة مين تعرف بنت بتاعة تاج السر اسمها الست خديجة.

ـ وين القبة دي؟

كان جنب أبو الفتح في الشمال كده في الشمال القبة ما مبنية بناية بتاعة ناس سواكن بنوها طوية. الشريفة.

ست مريم[2] في الاثر، الحوش.

ـ بناته ذي بناء قبة الشيخ أبو الفتح؟

لا دي بتاعة أبو الفتح ثابته الاساس التحتاني شديد دي بتاعة جده أقولك، لكن الأساس ثابت دي ما ثابتة ديك مرتين بنيت لكن ما جابت اسطوات من برة.

ـ بنت قبة الشيخ أبو الفتح دي ووقعت مرتين؟[3]

لا قبة بنت تاج السر وقعت هناك هسع بنته مدفونة معاه جاي من ست

---

١ طبل هو آله من الجلدات.

٢ ست مريم (١٨٧٣ ـ ١٩٥٢م) هي مريم الميرغنية ابنة محمد هاشم الميرغني دوين مصوع ابن محمد عثمان الميرغني منشئ الطريقة الختمية (١٧٩٢ـ ١٨٥٣م) . وهي زوجة محمد عثمان تاج السر صاحب قبة سواكن. ولها قبة ضخمة في سنكات.

٣ قصد بهذا السؤال التاكد من معلومات الراوي وقد ثبت انه علي الملم ووعي كامل بالأسئلة.

مريم يقولوله أبو زينب[1] يقولوله أبو زينب مش كده بنته المدفونة معـاه، بنتـه جات من الحضارمة الأشراف[2] ديك الجنب القبة المدفونة، الـشناوي[3] هنـاك مدفون كان قبل ما يحتوا حجر يحتوا البنايـة يلقـوا كـده اسمهـا دي نحـن هـي بالرطانة تقول اسيت بناية كان بيبنوها.

- في بيان[4] تاني للشيخ أبو الفتح؟

بيان تاني ما في أنا لكن زمان أروح بالسنابيك السنابيك من بورتـسودان، اليمن أروح في الحديدة[5] في ولد استنانة التركية بانية عليه أوضة روشان كله في الحديدة اسمه الشيخ الصديق اكتب شيخ صديق ولد أبو الفتح ما هم أصـلهم عرب من اليمانية العرب السابقة تعرف الشيخ الصديق يقولوله أبو في المخا[6] جنب عدن بلد علي بن عمر هو ده أبوه أبو الفتح.

- أنت شفته بتاعه ولده؟

شفته مش قبة روشان مربع كده جوه في البلد كده في القبلة؟

- في قبة هنا في سواكن في مدخل الميناء قدام في قبة زي البرج[7] كده؟

لا لا قبة من دون بنت تاج السر وأبو الفتح ما في.

- بدري بدري خالص؟

والله تاريخه أول ما حضرته.

- زي قبة بتاعة محمد قول، مش جنب محمد قول في حاجة زي القبة كده؟

ديك أحكليلك ديك ما سمعت البيه محمد أحمد[8] واحد كـان لـواء كـبير متزوج من بنت عبد الله مسلم روشان باني روشان مربع.

---

١ ابوزينب ، زينب محمد عثمان تاج السر ودفنت معه في الركن الغربي من المسجد حيث قبته .

٢ الحضارمة الأشراف هم أول من سكن جزيرة سواكن وقد قدموا إليها من حضرموت باليمن، وابنة محمد عثمان تاج السر هي خديجة أمها من الحضارمة الأشراف وقد بنيت لها قبة بجوار أبو الفتح ولكنها سقطت.

٣ الشناوي هو تركي الأصل وكان سر تجار سواكن ويملك مبني الواكالة أو ما يعرف بالخانة أو النزل وايضاص له مسجد بني في ١٨٧٠م كما أن له عدة منازل بالجزيرة.

٤ البيان هو مبني يقام للولي نتيجة لحلم أو اشارة أوكرامة بقصد إكرامه أو اعزاز لمكانته.

٥ الحديدة في اليمن مواجهة للساحل الارتري

٦ المخا ميناء علي الساحل اليمني عند مدخل مضيق باب المندب.

٧ أشار إلي هذه القبة الرحالة السويسري جون لويس بوركهاردت عند زيارته لسواكن في طريقه إلي جده في ١٨١٤م.

٨ البيه محمد احمد من أعيان سواكن وكان يعمل بالجيش التركي ومنزله يعتبر من أجمل منازل الجزيرة معمارياً وخاصة واجهة المنزل التي سقطت بعد ١٩٩٠م.

ـ وين بناها؟
جنب أبو الفتح في الشمال.
ـ بني شنو؟
بني روشان زي القبة متنقش الروشان أخذ مده وقع وقع الروشان مع الأمطار وطولت المدة وقع كان يدخل الجنائز بتاعة سوي يدخلوها جوه.
ـ المواد التي استخدمت في البنيان لقبة أبو الفتح شنو؟
ما قولتلك أسطوات من مكة جاءوا معاهم في سنبوك..
ـ الحجر جاءوا شالوا شعب مرجانية بنوا بيها زي مباني سواكن ولا جابوا حجر من بره؟
لا الحجر من سواكن دائماً يقولوا الحجر من البحر يجي[1] لكن الأسطوات جاءوا نجروا جائين من جده جوا.
ـ والاسمنت جابوه من وين البلطوا بيه القبة؟[2]
اسمنت ما في كان زمان ديك اسمنت ما في ايه في قريرة طين عنده اسم ذي مكة ما يتبني بالطين يتبني ذي الاسمنت ماسك.
ـ جابوه من جوه البحر؟
ايوه من جوه البحر اسمه الهاجوس[3] ما عارف اسم عنده أنا دحين راح مني.
ـ ليه بنوا قبة الشيخ أبو الفتح دي هنا؟
ما هو كان
ـ ليه ما بنوها في محله تاينة ؟
فاهم[4]، هو حي في جده وصي الناس بتاعه قال أنا لما اموت ودوني جزيرة سواكن بتاعي تعرفني وأنا أعرفها.
ـ حلم بالشكل ده؟
لا من دون حلم هو قبل ما يموت كلمهم ناس كبارات ، أنا هنا اليهود ما

---

١ بنيت سواكن من الحجر المرجاني الذي يأخذ من البحر أو من القيف أو من محاجر عند القيف تعرف باسم المناقب.
٢ هذا السؤال أيضاً للتحكم من الراوي وقد أثبت الراوي علي الترابط المنطقي لروايته.
٣ الهاجوس هي الشعب المرجانية المتحللة علي شكل طين.
٤ توضح هذه الاجابة إدراك للراوي لابعاد المقابلة.

يريحكم أنا كان أموت ما يريحوني يخطفوني، ودوني هناك خطوه جابوه هنا في مركب قولتلك هم هناك في يهود زمان مش في المدينة في مكة في يهود الناس الصالحين يقتلوهم.

- دفنوا ، المقابر دي قبل أبو الفتح ولا بعد موته المقابر بتاعة سواكن؟

المقابر دي امتي دفنوا تعرف كان في المهدية ما في مقابر هنا الناس كان يدفنوا جهة هندوب[1] ليه المهدية في جنود بتاع ديش بتاع المهدية بتاع عثمان دقنه[2] الناس اليطلع بره يقتلوهم فيهم أشراف فيهم ارتيقة[3] فيهم شاذلية، أنا لو مره يوم مشيت معاكم أوريكم القبور حته حته أوريكم.

- قاموا دفنوه هنا؟

دفنوه هنا هو قال أدفنوني هنا.

- هو دفنوه قبل المقابر وبعدين جوا عملوا المقابر؟

بعد المهدية وقفت بعد مدة أنا الأتراك قولتلك كانت الحكومة تركية لغاية ممبسا زنجبار تركية [4] كلها ما سك التركية ، أنا أوريك التاريخ ، التركية مسلحة التركية كانت قوية الانجليز يقول ودوني السودان ما يودوه الأتراك قال الناس يكشفوا الناس بتاعنا ما نوديه.

- ما سمحوا ليهم يجوا السودان؟

أيوه المهدية، الانجليز قاموا في المهدية ، المهدية تعبت المصرية، المصرية كانت حكومة المصرية تعبت ناس بتاعة خلصوا زي ياسر عرفات زي الفلسطينيين بعد جابوا الإنجليز في السلطة شركة واحده انقلبت عليه[5].

---

١ هندوب جبل يقع غرب سواكن وتوجد به آثار مياه حلوة وقد استعمل المكان بواسطة عثمان دقنه كمعسكر له أثناء الثورة المهدية.

٢ عثمان دقنه(عثماان بن ابي بكر بن محمد بن علي) احد أمراء المهدية وقد لقب بأمير الشرق وهو من قبائل البجة وقد اسر بعد وقت طويل من معركة كرري وارسل إلي وداي حلفا حيث توفي في ١٩٢٦ ونقل قبره فيما بعد في ١٩٦٤ إلي أركويت.

٣ الأرتيقة أحد قبائل البجة التي تسكن منطقة سواكن وتعتبر من قبائل الأشراف ذات المكانة المميزة في الشرق.

٤ كان كل ساحل البحر الاسيوي والأفريقي يخضع لسلطة السلطنة العثمانية بل امتدت هذه السيطرة حتي ممبسا وزنجبار .

٥ يشير الراوي هنا إلي دخول الحكم الثنائي إلي السودان ثم انفراد الإنجليز بسلطة الحكم في السودان وطرد المصريين بعد مقتل السير لي استاك في القاهرة سنة ١٩٢٤م.

ـ طيب الجزيرة هنا سواكن أسست بتين؟

هي لما الجزيرة دي اتبنت أنا ما حضرته جزيرة دي كبير واحد في أمير كبير اسمه الشناوي يقولوا في المهدية يصرف الحكومة عملوه الشناوي بيه، كان يسمعوا كلامه الإنجليز والمصريين سمعوا كلامه، عنده أولاد هو مات لكن المال بتاعه في بيوت، سرايه[1] شفته كان في بيت ستين سبعين ثمانين بيت في .

ـ في علاقة بين القبة دي وقباب تانية في شرق السودان في قبة تانية بتاعة شاذلية؟

افتكر ما في لكن في أنا سمعت أنا وصلت الخرطوم، وأم درمان جوه في السودان كان في قبب مش فيه جنب ذرية السيد علي في قبب في الخرطوم بجري مش فيه. انت شوفت تاني ما سالتني شيخ عبد الله الجبرتي[2] من فين تعرف قالوا ولي من الحبشة جاء.

ـ ما كان عنده قبة لكن ضريح؟

ضريح هم بنوا عليه الناس القدام ما هسه لكن بالبناية كان الناس يروح بالنذر من الجزيرة يروحوا من البر يورحوا من التنوك يروح من مكة يروح لكن حاجه مشهور.

ـ في مناسبة بيجوا لها ناس للقبة دي؟

في ناس بتاعنا كثيرين من جنسنا بتاعنا في طوكر في جهة عطبره في البحر في لكن ديل قايمين في الدنيا ما فاضين لأبو الفتح[3]

ـ المحل داك عنده اسم معين محل أبو الفتح مدفون عنده اسم؟

أبو الفتح محي الدين القرشي بن علي بن عمر تنتقل لعدي عبد الله ما توصل ما شفته قريتها.

ـ في حاجة طلعتوها من هناك جنب القبة؟

لا لا ماطلعوه الاولاد سمعت بدري الحجر تقيل ما عوزين يشيلوا يروحوا التاريخ بنية في الخرطوم ما نشال ليهم لكن أخذوا التاريخ في الورق.

---

١ يقصد بالسرايا هنا وكالة الشناوي التي توحد علي القيف.

٢ الشيخ عبد الله الجبرتي من قبيلة الجبرته التي تقطن إرتريا ، وقد عرفت الجزيرة الصغيرة المواجهة لجزيرة سواكن الرئيسية باسمه • جزيرة عبد الله الجبرتي) وبها ضريحه.

٣ يشير الراوي إلي قبيلة الجبرته وكلمة جبرته تعني الأحباش المسلمين.

ـ شاهد بتاع القبر ده كان دايرين يشيلوه؟

لا مش الشاهد ما قولتلك في الحجر الجاي بتاريخة السنة الهجرية أخذوا التاريخ يالقلم بالدفتر.

ـ في ناس كان دايرين يشيلوه؟

لا الحجر يشيلوه، هو مدفونون تحت غزير أقولك في صندوق الجثة ما تاكل الأرض الكفن بيلي ما تاكله زي عثمان دقنة الناس الصالحين زي لما يموتوا يعملوا في صندوق الصندوق يسمروه في خشب اسمه الساج يلمع كده زي عمود داك ما تاكله الجثة قوام.

ـ الخشب بتاعه ده جايبينه من وين؟

الخشب بتاعه لما جابه الجنائزة من مكة جابوه معاه كل جهوز الكفن والريحة وزيت المسك، زيت مسك[1] هنا ما في يجي من بومباي[2] يغسلوا بيه الكعبة[3] معاه زيت مسك كمان معه كل الجهوز.

ـ قابله السيد محمد سر الختم ولد السيد محمد عثمان الكبير ولا تاج السر ولا محمد سر الختم الكبير؟

تاج السر هو الجنازه نزلوا قالوا جائين من فين من مكه شاف فوقه الناس بتاعنا كيف عرفوا فوق الجنازه في الكتب الفية التاريخ في هسع واحد عايش في الجزيرة هناك يقول من جنسينا من الكتب ديك ينقل فلان ابن فلان فلان بن فلان[4]

ـ ده منو ده؟

التاريخ يخدوه من الكتب الكتب أخده منه الناس بتاعنا في الكتب هسع سواكن موجود في طوكر في ناس كبار ماسكينه في ايوه قاعدين ياخذوا النسبة[5].

ـ طيب نحن نشكر الشيخ علي المعلومات التي أدلي بها وشكراً جزيلاً.

(النص المكتوب علي اللوحة التعريفية داخل قبة الشيخ محي الدين أبو الفتح راجل سواكن.)

---

١ زيت المسك المسك يستخرج من حيوان الزباد هو نوع من القطط البري أو من غزال المسك.

٢ بومباي ميناء في الهند مواجهة للساحل الإفريقي للبحر الحمر عند مضيق باب المندب وعلي صلات تجارية

٣ هذه الحقيقة فإن الكعبة تغسل في كل مواسم الحج.

٤ هذه الطريقة المستعملة لنقل شجرة النسبة.

٥ هكذا أوضح الراوي طريقه أخذ النسبة وكيفية إيرادها في الكتب وهو يدل علي بعد وعمق ثقافة الراوي الشعبية.

١٣٩٩ هـ ٨٠٥ ٥٩٤هـ:

الهم انفعنا ببركته يارحيم يارحمن المتوفي سنة ٨٠٥ هـ الشيخ محي الدين أبو الفتح المدفون بجانب جزيرة سواكن الجزيرة المشهورة ببر العجم بن الشيخ علي بن عمر القرشي الأموي الصوفي الشاذلي اليمني بن إبراهيم بن أبي بكر هديمة بن عبد الله وائين وهو أول من أسند نسبة إلي عدنان فهو الفقيه الصالح جمال الدين محمد داسين بن محمد ربيعه بن علي بن أحمد بن شكر ابن كزام بن خالد بن محي الدين عبد الله بن زكريا ابن خالد بن عبد العزير بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن كزران أمير ابن أبي العاص بن أميه عبد شمس بن عبد مناف البلقي الحسب الأزهر القاني ينسب سيد المرسلين محمد بن عبد عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلي الله عليه وسلم.

طوابي المهدية تراث ثقافي موروث

إن طوابي المهدية تعتبر من أهم الاستحكامات الدفاعية التي اقيمت استعداداً لمعركة كرري أو ما يعرف عالمياً باسم. معركة أم درمان. وقد بقيت هذه الطوابي شاهداً ثقافياً مادياً لتلك الأحداث التاريخية وتستمد من هذه الطوابي قيماً ثقافياً ووظيفة ونفسية تتمثل في القيم الآثرية والتاريخية والوثائقية وقيم العمارة والجمال والفخر وشخصيتها الوجدانية لما تمثله الطابية في النفس من بطولة وفداء.

تعريف الحصن والقلعة والطابية :

تتفق وظيفة هذه المباني في المفهوم العام وهي الحماية والدفاع وتختلف الوسائل والأساليب والشكل المعماري وأن اتفقت في المواد وتقنية البناء.

١. الحصن : CASTLE:

الحصن عادة يتكون من مجموعة من المباني ذات طبيعة مدنية وعسكرية أي أن الحصن يقطنه السكان المحليون ويمارسون حياتهم العادية داخل الحصن من تجارة وصناعة، أما الزراعة فهي خارجه، كما يقطنه الجنود الذين يحمون الحصن وأحياناً المناطق المجاورة وقد تتخذ هذه الحصون شكل قري أو مدن محصنة بأسوار، والحصون هي أكبر المباني الثلاثة.

٢.القلعة FORTRESS:

إن القلعة هي النوع الثاني من المباني ذات طبيعة مدنية وعسكرية وهي تستعمل عادة لإيواء حاميات عسكرية دون وجود مدنيين وتبنى بصورة محكمة بها وسائل الحماية واساليب الدفاع ومساحتها أصغر من الحصن وهي ترتبط أحياناً مع قلاع اخرى مشكلة سلسة حماية ودفاع، وقد عرف المسلمون من هذا النوع، الأبنية العسكرية، وكان يسمى بالرباط ويسكنه المجاهدون وقد انتشر في صدر الإسلام وهي في معظمها ابنية مستطيلة تعلوها أبراج المراقبة ، وتحيط غرفها بالحصن الداخلي، ولا نوافذ لها[1]، ورباط العسكر بخلاف رباط التصوف، إذ أن الأخير للعبادة وخلود النفس لها.

---

١ انور الرفاعي. تاريخ الفن عند العرب والمسلمين. بيروت. دار الفكر. الطبعة الثانية ١٩٧٧ ص ٥٢.

٣. الطابية FORT:

الطابية هي أصغر المباني العسكرية التي تستعمل للحماية والدفاع وتـدرج مـن مبنى مربع ذو تفاريج (فتحات) تستعمل بواسطة الجنود الموجودين داخلها ويقتصر استخدامها في المهمات الدفاعية العسكرية ذات النتائج السريعة ويتدرج شكلها نحو الصغر حتى تصبح مثل التل الترابي ذو الفتحات. عرف السودانيين هذا النوع أيضاً للحماية والدفاع ويقبع خلفه الجنود وقد عرف عون الـشريف "القيقـر" بأنـه حـصن مرتفع[1] ونجد أن قـاموس مريـام وبيـستر كوليجيـت WEBSTER،MERRIAM ، COLEGIATE قد عرف كافة المباني الثلاثة شكلها ووظيفتها فنجده يذكر في تعريفه للطابية بأنها نقطة عسكرية دائمة Army Permanent Post[2] والمدينة العـسكرية المسورة في حلفا سموها القيقر وهو لفظ تركي، واستعمل الأنصار لفظ ققرة مقابـل القيقر وهي تعني معسكر جيشهم، والديم معـسكر وقـد اسـتعمل في المهديـة بهـذا المعنى، ثم استعمل للأحياء السكنية الشعبية في الخرطوم فيما بعد.

أن طوابي المهدية تقع تحت النوع الثالث من مباني الحماية والـدفاع وقـد أوردنا عدة تعريفات لهذا النوع وهي تتفق كلها بصورة عامة في الشكل وطريقة البناء والوظيفة وبساطة مواد البناء مع قوتها الدفاعية.

الحصون والقلاع والطوابي في الحضارات السودانية :

أن فكرة تشييد الملاجئ الآمنة من موروثات الثقافة السودانية، واستخدامنا لوصف الملاجئ الآمنة للحصون والقلاع والطوابي املته وظيفة Function هذا المباني، فلم يعرف عنهـا في كافـة فـترات التطـور التـاريخي في الـسودان أنهـا استخدمت كنقاط هجوم على المدن أو القرى المجاورة، كما لم تسجل أحـداث التاريخ في السودان أي دور عسكري عدواني لهذه المنشآت، وإنما هي وسـائل دفاعية استخدمها النوبيين مئات المرات للدفاع ضد غارات الشايقية قبل الغزو المصري بقيادة إسماعيل باشا وتؤكد هذه الحقيقـة طـوابي المهديـة وهـي أخـر وسيلة دفاعية شيدها السودانيون للدفاع عن بلادهم، وفكرة تشييد هذا النـوع

---

١ عون الشريف. قاموس اللهجة العامية في السودان. القاهرة ، المكتب المصري ١٩٨٥م.ص ٩٤٩

2 Merriam Webster. Collegiate Dictionary. Tenth dition.USA,Massahuet.1994.59.

من المباني نجدها أيضاً في كثير من الثقافات العالم. فقد ارتبطت بحاجة الآمن وهي الحاجة الثانية الرئيسية للإنسان بعد حاجته الطبيعية، فالوظيفة الأساسية للاستحكامات بصورتها هي الحماية أي الأمن .

لقد حتمت وظيفة الاستحكامات مواد بناء Building Material وشكل هندسي بنائي Building Structure ونظم بناء Building Technique معينة تتوافق مع هذه الوظيفة ونشير إلى أن مواد البناء لها أثر واضح في الأشكال المعمارية حتى أن استبدال مادة بأخرى يقتضي عادة تحويل طراز البناء أو تغيير نسبة ولا يكون البناء جميلاً إلا إذا كان بين طرازه والمادة التي يبنى منها اتساق.

حصون المملكة المصرية الوسطى في السودان (٢٠٤٠- ١٧٥٠ق م):

في خلال الفترة المعروفة في تاريخ مصر بالدولة الوسطى بسط فراعنة الأسرة الثانية عشرة نفوذهم على السودان جنوباً حتى سمنه بأرض الحجر جنوب حلفاً وبنيت الحصون في أماكن استراتيجية بين أسوان وسمنة لحماية بعثات التعدين والطرق التجارية براً وبحراً، ومن هذه الحصون كوبان التي أقيمت عند مدخل وادي العلاقي الموصل إلى مناجم الذهب ومرقسة وشلفاك وأورنارتي وسمنة، ويقع حصن بوهين بعد ٢٥ كلم جنوب عكشة على الضفة الغربية للنيل وهو من أهم هذه الحصون.[١]

في حكم سنوسرت الثالث أخذت حصون المملكة المصرية الوسطى شكله النهائي كما ان توزيعها الجغرافي وتصميمها متشابه تماماً وتدل على أنها خططت لتؤدي وظيفة محددة، وأي صحن كان قد أحيط بحائط (سور) من الطوب اللبن وقويت بكميات متنوعة من الأخشاب وضعت كلاها موازنة لواجهة الحائط في الزاوية اليمني له، وعلى الأرض الصخرية نجد أن الحوائط المسورة غير منتظمة في شكلها التخطيط ودعمت بواسطة دعامات ضخمة من البناء Massive Spur Wall تسيطر على موقعها، نجد أن هذه الحصون تبدو بشكل مستطيل.

إن النظام الداخلي لهذه الحصون قد وضع على شكل تخطيط شبكي(مربعات). فالشوارع التي تمتد من الزاوية اليمنى باتجاه سور الحائط كانت مسفلتة وبها مجاري

1 Trigger, Bruce, G. Nubian Under the Pharaohs .London Thames & Hudson. 1976.

لنقل مياه الأمطار الغزيرة بين الحين والآخر وهناك جزء من القلاع كان مخصصاً ثكنات للجنود ومنازل للضباط وورش ومخازن ومنزل للحاكم والذي كان يستعمل كمقر ملكي Royal Residence في أثناء الزيارات الرسمية وأي معبد يجب أن يكون في شكل مبسط، والسعة السكانية في داخل هذه الحصون تشير إلى أن أكبرها لا يكون بها حامية تزيد عن ثلاثمائة جندي مع عائلاتهم، إضافة إلى أعمال الحراسة والمراقبة على الصحراء المجاورة فإن على رجال القلعة شحن وتفريغ السفن وإدارة قوافل الحمير في منطقة الشلال وسحبها عند منحدر النهر.

قلاع الفترة المسيحية في السودان :

من المخلفات الملموسة للحضارة النوبية المسيحية القلاع التي نجدها مبعثرة ما بين الحدود المصرية في فرس إلى منطقة الشلال الخامس جنوب أبو حمد، ويشير إلى الطبيعية الدفاعية للقلاع الأب جون فانتين John Vantini فيقول :

"ولقد اكتشفت حديثاً في منطقة بطن الحجر بقعة حصينة ذات جبال شاهقة وجزر متعددة ومساقط التي تجعل الملاحة النهرية فيها صعبة، ونعلم أن سكان تلك المنطقة كانوا يتوقعون أن يهاجمهم العدو وأن يكون قليل العدد، ينتمي أفراده إلى عصابات أو فئات محدودة، وهذا ما تشير إليها الحصون الصغيرة المبنية من الطوب الأخضر والطين والأسوار... التي لا يعثر عليها المرء إلا بعد البحث عنها وفي تلك الحصون كميات من الأقذار التي تتركها البهائم لا سيما الغنم. ونجد أيضاً الفخار غير المزدان، أن هذه الأعمال الدفاعية تعود إلى الفترة ما بين ١٤٠٠م وما بعده."(١)

وقد أشار إلى هذه القلاع المسيحية كروفورد في المسح الأثري الذي أجراه في المنطقة الواقعة ما بين عطبرة والكاب أي منطقة الشلال الخامس وقام بتصويرها وتسجيلها[1]. وقد أكد هذا المسح الطبيعة الدفاعية لهذه القلاع وان كانت هناك مهام جانبية تقوم بها وهي أنها معاقل ومستقرات للحكام وجهازه

---

١ الاب جون فانتيني. تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث. الخرطوم ١٩٧٨م ص ١٩١.

1 O.G.S.Crawfort. Castles and Churches in Middle Nile Region.SAS Ocasional Papers No.2.1961.

الإداري، وخير مثال لذلك قلعة دنقلا العجوز التي تعرف حالياً مسجد دنقلا العجوز. كما كانت هذه القلاع تخدم أيضاً اغراضاً تجارية حيث تعتبر من المحطات الرئيسية التي تقوم بتوزيع التجارة النهرية وتصديرها وذلك بتحكمها على مجرى النيل وخير مثال لهذه القلاع قلعة كجبي غرب كريمة [١].

قلاع وطوابي الفترة الإسلامية:

عرفت العناصر العربية القديمة التي قدمت إلى السودان أساليب فن العمارة المختلفة قبل ظهور الإسلام وخاصة البناء بالحجر والطين، فقد تحركت هذه العناصر من مستقرات حضارية مشابهة في طبيعتها لمناطق شمال وأواسط السودان .

وكما هو معلوم فإن اليمنين قد عرفوا بناء السدود مثل سد مآرب كما شيدوا المباني السكنية العالية التي تتكون من عدة طوابق من الطين والتي تقف اليوم بحالة سليمة بمدينة شبام بمحافظة حضرموت باليمن الجنوبي، أما العراقيون فقد أقاموا قبل الإسلام الذاقورات وهي مقابر محصنة ونجدهم في الفترة الإسلامية فقد شيدوا كثيراً من الحصون مثل حصن الأخيضر الذي يقع في البادية جنوب غربي كربلاء بنحو خمسين كلم متر ويعود زمن إنشائه إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة.

وتأكيداً لما سبق نجد أن أحد الباحثين الذي اعتمد علي التاريخ الشفاهي يشير إلى أن قبيلة الشايقية من القبائل العربية التي هاجرت من منطقة الجزيرة العربية وبادية الشام على وجه التحديد كما يقول بذلك أبناء القبيلة حيث نتجت هجرتهم نتيجة لغزو التتار على بغداد عاصمة الدولة العباسية في حوالي ٩٦٠هـ. ويذكر الباحث أن القبيلة قد طافت ببلاد اليمن ومصر حيث استقرت بها فترة ثم تحركت نحو السودان وسكنت بطول جانبي النيل ما بين أبودوم قشابي غربا والجروف شرقاً ونستشهد فيما يلي بما أورده هذا الباحث حين يقول :

"ولذلك فقد جاءت القبيلة لهذه المنطقة وهي تحمل معها فنون العمارة في جزيرة العرب شمالها وجنوبها وفن عمارة مصر وما كادت القبيلة تستقر على النيل حتى بدأ أبناؤها في إقامة بيوت دائمة مستخدمين في ذلك المواد المتوفرة من

---

١ تصل حيننا هذه المباني السكنية إلي اكثر من سبعة طوابق

حجارة وخشب وطين الطوب النيء والأحمر. وبدءوا بترميم وصيانة القلاع المصرية القديمة التي أقيمت في العصور السابقة على شاطئ النيل بالشرق وأقاموا فيها واتخذوا قصوراً وحصوناً ولا زالت تلك القلاع تحمل أسم ملوكهم مثل قصر الملك ود محمود ، قصر الملك السميح، وقصر الملك شاويش"[1].

لم تقتصر هذا القلاع والطوابي الإسلامية على منطقة شايقية بل امتدت شمالاً وجنوباً فنجد جنوباً عند منطقة الشلال الرابع والخامس. وقد كانت تستخدم من قبل في فترة المسيحية ولكن استنبطت في الفترة الإسلامية طوابي صغيرة كانت تقام في المناطق المنبسطة، وكانت تعتبر نقاطاً أولية مثل طابية وأدي دم التور Wadi Dam Tor وطابية الكويب Kuaub، أما شمالاً فنجد هذا القلاع والطوابي في منطقة دنقلا العجوز والحس، وقد أورد كروفورد في عملة الرائد "مملكة سنار الفونجية" هذه القلاع والطوابي، مع صور تفصيلية لها، ويعتبر عمله أول توثيق عملي متكامل لها مع إبراز دورها في الفترة الإسلامية، ومن أمثلتها ود نميري جنوبي دنقلا العرضي ، وقلعة نوري جنوب دلقو.

ونجد في أواسط السودان طوابي المهدية (١٨٨٥-١٨٩٨م) التي تقف في المواقع الاستراتيجية على ضفتي النيل مثل السبلوقة وجزيرة توتي، وهي نتاج لكل التراكمات الثقافية المادية للحضارات السودانية في مسارها المتواصل بدء من حضارة كرمة (٢٠٠٠ – ١٧٥٠ ق.م) وتواصلاً في مسارنا الحضاري المستمر .

طوابي المهدية (١٨٨٥- ١٨٩٨م):

كانت فكرة تشييد الطوابي قد انبثقت في اجتماع مجلس شورى الخليفة، وقد قدم لهذه الفكرة إبراهيم الخليل متضامناً ومتوافقاً في الرأي مع عثمان دقنة، وقد أصدر الخليفة بناءاً على ذلك أوامره ببناء الطوابي على ضفتي النيل ورأسي جزيرة توتي (الشمال والجنوبي)، وذلك لوقف السفن الحربية، وكان المدى المؤثر لمدفعيه الطوابي ويقوم ٦٠٠ ياردة. يقوم بذلك مجاهدو المهدية ويساعدهم المدفعجية المصريون الذين أسروا أثناء حروب المهدية مع الأتراك

---

١ عباس محمد زين."العمارة الشعبية عند الشايقية". مجلة وازا. العدد (١) يناير ١٩٩٦ ص ٩١.

وانخرطوا بعد ذلك في صفوف المهدية، وكان قائد الطوابي من السودانيين.

وقد ساعد في تصميم الطوابي أحد المصريين وهو يوسف منصور الذي كان المسئول الثاني عن استحكامات المدفعية، وقدمت هذه التصميمات للأمير يعقوب الذي كان يقوم بتعديلها في بعض الأحيان، وبدأت عملية بناء الطوابي من عند شلال الشبلوقة حيث يصبح مجرى النهر ضحلاً نسبة لوجود الصخور مما يعطي الفرصة للمدفعجية للتصويب على السفن القادمة، ولكن في آخر لحظة أمر الخليفة بإخلاء الموقع وتحرك القوات التي كانت تعسكر هناك بالحضور إلى أم درمان لتشترك مع بقية القوات للدفاع عن أم درمان، ولا تزال الطابيتان باقيتان حتى اليوم عند شلال السبلوقة في الناحية الشرقية والغربية للنيل، وهما يتحكمان على مجرى النيل، وكان من الممكن لهما أن يلعبا دوراً أساسياً في المعركة الأخيرة.

وقد بدأ الخليفة بعد ذلك في بناء الطوابي في أم درمان للدفاع المباشر عن المدينة فبلغت سبعة عشر طابية لم يبق منها إلا سبع طوابي منها طابية توتي الشمالية والسبلوقة الشرقية والغربية وبعض الطوابي التي على الضفة الغربية للنيل عند أم درمان، (طابيتي الملازمين الشمالية والجنوبية والدباغة والختانة) وأن كانت هناك بعض الروايات تذكر أن طوابي الصبابي لا تزال موجودة وسط المزارع ولا زال البحث جارياً لمعرفة مكانها.

وقد شاركت هذه الطوابي ببسالة رجالها في معركة أم درمان رغم ضعف تسليحها مقارنة بالأسلحة الإنجليزية التي تستخدمها السفن الغازية.

وصفت هذه الطوابي بانها كانت مصيدة للموت ولكنها في الحقيقة كانت مصيدة للشهادة في سبيل الله ورمزاً مادياً لأخر معركة خاضها السودانيين مجتمعين في الدفاع عن بلادهم ضد الأعداء، وتقف طابية توتي شامخة مؤكدة لهذه الحقيقة.

طابية توتي الشمالية أحد الاستحكامات الدفاعية لمعركة كرري:[1]

تعتبر طابية توتي من أهم طوابي المهدية من حيث موقعها الإستراتيجي حيث أنها في مواجهة السفن المعادية مباشرة مما يمكنها من إصابتها وإيقاف

---

١ صلاح عمر الصادق تقرير عن طابية توتي اللشمالية. ملف تقارير امانة الآثار الهيئة القومية للآثار والمتاحف، بتاريخ ١٩٧٨/٦/١٩.

تقدمها. إضافة إلى ذلك فإن هذه الطابية مكتملة من الناحية المعمارية، لذلك رأينا أن نقوم بدراستها تفصيلياً من ناحية الموقع ووصف الطابية ومواد البناء ونظم البناء وشكل البناء وهي مثال جيد لدراسة طوابي المهدية.

موقع الطابية :

تقع الطابية على الرأس الشمالي من الجزيرة وسط أرض زراعية تخص المواطن الأمين عبد الله مواجهة لكبري شمبات الذي يقع على نهر النيل وشمال الطابية ومن الجهة الغربية من الطابية تواجه طوابي أم درمان وأما الجهة الشرقية فتواجه منطقة الصبابي بالخرطوم بحري.

وصف الطابية :

الطابية على شكل دائري لها مدخل واحد من الجهة الجنوبية يفتح على الجزيرة، وهناك ثلاثة فتحات أخرى من الجهات الشمالية والشرقية، وقد استحدثت فيما بعد أو أثناء المعركة، ويدل على ذلك :

١. تعارض هذه الفتحات من الناحية الاستراتيجية العسكرية نسبة لأن هذه الفتحات تطل مباشرة على جهات النيل مما تتنافي مع تكتيك السواتر وبناء الطوابي.
٢. تكشف هذه الفتحات مواقع المدافعين مما يعرضهم للإصابة من السفن القادمة من الشمال.

لا زالت فتحات البنادق موجودة على شكل مربع ١٠ × ١٠ سم وهي مبنية من أعلى بالطوب، أما طول الحائط ٢٠٠ سم، وسمك الحائط واحد متر فقط، والجزء الأسفل من الطابية حوالي ٢ متر من الطوب والحجر ووضعت بطريقة غير متنظمة، أما الجزء الأعلى فمن الطين، وهناك أثر للأمطار على الحائط، ونود أن نشير إلى أن هذه الصخور من نوع صخور أم درمان مما يشير إلى أنها نقلت إلى الجزيرة من أمدرمان أو من البروز الصخري داخل الجزيرة خاصة إذا علمنا أن تربة الجزيرة السطحية طينية نتيجة لترسبات الطمي حولها طوال قرون طويلة.

والطابية داخل أرض زراعية تخص المواطن الأمين عبد الله ، وهو الذي يقوم بحراستها بدافع وطني بحت، ولكن التخوف أنه في حالة تغيب هذا

الشخص، وهو رجل كبير في السن، فإن الطابية ربما تتعرض للتدمير، كما أن هناك أشجار شوكية تنمو داخل الطابية مما يعرضها للتدمير أيضاً، خاصة إذا زحفت سيقان الأشجار إلى أساسات الطابية وهذا ما يستلزم التأمين ضد التعدي والتفاوض مع صاحبها لتحويلها إلى مصلحة الآثار، وإعطائه التعويض المناسب كما أنها تستلزم نظافة داخلية وأشير إلى أنه تم تعيين خفير لها.

وقطر الطابية ٢٨ متراً من الداخل والقطر الكلي ٣٠ متراً وبعدها من النيل عند الجهة الشمالية ١٠٠ متراً، أم الجهة الشرقية فبعدها ١٥٠ وأيضاً من الجهة الغربية ١٥٠ متراً. وهذه الأبعاد ليست ثابتة بصفة خاصة نسبة لعمليات التآكل والترسيب التي تحدث للجزيرة عند أيام الفيضان.

الخلفية التاريخية للطابية الشمالية بتوتي :

بنيت طابيتان على الرأس الشمالي والجنوبي لجزيرة توتي ولكن الطابية الجنوبية لم يبق لها أثر الآن وإن كانت قد ذكرت في بعض المصادر بينها بعض الذين اشتركوا في معركة كرري، أما الطابية الشمالية موضوع الدراسة فقد كانت تحت قيادة علي عبد الجبار، وهو مصري الجنسية، وقائد مدفعيتها جمعة على العمرابي. و وضع بها مدفع جبلي تحت إدارة أثنين من المدفعجية وترجع أهمية موقع الطابية إلى أنها تشكل رأس الحربة في مقاومة وإصابة السفن المتقدمة إلى الجنوب.

خاتمة :

لقد تأكد من خلال دراسة الملاجئ الآمنة (الحصون والقلاع والطوابي) في السودان أصالة هذه المباني المعمارية حيث بدأت مع بدايات الحضارات السودانية وحافظت على وظيفتها كوسيلة دفاعية ولم توظف لأغراض عدائية هجومية، إضافة إلى ذلك نجد أن كافة هذه المباني كانت توجد على جانبي النيل وعلى الأودية، أما مواد وشكل البناء فقد استمر محافظاً على الطابع.

وقد لعبت هذه المباني دوراً هاماً في الدفاع عن الثورة المهدية.

المـــراجـــع

المراجع العربية :

١. أنور الرفاعي . *تاريخ الفن عند العرب والمسلمين* . بيروت . دار الفكـر. الطبعة الثانية، ١٩٧٧م .

٢. ج. فانتيني . *تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث*. الخرطوم ١٩٧٨م.

٣. صلاح عمر الصادق."تقرير عن طابية تـوتي". بتـاريخ ١٩/٦/١٩٧٨م . ملف تقارير أمانة الآثار. الهيئة القومية للآثار والمتاحف.

٤. عباس محمد زين . "خلفية تاريخية عن العمارة الـشعبية". *مجلـة وازا العـدد* (١١) يناير ١٩٩٦م .

٥. عبد الله عبد الرحمن الأمين الـضرير. *العربيـة في الـسودان* . دار الكتـاب اللبناني . الطبعة الثانية، ١٩٦٧.

٦. عصمت حسن زلفو . *كرري* . الخرطوم ١٩٧٣م.

٧. عون الشريف قاسم . *قاموس اللهجة العامية في السودان*. القاهرة . المكتب المصري ١٩٨٥م.

٨. نعوم شقير . *جغرافية وتاريخ الـسودان*. بـيروت دار الفكـر ، الطبعـة الثانيـة، ١٩٧٢م .

المراجع الأجنبية :

1/Daivd N.Edwards and Ali Osman M.Salih. The Mashas Survey 1991. Cambridge 1992.

2/ O.G.S. Crawford. The Fung Kingdom of Sennar. Gloucester.1951.

3/....، Castles and Churches in the Middle Nile Region. SAS. Occasional Paper. No.2.1961

4/ Merriam webstere، Callegiate Dictionary. Tenthendition. USA، Massachuet.1994..

5/ Trigger، Bruce، G. Nubian Under the Pharaohs .London Thames & Hudson.1976

دراسة منهج الشاعر عبد الله الشيخ البشير في جمع وتحقيق ديوان الشاعر الصوفي ود نفسية

إن دراسة منهج عبد الله الشيخ البشير في جمع وتحقيق ديوان الشاعر الصوفي ود نفيسة[1] يتطلب التركيز علي عاملين أساسين وأولهما التعريف بالشاعر وحياته، وثانيهما إستخدام منهج دراسات المقارنة، ومن خلالهما نستطيع تسليط الضوء علي المنهج المستخدم في الجمع والتحقيق وتوضيحه.

التعريف بحياة الشاعر ودورها في جمع وتحقيق شعره

إن التعريف بالشاعر وحياته يعكس لنا صورة من الوسائل التي استخدمت في الجمع والتحقيق، فمثلاً من الثابت علمياً أنه كلما بعدت بنا الشقة الزمنية عن المادة المجموعة صعبت وتشعبت وسائل الجمع وبدأت المادة في مرحلة الندرة، و ذلك لعوامل النسيان والإهمال والضياع. ومثال آخر في جانب التحقيق إذ اننا نجد أنه كلما اختلفت لغة المادة ـ المخطوطة أو الشفاهية ـ عن لغة الجامع المحقق أي اللغة السائدة في زمن المحقق من ناحية المفردات اللغوية واستعمالها، والجمل ومعانيها والوصف ودلالاته نتج عن ذلك صعوبة في التحقيق ونشير إلي أن كل ما سبق يقع في إطار اللغة الواحدة المشتركة، وعليه فيجب أن يفهم المرء تحت هذا الإطار ، وتفرض هذه الاختلافات البعد الزمني المكاني والاجتماعي والإثني وغيرها ما بين المحقق وصاحب المادة المحققة، ويعرف بعلم اللغة التاريخي ، وهو يعمل في إطار اللغة الواحدة ، وكل ما سبق يتطلب التعريف بالشاعر وحياته وكيفية استفادة الجامع المحقق من ذلك في التحقيق.

التحقيق في البعد الزمني والمكاني للشاعر:

ولد الشاعر ود نفيسة سنة ١٨٧١م بقرية الشقلة جنوب رفاعة وشمال ود راوه وتوفي سنة ١٩٥١ وقد اشتهر بود نفيسة، ونفيسة أخت الشيخ حسن ود

---

[1] أصدر وأشراف علي الديوان شعبة الفولكلور، معهد الدراسات الإفريقية الآسيوية – جامعة الخرطوم. في سلسلة دراسات في التراث السوداني (٢٢) ١٩٧٦.

حسونة وهي والدة جدة الفكي حامد واسمه الحقيقي إبراهيم الكباشي بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الفكي محمود بن الفكي حامد المسلمي، وقد سمي إبراهيم الكباشي. وقبيلة المسلمية[1] التي ينتسب إليها الشاعر هي من القبائل العربية القادمة من الحجاز ، قطنت المنطقة المعروفة ببادية المسلمية.

ومن هذا النسب ندرك أسباب عمق الفصاحة التي تمتع بها الشاعر ، كما أن بادية المسلمية التي نشأ فيها الشاعر منحته الخيال الشعري واثراء الألفاظ وتنوعها ونقاء اللسان الذي تفسده معيشة المدن لاختلاط الألسن. وقبيلة المسلمية لها أربعة عشر فرعاً والشاعر من فرع الزرقاب ، وقد عرف هذا الفرع بالتدين والتطلع إلي العلم والمعرفة كما اشتهر بمدح النبي، ومن هنا ندرك وضوح الإلفاظ التي استعملها الشاعر في التعبير عن مديحه مما سهل مهمة الجامع المحقق، إذ ليس هنالك غرابة في الألفاظ أو وجود عامية بائدة ، وهذه الخلفية الثقافية للشاعر جعلت هناك توحداً ذهني ما بينه وبين المحقق، الذي عاش نفس الظروف الاجتماعية التي عاشها الشاعر، وساعدت ايضاً علي خلق الاطار المشترك بينهما فكلاهما ذو ثقافة دينية عميقة وقد قرأ الشاعر القرآن وحفظه في خلوة الشيخ ود الخبير في رفاعة، وتلقي بها أيضاً مبادئ الفقه والتوحيد. وأما الطريقة القادرية فقد اخذها من خلوة الشيخ طه الكباشي حيث مكث بها ستين تلقي فيها تعليماً صوفياً وصار شاعراً صوفياً يؤلف الشعر في مدح شيخه إضافة إلي تأليف المدائح النبوية.

المصادر الأدبية للشاعر كعامل أساس في التحقيق:

لقد ساعد الإطار المشترك لكل من المحقق والشاعر، خاصة أن كلا منهما شاعر متمكن في مجاله فنجد معرفة المحقق للمصادر الأدبية التي استقي منها الشاعر ثقافته، وقد أوضح الجامع المحقق ذلك عندما قال:

" ويدل شعره علي أنه اطلع علي بعض كتب الصوفية مثل كتاب الابريز والطبقات الكبري للشعراني وغيرهما من أئمة هذا المذهب وسيرهم كما عرف

---

[1] عون الشريف قاسم . قاموس اللهجة العامية في السودان. القاهرة . المكتب المصري الحديث. الطبعة الثانية ١٩٨٥.ص ١٠٨٧.

الكثير عن مراتب السلوك ومصطلحات القوم فنراه يذكر اللحظ والعلل والتلوين والمحو والقبض والبسط، والمشاهدة والإرادة، ولكنه يعبر عنها أحياناً بلغته الخاصة، ونجد ذلك متناثراً في تضاعيف شعره. فهو مكتمل الثقافة الدينية التي كانت متاحة لمثله." [1]

دراسة شخصية الشاعر من الناحية الجسمية والنفسية ودورها في التحقيق:

وفي سبيل الوصول إلي تحقيق متكامل قام الجامع المحقق بداراسة شخصية الشاعر من ناحية التركيب الجسماني والخصائص النفسية وإنعكاس ذلك في شعره حتى يستطيع معرفة بعض الدوافع الشعرية له، وهذا ما يعرف بمنهج التحليل النفسي للأدب، وقد وفق في ذلك من خلال مساءلة للذين رأو الشاعر عن قرب وقد أعطوه صورة لسماته الجسمية والنفسية والروحية، وعندما طابق ما ذكر له عن أوصاف الشاعر مع شعره أدرك أن الوصف الذي أعطي له كان صحيحاً وقد استخدم المحقق هنا إضافة إلي تعليمه وثقافته العالية ونظرته النقدية الأدبية بحكم وظيفته كمعلم للأدب العربي أحاسيسه أيضاً كشاعر مرهف الوجدان قوي التعبير في الوصول إلي شخصية الشاعر وشعره، والوثوق مما ذكر له من خلال شعر الشاعر. وقد رأيت أن أنقل ما ذكره الجامع المحقق حتى لا أفسد الصورة البلاغية الشعرية التي عبر عنها المحقق في وصفه، كما أنني أردت أن أشرك القارئ معي في الاستمتاع بهذا الشعر المنثور:

" فقد علمت أنه كان أسمر اللون مربوع القامة ضخماً ذا بدانه واضحة، كبير الهامة وقد أثرت بدانته علي مشيته فكان يمشي متمهلاً وكان جهير الصوت إذا أنشد ، وكان نشيده مؤثراً مع أن صوته متوسط الجمال. وكان حاد المزاج يظهر ذلك في نبرته العالية في شعره وعنف صورة الشعرية، ومثل هذه الحدة تدل علي رفاهة الحس وشفافية الوجدان، ومما يدل علي ذلك تسمية شعره بالسيف والدروع والهاوية ... ومن خصائصه النفسية ذلك التصديق المطلق القائم علي اعتقاد لا يتزعزع بالغيبيات.

---

[1] ديوان الشاعر الصوفي ود نفيسة. جمع وتحقيق وشرح عبد الله الشيخ محمد البشير، سلسة دراسات في التراث السوداني. شعبة الفولكلور . معهد الدراسات الأفريقية الاسيوية . جامعة الخرطوم. ١٩٧٦.ص ٨.

فما من شاعر صوفي عني بالخوارق كما عني ، وإنه ليصدق بكل خارقة حكيت له عن شيخه رغم ما في بعضها من السذاجة التي تجعل الشيخ يتصرف في مقام الالوهية كإحياء الموتي مثلاً، وإنه ليدفع عنها بحرارة فائقة وبعنف أشد العنف علي منكريها. فخصائصه النفسية ومشخصاته الروحية من ذلك الطراز القابل للتأثير المتحرق شوقاً إلي المستور وإن المتعمن في شعره ليروعة الأفق النفسي الذي يموج بالخوارق والأشباح والرؤي والمتناقضات الهائلة بين العقل والروح. وإنك لتحس به كان يؤدي شعره في لحظة اللاوعي أو أنه يفاجئ به سيطرة أو اختيار"[١].

خلفية تاريخية عن الجمع والتحقيق في مجال شعر المدائح:

يقول بروفسير عبد الله الطيب في تعليق له أثناء رئاسته لإحدى المحاضرات العامة في مجمع اللغة العربية:

"وينبغي أن ننوه في هذا المجال بالتحقيق الجيد الذي صنع في معهد الدراسات الإفريقية الآسيوية لشعر حاج الماحي وهو شعر جيد للغاية وأود أن نلحق به تحقيقات الأشعار مشابهة به في مثل جودته مثل شعر ود مصطفي ومثل الشعار التي قيلت في أيام المهدي وهلم جراً"[٢]

إن أول جمع وتحقيق تم لشعر المدائح كان بواسطة عمر الحسين لديوان حاج الماحي وذلك بتكليف وإشراف شعبة أبحاث السودان (معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية حالياً). [٣]

وسنورد هنا منهج الجمع والتحقيق في العمل الثاني، والذي كان في مجال شعر المدائح في زمن المهدية والذي قام به قرشي محمد حسين[٤].

---

[١] نفسه ص.ص ٨-٩.

[٢] بروفسير عبد الرحمن النصري "مصادر الدراسات العربية الإسلامية في السودان". الخرطوم محاضرة بجمع اللغة العربية بقاعة الشارقة ٢٧/ ٨/ ١٩٩٦م.

[٣] عمر الحسين. ديوان حاج الماحي. سلسلة دراسات في التراث السوداني(١٨). الخرطوم. شعبة أبحاث السودان. جامعة الخرطوم.سيتمبر ١٩٧٢م.

[٤] قرشي محمد حسن . قصائد من شعراء المهدية . الخرطوم، المجلس القومي للتراث والفنون ١٩٧٤. ص.ص ٩-١٨.

منهج الجمع والتحقيق لديوان حاج الماحي (١٨١٧-١٨٧٢):

نود أن نشير إن الجامع المحقق عمر الحسين لم يشر إلي الغرض من الجمع كما لم يوضح بصورة منتظمة محددة في مقدمة الكتاب عن منهج الجمع والتحقيق وإنما هي شذرات مبعثرة في أجزاء المقدمة قمنا بجمعها وترتيبها كما يلي:

١- لم يذكر طريقة الجمع وإنما ذكر التحقيق وإن أشار إلي أنه جمعه من اسرة حاج الماحي دون أن يذكر تفاصيل.

٢- أشار إلي استخدام الشاعر لكلمات بلغات أو لهجات سودانية في مدحه أو قصائده مثل كلمات من لهجة البجة والدناقلة والنوبة.

٣- تصوير الشاعر لجغرافيا المنطقة الشمالية.

٤- وصفه لقبائل السودان في شعره.

٥- استخدامه إمالة الشايقية في قصائده.

٦- تضمينه لآيات قرآنية أوردها في كثير من قصائده.

٧- تركيب كلماته أقرب إلي الفصحى ولغته معافاة وسليمة.

٨- يحدث الشاعر في قصائده أحياناً تحريفاً ما بين العامية والفصحى.

منهج الجمع والتحقيق لقصائد من شعراء المهدية (١٨٨٥-١٨٩٨م):

أشار الجامع المحقق قرشي محمد حسن في مقدمته إلي الغرض من الجمع ، كما أوضح منهج الجمع والتحقيق، ويعتبر الجامع المحقق أكثر إلماماً في مجاله، وقد استفاد من التجارب السابقة والتي كان عمر الحسين رائداً لها.

أولاً: الغرض من الجمع

١- تعشق الجامع المحقق لشعر المهدية منذ صباه وجلوسه لليالي المديح.

٢- تكوين موسوعة مصغرة لقصائد المديح في المهدية تكون عوناً للباحثين.

٣- صيانة جزء حيوي من التراث الشعبي.

٤- الخوف من ضياع النصوص، وذلك لموت القلة التي تستظهرها وتحفظها خاصة بعد معركة كرري.

ثانياً: الجمع والتحقيق:

١- جمع الجامع المحقق القصائد من الرواة والمنشدين زمن الثورة المهدية.

٢ـ الجمع من مناطق مختلفة من السودان.
٣ـ تحقيق متن القصائد.
٤ـ الاستماع إلي اللحن.
٥ـ التحقيق من المنشد عن الشاعر وتاريخه والتقائه بالمهدي.
٦ـ شرح معاني المفردات العامية الغامضة التي وردت في بعض القصائد.
٧ـ حفظ الجامع المحقق للقصائد وألحانها وإيقاعاتها منذ الصغر مما كان ميراثاً ثقافياً له في المستقبل.
٨ـ تدوين نصوص القصائد منذ فترة مبكرة.

منهج الجمع والتحقيق لديوان ود نفيسة

" ولقد عانيت في الجمع واثرت علي صحتي ولأول مرة أعرف الملاريا، وأكملت ولم يبق لي إلا قصيدتان تعبت منهم إحداهما وهي قصيدة قالها في الشيخ الحفيان[1] ولم أجدها ولأخرى قصيدة قالها في إكمال قبة الشيخ عبد الوهاب الشعراني[2] وهي البنية مبروكة وديل لم أتحصل عليهم ولو أكملت ديل كنت أكملت العمل والراجل لديه مدائح نبوية"[3]

هكذا أشار الجامع المحقق إلي الجهد الكبير الذي قام به في جمع الديوان والمعاناة التي عاناها في سبيل الوصول إلي أجزاء الديوان، حيث أن المهمة لم تكن يسيرة فهو لم يجد الديوان كمجموعة واحدة مثلما حدث لديوان حاج الماحي إنما جمع القصائد بصورة فردية، ومن عدة أماكن ، ولنري لماذا هذا الجهد المضني في الجمع والدوافع خلفه.

أولاً: الغرض من الجمع:

١ـ صلة قرابة الشاعر بالجامع المحقق.
٢ـ اختلاف الجامع إلي حلقات الذكر منذ يفاعته والتي تقام بقريتهم أم

---

[1] الشيخ الحفيان توجد قبته شمال ود بانقا وجنوب شندي مع طريق الأسفلت.

[2] الشيخ عبد الوهاب الشعراني توجد قبته بالكباشي شمال الخرطوم بحري وجنوب الجيلي. وهو من ابناء الشيخ إبراهيم الكباشي.

[3] من حوار تسجيلي مع الجامع المحقق الشاعر عبد الله الشيخ البشير عن حياته توطئة لنشرة في كتاب من قبل دار النشر جامعة الخرطوم، أجري الحوار فرح عيسي وصلاح عمر بمنزل الأستاذ بالديوم . الحد ٢٢/٩/١٩٩١.

درق بمركز مروي ونجد نفس هذا الغرض لدي قرشي محمد حسن في أسباب جمعه لقصائد المهدية.

٣ـ الالتزام الأدبي والنفسي للجامع بجمع ديوان ود نفيسة، وهنا تعتبر الخلفية الدينية هي الدوافع الأولي للجمع[1] ويتوافق هذا الدافع مع قرشي محمد حسن لقصائد المهدية أيضاً.

ثانياً: منهج الجمع والتحقيق:

يقول الجامع المحقق الشاعر عبد الله الشيخ البشير عن منهج الجمع في الحوار التسجيلي.

"أول عمل بداته للتسجيل في الحقيقة الولي سالت علي الرجل وأولاده وعرفت أن له أولاداً علي قيد الحياة وهم حافظون مديحه وأكبرهم كان موجوداً واسمه طه الكنجي عليه رحمة الله، وهو شاعر مثل أبيه، والكنجي هو الثاني.. تحضر للشيخ وتوريه فكرتك وهو يقدم لك المساعدة.. والرجل يقصد طه الكنجي هو الذي هيأ لي وكتب لي لبعض حيرانه"[2]

ونتابع في السطور التالية المنهج الذي استخدمه الجامع المحقق من خلال الديوان وتقييم هذا المنهج:

أولاً: الجمع:

١ـ البحث عن نسخ المخطوطه للديوان وعدم العثور عليها بعد سماع وجودها بقرية القراصة بالجزيرة، و تقصي الجامع المحقق عنها بعدة أماكن لكنه لم يوفق بالرغم من أن هناك أدلة تؤكد محاولة جمع شعر الشاعر في حياته، نجد في جمع ديوان حاج الماحي أن الجامع قد وفق في الحصول علي ديوان من أسرة حاج الماحي بينما اتبع جامع قصائد المديح لشعراء المهدية نفس الخطوات وذلك عن طريق الجمع من الرواة والمنشدين والسفر في أنحاء السودان وهو الأسلوب الذي اتبع في ود نفيسة.

---

[1] عبد الله الشيخ البشير: المسيد. الخرطوم المجلس القومي لرعاية الدب والفنون ١٩٩٠. ص ٢٧.

[2] الحوار التسجيلي لحياة الشاعر عبد الله الشيخ البشير. فرح عيسي وصلاح عمر الصدق لصالح دار النشر جامعة الخرطوم الحد ٢٢/ ٩/ ١٩٩١م.

٢ـ إدراك الجامع لمنهج جمع التراث الشفاهى ، ويرجع ذلك إلـي قـصائده لثلاث سنوات بقسم الفولكلور بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية أثناء جمعه وتحقيقه للديوان، مما هيأ له الإمكانية لمعرفة منهج جمع التراث الشفاهي. ونجـد أن ذلك لم يتح لكل من جامع ديوان حاج الماحي وقصائد من شعراء المهديـة، فلم يكن لهم منهج علمي واضح إنما هي مجرد إجتهادات.

٣ـ إتبع في منهج الجمع أسلوب الجمع من الحقل وذلك بالسفر إلي قريـة الشاعر (الشقلة) ببادية المسلمية حيث قبته وخلفاؤه وأبناؤه، وكان قد اتبع هذا الأسلوب في الجمع قرشي محمد حسن في جمعه لقصائد شعراء المهديـة بينمـا لم يكن عمر الحسين جامع ديوان حاج الماحي في حوجة إلي ذلك حيث أشار إلي أنه وجد الديوان لدي أسرة حاج الماحي.

٤ـــ بـدأ الجمـع الـشفاهي في منـاطق مختلفـة مثـل كريمـة وام مرحـي والحصاحيصا والهلالية وزيارة الزوايا والمساجد وخاصة في المناسبات الدينيـة، وهو نفس الأسلوب الذي كان قد اتبعه من قبل قرشي محمـد حـسن في جمعـه لقصائد المهدية.

٥ـ تمكن الجامع المحقق عبد الله الشيخ البشير من الجمع الشفاهي لقـصائد الشاعر ماعدا قصيدتين كما جاء في ذكره علي لسان الجامع من قبل. في الجانب الآخر نجد أن جامع حاج الماحي أو قصائد المهدية لم يحدثنا إن كان قـد أكمـل جمع المادة الشعرية كلها.

ثانياً: التحقيق:

١ـ استخدم الجامع المحقق المنهج التاريخي والوصفي والنفـسي في تحقيقـه، ووظف كل منهج في موضـعه المناسـب لتحليـل وتوضـيح جوانـب معينـة في التّحقيق، فقد قام مثلاً بتتبع حيـاة الـشاعر وتحليـل أوزان الـشعر والتغـيرات والظواهر الفنية والنفسية.

٢ـ دراسة حياة الشاعر وشخصيته من الناحية الجسمية والنفسية وتوظيف ذلك في تحقيق شعره. وهو اسلوب لم ينتبه له قرشي أو الحسين في تحقيقهما.

٣ـ بعض القصائد نسبت إلي الشاعر لتشابه الأسماء ، وذلك لعدم التزام

الشاعر بالتوقيع باسم واحد فهو يوقع تارة ود نفيسة وتارة أخري باسم أحمد وأخري باسم الكباشي.

٤ـ تداخل بعض أبيات القصائد وسقوط بعض الأبيات من القصائد ، وذلك للتشابه في الوزن واللحن. وقد اتفق مع المحقق كل من الحسين وقرشي في فحص الوزن والتتابع اللحني للقصيدة للتحقق من القصائد. وإن تفوق عليهم المحقق عبد الله الشيخ البشير في هذا المجال نسبة لإحاسيسه الشعرية العالية.

٥ـ إدراك المحقق أثناء تحقيقه وبناء علي ثقافته الأدبية والشعرية للتحوير والتبديل والتأخير والنقص والزيادة في بعض القصائد، نجد من ناحية أخري استفادة كل من الحسين وقرشي من ثقافتهم الأدبية في التحقيق كما ذكر سابقاً في قصائدهم.

٦ـ الرجوع إلي الرواة لإزالة الالتباسات السابقة اتبع قرشي هذا الأسلوب وذلك من خلال التحقق من المنشد والراوي عن الشاعر وتاريخه والتقائه بالمهدي.

الخاتمة:

نستخلص أولاً: من دراسة منهج عبد الله الشيخ البشير لجمع وتحقيق ديوان الشاعر ود نفيسة بأن هناك منهجاً علمياً متكاملاً استخدام في جمع وتحقيق الديوان إضافة إلي عامل آخر ساعد بصورة كبيرة في هذا النجاح هو أن الجامع المحقق شاعر وهو اقرب إلي معرفة وإدراك الصور الشعرية التي تتضمنها القصائد ، كما أن لديه الوجدان الشعري الذي يمكنه أن يقيس به القصائد وهي هبة لا يتمتع بها إلا الشعراء.

ثانياً: أن هناك أسسا علمية منهجية وضعت لدراسة أدب المديح السوداني، ويمكن ملاحظة ذلك من تتابع المنهج من خلال دراسة المقارنة التي تمت للجامعين المحققين الثلاثة.

ثالثاً: بدء تكوين المكتبة السودانية لشعراء المديح السوداني من خلال جمعه وتحقيقه.

رابعاً: اهتمام الأدباء السودانيين بهذا النوع من الأدب والتشجيع علي جمعه وتحقيقه، وفي إشارة البروفسير عبد الله الطيب خير دليل علي هذا الاتجاه.

خامساً: يعتبر الجامع المحقق عبد الله الشيخ البشير من الرواد الأوائل لدراسة أدب المديح السوداني، وقد دفع جزء ، من عافيته في سبيل ذلك ، واختتم هذه الدراسة بكلمات لعبد الله علي إبراهيم في استهلال لمقالة له عن عبد الله الشيخ البشير فيقول:

"نريد بهذا المقال وصف السياق التاريخي والتربوي الذي تولد عنه منهاج للمأثورات الشعبية في مدرسة الأحفاد العليا الأهلية بمدينة أم درمان في السودان في السنوات ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٣ ، ويعرض المقال أيضاً ملامح المنهج العامة. والفضل في انشأة هذا النهج عائد إلي الأستاذ عبد الله الشيخ البشير الذي درس مادة اللغة العربية والدين بتلك المدرسة لدي تخرجه من الزهر ومعهد المعلمين العالي بجامعة عين شمس عام ١٩٥٦م حتى ١٩٦٣م حيث التحق بوزارة التربية والتعليم"[1]

[1] عبد الله علي إبراهيم. عبد الله الشيخ البشير ومنهاجه للفولكلور بمدرسة الأحفاد الخرطوم الوالي [illegible] ١٩٩٥م.ص.

المراجع

١- قرشي محمد الحسن. *قصائد من شعراء المهدية الخرطوم*، المجلس القومي للآدب والفنون، ١٩٧٤م.

٢- عبد الرحمن النصري. "مصادر الدراسات العربية الإسلامية في السودان". الخرطوم محاضرة مجمع اللغة العربية بقاعة الشارقة. ٢٧/٨/١٩٩٦م.

٣- *ود نفيسة (ديوان الشاعر الصوفي ود نفيسة)* جمع وتحقيق وشرح عبد الله الشيخ محمد البشير. سلسلة دراسات في التراث السوداني. شعبة الفولكلور .معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية. جامعة الخرطوم.

٤- الطيب محمد الطيب . *المسيد*. الخرطوم المجلس القومي لرعاية الآدب والفنون، ١٩٩٠م.

٥- عبد الله علي إبراهيم . *عبد الله الشيخ البشير ومنهاجه للفولكلور بمدرسة الأحفاد*. الخرطوم. الرأي العام. ابريل، ١٩٩٥م.

٦- عمر الحسين. *ديوان حاج الماحي*. سلسلة دراسات في التراث السوداني(١٨). الخرطوم، شعبة أبحاث السودان. جامعة الخرطوم سبتمبر ١٩٧٢م.

٧- عون الشريف قاسم. *قاموس اللهجة العامية في السودان*. القاهرة . المكتب المصري الحديث. الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

٨- فرح عيسي وصلاح عمر الصادق. حوار تسجيلي . أجري مع الشاعر عبد الله الشيخ البشير توطئة لنشره في كتاب من قبل دار النشر جامعة الخرطوم. الأحد ٢٢/٩/١٩٩١م.

٩- شرائط. بأرشيف معهد الدراسات الإفريقية الآسيوية. جامعة الخرطوم.

مظاهر تأثير الحضارة الإسلامية العربية
على التراث السوداني

١. الكتابة :

دخول الحضارة الإسلامية للسودان كان عاملاً حاسماً في تعلم القراءة والكتابة نرى ذلك بوضوح في الخلاوي التي انتشرت في ربوع القطر خاصة في شمال السودان وأواسطه ويمكن الدلالة على ذلك بجلاء في مقتنيات مثل ألواح واحجبة وأقلام بوص ودوايات حبر من ناوا ودنقلا العجوز وقرآن مكتوب باليد وأعوذة مكتوبة على ورق وآيات قرآنية كتبت على الحجر النوبي الرملي وسيوف عربية بها آيات قرآنية وأحزمة جلد من دارفور بها تجاويف لوضع الطلقات عليها كرمز طقسي يعتقد به وحراب بها آيات قرآنية وهنالك نقود تعود لفترات إسلامية مختلفة مثل التركية وسلطنة الفور والمهدية في بيت الخليفة والمتحف القومي وكذلك مطبعة الحجر من فترة المهدي ببيت الخليفة.

٢. الحلي وأدوات الزينة :

النقوش الإسلامية العربية تبدو واضحة على تراث الرشايدة بأنواعه المختلفة سواء أكان هذا في الملبس أو في أدوات الزينة من الفضة وهنالك تأثير لهذه النقوش العربية وأدوات الزينة عند القبائل الأخرى غير العربية أو القبائل التي اعتنقت الإسلام حيث أن عليها كتابة عربية، ونجد مظاهر للنمط العربي في أدوات ركوب الخيل والجمال في غرب السودان أو عند القبائل التي تحترف تربية الجمال وكذلك خيمة الرشايدة ذات الطابع العربي وهنالك نقوش ذات طابع عربي في أشياء عديدة وكمثال لذلك/ سيف الشريف الهندي وبه نقش عربي واضح .

٣. المصنوعات :

اثر الإسلام على بعض المصنوعات التقليدية في السودان والتي لم تكن موجودة أو مستخدمة لهذا الغرض قبل دخول الإسلام مثل ركوة الوضوء المصنوعة من الجلد أو من الفخار وكذلك بروش الصلاة التي تتميز بالبساطة وكذلك صنع سبح من مواد محلية مثل مسبحة اللالوب وفصلت جبب للجهاد مثل جبة المهدية المرقعة

واستخدام رايات بها آيات قرآنية كما في بيت الخليفة وصنع سروج على النمط العربية والأحذية مثل المركوب التركي أو السلطاني وفروة الجلد.

٤. **إرجاع النسب لأصول عربية :**

توجد في مختلف الأضرحة والقباب والوثائق ما يثبت نسب بعض القبائل أو الأولياء للجزيرة العربية وهي مصدر فخر وعزة ويمكن الاستدلال على ذلك بوضوح نسبة بعض من هؤلاء لإيضاح الانتماء للقبائل العربية في أماكن مختلفة من الجزيرة العربية وبعض الانساب لها صلة مباشرة بآل البيت الكريم وهذا يدعم حقيقة بان الإسلام دخل السودان وتقبله الناس وحملوا رايته عن إيمان واقتناع وليس عن طريق السيف أو الحرب.

٥. **التآخي بين المسيحية والإسلام :**

إن خير مثال لهذا التآخي بين المسيحية والإسلام يتجسد في لوحة موجودة بالقاعة المسيحية بالمتحف القومي لعمود به صليب وهلال وكذلك صور لكنائس وجوامع في مختلفة أنحاء القطر وتعود جذور هذا التآخي إلى النصف الأول من القرن السادس الميلادي حيث تمازجت وتفاعلت الحضارة العربية والموروث المحلي في السودان سواء أكان مسيحياً أو وثنياً انتشر بعدها الإسلام وتمخضت عنه نشوء أول سلطنة عربية إسلامية وهي السلطنة الزرقاء (١٥٠٤-١٨٢١) والمعروف أن الهجرات العربية للسودان أبعد من ذلك بكثير كما تشير الكثير من المصادر التاريخية.

٦. **مدن توضح العمارة الإسلامية :**

يبدو ذلك واضحاً في عمارة مدينة سواكن والتي تبرز في بوابة سواكن وكذلك قصر الشناوي وطراز البناء وأضح أنه من جنوب الجزيرة العربية وكذلك الطابع التركي كما تؤكد بقايا مباني مدينة عيذاب الإسلامية التي كانت ميناء للحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة وكذلك النقوش الإسلامية والخط العربي في كثير من المساجد والقباب .

٧. **الأزياء الإسلامية :**

أن نماذج الأزياء الإسلامية كانت مستخدمة في دولة الفونج أو دولة المهدية أو في عهد السلطان علي دينار كانت إسلامية بالإضافة لإزياء الطرق الصوفية مثل الجبب المرقعة والطاقية أم قرنين .

متحف السودان القومي للأثنوغرافيا
ذاكرة الأمة وتراثها الثقافى

إن الاهتمام بدراسة الثقافة المادية الأثنوغرافية (Ethnographical Material Culture) فى السودان بدأت فى بداية العقد الاول من القرن الماضى واخرجت بواسطة الاداريين البريطانيين ، وتزامنت هذه الدراسات مع دراسات علم الاعراق البشرية (الاثنولوجى Ethnology) حيث كانت الجامعات الاوربية تعمل على تخريج علماء دارسين يعملون فى المستعمرات ويوطنوا سيادة دولهم بالعلم الذى نالوة والذى وجه لهذا الغرض ، وقد كانت البداية مع علم الاثنولوجى الذى وظف لخدمة اهداف الاستعمار البريطانى وخاصة فى افريقيا وخير مثال لتنفيذ هذه السياسات الاستعمارية هو تأسيس مكتب فى عام ١٨٩٦م فى لندن يسمى "مكتب علم الاثنولوجى لبريطانيا العظمى" (Bureau of Ethnology for Great Britian) ليجمع المعلومات والدراسات عن القبائل المحلية فى المستعمرات البريطانية حتى يسهل حكمها[١] ومن اشهر هؤلاء العلماء الذين

وظفوا مع حكومة السودان سليقمان C.G.Seligman وايفانس بريتشر Evan pritchard ونادل S . F . Nadel [٢]

وهكذا تضافرت العوامل النظرية فى دراسة القبائل السودانية متمثلة فى علم الاعراق البشرية (الاثنولوجيا Ethnology) والعوامل التطبيقية لدراسة القبائل السودانية متمثلة فى علم التراث الثقافى المادى الاثنوغرافى الذى نشرت معظم دراسته فى مجلة السودان فى رسائل ومدونات Sudan Notes and Records وقد قسمت المادة الثقافية فى SNR الى مرحلتين : (١) ما قبل ١٩٥٦م (٢) ما بعد ١٩٥٦م أى النصف الاول من القرن العشرين والنصف الثانى منه .

---

١ صلاح عمر الصادق "من اشكاليات التاريخ الافريقى" مجلة دراسات افريقية العدد السادس والعشرين . السنة السادسة عشر ، ديسمبر ٢٠٠١م ص. ١٤

2 Sayyid .H.Hurreiz . Studies in African Applied Folklore .I AA S. University of Khartoum . Khartoum 1986 . pp . 27 . 28 .

لقد تركزت اعمال هؤلاء الدارسين فى النصف الاول من القرن الماضـى على سبعة مجالات فى الثقافة المادية الاثنوغرافية وهى على حسب مـا وردت كمقالات فى مجلة .SNR

(١) صناعة الفخار [1] سك العملة [2]) العمـارة التقليديـة [3]صـناعة المراكب [4]) صناعة الاسلحة [5]صناعة الغزل والنسيج [6].

وكانـت هـذه الدراسـات ذات طبيعـة وصـفية Descriptive وتـصنيفية Typology فقط مما افقدها صورتها العلمية المتكاملة بالرغم من أهميـة هـذا الجانب كان يجب معرفة الدلائل الاجتماعية للثقافة المادية ومعرفة مايمكن تخبرنا به القطعة التراثية عن المجموعة (الشعب) الذي صنعها واستعملها اضـافة الى ذلك كان يجب أن نعرف ما هي هـذه القطـع والعناصـر الاساسـية والتقاليـد والعادات والمعتقدات التي تلازمها وتتبعها يمكن ان يخبرنا عـن البيئـة الثقافيـة Cultural Morphology وعن حركة عملية التغيير الثقافى المستمر فى مناطق الالتماس الثقافى .

اثناء النصف الثانى من القرن الماضي* ازداد الاهتمام بدراسة الثقافة المادية الاثنوغرافية وخاصة بين الدارسين الـسودانيين وقـد افتـتح متحـف الـسودان القومى للاثنوغرافيا (متحف التراث الشعبى سابقاً) فى ١٩٥٦م فى الخرطوم وأنشأ قسم الفلكلور بمعهد الدراسات الافريقية والاسيوية سنة 1972 كما انشأ مركز توثيق الحياة السودانية (مركز دراسة الفلكلـور سـابقاً) بـوزارة الثقافـة واقيم قسم للفلكلور بكلية الآداب بكريمة التابعة لجامعة دنقلا سنة ١٩٩٢م .

وخلاصة ما يمكن ان نقوله حول الثقافة المادية الاثنواغرافية السودانية انه لابد ان نضع فى الاعتبار دور ووظيفة القطع الثقافية فى النظام المتكامل للثقافة حيـث

---

(1) SNR.vols,5 1922 pp. 33 38 : 7 (No2) 1924 ,pp 29-43: 8. 1925 .pp.125-136:
(2) SNR vols , 3.1920 . PP.161 – 196 : 7 1924.PP.124-126: 19.1936 .PP,147-149 :26-1945 PP43 –50 .
(3) SNR.vol, 14 1931 .P 196.
(4)) SNR.vol,25 . 1942 .PP.1-36.
(5) SNR vols, 18 . 1935 P. 326 : 1936 . P. 189.
(6) SNR .vol , 4. 1921 PP. 20- 38 .

* احمد محمد علي حاكم . الزخارف المعمارية والتطور في منطقة وادي حلفا . وحدة أبحاث الـسودان . جامعة الخرطوم . ١٩٦٥ .

نجد الشروط البيئية الطبيعية تلعب دوراً اساسياً فى الثقافة المادية وقد قامت فلسفة العرض المتحفى بمتحف السودان القومى للأثنوغرافيا على هذه الحقيقة .

*** نشأة متحف السودان القومى للأثنوغرافيا :**

بدأ جمع المادة التراثية منذ فترة مبكرة من دخول الحكم الثنائى إلى السودان فالبطاقة رقم (١) بمتحف السودان القومى للاثنوغرافيا تشير فى تاريخ جمعها الى ١٩٠٤ وتمت بواسطة السير ريجنالد ونجت Sir Reginald Wingate وكان يشغل منصب حاكم عام السودان والقطعة عبارة عن طبل خشبى من جذع شجرة ضخمة على شكل ثور يستخدم بواسطة سلطان يامبيو سلطان الزاندى فى حالة الحرب واستدعاء القبيلة ويوجد الآن بالمتحف (لوحة رقم ١-أ) وقد اشار تقرير عن مصلحة الآثار والمتاحف عن الفترة ما بين يناير ١٩٥٠ ويوليو ١٩٥١ الى المجموعة الاثنولوجية قائلاً:-

[1] المجموعة الاثنولوجية :

لم تزل هذه المجموعة الفريدة مخزونة بعيداً عن الانظار والاحتياطات قائمة لحفظها من التلف بواسطة الحشرات أو غيرها من عوامل الطبيعه – وبرغم ان المجموعة لم تزل فى الحفظ فقد اضيفت اليها ثمانية وسبعون قطعة خلال الفترة ما بين يناير ١٩٥٠م ويونيو ١٩٥١م واهم ما جاء فى تلك الزيادة :

- كمية من الدرق (الدروع) والحراب – هدية من المستر ج لونج
- اشياء مختلفة أهداها المسئول عن تركة الدكتور مايرز

وقد اهديت مجموعة صغيرة من الحراب والدروع (الدروق) المكرره لمعهد الدراسات السودانية التابع لجامعة فؤاد الاول بالقاهرة [1] وفى تقرير العام التالى ذكر ان هذه المجموعة الاثنولوجية لازالت محفوظة نسبة لعدم وجود المكان المناسب لعرضها واستمرت اعمال الصيانة حسب العادة ولم تكن هناك اضافات جديدة عن المجموعة[2]

---

١ ب.ل. شنى . تقرير عن مصلحة الآثار والمتاحف عن الفترة مابين يناير ١٩٥٠م ويونيو ١٩٥١م . ترجمة الصادق النور . مطبعة ماكوديل . الخرطوم ١٩٥١م ص ١٢

٢ ب.ل. شنى تقريرمصلحة الآثار والمتاحف عن الفترة يوليو ١٩٥١-يونيو١٩٥٢. ترجمة الصادق النور . مطبعة ماكودبل . الخرطوم ١٩٢١م ص١٠

من هذا التقرير يتضح بداية الجمع الاولى للمجموعة الاثنوغرافية وقد ازدادت هذه المجموعة نتيجة للتنوع البيئى الناجم عن اتساع مساحة السودان كما ان نتيجة للابحاث والعمل الحقلى المتواصل فى مجال جمع التراث الشعبى سابقاً ، بمبانى نادى ضباط الجيش الانجليزى سابقاً فى عام ١٩٥٠ وقد تم اعداد المتحف بالطريقة المثلى التى ساعدت فى حفظ ومعرفة التراث الشعبى وقد جمعت المادة التراثية من كافة انحاء السودان قبل افتتاح المتحف كما ذكرنا سابقاً ، وكانت توجد بعضاً منها بمتحف وادى حلفا قبل غرقه تحت مياه السد العالى فى عام ١٩٧٦م . كما ان بعض المواد التراثية توجد بمتحف شيكان بالابيض . وقد تم اول جمع منظم بواسطة عالم الاثنوغرافيا كرونبرج Kronoberg الالمانى الجنسية والذى كان يعمل اميناً عاماً للمتحف وكان ذلك فى يناير ١٩٥٩ م وقد تركزالجمع فى مناطق الجنوب قبائل البنقو والجور والدينكا وغيرها وتوجد المقتنيات مع مجموعة المتحف ثم كان الجمع الثانى بواسطة خبير الاثنوغرافيا الالمانى شتاين L.Stien والذى عمل فى المتحف كخبير وكان ذلك فى فبراير ١٩٧٣ وتركز الجمع هذه المرة فى غرب السودان منطقة جبال النوبة ثم كان الجمع الاخير حيث قدمت مؤسسة فورد عوناً بمبلغ ٤٩،٠٠٠ دولار لاقتناء المزيد من المواد الاثنوغرافية وتم ذلك بمساعدة خبير الالمانى اللورخ بروكمبر Ulrich Braukamper المنتدب من ولاية سكسونيا السفلى بدعم من الحكومة الالمانية الفيدرالية – فى تنفيذ رحلات ميدانية تهدف تكثيف الدراسة الاثنوغرافية وتجميع المواد من مختلف اقاليم السودان فكان الجمع من شرق السودان فى مارس ١٩٨٥ فى كردفان ودارفور فى كل من الاعوام ٨٦-١٩٨٧ . وكانت المحصلة النهائية اثراء الجاميع المتحفية الاثنوغرافية بصورة جعلت مسالة اعادة النظر فى العرض القائم انذاك ضرورة علمية ملحة وقد شارك كاتب الورقة في اعادة العرض آنذاك ، ثم قدم فى نفس مجال التعاون فى عام ١٩٨٩ الخبير الالمانى اندرياس قروب Andreas Grub ليحل محل بروكمبر وقد قام بعمل مسح وجمع اثنوغرافى فى المنطقة ما بين كريمة وابوحمد والحال كذلك فانه وبدعم مالى من سكسونيا السفلى بلغ ٢٢،٠٠٠ مارك وصل

خبراء فى ترميم المواد الاثنوغرافيةونفذوا عملاً دقيقاً فى ترميم الجاميع المتحفية الاثنوغرافية ثم تم الحصول على دعم آخر من سكسونيا السفلى بمبلغ ٠٠٠و٢٢ مارك استغل لاعادة تاهيل المبنى[١].

وفى عام ١٩٩٩م الحق المتحف إلى معهد حضارة السودان حيث تم تجديده واعادة العرض ليتوافق مع الاسس العلمية الحديثة وتطلعاتنا القومية المشروعة . والمتحف يعتبر من اعرق واقدم المتاحف العربية والافريقية ويمتلك ثروة كبيرة من التراث الثقافى المادى الاثنوغرافى العالمى والذى وثق مادياً لكافة مظاهر الحياة فى السودان . وكان لكاتب هذه الورقة الفضل في وضع فلسفة العرض الجديدة مع الاخ د. جعفر ميرغني مدير المعهد ، كما قمنا بتنفيذ العرض الجديد ليتوافق مع هذه الفلسفة بعد وضع الأسس المنهجية المحققة للترابط ما بين النظرية والتطبيق في العرض وكان هذا أول إعادة عرض تحت نظرة فلسفية وطنية اوضحنا فيها رؤيتنا حول ثقافتنا الشعبية بما يتلائم مع الوجدان السوداني الصادق .

ماهية المتحف وفلسفة العرض

اولاً ماهية المتحف :

متحف السودان القومى للاثنوغرافيا متحف متخصص فى عرض مواد التراث الثقافى المادى الاثنوغرافى كالمواد الثقافية التى ترتبط بحياة الشعب سواء كانت منتجة من قبل افراد او جماعات لتفىء متطلبات حياتهم وتشمل هذه المواد :

الادوات الزراعية وأدوات الصيد النهرى والبحرى من شباك وسنارات ورماح صيد وما يرتبط بها من ادوات مساعدة للصيد مثل المراكب والاطواف ، اما ادوات الصيد البرى فتشمل على حراب بكافة انواعها وسهام وجعبات وشراك وهروات خشبية كما يحتوى المتحف على أدوات الزينة والازياء الشعبية والاحذية من شباط ومراكيب والسكاكين التى تعلق على الذراع للاستخدام اليومى وايضاً التى تعلق فى الوسط مثل سكين المدندوة (الشاتول) وهناك ادوات المطبخ السودانى بكل

---

١ اسامة عبد الرحمن النور . تقرير عن اعمال مصلحة الآثار والمتاحف القومية للفترة من ١/ ١/ ١٩٨٨ - ١/ ١/ ١٩٩٠ . مصلحة الآثار الخرطوم . ص ١٠.

مكوناته حتى رحايات العيش والاوانى الفخارية لحمل الماء ولحفظ الطعام والسوائل . كما توجد أدوات حرفة النسيج حيث نجد ادوات الغزل من قطن خام ومغزول وايضاً المتارير والنول وقطع من الملابس والشالات والفراد والطواقى ومن اهم القطع الاثنوغرافية المكتملة الادوات الموسيقى الشعبية بكل انواعها الوترية (الربابة) والجلدية (الدف) وآلات الايقاع (الدربكة) والمزامير بكافة اشكالها وآلات الايقاع الخشبية مثل (الطبل الخشبى أو آلة البالمبو) كما يتضمن المتحف عمارة شعبية مثل القطاطى والكرنك (ظهر الثور) وخيم الشملة وقد روعى فى هذه النماذج تصوير الحياة الشعبية بصورة مترابطة مع عمل نماذج بشرية ممثلة للعناصر القبلية القاطنة لهذة الانواع من المساكن مع كاملة الزينة الممثلة لها وايضاً نماذج اخرى تمثل نشاطات حياتية مختلفة مثل راقص الكمبلا بكل زينته والمرأة التى ترحي الذرة من غرب السودان أو البجاوى الذى يقود جمله أو المرأة الرشيدية بكل زيها وزينتها .

ومن اندر المعرضات بالمتحف ادوات الزينة والحلي حيث هناك اسورة وحجول وخواتم من النحاس الأحمر والأصفر ومن العاج ومن الفضة كما توجد المعلقات من حلوق وفدوى وعقود وزينة للرأس من الفضة وتغلب الحلي الفضية على غيرها .

ونستخلص مما سبق أن متحف السودان القومي للأثنوغرافيا يلعب دوراً في تنمية الشعور القومي والتمازج بين مكونات المجتمع كما أنه يبرز النواحي الاقتصادية الشعبية في حياة الناس مما يمكن من تطويرها وتوظيفها اقتصادياً بما يعرف عند مختصي الإقتصاد بتطوير اقتصاد القرية أو بمعنى (تنمية الريف) والمتحف هو المخزون الاستراتيجي للشعب ويقوم بالتعريف لقيمة وهوية الثقافة . وعليه فان الطبقات الشعبية المكونة لمجموع الشعب المشكل للامة هي التي تقدم هذا التراث الذي ينهل منه المجتمع ويعتبر الوجدان المادي للشعب الذي يحتمي به في المحن والتأثيرات الأجنبية الضارة . ولابد للإشارة الى أن عمليات الجمع التراثي للمتحف تعتبر ضرورة اساسية لتجديد هذه المتاحف وتأكيد التواصل الحضاري للأمة من خلال عطائها المتواصل وعليه سوف تقوم فرق بصورة دورية بغرض المسح

الأثنوغرافي ثم جمع المادة التراثية من كافة أنحاء السودان حتى تحفظ الإستمرارية والتغيير على نسق متوال مما يمكن من السيطرة على أي تغيرات تحدث نسبة لأي ظروف طارئة مثل الهجرات أو التغيرات التي تحدث نتيجة للحروب الأهلية أو الكوارث . وهذا يقع في إطار سياسات التخطيط الثقافي العام والذي يلعب متحف السودان القومي للأثنوغرافيا هذه الجزئية منها .

ثانياً : فلسفة العرض

إن مساحة السودان الشاسعة (مليون ميل مربع) والقبائل المتنوعة والدول التي يجاورها (٩ دول) ونسبة لتنوع البيئة في السودان من بيئة سافنا غنية ، بيئة سافنا قصيرة ، بيئة البادية ، بيئة ريف ، حياة نيلية وبيئة المدينة .

فقد تنوعت مظاهره الحياتية وإن توحدت نواتجه الثقافية بصورة عامة وقد تبادلت هذه البيئات منتجاتها الثقافية مضيفة كل منها للأخرى بعداً ثقافياً تكاملت فيه قسماتها في كل أنحاء السودان وهذه سيمة اساسية في الحضارة السودانية إبان تطورها فنجد أن مكونات الحضارة السودانية تكاملت كل أنحاء السودان في تشكيلها وإذا نظرنا إلى الحضارة السودانية في مفرداتها الحضارية نجد ان كل جزء من السودان قدم جزئيات من هذه المفردات فنجد مثلاً أن العنقريب (سرير خشبي منسوج من الحبال أو الجلد) والذي لعب دوراً هاماً في الحضارة السودانية [١][1]قدم من شرق السودان (قبائل البجة كما ان الطبل الكبير والصغير (الدلوكة والدربكة) والتي تظهر على الآثار السودانية قدمت من جنوب السودان ، اما صناعة الحديد فقد قدمتها مروي إلى جنوب السودان ومنها الى أفريقيا وقد أكتشفت أفران الحديد في نيناكورا جنوب واو وأيضاً في مريدي على ضفة نهر مريدي[٢] .

تواصلت هذه السيمة في الثقافة السودانية فنجد مثلاً ثقافة البادية متوحدة في كافة انحاء السودان تحت ظل مظلة الثقافة السودانية الكلية . وتأكيد لذلك

---

1 Madani , Y.H" Alangareb A Tradition Bed Graft Industry in Sudan , Un Published M.A. These is university of Khartoum 1980 .
1)

٢ صلاح عمر الصادق "لمحات من اهمية الآثار ودورها في حياة الإنسان المعاصر عامة والسودان خاصة" مجلة الخرطوم . العدد ١٩ يناير ١٩٩٦ ص.ص. ٤٣-٤٦ .

نجد أن القبائل البدوية في شرق السودان (البجة) لهم نفس المنتجات الثقافية للقبائل البدوية في غرب السودان (الابالة والبقارة) والقبائل البدوية في أواسط السودان متمثلة في قبائل الشكرية .ونفس الأمر ينطبق على بيئة الريف التي تتشابه في كافة أنحاء السودان وأيضاً نجد أن بيئة المدينة السودانية هي صورة متطابقة لكل المدن ولا يشعر السوداني باي غربة في الحياه في مدن السودان فنجد الحياة في مدينة بورتسودان في شرق السودان تتشابة مع الحياة في مدينة الابيض في الغرب أو واو في الجنوب أو امدرمان في الوسط كما أن سكان في هذه المدن هو عبارة عن تمازج قبائل مختلفة من أنحاء السودان .

وعليه فإن العرض يهدف الى ابراز هذا التوحد الثقافي ومن خلاله يمكن أن يصبح المتحف منبراً من منابر الثقافة السودانية والتعليم الشعبي والتربية القومية وأداة فاعلة من ادواتها ، كما أنه من خلال التوحد في العرض يمكننا اجراء الدراسات الاثنوغرافية الآثارية الموازية بهدف الكشف عن الاستمرارية والتواصل في صيرورة التطور التاريخي الحضاري فنجد انعكاسات واستمرارية التراث المادي الثقافي لحضارة كرمة التي نشات في ٢٠٠٠ ق.م . ومروراً بحضارة نبتة ومروي المسيحية والفونج الاسلامية متمثلة في نواتجنا التراثية اليوم في المتحف ، وخير تمثيل العنقريب كما ذكرنا والازياء وأدوات الزينة والفخار والساقية .

طريقة العرض :

أن العرض المتحفي يبرز هذه الاستمرارية مما يؤدي إلى ترابط وتقوية الوحدة الوطنية ويوضح ان كافة مناطق السودان ساهمت في تطور السودان الحضاري منذ القدم حتى اليوم . قسم العرض السودان الى ستة بيئات مختلفة ولكن توحدت الثقافة . فنجد اولاً طبيعة السافنا الاستوائية ، السافنا القصيرة ، البادية ، الريف ، ثم نشاطات النيل ثم ثم اخيراً بيئة المدينة . وتبرز القطع التراثية المعبرة عن كل بيئة في السودان تنوعت لتتكامل ثقافياً .

بيئة السافنا الغنية :

تتركز هذه البيئة في كل من جنوب السودان وجنوب النيل الازرق حيث تتساقط الامطار بغزارة معظم العام وتنمو الحشائش الطويلة والغابات الكثيفة وتكثر

الانهر الفرعية وتنشأ المستنقعات في بعض المناطق عليه فأن الابداع الشعبي هنـاك في مجال التراث الشعبي تركز على الصناعات الخشبية المتنوعة الاستخدام سواء في مجال الموسيقى أو الإستخدام المنزلي أو ادوات صيد الحيوان أو الـصيد النيلـي أو ادوات الحرب كما نجد توفر الصناعات الجلدية وذلك لتوفر الحيوانات بكافة أنواعها ونسبة لجمال الطقس فكان الاهتمام بالرقص وادواته . كما برعـت هـذه المنطقـة بـصناعة الفخار فجعلت عليه لمسات فنية عالية

بيئة السافنا القصيرة :

تشمل هذه المنطقة كل من جبال النوبة وكردفان شمال الانقسنا وتتمثـل ادوات هذه المنطقة في الزراعـة وهـي النـشاط الاساسـي للـسكان إضـافة الى الاهتمـام بالزينـة والأزيـاء وخاصـة المـصاحبة لحفـلات الـرقص والمـصارعة والطقوس المصاحبة لهما وخاصة زينة راقص الكمبلا ولغيرهما من النشاطات فهناك طقوس للزراعة وللمطر ويلعب الكجور دوراً اساسياً فيها تستخدم كثير من الأدوات لتنفيذ هذه النشاطات كما برعت هـذه المنطقـة بـصناعة الفخـار خاصة فخار الإستخدام اليومي فجعلت عليه لمسات فنية عالية .

بيئة البادية :

تشابهت البادية في كل انحاء السودان سواء كانت مرتبطة برعي الأبل أو الابقار أو الاغنام ولقد قدمت لنا تراث ثقافي يقوم على الصناعات الجلدية الصوفية وأواني القرع وقد الزمت حياة الترحل الدائم بحثاً عن الكلأ والماء انـسان الباديـة أن يتفـرد بهذه الصناعات ولم يستخدم الفخار نسبة لقابليته للكسر في حالـة الترحـال ويعتـبر الحيوان هو المحور الرئيسي لحياة الإنسان هناك أما البادية فهي المستقر الثنائي لهم ولقد زينوا حياتهم وأهتموا أيضاً بتـزيين انفـسهم وتميـزت حيـاتهم وأدواتهـم ومنـازلهم بالبساطة والجمال وتكاملت زينة وزي المرأة البدوية واستخدموا الأسلحة الدفاعية ولم يعرفوا أدوات الحرب وحياتهم تقوم على السلام لهم ولغيرهـم .

بيئة الريف :

نسبة لعدم وجود العوائق الطبيعية من بحار وجبال وصحاري فقد وحدت بيئة الريف السوداني وظهر ذلك في النشاط السكاني الزراعي وأيضاً في اثاثات

البيت الريفي كما يظهر هذا التوحد الثقافي في اسلوب الحياة والعادات والتقاليد أما في جانبه المادي فنرى ذلك في ادوات الطبخ وادوات رحى الـذرة وأوانـي حفظ الطعام والماء والسوائل والتي تتكون أساساً من أواني فخارية ساعد على ذلك استقرار السكان ووجودهم بالقرب من مصادر المياه حيث يسهل صناعة الفخار والذي هو من رموز تواصل الحضارة السودانية . كما تميز البيت الريفي باستخدام المواد المحلية ومؤامته مع البيئة .

الحياة النيلية .

ارتبطت البيئات السكانية القاطنة للنيل بنشاطات متشابهه مثـل الـصيد بجميـع انواعه فنجد صيد الأسماك هو النشاط الرئيسي لقاطني ضفاف النيل وجزره كما أن هناك نشاط لصيد فرس البحر والتماسيح يتم في الجزء الأوسط وجنوب النيل وقـد تركت لنا بيئة النيل تراث في أدوات الصيد من سنارات وحراب صيد وشباك وسلال للصيد في مداخل المجاري والخيران كما تركت لنا المراكب بكافة أشكالها والأطواف وقوارب الكانوي Canoe وهو قارب ينحت من جزع شجرة واحدة ويستعمل في المناطق الضحلة ومناطق المستنقعات التي تكثر بها الحشائش ويمتاز بحرية الحركة في هذه المناطق وتتشابه الحياه على النيل من الجنوب حتى الحدود السودانية الـشمالية وقـد تواصل هذا التشابه منذ العصور الحجرية القديم الحديث حتى الآن [1] ويمكن الرجوع الى مقتنيات متحف السودان القومي ومقتنيات متحف السودان القومي للأثنوغرافيا حيث يمكن من خلال هذه المقتنيات أن نرى تشابه الثقافة النيلية .

بيئة المدينة :

نشات المدن في السودان من تجمعات سكانية مختلفة الأصل وعليه فهناك ثقافـة موحدة نشأت مع هذه المدن وساهمت كافة الأعراق السودانية في هذه الثقافة والتف السودانيين حولها وظهر ذلكً في الازياء الرجالية والنسائية فكانت الجلابيـة والعمـة والطاقية والمركوب للرجال والثوب للنساء كما أن أدوات الزينة النسائية اتفق حولها

---

١ د. اوشولا ابابوا . تقنيات صيد الاسماك في وادي النيل (دراسة مقارنة) ترجمة صلاح عمر الصادق . مجلة الثقافة السودانية العدد ٣٤ ابريل ٢٠٠٣ ص.ص١٠٠-١١٧ .

مجتمع النساء كما ان ادوات الموسيقى كانت متشابهة في كافة المدن بل تشابهت الألحان التطريبية واصبح ما يهز الوجدان الفني متوحد في عمومياته وظهرت ايضا أعمال الإبرة والغزل والنسيج وصبغة الثياب وتوحدت مشاعر الفرح والحزن في مدن السودان وخير مثال لذلك استخدام أدوات زينة العريس وعطورها وثباتها كقيمة ثابتة من طقوس الزواج أو الختان كما نجد استعمال ثوب الكنجة الابيض كرمز للحداد للنسوة عامة فقد انتج الريف القطن وقامت المدينة بنسجه وهكذا توحدت كافة أجزاء السودان في صنع حضارته :

خاتمة :

إن متحف السودان القومي للأثنوغرافيا قد شيد على قاعدة علمية سليمة منذ العقد الأول في القرن الماضي وقد وضع الاطار النظري والتطبيقي للمتحف وذلك من خلال الدراسات والكتابات عن الثقافة المادية الإثنوغرافية السودانية إضافة الى جمع وتخزين للمادة التراثية وتثبت أول قطعة جمعت هذه الحقيقة وكان ذلك عام ١٩٠٤ ثم توالى الجمع وانشاء المتحف في عام ١٩٥٦ وبذلك يعتبر المتحف من أغنى مستودعات التراث الثقافي المادي والإنساني والذي سجل ووثق وحفظ بصورة سليمة حتى الآن وهو خير دليل للمواصلة الحضارية في السودان ونستطيع من خلاله دراسة السجل الثقافي السوداني .

لقد قام العرض الحالي على التقسيم البيئي وهو أكثر صدقاً وعلمية في مدلولاته وهو الوضع الذي قامت عليه الثقافة منذ عهد مملكة كرمة السودانية (٢٠٠٠-١٥٨٠ق.م) فالحضارة السودانية ازدهرت من خلال تكامل بيئاتها المختلفة فبيئة البادية هي التي تمول المراكز الحضارية بثروتها الحيوانية وبيئة الريف هي الممون أيضاً لكل الحواضر السودانية بمنتجاتها الريفية لذلك نجد هذا التماثل في العرض المتحفي والمتحف يمثل ثقافة كلية اجتمعت الجزيئات لتشكل الكل ممثل في الثقافة السودانية الواحدة .

المـــراجـــع

المراجع العربية :

* أحمد محمد علي حاكم . *الزخارف المعمارية والتطور في منطقة وادي حلفا* . وحدة أبحاث السودان . جامعة الخرطوم . ١٩٦٥

١ - د. اوشولا ايابوا . تقنيات صيد الاسماك في وادي النيل (دراسة مقارنة) ترجمة صلاح عمر الصادق . مجلة الثقافة السودانية العدد ٣٤ ابريل ٢٠٠٣ ص.ص١٠٠-١١٧.

٢- اسامة عبد الرحمن النور . تقرير عن اعمال مصلحة الآثار والمتاحف القومية للفترة من ١/ ١/ ١٩٨٨ – ١/ ١/ ١٩٩٠ . مصلحة الآثار الخرطوم . ص ١٠.

٣- ب.ل. شنى . تقرير عن مصلحة الآثار والمتاحف عن الفترة مابين يناير ١٩٥٠م ويونيو ١٩٥١م . ترجمة الصادق النور . مطبعة ماكوديل . الخرطوم ١٩٥١م ص ١٢.

٤- ب.ل. شنى تقريرمصلحة الآثار والمتاحف عن الفترة يوليو ١٩٥١-يونيو١٩٥٢. ترجمة الصادق النور . مطبعة ماكوديل . الخرطوم ١٩٢١م ص١٠.

٥- صلاح عمر الصادق "لمحات من اهمية الآثار ودورها في حياة الإنسان المعاصر عامة والسودان خاصة" مجلة الخرطوم . العدد ١٩ يناير ١٩٩٦ ص.ص. ٤٣-٤٦ .

٦- صلاح عمر الصادق "من اشكاليات التاريخ الافريقى" *مجلة دراسات افريقية* العدد السادس والعشرين . السنة السادسة عشر ،ديسمبر ٢٠٠١م ص. ١٤.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

1- Madani ، Y.H" Alangareb A Tradition Bed Graft Industry in Sudan ، Un Published M.A. These is university of Khartoum 1980.

2- Sayyid .H.Hurreiz . Studies in African Applied Folklore .I AA S. University of Khartoum . Khartoum 1986 . pp . 27 . 28 .

3- SNR.vols،5 1922 pp. 33 38 : 7 (No2) 1924 ،pp 29-43: 8. 1925 .pp.125-136:

4- SNR vols ، 3.1920 . PP.161 – 196 : 7 1924.PP.124-126: 19.1936 .PP،147-149 :26-1945 PP43 –50 .

5- SNR.vol، 14 1931 .P 196.

6- SNR.vol،25 . 1942 .PP.1-36.

7- SNR vols، 18 . 1935 P. 326 : 1936 . P. 189.

8- SNR .vol ، 4. 1921 PP. 20- 38 .

العملة في الأمثال والمعتقدات
والاغاني الشعبية

عرفت العملة في السودان بعدة أسماء منها النقود، والقروش، والمال والفلوس، وهي جمع فلس يوانانية الأصل[١]، وقد شاعت الأسماء كلها علي المستوي الشعبي والرسمي وكان يقصد بها عامة العملة المعدنية ودخلت العملة إلي السودان بدخول الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٢١ قبل الميلاد. وكان ذلك بداية التعامل بالعملة الاغريقية في السودان والتي تلتها العملة الرومانية ونتيجة لذلك نجد في أنحاء متفرقة من السودان عملات يونانية ورومانية وأيضاً عملات من العصر المسيحي البيزنطي وتوجد مجموعة كبيرة من هذه العملات بمتحف السودان القومي[٢].

ان الدولة السنارية (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م) كانت تستعمل العملات الأجنبية مثل الريال العثماني (الريال المجيدي) والريال الأسباني (الريال ابو مدفع) وريال إمبراطورية الهبسبورج النمساوية ريال ماري تريزة (ابو نقطة) ،واصدر الخليفة عبد الله التعايشي عملة تسمي (عملة مقبولة) إضافة إلي أن السلطان علي دينار (١٨٩٨ ـ ١٩١٦م) اصدر عملة بالفاشر وكانت تعرف باسم (قرش رضينا)[٣] لم تعرف العملة باسمها الشائع حاليا إلا بعد دخول الحكم الثنائي ١٨٩٨م إلي السودان حيث عرف السودان العملة الورقية لاول مرة، وان كان الجنرال غردون أثناء حصار الخرطوم قد اصدر كبونات ورقية تصرف بعد التخلص[٤] من حصار الخرطوم وان كان هذا لم يحدث وتوجد مجموعة من هذه الكبونات في متحف بيت الخليفة.

لقد دخلت العملة في المثل السوداني والمعتقدات والاغاني الشعبية السودانية وايضا تداول السودانيين هذه الثقافة الشعبية حول العملة والتي كانت تخدم عدة مجالات في حياتهم.

---

١ عون الشريف. قاموس اللهجة العامية في السودان ، الطبعة الثانية المكتب المصري الحديث القاهرة ، ١٩٨٥م

٢ صلاح عمر الصادق، الريال المجيدي عملة تركية تداولت في السودان (١٢٦١هـ ، ١٨٤٥م)، مجلة وزا العدد ١١ يناير ١٩٩٦م. ص ٨٢.

٣ صلاح عمر الصادق . دراسة العملة. مجلة كتابات سودانية. مركز الدراسات السودانية العدد ١٦، يونيو ٢٠٠١. ص.ص ٣٠،٣١.

٤ نعوم شقير. جغرافية وتاريخ السودان. دار الثقافة. بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢.ص.ص ٨٠٨ـ ٨٠٩.

• العملة في المثل الشعبي :

• قرش الجراي ولا ريال الحاكم

الجراي هو الخفير والمعني القرش الذي اقدمه هدية يقضي حاجتي اكثر من الريال الذي اعطيه الحاكم لان الخفير سهل الوصول إليه وبه اتناول مابيده بسرعة وهو محتاج، ويضرب المثل لتوضيح قوة القروش في قضاء الحوائج مهما كانت قلة قيمتها.

• القرش يلد القرش

القرش بمعني النقد دخيل في اللغة والمعني أن من عنده القرش يكسب بادخاله بضاعة تكسبه قرشا ربما كان المثل تجاري، ويضرب ترغيبا في تداول النقد.

• القروش أصبحت دقن مرة

اصبح الحصول علي النقود صعبا كنبات اللحية علي فك المرأة وذلك لما تقتضيه حكمة الخالق. ويضرب في صعوبة الحصول علي المامول.

•قروشه ما وقعت واطي

ما صرفه ثمنا من النقود فيما ابتاعه عبث مكافئا لها او خير منها فصفقته رابحة غير خاسرة ، ويضرب للعوض الأنفع.[1]

• حال حويل وقرد مربوط بحبيل

المال هو العقار الذي لا ينقل ولا يحرث وهو الأراضي الزراعية والمباني السكنية والاجرة والحويلة وهي الحيوانات لأنها معرضة للمرض والموت والقرد المربوط بحبيل وهو النقد المعرض للسرقة والنهب ويضرب للحث علي اقتناء الأراضي.

• مالي اشتريت به قلب

حكو ان تاجر اعطي ولده مالا يجلب به بضاعة من محل وجودها فلما وصل المكان التفت حوله من السفهاء ما ضاعوا ما بيده ثم نبذوه فقال له والده اشتريت القلب رخيصا ان صح عزمك ، يضرب كحكمة فهما.

• مالي اشتريت به اصحاب

حكو ان رجلا غنيا خصص لوالده الكبير مبلغا من النقود ليصرفه كما يشاء

---

١ صلاح عمر الصادق. الامثال السودانية., الجزء الثاني . جامعة الخرطوم ص.٢٠٠٣،١٥٥.

فصرفه علي الذين اختارهم له اصدقاء فاخبر والده انه اشتري بماله عشرين صاحبا من خيرة الاصدقاء فقال الوالد انا للآن ليس لدي إلا صاحبا ونصف واراد ان يبرهن لابنه معني قول الشاعر:

ان اخاك الحق من كان معاك:: ومن يضر نفسه لينفعك

بالبرهان فزبح كبشا وانضجه بحاله وكفنه بكفن الجنازة وامر ولده بحمله ودار به ليلا علي اصحابه العشرين يضرب الباب ويقول لصاحبه اني وجدت رجلا مع زوجتي فقتلته وجتتك لتسعفني في مصيبتي فيرد الباب في وجهه ويدخل بيته، فلما خلص منهم حمل والده الجنازة الموهومة ومرا علي نصف صاحب، فلما اخبره فاخذ من الوالد الجنازة وقال له قتيلي انت تنسبه لك فتقتل به ومازالا يتجاذبانه حتي ضبطهما العسس واخذاهما للقاضي فكشف عن الجنازة وفهم انه يريد تهذيب ابنه.

*** المال يروح وتبقي الوجوه**

يذهب المال من صاحبه كريما كان أو بخيلا ويبقي اثره في وجوه مستميحيه فينعم الكريم بشاشة واحترام شاكر به ويعيش البخيل بنفس وذم مستقبليه ولعذاب الاخرة اشد وابقي، يضرب للترغيب في الكرم والتنفير من البخل.

*** مالنا ناقداه السوسة**

مالنا منقور بالسوس والعبارة كناية عن بدء نقص المال الذي من حرام. يضرب نصحا لاقتناء المال من وجه شرعي وتحصينه بحسن التوجيه.

*** المال هو بخيت وبخيت لسيده**

قيل ان بخيت عبد المحمود ولد زايد ناظر الضبانية كان عبدا فافتخر يوما علي سيده فقال له سيده عدد لي مالي بنوعه وعدده فعد كل ماله فقال له سيده اسمع قل بخيت وأمرأته واولاده فضحك بخيت وقال المثل ـ يضرب.[1] نصحا او ذما لمن فاخر به يفتخر.

*** الما عندو لسان فقري وفلسان**

الذي ليس له لسان يجيد التحدث به يستطيع تدبير اموره وبلوغ غايته

---

١ صلاح عمر الصادق. الأمثال السودانية . الجزء الثالث.. جامعة الخرطوم. دار عزة الخرطوم ٢٠٠٢. ص.ص ٢٨، ٢٩ ، ٣٠..

فسوف تسؤ احواله ويضيق رزقه فيصبح في فقر وانعدام المال. يضرب للحث علي تهذيب القول حتى يتسني اكتساب الغايات.

***العملة في المعتقدات الشعبية السودانية :**

استخدم السودانيين العملة في معتقداتهم الشعبية فقد استخدمت كمشاهره لمنع العين والحسد عند مناسبة الختان والعرس فنجد استخدام ريال ماري تريزة وهو ريال من الفضة عليه صورة الامبراطورة ماري تريزة امبراطورة الهبسبورج (المانية والنمسا) يستخدم علي صدر او جبهة العريس او ولد الطهور لمنع العين حتى لا تقع عليها وانما تقع علي صورة الامبراطورة كما نجد ايضا استخدام عملة الجنيه الانجليزية وهي من الذهب التي يصور عليها الملك جورج الخامس ، ايضا كمشاهرة وخاصة للنساء (النفساء او العروس او المختونة) وايضا لمنع الحسد وحتى تقع العين علي الخواجة (أي جورج الخامس) وليس عليها. ويستخدم السودانيين لفظ سد المال ويقصدون به المهر.

وتستخدم عملة ماري تريزة كخرز وحليه فنجدها من ضمن ادوات الزينة عند اهل شرق السودان عامة وخاصة الزبيدية او الرشايدة ولازالت هذه الزينة الاعتقادية تباع عند الصاغة في السودان ، وتعمل لها علاقة من الفضة حتى تربط بها سلسلة ونشير إلي وجود عدد كبير من هذه العملة في السودان وهي التي غنمها الخليفة عبد الله التعايشي من يوحنا ملك الحبشة بعد هزيمته الاخيرة علي يد الامير الزاكي طمل واحضار عدد كبير من هذه العملات إلي ام درمان يتجاوز الالاف.

*** العملة في الاغنية الشعبية السودانية**

استخدمت العملة في الاغاني الشعبية السودانية وذلك لابراز بعض القيم الثقافية الشعبية فنجد الفنانة عائشة الفلاتية تغني اثناء الحرب العالمية الثانية باثة الروح المعنوية لدي الشعب السوداني والجنود السودانيين في قوة دفاع السودان مفتخرة بالسودان ومهدده موسيليني الفاشي قائلة:

"موسوليني ياطلياني ان تضرب السوداني تطلع قرش براني .. ما بسير هنا"

ويقول مبارك حسن بركات في احد الاغاني الفخر الشعبي مشيدا باحد الابطال الشعبيين قائلاً:

"ما يشيل المال الفي القسمة" وهنا يظهر الترفع السوداني عن المال والفخر بقيم العفة ونظافة اليد .

ويعني الفنان زكي عوض الكريم مشجعاً للزواج فيقول:

"يعجبني فيكي لو قلتي انا ما دايره مال"

ويواصل ليقول:

"اصلو العرس بالسمحة من غير مال ماحلال"

لقد عرف السودانيين التعامل مع العملة منذ فترة طويلة ولكن بحكم انهم شعب زراعي تتوفر له كل مقومات الحياه من جهده الشخصي في الزراعة ومن احتياجاته التي يصنعها بنفسه لذلك لم تتعقد حياته الاقتصادية واصبح تعامله مع العملة في ادني مستوياتها أي ما يفي ببعض اغراضه ونجد ذلك في معتقداته وامثلته واغانيه الشعبية فقد كان مثل الانسان الاعلي في السودان هو الفقيه الورع الزاهد في احتياجات الدنيا لذلك خلد السودانيين فقهائهم وليس روسائهم ولكن نجد رغم كل ذلك ان العملة صورت لنا حياة السودانيين المعتقدية والادبية والغنائية.

استخدام العملة في الجرتق والتزيين

إن أصل كلمة جرتق هي من اللغة النوبية كما أشار بذلك بروفسير عون الشريف في كتابه 'قاموس اللهجة العامية في السودان' وان الكلمة تعني 'عادة من عادات الزواج ينتهي بها العرس' والجرتق في معتقده الشعبي هو نوع الحروز يستخدم لدفع الضرر أو لجلب منفعة والاحتراز من الجن والحسد وقد إرتبطت بصورة عامة بعادات الولادة أو الختان أو الزواج. وقد عرفت مملكة كوش (نبتة ومروي) هذا المعتقد عند الملوك والملكات فنجدهم يتزينون علي صدورهم قلائد تعرف باسم العين الحارسة ويضعون علي قمة تيجانهم رؤوس الكوبرا التي تقوم بإبطال السحر ونفث السم علي الأعداء كما يضعونها علي مداخل أبواب معابدهم لحمايتها. وقد تنزلت إلينا هذه العادة من تلك الفترة ولازالت تحتفظ بكلياتها وطقوسها. ومن أهم أدوات الجرتق حالياً هو لبس العملة وخاصة من معدن الذهب أو الفضة أو النحاس لاعتقادهم بأن هذه المعادن تمنع السحر والعين وتطرد الأرواح الشريرة. ومعدن الفضة له وضعية خاصة في إبطال السحر فهو معدن واقي وله خواص سحرية مفيدة كما يعتقدون.

ويفضل عامة في الجرتق والتزيين عملة ماري تريزة أو ما يعرف بريال تريزة وهو من الفضة وماري تريزة هي إمبراطورة إمبراطورية الهبسبورج (النمسا حالياً) ١٧٨٠م ولا يزلن نساء قبيلة الرشايدة (الزبيدية) في شرق السودان يفضلن ارتداء هذا الريال كزينة كما أستخدم أيضاً الريال الأسباني أبا مدفع والريال المجيدي وأيضاً عملة الملك جورج الخامس (١٩١١) أو ما يعرف باسم ذهب الجنيه عند النساء.

ويقوم المعتقد أن الشخص صاحب العين الحاسدة أو الساحرة عندما ينظر إلي الطفل المولود أو الطفلة المختونة أو العريس أو العروس فإن عينه تقع علي الصورة التي في العملة 'وجه العملة' والتي هي من معدن واقي من السحر فيذهب سحره أو عينه الشريرة إلي الصورة وبذلك يقي لابسها ، إضافة إلي أن الصورة ترد السحر أو العين إلي صاحبها . وهي نفس المعتقد والذي يقوم علي

فكرة وضع رؤوس الكوبرا في تيجان ملوك نبتة ومروي وهي الحماية والوقاية ورد السحر علي الساحر ونفث السم في وجهه.

ولازالت النساء يرتدين ذهب الجنيه (عملة تصنع من الذهب عليها وجه الملك الانجليزي جورج الخامس) ويجد إقبالاً عند الصاغة كما أن الثعبان المصنوع من الذهب لازلن يرتدينه حول أعناقهم وهو من الدقات الذهبية المرغوبة.

إن الجرتق و استخدام العملة فيه من الممارسات الشعبية المشتركة بين كافة القبائل والمناطق السودانية فنجده في شمال ووسط وشرق وغرب السودان. وأن ممارسته تظهر فينا المواصلة الحضارية القديمة من حيث المعتقدات والتراث وهذا يعكس لنا مدي التمازج الثقافي لهذه العادات الشعبية التي تبرز لنا التناغم والتوافق والمواصلة بين ثقافات السودان منذ القدم وحتى الآن.

تقنيات صيد الأسماك في وادي النيل

(دارسة مقارنة)*

*العصر الحجري الحديث في السودان :

أن التقدم الحضاري لفترة العصر الحجري الحديث والتي بحثت بواسطة عدد من الباحثين مثل أركل (١٩٤٤-١٩٥٣) وسمسون وأديسون ١٩٤٩ . وهنري ولكم ١٩١٠ وأخرون، ومن خلال دراسات هؤلاء الباحثين يمكننا مقارنة العناصر الثقافية للقى الآثرية مع المواد الإثنوغرافية للمجتمعات القاطنة للمنطقة، ويعتبر الموقع الأثري بالشهيناب أحد مواقع العصر الحجري الحديثة في السودان الذي ليس له أي علاقة بالقبائل النيلية، والموقع تم تنقيبه في عام ١٩٤٩م ويقع في الضفة الغربية لنهر النيل شمال أم درمان ويمثل ذلك الشمال المباشر لمجموعة قبائل القولو التي تقطن منطقة واو في جنوب السودان والقولو من القبائل التي عرفت بمهارتها في صناعة الحديد كما سيرد ذكر ذلك في سياق نص المقال.

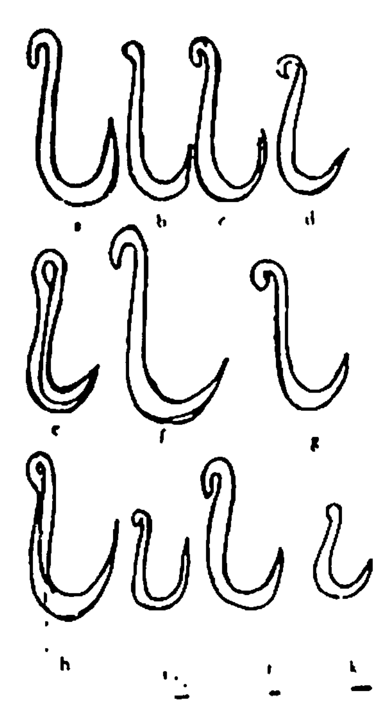
واستناداً إلى موقع مروي والشهيناب وقولو وكلها تقع في الضفة الغربية للنيل فإن هذا يجعل نوعاً من الاتصال بينهم محتملاً دون عبور للنهر*... إضافة إلى أن المنطقة بين الشهيناب وقولو هي أيضاً مهمة من ناحية الهجرة إلى غرب أفريقياً وتشير كثير من الأسماء في غرب نيجيريا إلى احتمالية وجود بعض الاتصالات في الماضي، وهذه هي النقطة التي تحتاج إلى بحث .

أن تواريخ اللقى الآثارية المتحصلة عليها من هذه المناطق بواسطة الكربون المشع وفقاً لتقرير لبي (W.F.libby) (١٩٦٢- ص ٦٧٣) نجد ان العينات الأثرية من الشهيناب قد أعطت التواريخ الآتية : -٦-٤٤٦ , ٥ ٣٨ سنة ٣٤٩٣ ٣٨٠ سنة وقد فضل أركل التاريخ الأعلى ٥٨٢٠ ق م. والذي يتداخل مع التاريخ الأدني من ثقافة الفيوم للعصر الحجري الحديث وهو ٥٨٤٥ سنة وطبقاً للروابط الثقافية التي لاحظها بين المنطقيتين ولو كان هذا صحيحاً فإن التاريخ يمكن أن يكون حوالي ٣٩٠٠ ق –م أو ٤٠٠٠ ق –م كما اقتراح بواسطة س. كول (١٩٤٥ ص ٢١٧). (اشكال ٢٩،٢٧)

---

* نشر هذه الدراسة باللغة الانجليزية ادكتور اوشولا ابايوا بمجلة وازا العدد الأول مارس ١٩٨٠ المقال بعنوان:
The Fishing Techiques of Nile Valley. A comparative Study.

* اشر إلي أن مدينة مروي تقع علي الضفة الشرقية للنيل وليس علي الضفة الشرقية . كما ان الكاتب اشار إلي عدم وجود علاقة بين الشهيناب والقبائل النيلية في السطور السابقة لكننا نجده هنا يؤكد وجود هذه العلاقة مع ايراده لبعض الفرضيات.(المترجم)



شكل ١٢٧ : سنارة السمك المصرية (بعد أروك ماسس)



شكل ٩١١٢٩

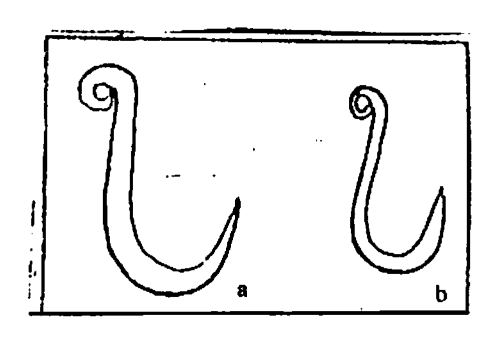
مراحل صناعة سنارة السمك
المكسر من الصدف العصر الحجري الحديث
في السودان

أن أكثر الأدوات المميزة والتي ظهرت في هذه الفترة هي المستخدمة في أعمال الخشب وخاصة نحت القوارب. وباعتبارهم ساكني أنهار وبحيرات فقد قضوا معظم حياتهم في صيد الأسماك وقد أشار أركل إلى أن الأدوات العظمية السلتية (أداة شبيهة بالفاس أو الأزميل) يمكن أن تكون الطور البدائي أو النموذج الأصلي للحجر المصقول على الشكل السابق أي الرماح الحجرية المصقولة.

إن هناك دلائل على صيد الحيوانات الكبيرة مثل فرس البحر ووحيد القرن والأفيال ويمكن معرفة ذلك من المواد التي جمعت بواسطة أركل حيث نجد أن الرمح العظمي المسنن يبدو مشابهاً تماماً لتلك التي وجدت في العصر الحجري في الفيوم (أروك باتيس) (1971 O.Bates .p.219) وهناك بعض ما يربط النيلين الأصليين والفترة المبكرة لفترة ما قبل الأسرات في مصر، ولا يظهر ذلك في الفخار فحسب بل أيضاً في تقنيات صيد الأسماك وفي رؤوس السهام الحجرية وبعض الأدوات الأخرى. ويعتقد أن حجر الرحي الأسطواني المستدق الطرف كان يستخدم في أعمال العاج والعظم بالإضافة إلى سنارات السمك المصقولة المصنوعة من القواقع والمحار. وهذه يمكن ملاحظتها اليوم عند النوير، ولكن لا اعتقد أن النوير قد استمدوا هذه الطريقة من مصر وقد وجدت كثير من رؤوس الرماح المصنوعة من العظم إضافة إلى السنارات الكبيرة الحجم والتي تسمى الخطاف والتي لها على الأقل ثلاثة شوكات في جانب واحد وهي معروفة شمالاً في مصر حتى جنوب الخرطوم عند المجموعة النيلية وبعضها ذو قطيب أسطواني وفي الجنوب على مقربة من النيلين وعلى بعد ١٧٠ ميلاً جنوب الخرطوم يقع جبل موية بين النيلين الأبيض والأزرق وهذه واحدة من المناطق التي توجد بها المياه بصورة دائمة ومحط نظر الهجرات التي تتم خلال مواسم الجفاف مثل (مخيمات ماشية النوير والشلك والدينكا) وذلك طبقاً لما ذكره إيفانس برتشارد، وغرب هذا الموقع تقع سنجة حيث تم فيها العثور على مخلفات الهيكل العظمي الذي يتميز بالشكل النيلي*، وتقع سنجة أقصى جنوب النيل الأزرق بمسافة قريبة من المستوطنات النيلية في شمال غرب أثيوبيا ويستخدم صيادوا السمك النيليون أدوات متشابهة بصورة مدهشة لتلك التي اكتشفها اركل وأيضاً تلك وصفها أروك باتيس في ١٩١٧م بمصر.

---

* يشير الكاتب إلي الجمجمة التي وجدت علي الضفة الغربية للنيل الأزرق بسنجة و تعدنت وكان هذا مدعاة لحفظها سالمة لم تتكسر، وارسلت إلي إنجلترا لدراستها فاثبتت أن صاحبها عاش قبل الف سنة.(المترجم)



شكل (٢٢) رماح صيد للمملكة
المصرية (بعد أروك باتيس)

والموقع الأثري بكسلا والذي ذكر من قبل بأنه جوار نهر عطبرة وهو يمثل مورداً دائماً للمياه والأنهار الثلاثة عطبرة والأبيض والأزرق والتي لا زالت هامة مثلما كان عليه الحال في عصر ما قبل التاريخ تبدو كمناطق اتصال بين السكان الذين يوصفون بأنهم مجموعة ما قبل التاريخ.

إن هذا الاتصال القصير والمتباعد. لعبت دوراً كبيراً في إنتشار بعض أدوات الثقافة المادية من الشمال إلى الجنوب وبالعكس، وربما انتشرت زراعة بعض المحاصيل الغذائية خلال الأنهار التالية: نهر السوباط وأكوبو من الشرق ونهر جلا ونهر بحر العرب والجور ونيل الكنغو من الغرب وكل هذه الأنهار تتصل بالنيل وهو في طريقه إلى مصر عبر السودان والذي يعتبر موطن شعوب تعرف الآن بشعوب نهر النيل.

• تقنيات الصيد النهري القديمة :

إن الدليل المادي الموثق لنيلي ما قبل التاريخ في نهر النيل ضعيف جداً وغير متصل لذلك لا يمكننا القيام بدراسة مستقلة للتاريخ التقني لتقنيات صيد الأسماك. وبدارسة أساليب صيد عند المصريين القدماء فإن بعض الأنماط

التقنية المستخدمة عند الليو النيليين في أعالي النيل وجنوباً في شرق أفريقياً تصبح أكثر ظهوراً ولكن في مصر نفسها نجد أن المخلفات المادية للفنانين المصريين القدماء الذي أبرزوا وسائل ذات مضمون أولي.

إن الفنانين المصريين في المملكة المصرية القديمة الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة قدموا كميات كبيرة من المادة الإثنوغرافية، وبخلاف المملكة الوسطى فقد كان للمصريين نوع جديد من رماح الصيد نجده في ابحاث أووروك باتيس(شكل ٢٢)، وهناك رسم على أحد المقابر يوضح ما سبق بالدليل وهو رمح يستخدمه النيليون ويسمى باسم ماهو.

لقد ذكر باتيس أن الرسومات تظهر المراكبية وهم يدفعون مراكبهم بعمود طويل من الخشب وهو ليس بشكل الجداف، واستخدمه يشير إلى ضحالة مجرى النيل حيث إنه يدفع القارب بأنغرازه في قاع النهر.

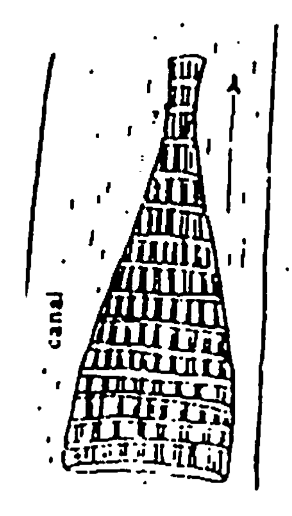
إن هذه الطريقة من الصيد بالمراكب تسمى عند الليو النيلين باسم (ليبوجي ماهو) أو الصيد بالعمود الخشبي ويتم ذلك في المياه الأقل عمقاً في ضفاف المستنقعات وشواطئ البحيرات. ويستخدم هذا الأسلوب بواسطة النوير والشلك والدينكا وأيضاً المصريين في المملكة الوسطى.

إن دراسة المملكة الوسطى قد تلقى كثيراً من الضوء على إنتشار بعض التفاصيل الإثنوغرافية، ولكن للأسف أنني في كتابتي هذه لم أكن أمتلك مدخلاً وافياً في الدراسات المصرية. ومع ذلك فإن العام الذي قضيته في مصر في المعهد الشرقي وفي أسوان قد عرفني بكثير من الأدوات التي شاهدتها بنفسي في مقابر المملكتين القديمة والوسطى في مصر، وأنا لا أدعي انها كافية ولذا فقد وجدت أنني يمكنني القيام بدراسة للأدوات المصرية القديمة كما ظهرت المخالفات الفنية في المقابر مع غيرها، وتعتبر هذه الرسومات من الدلائل الهامة التي يمكن استخدامها لتتبع الأثر الخارجي (الأجنبي) فيما يتعلق بامتداد أنماط الثقافة المادية للمصريين.

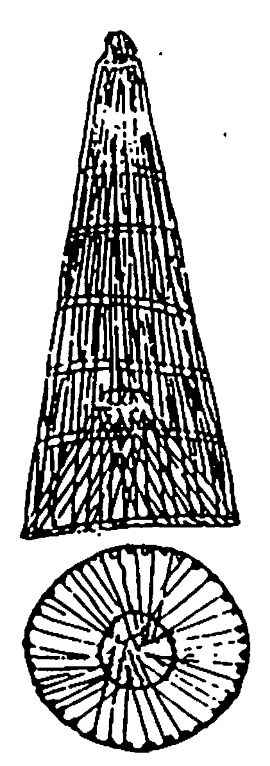
إن المقال الذي كتبه باتيس عن الصيد في مصر القديمة يظهر بعض المعلومات الهامة، فهو لم يضمن في مقاله هذا أدوات الصيد فحسب بل أيضاً أسلحة صيد فرس النهر حيث يتم استخدام الرماح المشابهة لما تجده وسط الليو النيليين وعند الشلك والأشولي والليو الإثيوبيين والكينيين والتنزانيين وتتضمن هذه حراب تعرف باسم دول (جي دول لور) أيضاً بعض تقنيات الصيد التي ذكرت سابقاً.

شراك الصيد السلالية :

هذا النوع من شراك الصيد شائع في كل أنحاء العالم ووجدت عند كثير من الصيادين الأفارقة جنوب الصحراء ومع ذلك فهي غير موجودة في آثار مصر القديمة (المملكة القديمة) مما شكل أمراً مثيراً للدهشة عند باتيس (١٩١٧- ص ٣٤٩) ولكنه عرف في المملكة الوسطى، وقد كتب نيلسون قائلاً (في أفريقيا نجد ان استخدام السنارة ا لصغيرة والكبيرة معروفة على نطاق القارة في أي مكان يمارس فيه صيد الأسماك) عبر أي مجرى مائي صغير تبنى حواجز مع فتحات مخروطية الشكل في فواصل تأخذ شكل مدخل شرك الفأر، وعندما تبدأ المياه في التسرب تحاول الأسماك المرور عبر هذه الحواجز إلى المجاري الدائمة، وبعد ذلك تقوم النساء بالصيد بالأسلوب التالي : تقوم النساء بأخذ سلال ضخمة طولها سبعة أقدام وفتحتها الأمامية قدمان وستة بوصات وفي الوسط قدمان وتصنع من الحصير المتقارب وتوضع هذه السلال تحت الفتحات في الحواجز والتي تفتح بعد ذلك بينما تذهب بعض النساء القويات إلى مجرى النهر لدفع الأسماك المذعورة عبر هذه الثقوب وعندما لا تجد الأسماك منفذاً غير هذه الفتحات تقفز من خلالها نحو السلال الجاهزة لاستلامها. (شكل ٢٣)



شكل ٢٣ . سلة صيد تستخدم فى
قنوات المياه المتدفقة فى مصر (بعد باتيس)



إن الملاحظة التي أبداها كاميرون صحيحة للغاية وذلك لأن الوصـف المعطـى أعلاه مماثل لبعض الطرق المستخدمة بواسطة الليو النـيلين في كـابوتو وأنيكـو ومناطق أخرى وايضاً بواسطة ليو جنوب تنزانيا.

إن القطر الأكبر في سلة الصيد هذه الموجودة في وسطها وليس في المقدمة السلة هو نمط لوحظ وجوده عند المصريين وهو المعروف باسم سلة الصيد . (شكل ٢٤)

ويمتلك الليو نوعيين أحداهما تستخدمه النساء يسمى السينوي وله فتحـة صغيرة في الأعلى وهذا النوع مستخدم لصيد البرك .

إن هذه السلة المعروفة باسم اومادهي ليس لها فتحة في نهايتها غير الفتحة الرئيسية التي تسبح من خلالها الأسماك من السلة الموجودة في الفتحة الصغيرة في الخلف (هذا النوع من الصيد معروف باسم سينوي وهو ايضاً اسم السلة).



(شكل ٢٥) شبكة يدوية مصرية (بعد باتيس

هذه مشابهة تماماً لشبكة الليو تستخدم فى مناطق المياه المتدفقة

هذه الشبكة شبكة يدوية تعرف لدى السكان النيلين باسم لوير.

وتوضع الاومادهي في رافد وفي مياه مكشوفة على ظهر ورق البردي حيث يتوقع صيد المامبا (سمك الطين) وعندما تستعمل هذه السلة في مياه مكشوفة (للبحيرة فإنهم يتوقعون صيد سمك (النجيجي) وأنواع أخرى من الأسماك، ولكن عندما يستخدم في الأنهار الجارية مثل نهر كوجو وبالا ونزويا وعندها فإنهم يتوقعون صيد أسماك الفواني أو الودوهادو والنيناكو أو السوكور والكوكو والسوتاتا والسوبودي.

الشبكة اليدوية (لوريو) (Lweru):

إن أبسط شبكات الصيد عند المصريين وكما تم استخدامها من الخرطوم إلى الدلتا هي دائرية في شكلها وذات محيط يصل متوسطه إلى حوالي ١٥ متراً وفتحة ١ , ٥سم (باتيس نفسه ١٩١٧م ص ٢٥٥).

هناك شبكات أكثر تطوراً من السابقة لها حلقة أو طوق خشبي صغير وتمر من خلاله ستة حبال وتربط على مسافات متساوية كل على حدة على حافة الشبكة ولا تقوى الشبكة فحسب بل إنها بواسطة تجميع حافة الشبكة عند سحبها يكون هروب السمك أمراً صعباً، وقد أكد باتيس كيفية حقيقة أن انتشار هذا النوع المتخصص من الشباك هو شيء مميز وهي مستخدمة في بحيرات الدلتا في مصر وفي النيل الأزرق ولكنها غير معروفة في النيل المصري أو النوبي (نفسه ١٩٧١، ص ٢٥٧) ومعروفة للنيليين الشلك والدينكا في النيل الأزرق (الشكل ٢٥).

إن استخدام السنات (شبكات الصيد الضخمة التي تتدلي في الماء) وشبكات الصيد الطويلة معروفة بصورة واسعة في أفريقيا اليوم وفي منطقة النيل على سبيل المثال تستخدم السينات كثيراً بواسطة الشلك والدينكا وفي الجنوب بواسطة الليو حول بحيرة فكتوريا وتنزانيا والأشولي وحول بحيرة البرت ما يعرف بالفوقو أو الرمكيا، إن الشبكات المذكورة آنفاً تتطلب أكثر من عشرين أو ثلاثين شخصاً لحملها .

لقد كتب بكارد كارويل عند اختياره للبيلوغرافيا المصرية (ومثال لذلك، فقد أطلعت فقط على بعض الأدوات المصرية التي تتعامل مع فهم أولية الحضارة النيلية (ص٢٧٣، لباتيس) وهذا اعتراف بأن النيليين الذين سكنوا على طول النيل يمكن أن يكونوا حافظين لبعض العناصر الثقافية لعلاقات مصر الخارجية.

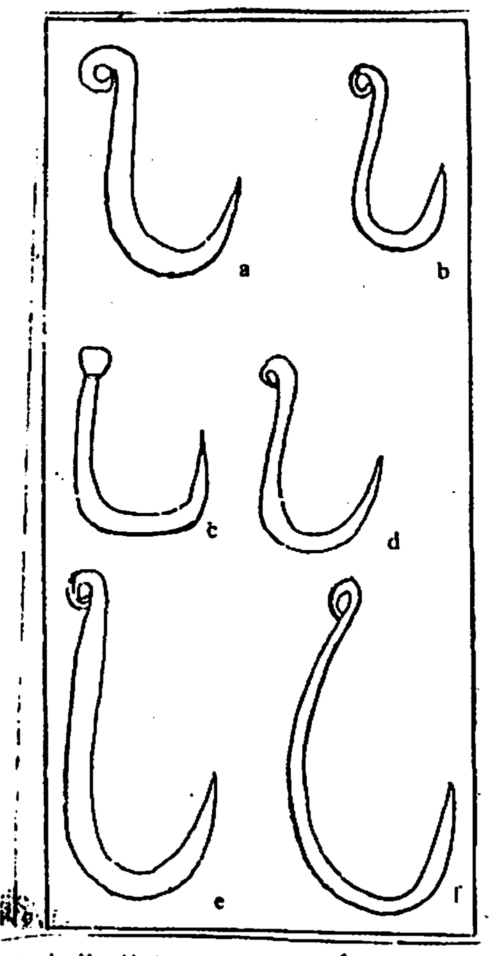
وفي عام ١٩١٧م أكد كل من أروك باتيس وسترن على أهمية دراسة الثقافة المادية للمجتمعات النيلية وكتب باتيس (مع الاعتبار للثقافات المادية المصرية فإن موقف المحررين يمكن أن يعرف بالآتي : إنهم سوف يرحبون بسرور بالأوراق الأساسية التي تتعامل مع فترة ما قبل التاريخ ومع الفترات البدائية للثقافة النيلية (١٩١٧-ص٢٧٣) إن الدراسة المنتظمة للثقافة بالمادية النيلية لم تقدم حتى الآن بصورة تجعل من الممكن قياس العلاقات المصرية الخارجية وانتشار الحضارة المصرية القديمة ولم يظهر إلى الآن كتابي آثاري منظم بين النيليين في منطقة وادي النيل، وإن الدليل الكتابي على النيليين الأصليين هو دليل واف ومجزأ ومعتمد فقط على أعمال لبيكي في شرق أفريقياً وأركل في جنوب الخرطوم بالرغم من وجود محاولات لدراسة بعض الأدوات البدائية القديمة وبعض العناصر الأخرى للنمط النيلي.

ولا زالت الحاجة لعمل أكثر من قبل وضع أي نتيجة للعلاقات المصرية الخارجية وأصل الثقافة النيلية.

على كل حال هذه الدراسة كشفت مجموعة من المظاهر المهمة للثقافة النيلية منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الوقت الحاضر.

السنارة والخطاف:

اقدم سنارات الصيد أوضحها باتيس وقال عنها(هي مماثلة لسنارات الليو النيليين كما نعرفها اليوم والتواء السنارة إما النصف دائري أو ذو زاوية، ويعتبر السن أو طرف السنارة عند المصريين غير مسنن وهو نفس الشكل الذي أشرنا إليها في سنارات النيليين ويشكل الرأس طريق ثني نهاية الجزء المستقيم من السنارة وتعتبر سنارة منطقة النوبة شبيهة بذلك بالرغم من ثقلها مقارنة بحجمها . وهذا يشير إلى إنها تستخدم لصيد الأنواع الكبيرة من الأسماك وقد لاحظ استخدام هذا النوع من سنارات الصيد عند الليو النيليين لاصطياد سمك الطين (مامبا ومومي وسيوي٩ وهي متينة برغم إنحنائها بذات طريقة ذلك النوع المستخدم لصيد الأسماك الصغيرة.

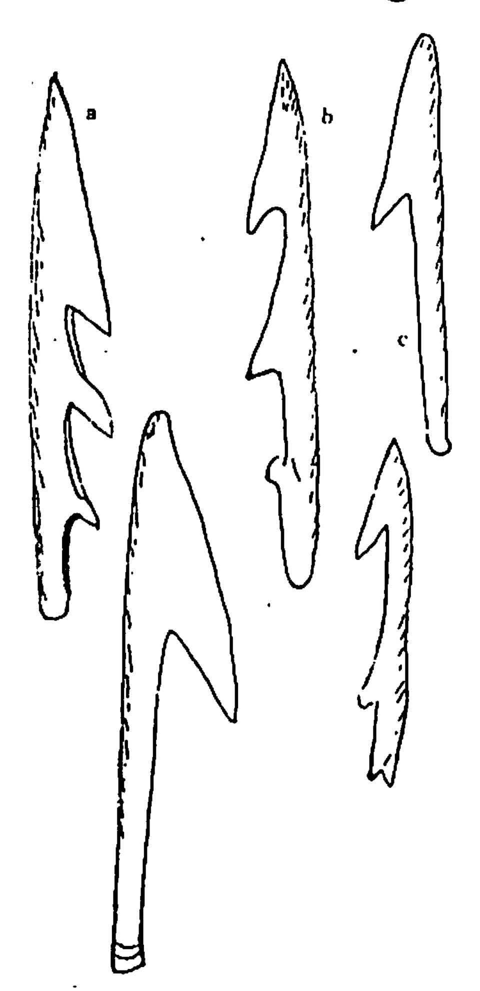


شكل (٢٨) أنواع سنارات السمك لليو النيليين
استخدمت قبل قدوم الأنواع الأوربية (أوكاولا)

وهناك أنواع أخرى من السنارات تستخدم بواسطة الليو النيليين عند مياه الأنهار والبحيرات اسماه باتيس باسم السنارة المركبة من عدة سنانير متلاحمة ويسميها الليو باسم أوليب مامبا أو أوليب ماكندو وفي هذا النوع تربط عدد من السنارات المتينة إلى بعضها في مجموعات مما يجعلها في شكل طقم اي سنارة مركبة من عدة سنناير متلاحمة وهنالك عدة اقتراحات لنافيل الذي سجل اكتشافه في الدير البحري (لأسرة الحادية عشر معبد الدير البحري، ص ٢٦) وافاد بأنها تعود إلى فترات الإغريق والرومان ولكن افتراض باتيس أنها إذا كانت تنتمي إلى الأغريق والرومان فإن الواحد لا يتردد في وصفها كواحدة من الأدوات الشائعة جداً في الفترة الكلاسيكية المتاخرة وانا ليس لدي في الحقيقة أي اقتراح عن الأصل المكاني بها وساخذها فقط من المكان الذي سجلت فيه لأول مرة، وباتيس يرجئ الحكم في هذه الحالة حتى تراكم الأدلة اللاحقة (نفسه ، ص ٢٤٧) إن السنارة غير المسننة (شكل ٢٨)، لا زالت تستخدم عند الليو حتى وقت قريب وفي حقيقة الأمر أنها استمرت جنباً إلى جنب مع السنارة ذات الشوكة والذي ادخلت بواسطة النفوذ العربي والأوربي إلى داخل أراضي الليو، وقد ظهرت السنارات الشوكية لأول مرة في مصر في عهد الأسرة الثانية عشر (باتيس، ص٣٤٧) وفي المملكة الحديثة وحتى الفترة المتأخرة حيث ظهرت مصنوعة من الحديد في المواقع المصرية الإغريقية مثل (نقراطيس ودافني الأسرة السادسة والعشرين، إن كل أنواعها المختلفة قد أوضحها باتيس) والتي تبدو لي أنها تستخدم لصيد الأسماك الكبيرة.وأعتماداً على باتيس فإن السنارات الحديدية قد استخدمت في مصر منذ حوالي ٦٦٠ ق.م. وحتى في عالم البحر المتوسط، أما السنارات فقد استخدمت في نهاية القرن الثاني الميلادي وقد استخدمت السنارات الحديدية بصورة عامة في ذلك الوقت.

وفي سبيل الوصول لخاتمة هذا الجزء فمن الممكن مرة أخرى ملاحظة أنه في حين استخدمت مصر هذه الأدوات في وقت مبكر للغاية فمن المعتقد أنها انتشرت إلى مروي وإلى الغرب في النوك وأماكن أخرى في الجنوب، إن تطور سنارة الصيد المعدنية في شكلها المبسط إلى أشكالها النهائية قد انتشرت في مكان آخر في أفريقيا

جنوب الصحراء ولذلك فإن سنارات الصيد عديمة الشوكة قد وجدت في مواقع ما قبل التاريخ جنوب الخرطوم وإن هناك أنماطاً متشابهة وجدت وسط قبائل وادي النيل الذي يصفون في بضع الأحيان بـ (سكان بحيرات الأنهار).



شكل ٣٠ الرماح العصرية المبكرة (بعد باتيس)

وعلينا أن نؤكد مرة أخرى أن السنارة كأداة لصيد السمك قد عرفت في شرق أفريقيا قبل إنتاج السنارات الحديدية وهذا واضح من خلال سنارات المحار التي وجدت في مواقع ما قبل التاريخ .

إن المسح الذي تم على المباني الأثرية المصرية قد أوضح لنا وجود الطوف وطوف خشب البلز في مراحل تطورها الكاملة وهذه قد تمنحنا وأضح صورة عن مفهوم أصلهم أكثر مما تفعله المواد الإثنوغرافية الحديثة ويمكن أن نقول أيضاً أنه لا يجب أن يكون عملنا متجهاً نحو البحث عن أصل كل الأدوات من عالم خارج أفريقياً كما كان الاتجاه في كل الدراسات الماضية.

حراب الصيد النهري :

إن الحراب المصنوعة من العظام أو قرون الحيوانات أو الحديد تعتبر شائعة وسط الليو النيليين في وقت أبكر من الوقت الحالي، وهي مصنوعة من العظم والقرون والعاج ومؤخراً استعمل الحديد كما أنها أيضاً صنعت من العظم والقرون والعاج في مصر في فترات ما قبل الأسرات وفقاً لما ذكره مارجان (باريس ١٨٩٧، ص ٨٥) وقد درست الحراب المصرية بصورة واسعة بواسطة باتيس (شكل ٣٠) وإنني ليس في حاجة لاسهاب هنا وإنما من خلال هذه الأدلة يجب علينا أن نضع مقارنة مع الثقافات الحية في وادي النيل وفي منطقة الليو النيليين، من اسفل حتى اوسطه حيث يعتبر النوع الموييبو هو من النوع الشائع الاستعمال (باتيس، شكل ٧٨، لوحة ١١) وهذه الأنواع قد وجدت منتشرة وسط سكان أعالي النيل وفي مناطق بحيرة نينزا.

وبين الشلك يعمل الصيادون وسط المياه الضحلة بين القصب يطعنون هنا وهناك لعلهم يصادفون شيئاً يضربون برماحهم مثلما يفعل المصريون (لوات، تقرير عن مسح أسماك النيل، بولنجر، أسماك النيل، لندن، ٧-١٩، ص٣١).

لقد وصفت الأساليب التي يتبعها الدينكا في الرنك في النيل الأبيض كالتالي: (مجموعة من الرجال والأطفال يصطادون وهم خائضون في الماء إلى مستوى الركبة ويقذفون برماحهم بصورة عشوائية إلى الماء المتعكر من الطمي ولا يرى من خلاله أي أسماك، وفيما يبدو أن صيد الأسماك يتم بنجاح محدود

أوستن، وسط المستنقعات والعمالقة في أفريقيا الاستوائية، لندن، ١٩٠٢م، ص٥
أما وسط قبائل الكيش في بحر الجبل فإن طعن السمك يكون أكثر عشوائية بسبب أنهم يرمون وسط القصب بشكل عشوائي وبعد ثلاثمائة وأربعمائة رمية يكون من حسن حظهم أنهم يظفروا بسمكة بيكر البرت نينزاء ،... الخ لندن، ١٨٩٩، مجلد ١، ص ٦٩، ٧٠) كتب إيفانس براتشارد في ١٩٤٠م قائلاً أن النوير الذين تقع قراهم على ضفاف الأنهار الكبرى يقومون بالضيد أحياناً عن طريق القوارب المعروفة باسم الكنو زورق صغير خفيف يقاد بمجداف بواسطة حراب طويلة ١٩٤٠ ، ص ٧٢ وإن سلاح صيد السمك الرئيسي عند النوير هو الحربة المسننة ولو أن الرمح كثيراً ما يستخدم (نفسه، ص ٧٢).

يستخدم الليو الرماح أو حراب الصيد المسماه البديهي في برك الأسماك والأحواض والمياه الضحلة وذلك عندما تفيض الأسماك على ضفافها وتبقى الأسماك على هذه الضفاف الضحلة، وتعتبر منطقة كادم من أكثر المناطق التي تستخدم فيها رماح صيد الأسماك خاصة، (اينكو وكابوتو وراتانيا وبت كوشولا) أما في تنزانيا فالمناطق هي أمبو ويوما واليكو يوجنيا ومارا وموسوما.

إن أسلوب هذا النوع من الصيد يسمى شووا ريش ونوع الرمح المستعمل يسمى بديهي (حربة لصيد السمك بدون شفرة) وقد وجدت بديهي وسط قبائل الليو في كينيا وتنزانيا، إن الأشكال المسننة قد استخدمت في الأسرتين الأوليتين في مصر (إشار إليها فلندر بتري في كتابه (المقابر الملكية، ص ٣٦) وهي رماح بشفرة ثانية غير معروفة في فترة ما قبل التاريخ في العصر النحاسي وقد استخدمت بواسطة النوير والأشولي وقد ذكر لينهارد أن الدينكا يسمونها باسم بسس (١٩٦١م، ص ١٩٣) وهو مصطلح لرمح صيد مقدس يستخدم كرمز للشعائر الطقسية الخاصة بصيد السمك وقد أضاف بير سافهولم بأنه غير مسنن (١٩٧٣، ص١٢١) ونجد البديهي وسط الليو الجنوبين يصنع ويستخدم في كادم (انيم والكابوتو والرتنيا وبطول نهري يالا ونوزيا) ووصف أورك باتيس ١٩١٧).

إن رمح الشلك غير مهذب في شكله ولكن له طابعه الشخصي المميز له شكل عود القوس وهذا ينطبق أيضاً على رماح النوير (ذكرت في النص) هناك حراب

أخرى عند النيليين تستخدم في صيد فرس النهر وهو تقطع بنفس الطريقة . والتي وصفها باتيس بأنه من المحتمل أنها كانت مزودة برؤوس من العظام أو العاج في فترة ما قبل الأسرات في مصر (نفسه-إيفانس برتشارد، ١٩٤٠، ص٢١٠، لوحة ٢٢، ص ١١٥) وهذه الرؤوس تثبت بصورة في تجويف عند نهاية قصب الرمح وقد وجدت الرماح من هذا النوع في حوض النيل الأزرق (أعطي المثال بواسطة موري) في كتابه (أختام الطين البلطمية وأيضاً زيست، مجلد ٤٤ لوحة أشكال (٤٣-٤٧) باتيس ١٩١٧، شكل ٨٧) وقد وجدت هذه الرماح المذكورة سابقاً في منطقة بحيرة البرت نيانزا (بيكر، رافد النيل، ص ٣٣٣) تلك التي وصفتها في المنطقة حول نهر كوجا ونازويا وبالا لبحيرة فكتوريا نيانيزا.

إن المنطقة المعرفة بها صيد فرس النهر هي كل المنطقة في مصر القديمة (المملكة الوسطى) وقد وصف أروك باتيس صيد فرس النهر بواسطة رماح الصيد (نفسه ١٩١٧،ص٢٠٠) كما وصف البيرت لويد صيد فرس النهر عند الأشولي (١٩٠٦-١٩٠٧-١٩١١، ص١٠٣) أما وسط الليو في أثيوبيا فقد قدم جبر مدين معلومات عن أشهر صيادي فرس النهر في الجزء الغربي من أنهار وبحيرات الحبشة، وهم قبائل نيلية فقدوا ماشيتهم ولجأوا لصيد السمك والقنص وقد كتب (إيفان برتشارد في ١٩٤٠،ص٧٤) أنه من خلال الفصل الجاف يقوم الرجال في أراض النوير الغربية ومناطق أخرى بصيد فرس النهر بالرماح على طول المسار الذي يتخذه إلى أراضي غذائه الليلي ويمارس النوير نفس الممارسات التي يقوم بها الشلك والدينكا في صيد فرس النهر.

هناك أعمال أخرى أوضحت انتشار أدوات مماثلة استخدمت بواسطة صيادي النيل بدءاً من الشمال إلى أواسط النيل وهي موجودة في أعمال لوت (تقرير مسح للصيد النيلي في بولنجر (أسماك النيل، لندن١٩٠٧) النص لوحة ١٥٤،١٥٣،١٥١، لوحة ٢٣ شكل ١ ص٢٥،٨٠).

لقد حتمت العلاقات الإيكولوجية المتاحة لليو النيليين بأن تكون لهم اقتصاد مختلط وذلك لأن المورد الغذائي الواحد ليس كافياً لكي يبقيهم على قيد الحياة كما ان نشاط إنتاج الطعام المطلوب في كل موسم يتحدد عن طريق

الدورة الحياتية وبناء على ذلك فإن العناصر المختلفة من النظام الغذائي لها إكولوجية محددة مع بعضها بعضاً وهذه العلاقات يمكن أن تنقسم، وتعتبر الألبان والدخن والمشروبات والذرة والسمك واللحم هي العناصر الغذائية للنظام الغذائي للنيليين ويعتبر اللبن هو الغذاء الرئيس منها على مدار العام وإذا شحت المحصولات فإن الناس يعيشون على اللبن والأسماك والفواكه البرية كما تعتبر هناك سنة جيدة للصيد وأخرى سيئة .

عموماً ، وعلى طول الجزء الأكبر من القطر فإن استهلاك الأسماك منخفض جداً أو غائب كلياً عندما تكون الأمطار في أوجها، وترتفع بسرعة إلى القمة في بداية هبوب الرياح الجافة وبعد الانحدار من هذه النقطة يرتفع مرة أخرى في بداية الأمطار وتعتبر لحوم الدواب المستأنسة هي المأكولات الرئيسية بعد الحصاد عندما تبدأ الولائم والقرابين مع ملاحظة أنه نادراً ما تذبح الأبقار في فصل الجفاف.

إن النوير مثل الليو الأخرى لا يقتلون الحيوانات البرية كثيراً ولذلك فإن استهلاك اللحم منخفض في هذا الوقت من السنة.

وبصورة عامة فإن استهلاكه يتبع استهلاك الحبوب في المنحى العام وكثيراً ما تأخذ الأسماك مكان الحبوب واللحوم باعتبارها الغذاء الرئيسي من فبراير إلى يونيو وهو ذلك الوقت الذي يكون فيه نقص في اللبن مع اللبن مع اختفاء وجبة العصيدة ويطلق النوير اسم (أشهر الجوع) على الشهور التي تقع بين شهري مايو واغسطس هو بداية فترة صيد الأسماك، وبصيد السمك فإن النظام الغذائي يتوازن بصورة حسنة وبدونه فإن كلا من النظام الغذائي بواسطة الحبوب لن يكون كافياً خلال السنة.

إن أهمية السمك كمؤونة غذائية لأهالي وادي النيل قد أكد عليها أكثر من كاتب مثال (ت.ج ولكنن. ١٩٢٣م – لوك وعادات – مجلد ٢، ص ١٢٢، أروك باتيس ١٩١٧م، ص٢٠٣ و م ف ونولي في أدميراندا نيلي فرانكفورت ، ١٩٢٣م ص ١٨٨).

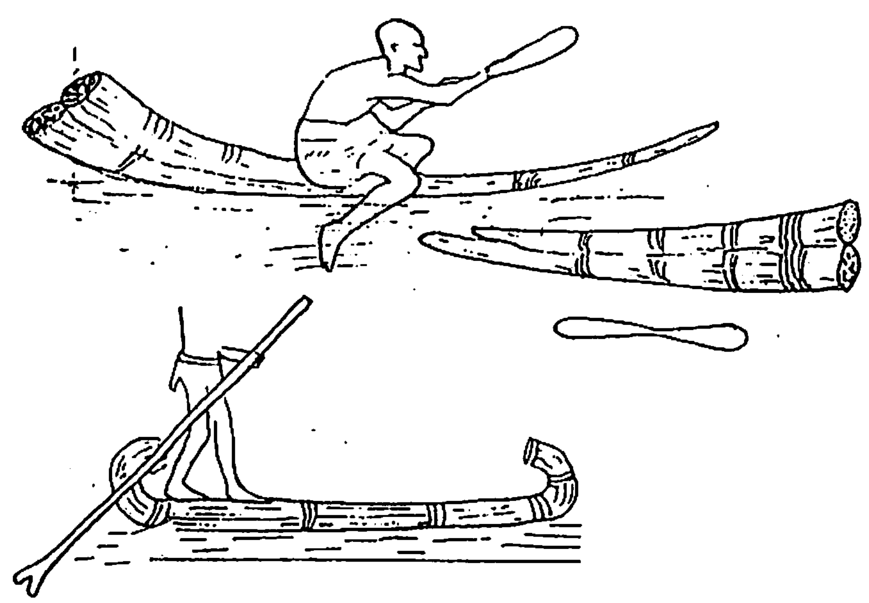
إن شكل الأواني التي تستخدم في طبخ الأسماك وأوعية أكل السمك تبدو أن لها نمطاً موحد الأسلوب ومن خلال كل من باتيس ١٩١٧ (في مصر) أركل

١٩٤٩م (الخرطوم المبكر) جاكسون نينكوين، ١٩٦٣م (في حفريات في بحيرة كسيالي) وغيرهم وكلها توضح أن أواني السمك لها مقبض (إذن) مثل أواني السمك المعروفة باسم الكال كيلة عند الليو النيليين كما أن الصحن المعد لأكل السمك يبدو مختلفاً عن الصحون الاخرى فهو واسع في مقدمته وصغير في الوسط مع قاعدة دائرية ومعروف عندهم باسم اوسارو وقد نجد أنه أقدم في شرق أفريقيا عن المصريين حيث أشرت إلى ذلك في مكان آخر ونجد أنه قد وصل إلى أسفل أواسط النيل في شرق أفريقياً عبر صيادي أعالي النيل أن شكل أواني السمك المستخدمة في المملكة الوسطى تواصل أيضاً استخدامها في النوبة والتي توضح من خلال أشكالها إلى انتشار بعض عناصر تصاميم الفخار على أي حال فإن هذه الأواني لها شيء مشترك في معظم الأواني التي يستخدمها سكان وادي النيل هو وجود مقبضين في كلا الجانبين.

كانوى البردي :

أن الصيادين المصريين قد تزودوا بالمراكب والتي كانت غاية في البدائية ولا تشبه أي نوع موجود اليوم، وهي مصنوعة من قصب البردي والتي تربط مع بعضها البعض بالحبال وهذه المراكب ذات الوصف البسيط كانت هي الشائعة الاستعمال في مصر وكتب ثيوفا رستس إن هذه المراكب مصنوعة من البردي وفي نفس هذا الإطار تحدث بليني عن مراكب نيلية مصنوعة من البردي والأسل (نبات) والقصب (بليني، التاريخ الطبيعي، تحرير، د. ديتلفسين، برلين ١٨٨٢،٦، ١٨٦٦-٢٢ (٢٤) ٢٥٨).

إن استخدام مراكب البردي معروفة جنوب الخرطوم بالرغم من أننا لا نعرف متى بدأت صناعتها لأول مرة، وهناك مراكب خفيفة لأثنين أو ثلاثة أشخاص وقد استعملت وقد قيل إنها خفيفة وصغيرة، وتتطلب مياه قليلة حيث إنه إذا لم توجد فيمكن أخذها إلى حيث المياه العميقة بشكل كاف ويتم استخدامها بعد ذلك (أخليس تيتوس، تحرير ف، جكوب، ليبزج، ١٢،٤،١٨٢١، ص ٨٣: اروك باتيس، ١٩١٧، ص٢٢١).



شكل ٣٤ طوف مصر العليا (بعد الفنان الفرنسى دينون)

شكل ٣٥ الطوف المصرى والمجداف (بعد بلتيس ١٩١٧ شكل ٣٣ م)

إن هناك نوعين من قوارب الكانوي في النيل الأول هو البلسا والثاني هو المبج ومن الجدير بالذكر أن النوع الأول البلسا هو كانو القصب موجود في أمريكا الجنوبية والنوع الثاني الأمبج يستخدم الآن في النيل الأبيض ووفقاً لدراسة باتيس على النيل السوداني (فإن كلا من النوعين موجودان جنباً إلى جنب في النيل السوداني ويستطيع أن يتعرف على النماذج الأصلية التي استمدت منها الأنواع الحالية (نفسه ص٢٢١) وباتجاه الجنوب وفي إقليم دنقلا كتب باتيس قائلاً (إن الأهالي يستعملون طوفاً عائماً مثلث الشكل من سيقان الذرة والعيدان والقصب المربوط مع بعضها بالحبال كما أن الأطواق المثلثة السابقة الذكر نجدها قد استخدمت بواسطة الشلك النيليين في النيل الأبيض ويعتقد أنها تمثل عناصر لأطواف الأمبج القديمة للمملكة المصرية القديمة والتي يوجد لها مثال في النص، وثلاثة من الأطواف طبقاً لما ذكره ف دينون وت هـ برستيد، يمكن أن تحمل ثلاثة أشخاص وكل من البلسا والأمبج (شكل ٣٤) التي استخدمت في أعالي النيل يمكن تتبع تطورهم في النوبة حيث النماذج الأصلية لا زالت تستخدم كما ذكر باتيس (ص ٢٢٢) (شكل ٣٥) ومن المعروف أن قوارب الشلك الخفيفة تحمل خارج المياه بعد إنتهاء الرحلة وذلك إلى حد ما حتى يطمئنوا إلى سلامتهم وأيضاً لكي يتركونها تجف وسبب ذلك أن نوع خشب الأمباتش يمتص الرطوبة بسهولة، ويصبح مشبعاً بالماء وذلك طبقاً للمعلومات التي ذكرت بواسطة ج شونفيرز في كتابه (في قلب أفريقيا المجلد الأول ١٨٧٤، ص٧٧) وايضاً ما ذكره جونكر في كتابه (رحلات في أفريقيا، ص٢١٥) كما أن أطواف الأمبج المماثلة قريباً لأطواف أعالي النيل قد وجدت في الشواطئ الجنوبية لبحيرة تشاد (ج.نجتال) الصحراء والسودان (برلين) المجلد الثالث ١٨٨١، ص ٧٥٤) وفي أقصى الجنوب وجدت نوعين واحد شبيهاً بأطواف الشلك يستخدم بواسطة الليو النيليين لدول البحيرات العظمى في كاديم وكرشنوي وفي فايوما وأيضاً بواسطة سكان بحيرة رودلف في شمال كينيا.

هذه الأنواع من الأطواف هي معروفة بأنها استخدمت بواسطة قدماء المصريين لأننا نجدها على رسومات المقابر والمباني ولكن وجودها وسط نيلي أعالي النيل جعلنا أكثر اهتماماً بتاريخ فكرتها.

LIST OF REFERENCES :

Adametz، ، R. L. (1920) Horkunlt and Wondrungen der Hamilcn . Wicn : Osten U. Ori-ent R. I. Porsch. No. 2

Addision، F. (1949) : Jebel Moya، London

Archer ، B. L. (1964) 2nd. Systematic Method for designers Council of Industrial Design ، London

Arkell ، A. J. (1944— 45) 1st. : Djebel Moya : South of Khartoum London V

........،.(1947 — 1960) Early Khartoum ، Antiquity ، Vol. 21 pp. 172 — 18 I

.......،(1953): Shaheinab London

......،(I 954): Khartoum Mesolithic ، London/Khartoum

......،(1961): A History of the Sudan London

........،(1 959a) : Khartoum Neolithic ، London

Arkell and Ucko ، P. J. (l965) Review of Predynastic Development in The Nile Valley Current Anthropology ، Vol. 6، No. 2

Austin ، H. H. (1902) : Amongst Swamps and Giants in Equatorial Africa ، London

Bates ، 0. (1917): Haward African Studies ، Vol. I، Chicago

Bailloud ، 0. (1959) : Westren Ethiopian Culture of Hoc Cultivation . London

Baker ، S. W. (1966): The Nile Abyssinia ، London

(1967): The Albert Nyanza ، Vol. I، London/New York. 1969

Baumann ، H. (1940rDic Volker Kunde Von Afrika ، Essen (1st Ed. 1934)

Boulanger.G. A. (1907) : The fishes of the Nile ، London

Boule ، H. V. (1932): L'Homme dassele ، Paris

Brauner ، E. (1925): Zuge aus der Religion der Herero، Leipz.ig

Cameron ، V. L. (1877): A cross Africa ، New York

Cole ، S. (1954): Prehistory of East Africa ، London 2nd Edition . 1964 New York

(1959) : The Oldest - Tool - Maker" ، New Scientists ، Vol. 6

Clark ، J. D. (1959): The Prehistory of Southern A frica ، London

(1962): The spread of Food Production in Sub-Sahara Africa ، JAI I Vol. Ill

(1964): The Prehistoric Origin of African Culture JAH ، Vol. 11

Crazzolara ، 3. P. (1953) : Zur Gesellschaft und Religion der Nuer . 36 SIA . NO. 5

I 950) : The Lwoo I — 3 Volumes ، Migrations Museum Comhoii ian um Romna

Cline ، w. (1937): Mining and Metallurgy in Negro Africa ، Wisconsin : General Series in Anthropology ، No. 5

Denon ، V. (1882) : Voyage dans Ia Basselt Ia Haunte Egypt ، VI. II، Paris

Dindorff، W. (1824): heopharstus ، IX، Leipzig

Deevey ، F. S. (1960) : Limnnologic Studies in Middle America ، New Hven ، Yale University Tranlation of the Connecticut Academiy of Arts and Science Vol. 39CR: AR King American Anthopology ، Vol. II

Emery ، W. (1970) : Preliminary report on the

Excavations at north Saqqera Depiction of Straight Shafted axe in Nubian tombo in Baltana and Qusrul ، London

Evans-Pritchard ، E. E. (1940) : The Nuer، London

(1934): " Imagery in Ngok Dinka Cattle Names ، Bulletin of the school of Oriental Studies ، Occ. Paper ، London.

Hamilton ، R. A. (1955): History and Archaeology in Africa ، London

Hiernaux ، J. and Maquet ، F.

(1960) : The Nile Basin ، Vol. 11. London

Hierniaux. J. and Philips (1931): The Nile Basin ، Vol. I، London

Jacobs، F. (1821): Achilles Tatius ، Vol. IV، No. 12، Leipzig

Jensen ، Ad. E. (1959): Alivolker Sud-Athiopiens، Stuttgart

Junker ، W. (1890) : Travels in Africa during the years 1875 - 187%. Trans. A. II. Keane، Text. F. A. p. 216، London

Kenyatta ، J. (1938): Facing Mount Kenya . London . 3rd. Ed. 1964

Leakey ، L.S.B. (1935): The Stone Age Races of Kenya ، London

(1950) : Njoro Rivcr Excavation . London

(1960) : Evolution of Man and His Culture : Adams Ancestors ، London

Leakey ، L.S . B. and (I 964): Dry Gain blian Climate ، Lond.

Libby ، W. F. (1962): Science Report on Dating ، California

Lhote ، H. (1960): Die Felsbildekunst Kleinafrikas und der Sahara ، " Kunst der Welt Die Steunzeit" ، Baden-Baden
Malcaux ، E. J. (1939): Peteries du Bas et Moyen-Congo . De Ia Cote au Stanley Pool. Fran Upper Congo ، Paris
Mauny ، R. (1956) : ' Prehistoire et Zoologie Ia grande fauna Ethiopienne du Nord Quest Africain due Paleolithique a nos jours " . Bull، Inst. Franc، Afric. noire. No.10
Mori . F. (1 960): "IV Miss ionc Paletnologica nell caeus (Sahara Fazzantese) " La Ricerca Scientiflica Vol. No. I Roma
Monod ، 1 Ii. (I 938) "Contribution a' l'etudc du Shara occidental Frase. I : Gravures. Peintures et incsriptions reprstres Scient. D'Afrique. Serie A. No. 7. Paris
Murry ، M. A. (1914): Ptolcmic Clay — Sealings: Zeit. f'. Egyptian Sprache Vol. 44، JRAI، London
Nachtigal ، G. (1881) : Shara und Sudan ،Vol.3، Berlin
Nenquin ، J. (1963) : " Notes on sonic Early Pottery Cultures in Northern Katanga Journal of African History Vol. Iv، No.1
(1959) : " Dimple-Based Poles from Kasai، Belgian Gongo ". Man Vol. V.
Oswald، M. (1931) : The Nuba People in SNR. Vol. VI
Oswald ، B. and Crowl'oot، W.
(1924): Nuba Pots in the Gordon College، S.N.R. ، Vol. VII. No.2
Oliver ، R. A. (1963): History of East Africa ، London
(1965): 'Iron Working People of East Africa " . JAH، Vol.

VII، No. 3.
Payne ، W.T.A. (1964) : " The Origin of Domestic Cattle in Africa " . Impire Journal of Experimental Agriculture ، Vol. 32
Petherick ، J. (1961): Egypt ، the Sudan and Central Africa ، Edinburgh/London
Per Salholm (1973): The River Lake Nilotes . Uppsala/Stockholm
Posnansky ، M. (1966): A Short History of East Africa ، Nairobi
(1967): Prelude of East African History ، Nairobi/London
Rhotcrr ، H. (1952): Libyschc ، Felsbilder ، Dartnstad\.

تابوت العهد وهيكل إسرائيل في التوراة والإسرائيليات والسودان

ورد في خبر مفاده أن فئة من اليهود قامت بوضع حجر الأساس للهيكل، وقد استفز هذا الخبر الكثيرين وكادت أن تحدث كارثة فهل يقوم الهيكل فعلاً...؟ وماذا حدث لتلك التي شيدت من قبل ....؟ وقبل السرد انوه إلي أن هذا البحث لم يكن الدافع له إلا إظهار الحق وكشف الغموض الذي يكتنف هذا الأمر كما الفت نظر القارئ بأن المرجعية لهذا البحث هو الكتاب المقدس الذي يضم التوراة والزبور وكتب الأنبياء وبعض الروايات المتواترة.

فكلمة هيكل في الأصل سومرية ومعناها البيت الكبير ولم يطلق اليهود كلمة هيكل علي كل أمكنة العبادة بل علي مكان واحد في القدس وأما بقية الأمكنة فكانت ثابت لتابوت عهد بني إسرائيل الذي صنعه سيدنا موسي بمواصفات تلقاها من الله مباشرة ويضم الصندوق لوحي العهد أو الحجريين الذين كتبت عليهما وصايا الله العشر التي تلقاها سيدنا موسي من الله في الجبل وكان التابوت في السابق يوضع في خيمة متنقلة صنعها سيدنا موسي نسبة لحل وترحال بني إسرائيل في البرية علي مدي أربعون عاماً.

وبعد أن استقر بني إسرائيل في ارض الميعاد بقي التابوت في الخيمة في الجلجال وبعد ذلك نقل لقرية شيلوة حيث بقي قرابة الأربعمائة سنة وكانت العادة إن بني إسرائيل يحملون تابوت عهدهم أمام الجيش عند حروبهم وحدث أن هزموا من الفلسطينيين فاخذ تابوت العهد ووضع في قرية اشدود وبعد إرجاعه للعبرانيين وضع في قرية يعاريم إلي أن أقام سيدنا داود مقر لعرشه في مدينة القدس فنقله إليها في كرنفال بهيج علي غاية من التجلة والطقوس الدينية وقد رأي سيدنا داود أنه ليس عدلاً أن يكون تابوت العهد في خيمة بينما هو مقيم في قصر لذلك قرر بناء الهيكل ليضم تابوت عهد بني إسرائيل ولكن كان المراد له من الله بأن لا يفعل ذلك لأنه خاض حروباً كثيرة ولكن سيولد له ابن يكون رجل سلام وهو من سيبني الهيكل ،أما موضوع الهيكل وهندسته فقد عينه سيدنا داود قبل وفاته.

١- هيكل سيدنا سليمان

بدأ سيدنا سليمان العمل في بناء الهيكل بعد أربعة سنوات من توليه الحكم (٩٦٨ ق.م) وكان موضع البناء في جبل المريا حيث بني سيدنا داود مذبحا للرب، وقد استغرق العمل في بناء الهيكل سبعة سنوات وستة أشهر وكان أهم ما في الهيكل هو قدس الأقداس وهو عبارة عن غرفة مظلمة وبداخلها تابوت العهد ويقوم بالخدمة في الهيكل نسل سيدنا هارون دون سواهم، وقد استخدم سيدنا سليمان مصادر غير عبرية لبناء هذا الهيكل، والذي استمر لأكثر من أربعة قرون إلي أن هاجم البابليون القدس ودمروا الهيكل سنة ٥٨٧ ق.م . ومما يجدر ذكره أن سيدنا سليمان قد أقام احتفالاً أسطورياً عند الانتهاء من الهيكل الأول والذي كان يضم تابوت العهد وكان الهيكل أعظم أعمال سيدنا سليمان بلا جدال فقد تعامل مع السوريين واللبنانيين لجلب مواد بناء الهيكل وتزوج من بنت الفرعون وزاراته ملكة سبأ الشهيرة، وكان عصر سيدنا سليمان مذهلاً بلا حروب أو دماء فلم يتجبر أو يتعظم علي الدول من حوله وفاق سيدنا سليمان كل علماء عصره في علم الحيوان والنبات والطيور وكتب الحكمة والقصائد.

٢- هيكل زربابل

بعد دمار الهيكل الأول علي يد البابليين تبعثر بنو إسرائيل فكان أن سمح لهم الملك كورش الفارسي بالعودة إلي القدس فبدأو في بناء الهيكل مكان القديم سنة ٥٣٨ ق.م، وكان العمال يرممون الصامد من البناء ويبنون ما تهدم واستمر العمل وقتا طويلاً نسبة للإضطرابات والحروب وتم العلم سنة ٥١٥ ق.م ، وقد وضعت بداخل هذا الهيكل بعض من أواني الذهب التي سرقت من قبل ولكن قدس الأقداس و هذا الهيكل بقي قرابة الخمسة قرون.

٣- هيكل هيرودس

بدأ هيرودس في ترميم هيكل زربابل الذي تداعي للخراب سنة ٢٠ ق.م واكتمل في عهد اغريباس الثاني ٦٤ م وكان الهيكل الثالث أيضاً يفتقر لوجود تابوت العهد والذي من اجله شيد الهيكل في عهد سيدنا سليمان ، وقد زار السيد المسيح هذا الهيكل الأخير والذي هدمه الرومان سنة ٧٠م.

وبما سبق أعلاه يتضح أن الهيكل سبق أن شيد من قبل ثلاث مرات كانت أعظمها فترة سيدنا سليمان نسبة لاكتمال مقومات الهيكل المتمثلة في تابوت العهد والكهنة من نسل سيدنا هارون والفكرة من بناء الهيكل ليست بالجديدة والدولة العبرية كان بمكانها بناء الهيكل منذ عدة عقود مع العالم بأن هناك هيكل مصنوع في أمريكا طبقاً للمواصفات التوراتية وهو جاهز للتركيب في أي زمان إلا أن ما يتقص ذلك هو وجود تابوت العهد ونسل سيدنا هارون سبط الكهانة وهذا ما حدا بالباحثين اليهود لتقفي اثر تابوت عهد بني إسرائيل في اثيوبيا لأن أحد الروايات تقول أنه موجود في مدينة اكسوم، وقد انفق الباحثون ملايين الدولارات دون جدوي وقد طالبت رئيسة وزراء إسرائيل قولدا مائير الإمبراطور هيلاسلاسي بالتعاون معهم لإظهار تابوت العهد إلي العلن ، وكان ذلك في نهاية الستينيات وقد رد الإثيوبيين بان الوقت لم يحن بعد.

وعليه فالهيكل دون تابوت العهد لا يسوى شيء كما أن الخدمة في الهيكل لا يقوم بها إلا نسل سيدنا هارون فقط وغير مسموح لغيرهم وان كانوا من نسل سيدنا داود أو موسي الذي حظر ممارسة الكهنوت في إسرائيل إلا في السلالة الرسمية أي سلالة سيدنا هارون ، والسؤال الذي يفرض نفسه هو أين هي سلالة سيدنا هارون حامي تابوت العهد وأين هو تابوت العهد والذين لا يكتمل قيام أي هيكل وان بني علي سطح القمر إلا بهما بنص التوراة....؟

ونشير بأن هناك مجموعة سودانية قبلية تدعي الانتساب إلي سيدنا هارون أي حراس وخدام الهيكل والتي توجد عند منطقة أم روابة في غرب السودان تعتقد مجموعة من هذه القبيلة أن تابوت العهد مدفون بقرية شمال أم روابة وان هذه القبيلة نزحت من فلسطين وهي احدي قبائل بني إسرائيل المفقودة وأنهم دخلوا السودان يحملون التابوت في ظروف تاريخية معينة عن طريق وادي هور شمال غرب السودان وأنهم يرجعون بنسبهم إلي سيدنا هارون شقيق سيدنا موسي عليه السلام، وكان كاتب هذه السطور (المؤلف) علي رأس بعثة من الهيئة القومية للآثار والمتاحف ويرافقه احد المبشرين المسيحيين الذي تخصص في العهد القديم (التوراة) ، كما كان يرافقهم احد مهندسي هيئة الجيولوجيا

السودانية وكان يحمل معه جهاز الاستشعار المغناطيسي من البعد عن المعـادن اسمه الماجنوميتر Magenometre فقاموا بالبحث في منطقة جرادة مستعملين هذه الأجهزة العلمية في لمسح الدقيق عن تابوت العهد، وكان البلاغ المستلم هو وجود اثار ذهبية في تلك المنطقة دفنت في فترة قديمة وكان هدف البعثة التاكـد من هذه الروية الشفاهية.

الثقافة السودانية ، تعريفها ، أنواعها ، ومصادرها

***أقوال**

١. "العقول الكبيرة تناقش الأفكار، والعقول المتوسطة تناقش الأحداث أما العقول الصغيرة فهي التي تناقش الناس وتتحدث عنهم"

٢. قال أحد الفلاسفة :ـ

"أن الحياة هي الحقيقية هي حياة الفكر والشعور، لا حياة الجسد البالي"

٣ .قال الأمام الغزالي:ـ

"ما من عالم في فن إلا وهي تلميذ لغيره في فن آخر"

٤.قالوا عن التعلم :ـ

"يجب أن تتعلم كل شيء عن شيء، وشيء عن كل شيء"

" You have to learn every thing about some thing and some thing about every thing"

١. قال العماد الاصفهاني:

"أني رأيت أنه لا يكتب احد كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل علي إستيلاء النقص علي جميع البشر"

٢. هرم مانسلو للحاجات:ـManslo Hierarchy of Needs

٦الفكروالجماليات الفكر والجماليات

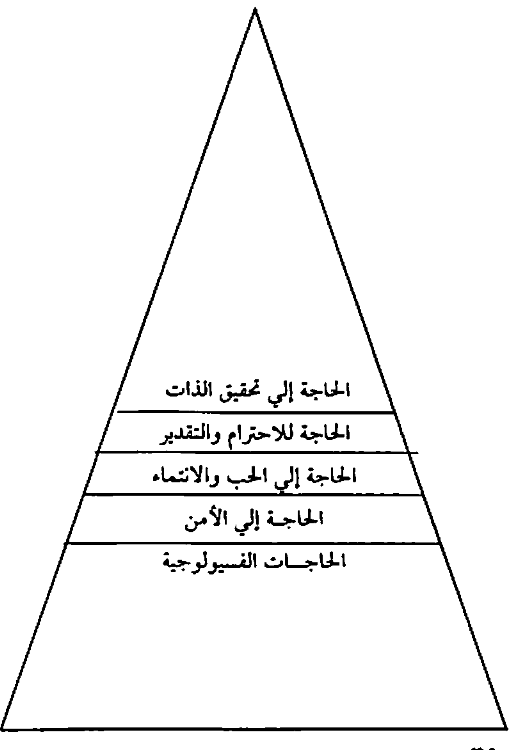
٥.الحاجة إلي تحقيق الذات

٤.الحاجة للاحترام والتقدير

٣.الحاجة إلي الحب والانتماء

٢.الحاجة إلي الأمن

١. الحاجات الفسيولوجية



*** تعريف الثقافة**

هناك مئات التعريفات لكلمة ثقافة ولكن أكثرها شمولاً:

تعريف العالم البريطاني ادوارد تيلر Edward Taylor (١٨٣٢ ـ ١٩١٧)

"هي ذلك الكل الذي يتضمن المعرفة، القيم، العقيدة، والفن، والأخلاق، والقانون، والعادة. وكل المقومات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في المجتمع.

*** أنواع الثقافة**

١. ثقافة مادية Material Culture

٢. ثقافة غير مادية Non Material Culture

أولا : ثقافة مادية أثرية Material CultureArchaeological

وتشمل البقايا المادية للإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ حتى العصور التاريخية وتشمل ما تركه الإنسان من:

١ـ مدافن وما تحتويه

٢ـ عمارة

٣ـ فخار

٤ـ نقوش كتابية

٥ـ عملة

٦ـ منحوتات ونقوش

٧ـ صناعات كبيرة وصغيرة ودقيقة

٨ـ أي بقايا اخري

ثانياً: ثقافة مادية أثنوغرافية:

Ethnographical Material Culture

عناصر الثقافة المادية الاثنوغرافية (التراثية):ـ

١ـ الحرف والصناعات الشعبية (صناعة فخار ـ صناعة نسيج ـ صناعة الحصير الخ).

٢ـ أدوات العمل الزراعي والصناعي والصيد بنوعيه (محراث ـ ساقية ـ ري)

٣ـ الأدوات والمعدات المنزلية (طحن حبوب ـ أفران ـ موقد).

٤ـ الأزياء.

٥ـ طرق ومواد صنع الطعام.

٦ـ العمارة الشعبية.

ثالثاً: علم دراسة الآثار الاثنوغرافي Ethno-archaeology

وهو علم يفسر الظواهر القديمة Ethno-archaeology من خلال استمرار هذه الظاهرة حديثا وأيضا تفسر الظاهرة الحديثة من خلال ظاهرة قديمة من خلال الاستمرار والمواصلة.

*** الثقافة الاثنوغرافية غير المادية:**

Non Ethnographic Material Culture

١. المعتقدات والمعارف الشعبية (الزار ـ الذكر، الطب الشعبي).

٢. العادات والتقاليد الشعبية (طقوس المرور Rites of Passage).

٣. الأدب الشعبي وفنون الحاكاة (القصة ، الحجوة، الأساطير ، الخرافات ، الملاحم، الشعر الشعبي).

٤. الفنون الشعبية (الغناء ، الرقص).

*** نظريات الثقافة :.**

هناك عدة نظريات لتفسير الثقافة (مادية وغير مادية) وهذه النظريات هي:ـ

١. المدرسة الميثولوجية ـ دراسة الأساطير Solar mythology.

٢. النظرية الأثنربولوجية.

٣. النظرية التاريخية الجغرافية ـ المدرسة الفنلندية إعادة البناء التاريخي . Historical Reconstructional Approach

٤. النظرية الايدولوجية أو القديمة Romantic Nationalism

٥. نظرية الوظيفية Functionalism

٦. النظرية البنائية (البنيوية) دارسة الأدب الشعبي Structralism .

٧. نظرية دراسة الصيغ الشفاهية Oral formlaic.

٨. نظرية المقارنة الثقافية.

٩. نظرية الثقافية الشعبية.

*** القيم التي تعزو إلي الثقافية المادية :**

أولا: القيم الثقافية The Cultural Values

١. القيم التاريخية والتوثيقية Historical and Documentary

٢. القيم الآثار والتاريخية Archaeological and dates

٣. القيم المعمارية والجمالية Architectural and aesthetical

٤. قيم المنظر الطبيعي ومنظر المدينة land Scape and Town scape

* ثانيا: القيم الوظيفية: Functional Values

١. قيم الاستخدام والاقتصاد Use and economic

٢. قيم اجتماعية وسياسية Social and Political

٣. قيم دينية Religious

*** القيم النفسية :** Psychological Values

١. قيم الاستغراب والشخصية Wonder and identity

٢.قيم الاستمرارية والتغير Continuity and Change

*** مصادر دراسة الثقافة السودانية :**

١-١ البقايا المادية للحضارات السودانية القديمة المنقولة والثابتة (في المواقع

الأثرية، والمتاحف داخل وخارج السودان).

١-٢ النقوش.

١-٢-١ الهيروغليفية المصرية

١-٢-٢ النبتية والمروية والنوبية.

١-٣ المصادر الإغريقية والرومانية (هيرودتس ٤٣٠ ق.م وديودورس الصقلي ٣٠ ق.م – استرابو ٧ ق.م – بليني الأكبر القرن الأول الميلادي وسينيكا).

١-٤ والمصادر المسيحية (الكتاب المقدس بروكوبيس ٥٦٥ م وبرسكس ٤٦٩م يوحنا الافسوسي ٥١٦ـ ٥٨٦م).

١-٥ المصادر العربية الكلاسيكية (الواقدي ٨٢٣م، بن عبد الحكم ٨٧١م، اليعقوبي ٨٩٧م، ابن جبير ١٢١٧م، ابن بطوطة ١٣٧ م، ابن خلدون ١٤٠٦م، المقريزي ١٤٤٥م).

١-٦ مصادر دراسة الثقافية السودانية في عهد الفونج (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م)

١-٦-١ البقايا المادية للحضارة السنارية (المنقولة والثابتة) في المواقع والمتاحف.

١-٦-٢ المصادر العربية:

١-٦-٢-١ طبقات ود ضيف الله.

١-٦-٢-٢ مخطوطة كاتب الشونة.

١-٦-٢-٣ مخطوطة تاريخ العبدلاب.

١-٦-٢-٤ وثائق من عهد الفونج.

١-٦-٣ المصادر الجنبية:

١-٦-٣-١ ديفيد روبيني David reupeni

١-٦-٣-٢ شارلس بونسيه Charles Boncet

١-٦-٣-٣ ثيودور كرومب Theodor Krump

١-٦-٣-٤ جيمس بروس James Bruce

١-٦-٣-٥ جون لويس بوركهارد John Lwis Burckhardt

دراسات في التاريخ

خلفية تاريخية عن تطور اللامركزية في السودان

عرف السودان من فجر تاريخه نظام التجمعات السكانية المستقرة Human Settlement فقد لعبت أنهاره وخيرانه وأوديته دوراً أساسياً في تركز هذه التجمعات التي انبثقت منها النواة الأولي لتكون الدولة وهي التجمعات الإنسانية.

بداية التجمعات السكانية في السودان في عصور ما قبل التاريخ:

اكتشفت بداية نشاط الانسان في السودان علي شكل مجتمعات منتظمة في العصر الحجري القديم Paleolithic Period في خور أبو عنجة بام درمان علي الشاطيء الغربي للنيل[1]. ويعتمد مجتمع خور أبو عنجة في حياته علي جمع الغذاء والصيد. وهناك عدة مواقع أخري في السودان تكونت بها تجمعات سكانية كخور أبو عنجة وترجع إلي نفس الفترة ولكن الأخير خير مثال لها.

أما في العصر الحجري الوسيط ٤٥٠٠ ق.م والعصر الحجري الحديث ٤٠٠٠ ق.م . فقد أخذت هذه التجمعات شكلها المنتظم وعرفت استئناس الحيوان وبدايات الزراعة والسكني في أكواخ وتطورت صناعة الأقواس والأدوات الحجرية والفخار وصناعة القوارب وخير مثال لذلك مجتمع الشهيناب علي بعد ٣٠ ميلاً من الخرطوم شمالاً علي الضفة الغربية للنيل[2] وقد أخذت عدة مناطق في السودان نفس هذا التطور الذي أدي إلي نشوء دويلات المدن City States التي تقوم علي المجتمع القبلي Tribal Society ونستخلص أن جذور النظام القبلي الذي يسود السودان الآن يرجع إلي تلك الفترة.

اللامركزية في العصور التاريخية:

١.عصر المملكة الوسطي والحديثة المصرية (٢٠٠٠-١١٠٠ ق.م)

ان تاريخ السودان في هذه الفترة يتصل اتصالاً وثيقاً بتاريخ مصر وقد صار السودان إقليماً من أقاليم مصر يحكمه حاكم جعل رئاسته في كرمة وينوب عن الفرعون وقد اشار إلي ذلك وليم ادمس William Adams حيث يقول:

بينما يبدو هكذا بوضوح أن ملك كرمة ينوب عن الفرعون سياً علي النوبة السفلي أثناء الجزء الأخير من الفترة الثانية للمملكة الوسطي فإن النفوذ المصري لم يتبه[3]

---

1 Arkell ,A.J. The Old Stone Age in the Anglo Egyptian Sudan . Sudan Antiquities Service Occasional Papers.No.1, Glovcester.1963.PP.5-6.
2 Arkell, A.J. Sheheinab Oxford University Press.London, 1953.PP1,102-107.
3 Adams, W.Y. Nubia Corridor to Africa.London .1977.P.191

كان نظام الحكم في السودان في زمن الدولة المصرية الحديثة أن يختار الفرعون في مصر أحد موظفيه ليحكم نيابة عنه بلاد كوش كما كان يسمي السودان في تلك الفترة ، وكان يعرف هذا الموظف باسم ابن الملك في كوش وتمتد بلاد كوش من أسوان إلي كريمة وان كان هناك ما لا يمنع أن تمتد هذه السلطنة حتى أواسط السودان وقد وجدت آثار تدل علي ذلك في ود بانقا جنوب شندي . وكان هؤلاء الموظفون نواب الملك بكل ما تحمل كلمة نائب من معني وهو الذي يرسل كل خيرات البلاد إلي الفرعون في مصر وهو المسؤول لدي الفرعون فقط. وكان نائب الملك مسؤولاً عن بناء المعابد وثكنات الجيش وحفر الآبار وكان دورهم رئيسياً في امبراطورية فراعنة مصر وحملوا عدة القاب تبين هذه الأهمية التي يتمتعون بها . ويتكون جهازهم الإداري في تلك الفترة من عدة موظفين سودانيين ومصريين ويشير عبد العزيز عبد الغني في كتابه "تاريخ الحضارات السودانية القديمة" إلي تقسيم الهيكل الإداري الأعلي لنائب الملك في كوش فيقول:

"ويتكون مكتبه من نائبين احدهما لكوش والآخر لواوات ثم قائد لرماة القسي فكبار الملاحظين."[1]

ومن الجدير بالملاحظة أن بقية أجزاء السودان قد تمتعت باستقلال ذاتي تحت نظام قبلي محلي وتؤكد فترة الدولة المصرية الحديثة أن السودان عرف منذ تلك الفترة نظام الحكم اللامركزي وقد أشار إلي هذه الحقيقة بوضوح محمد إبراهيم بكر حيث قال:

"اختار ملوك الدولة الحديثة في مصر لادارة كوش نظام الحكم غير المباشر فظل الأمراء المحليون علي رأس أمارتهم طالما احتفظوا بولائهم لمصر".[2]

٢.عصر نبتة مروي (٧٥٠ق.م-٣٥٠م)

علي إثر اضمحلال الإمبراطورية المصرية الحديثة قامت في السودان مملكة عرفت بمملكة نبتة نسبة لعاصمتها بمنطقة كريمة، في عام ٧٥٠ ق.م أعلن الملك كشتا الذي قدم بعد أخيه الارا Alara نفسه ملكاً علي صعيد مصر وبسط سلطانه شمالاً حتى الاقصر.

وفي عهد أخيه وخلفه الملك بعانخي ٧٥١ ـ ٧١٦ ق.م تم فتح مصر كلها وبذلك اصبح بعانخي ومن خلفه في الحكم ملوكاً علي السودان ومصر وهم الذين

---

١ عبد العزيز عبد الغني .تاريخ الحضارات السودانية القديمة . مكتب النشر, وزارة التربية والتعليم العالي. الخرطوم ١٩٧٠ – ص ٩٧.

٢ محمد ابراهيم بكر – تاريخ السودان القديم- القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٧١م.ص ٧٢.

عرفوا بملوك الأسرة الخامسة والعشرين المصرية وقد إشتهرت مملكتهم لدي العالم المعاصر آنذاك بمملكة كوش ومصر وكما يدل الكثير من مخلفات هذا الفترة فقد اعتبر ملوك هذا العهد الملوك الشرعيين لمصر.

وقد كان الحكم في عهد بعانخي لا مركزياً حيث حكمت اقاليم مصر عن طريق أمراء بينما رجع بعانخي إلي عاصمة مملكته نبته بالسودان ولكن ذلك أدي إلي قيام تمرد من قبل أحد الأمر تفتختنت بالدلتا ومحاولته الانفصال بحكم مصر ولكن شبكة الذي خلف بعانخي استطاع القضاء علي التمرد ونقل عاصمته من نبته إلي طيبة بمصر واقام حكماً مركزياً صار علي رأسه[1]. وان كان قد أشرك أخاه طهارقة Taharga لمساعدته في الحكم في نبتة ولكن بعد تولي طهارقة الحكم واستقرار الدولة عاد الحكم لا مركزياً ويشير عبد العزيز عبد الغني إلي هذه الحقيقة وفيما يلي ما قاله بالنص:

استقر تهارقا في عاصمته تانيس وترك مصر العليا والسودان في ايدي أمراء مخلصين يديرون الشؤون باسمه وبإذنه، واشتهر من هؤلاء الحكام متومنحات حاكم طيبه[2].

وبقيام الأسرة السادسة والعشرين الصاوية في عام ٦٥٤ ق.م جلي السودانيون عن مصر وهكذا انقضت فترة خمسة وسبعين عاماً كان السودانيون خلالها قوة عالمية عظمي. واستمر السودان يحكم من نبتة حتى القرن السادس قبل الميلاد عندما نقل السودانيون عاصمة بلادهم إلي مروي القديمة البجراوية حالياً بالقرب من شندي وبقيت نبتة مركزاً دينياً هاماً تحت سيطرة كهنة الإله آمون.

بعد أن نقلت العاصمة من نبتة إلي مروي في القرن السادس ق.م فإن دفن الملوك في العاصمة القديمة قد استمر حتى القرن الثالث قبل الميلاد.

امتدت حدود دولة مروي من الدكة في النوبة المصرية شمالاً حتى سنار جنوباً وقد حكمت حكماً مركزياً قوياً في بداية انتقالها وانشغل ملوكها في تثبيت دعائم هذه السلطة وذلك بالحروب المتواصلة مع المناطق المجاورة والقبائل ، وقد ترك ملوك تلك الفترة كثيراً من اللوحات التذكارية التي تشير إلي هذه الحروب والغزوات.

أدت تلك السياسة إلي سقوط دولة مروي في حوالي سنة ٣٢٥م بعد أن ضعفت الدولة وتقسمت أرضها القبائل التي جابت أرجائها تنهب وتسلب ويمثل

---

١ عبد العزيز عبد الغني. تاريخ الحضارات.ص ١١٧.

٢ نفسه.ص ١١٩

ضعف الملوك أنهم لم يستطيعوا حتى بناء اهرامات يأوون إليها بعد الممات. وجاءت الضربة القاضية التي شتت دولة مروي إلي مشيخات قبلية في حوالي ٣٢٥م عندما تقدم عيزانا ملك أكسوم في الحبشة نحو مروي وهدم المدينة ويصف لنا بأسلوب أخاذ ب. ل. شيني Shinnie بداية انهيار مروي:

"From this time on there is a clear degeneration of Meroitic Power . The royal burials are poorer، brick takes the place of stone in the construction of the pyramids، and imported objects are no longer found in these tombs"[1]

بعد سقوط مروي كانت هناك تحركات قبلية كبري فقد تحركت بعض قبائل النوبة من غرب السودان واستقرت علي النيل كما تحركت قبائل أيضاً من شرق السودان واستقرت علي النيل وتكسرت دولة مروي إلي مشيخات قبلية متناثرة كانت علي موعد في ضمير التاريخ مع الدين المسيحي القادم عبر الحدود الشمالية.

٣.العصر المسيحي(٥٤٠-١٥٠٤م)

علي انقاض مملكة مروي قامت ثلاثة ممالك نوبية ، فكانت في الشمال مملكة النوباط Nobatia ما بين الشلال الأول والثالث وعاصمتها فرس بالقرب من وادي حلفا، ويليها جنوباً مملكة المقرة وتنتهي حدودها الجنوبية عند مكان عرف عند الكتاب العرب "بالابواب" يظن أنه بالقرب من كبوشية وكانت عاصمتها دنقلا العجوز. ثم تأتي علوة وعاصمتها سوبا بالقرب من الخرطوم هذا وقد اتخذت مملكتا النوباط والمقرة في اتحاد كنفودرالي كانت السيادة فيه لدولة المقرة.

كان النظام يقوم علي حكم القلة الدينية Theocratic Oligarchy ويفترض جوفاني فانتيني ، دون براهين مؤكدة بأن أصول هؤلاء الملوك هم سلالات العائلات الاكسومية التي دمرت مروي.[2] وقد كان الحكم لا مركزيا في مملكة المقرة حيث يشير المؤرخ العربي أبو صالح الارمني "حوالي ١٢٠٠م" إلي أن عدد الملوك في النوبة ثلاثون ملكاً يحكمون أرضاً تحت سيادة الملك العظيم[3] الذي هو المسؤول عن العلاقات الخارجية بينما يقوم هؤلاء الحكام بتسيير شئون الحياة اليومية في مناطقهم ، كما أن

---

1 Shinnie P.L.Meroe: A Civilization of the Sudan. New York. 1967, P.52.

2 Giovanni Vantini. Chistianty in the Sudan.Italy, EMI,Bologna. 1982.P.32

3 Adams.Op.C.T.464.

الموطنين كانوا أحراراً وليسوا عبيداً للملك ولهم حرية التصرف في أرضهم[1] ويصف لنا عبد العزيز عبد الغني النظام الإداري المسيحي السوداني في تلك الفترة فيقول:

"كان المجتمع المسيحي السوداني من أرقي المجتمعات المعاصرة له إن لم يخل من بعض نواحي القصور. ففي مجال الإدارة نجد الملك علي رأس مملكة مقرة ويليه في خطورة المنصب نائب الملك في فرس أو ما يسمي بصاحب الجبل عند الكتاب العرب يلي ذلك في الأهمية أصحاب الوظائف التالية:

أمين الأختام الملكية، حامل التاج، أمين خاص الملك، أمين أول القصر الملكي البريدي وخادم الملك، ويمكننا أن نستنتج أن هؤلاء الأشخاص كانوا بمثابة مجلس الوزراء."[2]

٤.سلطنة الفونج (١٥٠٤-١٨٢١م)

بعد سقوط مملكة المقرة حلت فترة مظلمة لا نعرف عن نظام البلاد فيها شيئاً إلي أن ظهرت في ١٥٠٤م سلطنة الفونج التي قامت عاصمتها في سنار علي النيل الأزرق وبسطوا نفوذهم حتى الشلال الثالث وجزء من بلاد البجة وكردفان.

كان نظام الحكم لدي سلطنة الفونج لا مركزياً لذلك سميت السلطنة أيضاً باسم الاتحاد السناري ويقوم علي السيادة القبلية التي تتبعنا أصولها إلي العصور الحجرية ويشير كل من العجب الطريفي ومهدي شيخ إدريس إلي قدم هذه التركيبة القبلية للمجتمع السوداني فيقولا:

Sudanese society has been organized in tribial units from time immemorial.[3]

كان النظام لا مركزياً حيث أن المملكة منقسمة إلي عدة ممالك ومشيخات من سود ونوبة وعرب وحضر وبادية وكان كل ملك أو شيخ يدفع الجزية لملك سنار الا أن له نوعاً من الاستقلال كان هؤلاء الشيوخ والملوك يكونون مجلساً استشارياً للسلطان ويمدونه بالفرسان في حالة الحروب وكان اختيار الملوك والشيوخ يتم بصورة ديموقراطية.[4] هذا وقد استمرت سلطنة الفونج تمثل السيادة السودانية حتى عام ١٨٢١م.[5]

---

1 Ibid.468.

٢ عبد العزيز عبد الغني .تاريخ الحضارات.ص ١١٧.

3 Al-Agab. Ahmed Al Terafi Madi Sheikh Idris.decentralzation: originard development in Al-Agab Ahmed Al-Teraifi (ed) Decentralization in Sudan. Khartoum. University Khartoum.1982.P.18.

٤ نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت ـ دار الثقافة ١٩٧٢ـ ص٤٩١

٥ صلاح عمر الصادق ـ سنار الآثار والحضارة ـ مجلة البرلمان ـ دار فارس ١٩٩٣ ـ ص ٧٣ ـ ٧٨.

اللامركزية في العصور التاريخية الحديثة:

أولاً: العهد التركي (١٨٢١-١٨٨٥م)

بعد سقوط الاتحاد السناري في يد محمد علي حاكم مصر أصبحت الدولة في السودان تحكم مركزياً في بدايتها وذلك نسبة للانقسامات والضعف الذي ساد السودان في نهاية الاتحاد السناري. وإنشاء منصب حكمدار وضعت في يده السلطة المدنية والعسكرية وقسمت البلاد إلي مديريات يحكمها مديرون مسئولون لدي الحكمدار في الخرطوم، وفي نهاية عهد محمد علي جنح الحكم نحو اللامركزية فنجد في الهيكل الإداري للمديرية وكيل المدير ومعاونه والكتبة والقاضي والمفتي أشرك الأهالي في إدارة بلادهم وذلك عن طريق مجلس أهلي.

لقد تطور النظام اللامركزي في عهد الخديوي محمد سعيد باشا حيث عمل علي تقليص سلطات الحكمدار وموظفيه وعمل علي إشراك الأهالي في إدارة بلادهم عن طريق المجالس والجمعيات التي تنظر في الشؤون العامة مع المديرين، بل نجده أعطي سلطات أكبر لمجالس المديرية وجعل لهم تقدير الضرائب وجمعها بواسطة العمد والمشايخ من زعماء القبائل . بل حيانا تنتخب القرى شيخاً من بينهم لجمع الضرائب. ويشير رتشارد هل إلي الأوامر التي أصدرها سعيد باشا للامركزية الحكومية في السودان وكيف حل الحكمدارية وأسند جهازها الجرار إلي القاهرة وان تتبع كل مديرية إلي نائب الخديوي في مصر والحاميات السودانية يجب أن تسرح وخفضت إلي وحدات صغيرة درك وهذا ما قاله رتشارد هل بالنص:

From Khartuom Sa'id issued order، for the decentralization of its government The Governorate general was to be a bolished and its archives were to be sent to Cairo. Each Sudanese Province was to be independent directly on the Viceregtal Government in Egypt[1]

استمرت سياسة اللامركزية الإدارية والاقتصادية والسياسية بصورة أوسع في عهد الخديوي اسماعيل باشا الذي خلف سعيد باشا ، فقد بحثت ونظمت الضرائب عن طريق مجلس يضم المديرين والمشايخ المحليين. كماعين لأول مرة في تاريخ التركية مدير سوداني هو الشيخ أحمد ابو سن كبير مشايخ الشكرية علي مديرية الخرطوم وسنار وبدأ في تكوين الأورطة السودانية تحت قيادة أحد السودانيين من قبيلة درا حامد هو اللواء آدم باشا العريفي.[٢] كما أن هنالك مجموعة من العلماء السودانيين الذين تعلموا بالأزهر بمصر عملوا مستشارين.

---

1 Hill, Richard. Egypt in the Sudan, 1820 -1881. London, Oxford University Press.1966.P.95.

١ نعوم شقير ـ جغرافية وتاريخ السودان ـ ص. ٥٥١ ـ ٥٥٣ .

ثانياً: فترة المهدية (١٨٨٣-١٨٩٨م)

كان النظام في دولة المهدية نظاماً مركزياً في بداية تأسيس الدولة التي تحكم من أم درمان وقد وضع المهدي هيكل الدولة علي نظام الحكم في صدر الإسلام فقد كان هو إمام المسلمين وعين له أربعة خلفاء لإعانته في الحكم وخلافته فيما بعد وقد وضع الخليفة عبد الله بمثابة أبو بكر الصديق أو رئيس الوزراء يرأس مجلس الأمناء في الشؤون الإدارية وقد أصدر منشوراً يؤكد مكانة الخليفة عبد الله[١] كان لكل خليفة أمراء يعملون تحت إمرته وراية خاصة به وكان الدستور هو الشريعة الإسلامية وكان القضاة يمارسون القضاء وفقاً لها وبما نصت به منشورات المهدي. وفي الأقاليم استمر الأمراء ممثلين للحكومة المركزية علي مناطقهم ولا يرجعون إليها طالما كانوا منصاعين للشريعة والتعليمات والمنشورات الصادرة من السلطة بام درمان.

بعد وفاة المهدي وتسلم الخليفة عبد الله للسلطة عمل علي تقليص دور الزعامات القبلية وكان لا يثق بها وعمل علي جعل الجهاز الإداري من خاصته وأبناء قبيلته وكان يشرك أخاه يعقوب في شؤون الدولة وقد قسمت السلطات فكان الخليفة منفذ الأحكام ولأخيه يعقوب سلطة أمن الدولة ولقاضي الإسلام السلطة القضائية وقد فشل الخليفة عبد الله في السيطرة علي كافة أطراف الدولة نتيجة حتمية لمركزية الدولة وقلة الخبرة الإدارية كما أثارت القبائل القلاقل ضده. ويشير هولت holt إلي أن أحد أسباب المشاكل الرئيسية للخليفة هو اتساع الدولة السودان وهي المشكلة التي تواجه كل الحكومات فيقول:

A fundamental problem which Abdallahi never succeeded in solving was the effective control of the military governers. The vast distances of the Sudan have always been a problem to its rulers[٢]

ثالثاً: اللامركزية والسودان المعاصر (١٨٩٨-١٩٩٤م)

بعد سقوط دولة المهدية كان رأس الدولة هو الحاكم العام وهو المسئول لدي دولة الحكم الثنائي حتى ١٩١٠م حيث أنشئ مجلس الحاكم العام من سكرتيري الحاكم العام إداري والقضائي والمالي ومفتش عموم السودان سلاطين باشا وكان المجلس سلطة إصدار التشريعات بعد أن كان من قبل يصدرها الحاكم العام فقط.

---

1 Salah Omer As Sadig. Some New Documents from The Times of Mahdia in Grzmski, Krysztof (ed) Archaeological Reconnaissance in Upper Nubia Benben Publication.Toronto, 1987.PP.51-52

2 Holt, P.M. The Mahdist State in the Sudan 1881-1889. Nairobi Oxford University Press 1977.P.284.

قسمت البلاد إلي ست مديريات ، كما لم يهمل النظام العشائري وعمل علي تقوية سلطات رؤساء القبائل التي عملت المهدية علي تفتيتها وتركت لهؤلاء الرؤساء الحق في تنظيم شؤون مواطنيهم عن طريق نظام يتكون من مشايخ وعمد ونظار أما المديريات فقد كان علي رأسها مدير ونائبه ومفتشون وهم من الإنجليز يعاونهم مامير مصريون ونواب مامير من السودانيين ويشير تقرير ملنر Milner عن تنظيم الحكم لسنة ١٩٢٠م عن أهمية لا مركزية السلطة وذلك بالاستعانة بالموطنين فيقول:

Decentralization and the employment where even possible ، of native agencies for the simple administrative need of the country ، in its present stage of development would make both for economy and efficiency[1]

نتيجة لما سبق أخذت الحكومات المحلية والبلديات قوتها وأصبحت لها سلطات تشريعية منذ ١٩٣٧م حيث صدر قانون الحكم المحلي ثم صدر أيضاً قانون الحكم المحلي لسنة ١٩٥١م . ثم صدر قانون إدارة المديريات في ١٩٦٠م. وصدر قانون الحكم الشعبي لسنة ١٩٧١م. من قبل نظام مايو. الذي أعلن قانون الحكم الذاتي الإقليمي للمديريات الجنوبية ١٩٧٣م أو اتفاقية اديس ابابا ثم كان قانون الحكم الإقليمي للمديريات الشمالية لسنة ١٩٨٠م. وتزامن معه أيضا إصدار قانون إدارة مديرية الخرطوم ١٩٨٠م ثم صدر قانون الحكم المحلي لسنة١٩٩١م. وكانت كل هذه القوانين تهدف إلي تقليص سلطة المركز وإقامة اللامركزية وقد صدر المرسوم الجمهوري الدستوري الرابع "تأسيس الحكم الاتحادي" لسنة ١٩٩١م. والمرسوم الدستوري العاشر لسنة ١٩٩٤م. الذي اكتمل به تأسيس الولايات ، ولا زالت مسيرة اللامركزية مستمرة.

---

1 A,Teaifi, Al Agab. A. Decentralization.P.23.

المـــراجـــع

المراجع العربية:

- صلاح عمر الصادق ـ *سنار الآثار والحضارة* ـ مجلة البرلمان (١) مارس ١٩٩٣م.
- عبد العزيز عبد الغني ـ *تاريخ الحضارات السودانية القديمة* ـ الخرطوم ـ مكتب النشر وزارة التربية والتعليم العالي ١٩٧٠م.
- محمد إبراهيم بكر ـ *تاريخ السودان القديم*ـ القاهرة ـ مكتبة الانجلومصرية ١٩٩١م.
- نعوم شقير ـ *جغرافية وتاريخ السودان* ـ بيروت ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٢م.

المراجع الأجنبية:

- Arkell ، A.J. The Old Stone Age in the Anglo – Egyptian Sudan. SASOP NO 1، Khartoum- 1963.
- Arkell، A.j. Sheheinab. London ، Oxford University Press. 1953.
- Al – Teraifi، A ، Agab. A . Sheikh Idris ، M. Decentralization : Orgin and Development . In Al Teraifi ، Al Agab .A (ed) decentralization in Sudan. Khartuom، University of Khartoum. 1987.
- Giovanni Vantini. Christianity in the Sudan.Italy، EMI،Bologna. 1982.P.32.
- As –Sadig،Salah Omer. Some New Documents from The Times of Mahdia in Grzmski، Krysztof (ed) Archaeological Reconnaissance in Upper Nubia Benben Publication.Toronto، 1987.
- Shinnie P.L.Meroe: A Civilization of the Sudan. New York. 1967.
- Holt، P.M. The Mahdist State in the Sudan 1881-1889. Nairobi Oxford University Press 1977.
- Hill، Richard. Egypt in the Sudan، 1820 -1881. London، Oxford University Press.1966.
- Adams، William .Y. Nubia Corridor to Africa.London .1977.

صفحات من حرب النهر

لـ ونستون تشرشل

معركة ام درمان ٢ سبتمبر ١٨٩٨م. ترجمة

كانت عقارب الساعة تشير إلي السادسة من يوم الاربعاء وكان الضوء خافتا لكنه يتنامي كل دقيقة ، هناك في السهل وقف العدو جيش الخليفة الذي لم تتغير أعداده ، وفيما يبدو أن أهدافهم وثقتهم بأنفسهم لم تهتز.

وكانت مقدمة جيشهم بطول خمسة أميال تقريباً تكونت من جمهرة من الرجال في صفوف متضامنة متراصة ، وبجانبه تقف أعداد كبيرة من الاحتياطي ، ومن خلفه الجبل يبدو هؤلاء الرجال كشيء ضبابي اسود يتنوع مع بريق من الضوء الملتمع من أسنة رماحهم.

وفي السادسة إلا عشراً بدأت تلك الجموع تتحرك بخفة،وأخذ الأمراء يعرضون بخيلهم أمام الصفوف وحواليها، وتوزع الكشافون ورجال الدوريات في كافة أنحاء المقدمة واخذوا جميعاً يعلون بالهتاف وهم يظهرون ويختفون في ناظري السردار وجيشه وأصواتهم كهدير الرياح في أعلي النهر.

وانتظمت خطوات القوات البريطانية والمصرية وظهرهم إلي النهر كما أن جنبات الجيش قد تم تأمينها من قبل السفن الحربية الراسية علي النهر.وإلي الأمام يمتد السهل الرملي بلا نهاية، وعلي الجانب الأيمن تقف جبال كرري ـ حيث عسكر بالقرب منها الخيالة من المصريين ـ كتلا صخرية داكنة كالرجال والجياد.

وعلي الميسرة وقفت السرية الواحدة والعشرين لسلاح الرماحة تراقب دوريتها التي صعدت إلي جبل سرغام واخذت تتمدد للأمام بجانبها، أو تجثم كما فعلنا نحن في قمة الجبل.

وتطور الهجوم ففي الميسرة هناك عشرين ألف من جيش الخليفة الأقوياء بدأوا في التحرك عبر السهل والاقتراب من الفيالق المصرية، وانتشرت الكتلة الوسطي مشكلة جبهة عريضة مواجهة للزريبة التي أقامها كتشنر وزحفوا للأمام في هجوم مباشر. عندها بدأ كل جيش الدراويش* في التقدم ، فتقدمت فرقة من الرايات البيضاء والتي لا زالت

* كلمة دراويش أطلقها اعداء المهدية علي جيش المهدية بغرض اضعاف ارواحهم المعنوية.

حتى الآن تتراوي في صفوف مترابطة في الجانب الأيمن، ويتحركون إلي أعلي في خط عام، كما ويدأوا في تسلق المنحدرات الجنوبية لجبل سرغام. عندئذ بدأت قوة أخري غير محددة العدد من العدو "جيش الخليفة" في التحرك ببطء باتجاه النيل ولا زالت صفوفهم تمتد في الميمنة في اتجاه ام درمان للإمداد ولتأمين خط التراجع.

واضحي جيش الدراويش في نطاق مرمي بنادقنا لكننا لم نبدأ المعركة، وانتظرنا حتى بدأ الدراويش هجومهم بالبنادق عند ذلك قامت مدافع السفن بالقصف وتغطي المكان بسحائب كثيفة من الرمل والدخان الأحمر.

واستبسل جيش الدراويش لكن ماذا يفعلون حيال اربع بطاريات فتحت فيهم نيرانها الواحدة تلو الأخري علي مدي ٣٠٠٠ ياردة وتناهي إلينا علي حافة الجبل صوت المدفعية التي رددت الجبال صوت مداها بعنف. وعلي رأس الجموع المتحركة اخذت القذائف تتفجر فتملأ السماء بكرات الدخان والأرض بالأجساد.

وأصبحت المأساة وشيكة الوقوع فالرايات البيضاء فوق القمة علي مرمي من نيران البطاريات. وهم لا يدرون ما يحيق بهم، كانوا جموعا كثيفة علي بعد ٢٨٠٠ ياردة من بطارية الميدان الثانية والثلاثين ومن مدفعية البواخر، وكان المدي معروف. وكانت المذبحة تمر دون أن يلحظها أحد لأن العقل كان مشدوها بالهول القادم وذلك الدمار الذي سيحق بهؤلاء الرجال الشجعان.

واعتلت تلك الجموع القمة وعندما بان لهم معسكرنا افرغوا فينا بنادقهم بصوت هادر كفاءة عالية وهم يسرعون بخطواتهم نحونا وفي لحظات كانت الرايات البيضاء تملأ المكان فوق القمة، وأصبحوا مكشوفين عندئذ فتحت مدفعية البواخر وبطارية الفرقة ٣٢ البريطانية ميدان وبعض المدافع من الزريبة نيرانها عليهم. وفي الدقيقة الأولي انهالت عليهم عشرين قذيفة من كل جهة انفجر بعضها في الهواء والبعض الأخر مباشرة في الوجوه وغاصت اخري في الرمل ثم انفجرت مخلفة سحاب من الغبار الأحمر ومن الشظايا والرصاص في وسط صفوف الدراويش وتساقطت الرايات البيضاء في كل الاتجاهات. لكنهم نهضوا سريعاً لأن رجال أخرون خفوا للأمام في سبيل الموت لنصرة القضية المقدسة لديهم. وكان مشهداً فظيعاً حيث أنهم لم يكونوا قد سببوا لنا أي أذي ولا يستطيعون الرد علينا بينما كنا نبيدهم بوحشية وقسوة.

وتحت تأثير تلك القذائف ذابت جموع الرايات البيضاء إلي صفوف فاصلة من حملة الرماح والمناوشين وهجموا مرة أخري في تشكيلات متفرقة وأعداد متناقصة لكن بحماس شديد.

ويدأ كل الهجوم ظاهر للعيان الآن وصار من واجب الخيالة نظافة الميدان باسرع ما يمكن وترك بقية المهمة للمشاة ومدافع المكسيم واسرعت كل الدوريات وتحركت للخلف لسرياتها وتراجعت الأفواج بخفة إلي داخل الزريبة بينما ظلت القذائف من البوراج تصرخ فوقٍ الرؤوس واصبح كل الموقع يمور باللـهب والـدخان وأصـوات المدفعية تزداد هديراً.

ترجمة لصفحات من كتاب The River War: (حرب النهر) لونستون تـشرشلٍ الذي كان شاهد عيان لمعركة كرري واصـدر كتابـه سـنة ١٨٩٨م. وأصـبح رئيـساً للوزراء في لندن فيما بعد حيث قاد بلاده للانتصار الساحق في الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء.

الثقافة السنارية مصادرها ومدلولاتها

تعد سلطنة الفونج أحد الحلقات المهمة في التسلسل الحضاري السوداني وبصورة أشمل هي مرحلة احتوت كل إبداعات نواتج الحضارات السابقة لتنبعث مرحلة حضارية لاتزال معطياتها الثقافية سارية حتى الآن. ولقد توفرت عدة أسباب علي قيام سلطنة الفونج ١٥٠٤م وازدهارها واستمرارها في المحافظة علي وحدة السودان الموروثة منذ عهد نبته ٩٠٠ق .م. ومساهمتها في وضع الأسس الحضارية للدولة السودانية، التي ساهمت كل حضارات وأجزاء السودان في تشكيلها[1] ومثلت الثقافة مرتكزا أساسيا في نهضة سلطنة الفونج وقامت السلطنة علي الآتي:

أولا: اتفاق الكيانات السودانية في ذلك الزمن ممثلة القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع والقبائل المحلية بقبائل المحلية بقيادة عمارة دونقس علي قيام كيان السلطنة.

ثانيا: الاتفاق علي أن يكون نظام الحكم شبة كونفدرالي لذلك سميت الدولة باسم الأتحاد السناري، فنجد أن العبدلاب يحكمون مناطقهم من قري والحلفاية في وسط السودان ويمتدون شمالاً حتى ابوفاطمة عند الشلال الثالث، بينما تمثل قري سيادة الدولة التي مثلها العلماء[2].

رابعا: اعتراف السلطنة بأهمية العلماء في الدولة والاستماع إلي أرائهم واعتبارهم ممثلين عن الأمة، فنجد ودضيف الله في كتابه (الطبقات) يذكر دور الشيخ العالم إدريس ود الأرباب في القرن السابع عشر الميلادي في الدفاع عن مصالح الرعية أمام السلاطين في تلك الفترة، فيقول: "والملك أعطاه الحجز في كل شيئ طلبه ثم إن الشيخ دخل سنار واحد وسبعين مرة في مصالح المسلمين."[3]

خامسا: توسط العاصمة للدولة مما أعطاها حماية طبيعية وأصبحت مثل القلب من الجسد فهي تستطيع حماية كافة أجزاء الدولة والإشراف عليها وضح أسس التفاعل فيها.

---

١ صلاح عمر الصادق"خلفية تاريخية عن تطور اللامركزية في السودان" مجلة الخرطوم، العدد الحادي عشر، اغسطس ١٩٤٤م،ص ٣١.

٢ يوسف فضل حسن، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ ـ ١٨٢١، الخرطوم، الدار السودانية، الطبعة الثانية ١٩٧٢م. ص.ص. ٦٤،٦٧.

٣ ود ضيف الله (محمد نور بن ضيف الله) الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشعراء في السودان ، تحقيق يوسف فضل حسن ، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، ص ٦٠.

سادسا: انصهار كل جزئيات الدولة السنارية في كلياتها وانصهار هذه الكليات في الجزئيات فتوحدت الدولة بشكل متماسك قوي.

سابعا: التصاهر والمشاركة في سبل كسب العيش المحلية بين كيانات الدولة السنارية من عرب وسكان محليين مما أدي إلي التمازج القومي واستمرارية الدولة.[١]

*** الدلائل الثقافية من المصادر المكتوبة في الفترة السنارية**

لقد لعبت المصادر المكتوبة في الفترة السنارية دوراً مهماً في توضيح الحركة الثقافية داخل المجتمع كما ألقت الضوء علي دور المثقفين تجاه السلطنة والعلاقة بينهم، هذه المصادر كتبت إبان فترة سنار بعض منها بواسطة كتاب سودانيين أمثال ود ضيف الله وكاتب الشونة والبعض الآخر بواسطة الرحالة الأوروبيين أمثال جيمس بروس وجون لويس بوركهارد.

*** المصادر العربية: طبقات ود ضيف الله**

يعد كاتب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمحمد نور بن ضيف الله من المصادر الأساسية التي يعتمد عليها في معرفة حركة المجتمع في السودان وتاريخه وهو من الأشياء التي كونت الشخصية السودانية ويمثل أول عمل اعتمد علي الروايات الشفاهية وأخذ صفة التاريخ إذ أنه ارتكز علي هذه الروايات في التأريخ لحياة السودانيين الدينية والعلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والمعيشية في عصر الفونج (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م).

ومن خلال مجموعة من القصص عن العلماء والأولياء الذي كانت لهم سيطرة عظيمة علي أفكار وتصرفات الإنسان السوداني في تلك الفترة برز نسيج المجتمع السناري وانعكس ذلك علي الفترة الحالية[٢] ويمثل هؤلاء الأولياء والعلماء رواد ا للحركة الثقافية داخل المجتمع كما أخذوا ايضاً جانب المعلمين لأبناء وطنهم ، ولما تميزت به الحضارة السودانية بالاستمرارية فنجد مثلا أن معظم الأسر الدينية المعروفة اليوم مثل أسرة البادراب وآل الترابي والصادقاب والخوجلاب والمجاذيب واليعقوباب هم سلف العلماء والمتصوفة الذين ظهروا إبان دولة الفونج.

*** مخطوطات كاتب الشونة**

تعرف أيضاً باسم تاريخ ملوك سنار، وهي مخطوطة كتبها كاتب الشونة (أحمد ابن الحاج أبو علي) ١٧٨ ـ ١٨٣٨ ، وقام بتحقيقها كل علي حده و إصدارها في كتاب كل من مكي شبيكة والشاطر بصيلي عبد الجليل والمخطوطة توضح ضمن ما توضح دور

---

١ يوسف فضل حسن، مرجع سابق، ص.٤٢.

2 Hillelson, S, 'Tabagat Wad Dayfalah' Sudan Notes and Records (SNR). Vol .VI.2,1923.PP 191-230.

العلماء في الحياة في سنار في تلك الفترة وكيفية خلق جهاز علمي مترابط علي مستوي الدولة السنارية ويشير إلي هذه الحقيقة الشاطر بصيلي في مقدمة تحقيقه فيقول:

"منذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي بدأت في السودان حركة علمية طيبة لكتابة تراجم العلماء ورجال الدين من أهل البلاد، وبخاصة اولئك الذين سكنوا إقليم الجزيرة والمنطقة الشمالية القريبة من الخرطوم، وافتتح هذه النهضة العلمية المباركة الفقهية محمد النور ود ضيف الله ابن محمد بن ضيف الله الجعلي الفضلي بتأليف كتابه الذي عنوانه "الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان" وهو المشهور الآن باسم طبقات ود ضيف الله، ثم تلاه الشيخ محمد أحمد بن الحاج أبو علي المعروف بكاتب الشونة بتأليف كتاب عن تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية حتى عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م)".[١]

ويعزز مكانة العلماء في الدولة السنارية ما كتبه كاتب الشونة عن التوقير والتبجيل الذي يجده هؤلاء العلماء، ونلاحظ ذلك من خلال قوة التعابير وسموها عند وصفه دخول السيد/ محمد عثمان الختم مؤسس الطريقة الختمية إلي سنار في تلك الفترة ١٨١٦ م حين يذكر:

"وفي سنة ١٢٣٢ دخل بجزيرة سنار العالم الرباني أعجوبة أهل الزمان ، وختم أهل العرفان السيد محمد عثمان تلميذ السيد أحمد بن إدريس نفعنا الله بهما وببركة جدهما رسول الله صلي الله عليه وسلم وكل منهما له مناقب جليلة وكرامات جزيلة فلما جاء رضي الله عنه دنقله نزل إلي كردفان وأقام بها ما شاء الله ودعا أهلها إلي طريقه(طريقته) فتبعه كثير من الناس لما رأوا من بركته وصلاح حاله".[٢]

*** مخطوطة تاريخ العبدلاب**

لم تنشر أو تحقق هذه المخطوطة وهي من نسختين من تأليف عبد الله بن الأرباب الحسن ابن شارو بن عجيب بن أونسة بن الشيخ شمام بن عجيب الثالث من أسرة العبدلاب وكان أبوه كاتبا في حكمدارية غردون ـ وقد اطلع الكاتب علي صورة من هذه المخطوطة لدي بروفسير يوسف فضل ـ وهي أقل كثيرا في عدد صفحاتها عن مخطوطة ود ضيف الله وكاتب الشونة ـ محتويات الوثيقتين تعتمدان علي الروايات الشفاهية ولا

---

١ كاتب الشونة(أحمد بن الحاج ابو علي) مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية ، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦١م.

٢ نفسه،ص ٧٣.

تبعد عن الأخبار التي جاءت في تاريخ ملوك سنار وإن تضمنت وجهة نظر العبدلاب في تفسير الأحداث بما يتوافق مع توازنهم النفسي والتاريخي أقدم الوثيقتين ترجع إلي ١٩١٥م والمؤلف سمع عن هذه الروايات من أبيه وجده[١]، والمخطوطة تعد إضافة إلي الكتابات الثقافية في تلك الفترة من وصف الروايات الشفاهية Oral Tradition.

*** وثائق من عهد الفونج**

هناك مجموعة من الوثائق ترجع إلي فترة الفونج وتوجد بدار الوثائق القومية والبعض منها في أيدي الأسر والأفراد وقد نشر جزء من هذه الوثائق والجزء الاخر مازال ينتظر الباحثين لتحقيقه ونشره وغالبية هذه الوثائق هي عبارة عن وثائق تمليك للأرض وإنجازات وأسانيد الطرق الصوفية[٢]، وقد اقترن كل من النوعين من الوثائق السابقة الذكر مع العلماء في زمن السلطنة السنارية فنجد أن وثائق وإنجازات وأسانيد الطرق الصوفية هي عبارة عن الشهادات العلمية التي تعطي من قبل العلماء لتلاميذهم وذلك بغرض إجازة هؤلاء التلاميذ في أمور الدين والعلوم الأدبية مثل النحو وآداب اللغة وقد وجدت هذه الإجازات تقديرا كبيرا من السلطنة وعومل أصحابها بتقدير علمي كبير وهي تبرز نظرة الدولة للعلم والعلماء والحرية العلمية التي تتمتع بها المؤسسة العلمية.

أما وثائق تمليك الأرض فقد ارتبطت أيضاً بهؤلاء العلماء فقد درج سلاطين الفونج علي منح الأرض الزراعية للفقراء بعقود تمليك مكتوبة وممهورة بختم السلطان وذلك بغرض أن يستفاد من هذه الأراضي بواسطة الفقيه وتلاميذه في زراعتها والاستفادة من إنتاجها في إطعام التلاميذ ومريدي الفقيه، وهي عادة استمرت حتى الآن في القري فيما يعرف بالخلاوي أو المسيد كما نجد أن الجامعات والمؤسسات العلمية الحديثة سارت علي نفس المنوال وهو ما يعرف بنظام الأوقاف التي تكرس لدور العلم وخير مثال في وقتنا الحاضر وقف رجل البر البغدادي الذي أوقفه لجامعة الخرطوم.

ويشير أبو سليم وأسبولدنق إلي كيفية أن السلطنة السنارية في المائة عام الأخيرة من عمرها كانت قد اتجهت كلياً إلي العالم العربي في نظام مؤسساتها العامة واستخداماتها الحياتية وهذا كان نسبة إلي تأثير العلماء الذين أتوا من مصر والمغرب والحجاز ومجموعة من السودانيين كانوا قد التحقوا بجامعة الأزهر وعادوا ليؤثروا علي مجتمعاتهم بعلمهم.

---

١ يوسف فضل حسن، مرجع سابق،ص،ص٣١ـ ٣٤.

٢ يحي ابراهيم وعلي صالح كرار، مخطوطة دار الوثائق القومية كمصادر للدراسات السودانية، بحث مقدم لورشة عمل حول التوثيق والعمل الحقلي في العلوم الإنسانية بمعهد الدراسات الإفريقية الأسيوية جامعة الخرطوم ١٥ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٩١م.

Particulary during the last century of its existence، Sinnar drew heavily upon the institutions and usages of the arab world، this being affected by lilama coming from Egypt، the Magrib and hijaz. A number of Sudanese also attended al Azhar University and came back to influence their society.[1]

وخير مثال للأراضي التي تمنح للعلماء من أجل الإنفاق منها علي التعليم ونشر الثقافة ، وثيقة تمليك أرض مؤرخة بعام ١٧٥٢م صادرة من سلطان الفونج بادي بن نول ممنوحة إلي الشيخ عبد الرحمن ابن الفقيه خوجلي وهو من أكبر علماء الدين في تلك الفترة وله عدد كبير من التلاميذ والمريدين.[٢]

من كل المعطيات السابقة للفترة السنارية من كتابات الكتاب السودانيين والوثائق نستخلص بعض دلائل حركة الثقافية والمثقفين ونظرة معاملة السلطنة السنارية لهما في تلك الفترة من تاريخ السودان، وأختتم هذا الجزء من البحث باقتباس لحسن مكي في وصفه لبعض مضامين الثقافة السنارية والتي تتوافق بصورة كلية مع المضمون العام لهذا البحث في فكرته المركزية وإن اختلفت معه في تفسير بعض المسائل الشكلية التي لازالت من المواضيع الخلافية، وإن كانت لا تؤثر علي الحقيقة بشيء يقول حسن مكي:

"يكشف كتاب طبقات ود ضيف الله عن أهمية الحركة الفكرية في تكيف دولة الفونج ودور رجال التعليم والدعوة (٢٦٠ شخصية) وأهمل تدوين التاريخ السياسي وهو الكتاب الأساسي عن تلك الفترة ، مما يدل علي طغيان الحركة الفكرية وتنامي تأثيرها علي اوضاع المجتمع والسياسة والاقتصاد، ويؤكد ذلك أن المجتمع السوداني ما يزال يدين بالحب والولاء لرجال الدعوة والإرشاد الذين أرسوا دعائم حركة الدعوة والتعليم في دولة الفونج، ابتداء بأولاد جابر ومن تبعهم بإحسان، وإذ ولج خطاب هؤلاء إلي أعماق النفس السودانية وعمروا وجدان الأمة بحب الله وحب رسوله وماتزال أسماء هؤلاء الشيوخ والدعاة (حسن ود حسونة الميرغني...الخ) تقفز إلي شفاه الجماهير الجاهلة في حالات المرض والقلق والخطر، وتزار مزارتهم للتبرك وذبح النذور، ومع أن هذه المارسات من الضلالات والبدع التي نهي عنها الدين، إلا أن هذه الوقائع تكشف عن الأثر العميق لحركة الفكرية التي بذر بذورها هؤلاء الشيوخ حتى أصبحوا اساطير في ذاكرة الجماهير"[٣].

---

1 Mahammad Ibrahim Abu Salim & Jay Spoulding, Some Documents from Eighteenth , Centurey Sinnar, Khartoum. KUP, 1992.P.1

2Ibid,PP.17-19.

3 حسن مكي، الثقافة السنارية،المغزي والمضمون، الخرطوم، جامعة إفريقيا العالمية، ١٩٩٠م، ص.٣٩.

*الكتابات الأجنبية : ديفيد روبيني David Reubeni

ديفيد (روبيني) يهودي قدم من صحراء الخبر في الجزيرة العربية في طريقة إلي روما لمقابلة البابا في عام ١٥٢٢م ، وقد دخل السودان عن طريق ميناء سواكن بعد أن قدم إليها من ميناء جدة، ثم التحق بملك الفونج عمارة دونقس وادعي أنه رجل دين إسلامي قادم من مكة، وقد رحب به الملك علي أساس أنه عالم دين وشريف من نسل النبي الكريم ونجد نفس موقف الإعزاز والتكريم يتخذه الملك من عالم دين إسلامي حقيقي آخر قدم من مكة أثناء وجود روبيني واخبر هذا الشريف السلطان بأنه يملك كتابا من بيت النبي وأنه يحمل كثيراً من الفصائل الدينية للسلطان، وقد سر السلطان بذلك وأكرمة واعطاه هدايا كما أعطي أيضاً ديفيد روبيني.[١]

نلاحظ في جزء من رواية ديفيد روبيني كيف أن اهتمام سلطنة الفونج بالعلماء كان قد بدأت منذ بداية تأسيس السلطنة وخاصة في زمن أول سلاطينها عمارة دونقس وخاصة العلماء القادمين من مكة مصدر الإشعاع الديني في تلك الفترة وقد استمر تقليد الترحيب بالعلماء منذ ١٥٢٢م كأحد السياسات الثابتة لسلطنة الفونج حتى نهايتها في ١٨٢١م.

*شارلس بونسية: Charles Poncet

هو طبيب فرنسي قدم عن طريق مصر في ١٦٩٨ ـ ١٦٧٠ م في طريقه إلي أثيوبيا التي أوفد إليها بتعليمات من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر وذلك في إطار تدعيم العلاقات بين البلدين وقد وصل إلي سنار تنفيذا لهذه المهمة ويقدم لنا بونسيه وصفا للحياة ولمدينة سنار في تلك الفترة ، ومع أنه لم يذكر لنا وصفا للحياة الثقافية ولكن نستطيع أن ندرك اتساع الأفق الثقافي في سنار من خلال التنقيب في جزيئيات وصفه، فنجد يذكر أنه قبل دخوله سنار في منطقة قري وهي حاضرة العبدلاب كان من مهام حاكمها الرئيسي الكشف علي قوافل المسافرين القادمين إلي سنار من مصر والتأكد من خلوهم من مرض الجدري وقد أقيمت كرنتينة لذلك وقد أشار بونسيه إلي أن حاكم قري أظهر تحضرا كبيرا ولم يضعهم في الكرنتينة عندما علم أنهم في طريقهم إلي مقابلة إمبراطور إثيوبيا الذي يحمل تقديرا كبيرا.[٢]

ومن تحليل الجزئية السابقة من حديث بونسيه ندرك مدي الثقافة الصحية التي تمتع بها الفونج كما نعلم عظمة التحضر الذي تمتع به مسئولو السلطنة وقوة ومتانة

1 Hilleson, David Reubeni, "An Early Visitor to Sennar"SNR.VI.XVI.1933.I.P.59

2 Poncet.G.J . 'a Voyage to Ethiopia in the years 1698.1699 and 1970' in Wiliam Foser. (ed) The Red Sea and Adjacent Countries London..1949.P.101.

العلاقة الترابطية ما بين إثيوبيا وسلطنة الفونج والاحترام والتعاون بينهما. إن الجزئية الثقافية الثانية التي نستشفها من بونسيه وذلك عند وصفه لمقابلته لسلطان الفونج بادي الأحمر (١٦٨٩ ـ ١٧١٥ م) حيث يقول:

وكان الأمير يبلغ التاسعة عشر من العمر: أسود لكنه حسن الشكل وله ذو جلالة ومهابه وليس له شفاه غليظة ولا أنف عريضة (فطحاء) مثل بعض الموجودين وكان يجلس عاقدا رجليه علي سرير فخم تعلوه مظلة وبعد هذا الطراز الشرقي نجد هناك عشرين رجلاً كبارا في السن يحيطون بالملك، وقد سألنا الملك عدة أسئلة والتي أبرزت لنا مدي حب استطلاعه ليعرف عنا كما أوضحت ذكاءه ومن ضمن أسئلته فقد سأل عن أسباب زيارتنا ويبدو أنه يحمل كثيرا من التقدير والاحترام للإمبراطور الإثيوبي[1].

من الوصف السابقة لبلاط السلطان بادي الأحمر ندرك المستوي الرفيع المتطور الذي يتمتع به بلاط الفونج من تقاليد ملكية عريقة واعتماد الملك علي مستشارية من كبار السن للنصح والمشورة وإن كان هذا يؤيد برجاحة العقل والفطنة التي يتمتع بها الملك الشاب كما أشار إلي ذلك بونسيه ونستنتج بتجميع الجزيئيات السابقة أن هذا التطور الذي وصلت عليه السلطنة كان عن طريق العلم والمعرفة والثقافة.

*** ثيودور كرومب: Theodor Krump**

حضر كرومب إلي سنار سنة ١٧٠٥ ـ ١٧٠٨، مع البعثة البابوية التي أرسلها البابا من روما إلي ملك إثيوبيا في غندار ونشر نتائج رحلته إلي سنار في كتاب بالألمانية في ١٧١٠م يعد أحد المصادر الرئيسية لتأريخ سنار[2]، وقد جاء كرومب إلي سنار أثناء حكم السلطان بادي الثالث الأحمر ونجد أن نفس الظروف الحياتية التي سبق أن وصفها بونسيه في كتابه لا زالت سائدة في سنار وذلك لأن فترة دخولهم إلي سنار تكاد تكون واحدة، والبعد الزمني بينهم لايزيد عن خمس سنوات ونلاحظ أنه يغلب علي كتابات كرومب الطابع الديني ويقوم بناء علي ذلك بتفسير الأشياء في سنار حسب خلفيته الدينية المسيحية، لذلك فإن تطرقه لمسائل الثقافة الدينية يتم علي أساس هذا المنظور.

*** جميس بروس: James Bruce**

رحالة اسكتلندي زار سنار في ١٧٧٢م بعد قدومه إليها من الحبشة في رحلته

---

1 Ibid,P.103

2 Giovanni Vantini, Christianty in the Sudan. Italy , EMI.1981P.227

لاكتشاف منابع النيل الأزرق وقد قدم سنار وهو في طريقه إلي مصر وزار البلاط السناري، وتنفس بروس الصعداء بعد خروجه من إثيوبيا والتي كانت تعيش أوضاع متخلفة تمزقها الصراعات المحلية وذلك لأنه قد وصل إلي مكان أكثر ثقافة ويشير إلي هذا الآن مورهيد في كتابه النيل الأزرق حين يقول:

لقد صار بروس الآن بين مسلمي الصحراء، وفي وسعه أن يتوقع، علي أساس معقول جدا أن يجد هناك أسلوبا في الحياة أكثر ثقافة مما رآه بعينه في إثيوبيا المسيحية.[١]

ومن خلال وصف بروس لمقابلته للملك إسماعيل سلطان سنار في تلك الفترة ولرجال بلاطه وتحدثه مع الملك بالعربية التي يجيدها، نجد مدي الوعي الذي يتمتع به الملك ورصانة حواره معه ويرجع ذلك إلي الرجال المتعلمين الذين يحيطون بالملك في بلاطه حيث يذكر أنه كان يجلس في الحجرة وفي مواجهته أربعة رجال يلبسون ملابس قطنية بيضاء مع عمامات بيضاء تغطي رؤوسهم وعرف أنهم رجال دين وعلم وقانون وقد أوضح أحدهم للملك بعض الأمور التي تدور حولها المناقشة.[٢] ويتأكد مدي الوعي الثقافي الذي دار بينه وبين الملكة ستنا ملكة منطقة شندي والتي تتحدث بعمق وأدب عظيم علي حسب تعبير بروس[٣]، كما يصف شكل الملكة المهيب حيث يذكر أن لها أسنان وعيون لم ير أجمل منها في حياته.[٤]

نجد في وصف بروس للحياة في سنار من الناحية الثقافية كما نستنبطها من ثنايا كلماته استمرار التقاليد الثقافية العريقة بعد ٧٣ عاما من رحلة الطبيب الفرنسي بونسية لسنار، ودور رجال العلم في تدعيم أركان الدولة في علاقة متكافئة.

• جون لويس بوركهارد: John lewis Burchardt

رحالة سويسري الجنسية قام برحلاته في جنوب مصر والسودان والجزيرة العربية والشرق الأوسط بايفاد من الجمعية الجغرافية البريطانية التي قامت بالتمويل والإشراف علي رحلته وقام هو بإرسال تقارير عن رحلاته إلي مقر الجمعية في لندن التي جمعتها ونشرتها بعد موت بوركهارد الفجائي ودفنه في مصر، وقد نشر الجزء

---

١ الان مورهيد، النيل الأزرق، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م، ص [illegible] ترجم ج. سبولدنق Jay Spaulding جزء كبير من هذا الكتاب إلي الإنجليزية (٨٣ صفحة) بعنوان The Sudanese Travels of Theodor Krumb 1700-1702 علي ورق رونيو سنة ١٩٧٩م وهو المصدر الوحيد المتوفر عن هذه الرحلة بلغة اخري.

2 James Bruce, Travel to Discover the source of the Nile. Edinburgh.P.240

3 Ibid,P.241

4 Ibid, P 241.

الخاص بالسودان تحت اسم Travel in Nubia (رحلتي في بلاد النوبة) في ١٨١٩م ومن هذا الكتاب نقتبس وصف هذه الرحلة التي تمت في ١٨١٣م أي قبل ثماني سنوات من دخول محمد علي السودان ١٨٢١م.

لقد وصف بوركهارد كل مظاهر الحياة في السودان من خلال المناطق التي زارها وإن كان لم يصل إلي سنار عاصمة السلطنة السنارية وإنما وصل إلي الدامر وشندي ثم اتجه إلي التاكا ثم سواكن وهو في طريقه إلي الأراضي المقدسة، وندرك الوضع الثقافي في تلك الفترة من خلال وصف بوركهارد للحياة في مدينة الدامر حيث يذكر أنه توجد بالدامر مدارس اكتسبت شهرة عظيمة وأن طلابها من جميع أنحاء السودان مثل دارفور وسنار وكردفان، ويضيف أن المتعلمين في الدامر يملكون كثيرا من الكتب ولكنهم يتعاملون بصورة كبيرة مع الكتب الدينية والقانونية وتحضر هذه الكتب من مصر، ويصف مستوي التعليم فيؤكد أن في مدارس الدامر يدرسون قرأة القرآن الصحيحة ويقدمون محاضرات في التفسير والتوحيد والطبيعة الإلهية وصفاتها، فيقول:

In the school at Damer they teach the true reading of the Koran، and deliver lectures on the Tefsyr (explanation of Koran)' and the Touhad، or the nature of God and his divine atributes[1]

ويصف بوركهارد القوة الاجتماعية التي يتمتع بها هؤلاء الرجال المتعلمون من الفقهاء حيث يذكر أن القوافل تسير في كافة أنحاء السودان تحت مظلة حماية هؤلاء الفقهاء فنجد أن القوافل التي تتحرك من الدامر إلي سواكن تسير تحت امان شيخ المجاذيب فلا يقترب منها البشاريون ولايلحقون ضررا بأفرادها وذلك لقوة المكانة الدينية لهؤلاء الفقهاء والتي تتحول إلي قوة سياسية ملزمة للجميع وبرضائهم.

ما سبق هو توضيح للحياة الثقافية في نهاية عصر الفونج والتي ندركها من الاقتباسات التي أخذناها من كتابات بوركهارد والذي أسهب خاصة في وصفه للحياة التعليمية في الدامر وكما هو معروف أن الثقافة هي أكبر مظهر للتعليم وقد أخذنا الدامر كمثال من كتابات بوركهارد لفترة الفونج وإن كانت شندي والمتمة والتاكا وسنار وسواكن عاشت نفس الظروف الثقافية المتقدمة . وفي نهاية هذا البحث أشير إلي خلاصة هامة وهي اتفاق كافة الدارسين لفترة الفونج من السودانيين والأجانب علي أقرارهم لحقيقة ثابته وهي أن الأزدهار الثقافي الذي

---

1 John Lewis Burchhardt,' Travel in Nubia'. London . John Murray 1819.P.267

عاشته تلك السلطنة كان نتيجة للتوافق الذي تم بين العلماء والسلاطين ويوضح يوسف فضل دور السلاطين فيقول:

"شجع سلاطين الفونج والفور وملوك العبدلاب وتقلي وغيرهم قدوم العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية من مصر والحجاز والمغرب ليسهموا في نشر العقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها علي أسس علمية سليمة بين مواطنهم. وقد صادف فترة الركود الفكرية التي الت بالشرق العربي عندما كرس العلماء جهودهم لدرس العلوم النقلية مكتفين باختصارها لكتابة الشروح والحواشي". [1]

أما فيما يختص بدور العلماء فقد رأيت من حق الوفاء أن أختم هذا البحث لتوضيح دورهم تجاه أمتهم من كلمات أوردها أستاذنا محمد محجوب مالك في كتابه من رواد الثقافة الإسلامية في جزيرة الفونج حيث يقول:

خلاصة القول أن الموضوع الرئيسي لطبقات ود ضيف الله هو إعداد معجم الصالحين والشخصيات البارزة في مجال تدريس العلم وفنونه المختلفة المعروفة في تلك الأزمان وان الدور الهام الذي قام به أولئك الأعيان في مجال تعليم الكتابة وتحفيظ القرآن الكريم وتدريس علومه إلي جانب تدريس الفقه وغيره من العلوم وأجد صفوة من المستنيرين برز منهم بعض مشائخة الصوفية الذين كانوا يرشدون ويسلكون الطرق ونالوا حظوة لدي العامة ونالوا الزعامة الروحية التي خصصت لمبدأ الوراثة ولازال البعض يحتفظ بهذه الزعامة حتى الآن. [2]

---

١ يوسف فضل حسن، دراسات في تاريخ السودان، الجزء الأول، الخرطوم، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م. ص.١١٢.

٢ محمد محجوب مالك ، رواد الثقافة الإسلامية في جزيرة الفونج، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤م.ي‌ص.٤.

المـــــراجـــــع

المراجع العربية:

١/ الآن مورهيد، *النيل الأزرق*، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.

٢/ حسن مكي، الثقافية السنارية،المغزي والمضمون، الخرطوم، جامعة إفريقيا، ١٩٩٠م.

٣/ صلاح عمر الصادق،خلفية تاريخية عن تطور اللامركزية في السودان *مجلة الخرطوم*، العدد الحادي عشر، أغسطس ١٩٤٤م،ص.ص. ٢٨ ـ ٣٥.

٤/ كاتب الشونة(أحمد بن الحاج أبو علي) *مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية*، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦١م.

٥/ محمد محجوب مالك، *رواد الثقافة الإسلامية في جزيرة الفونج*، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤م.

٦/ ود ضيف الله (محمد نور بن ضيف الله) *كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والشعراء في السودان*، تحقيق يوسف فضل حسن، الخرطوم، جامعة الخرطوم، الطبعة الثالثة،١٩٨٥م.

٧/ يوسف فضل حسن، *دراسات في تاريخ السودان*، الجزء الأول، الخرطوم، جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م.

٨/ ......، *مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠ ـ ١٨٢١*، الخرطوم، الدار السودانية، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

المراجع الإنجليزية:

1/ Mahammad Ibrahim Abu Salim & Jay Spoulding، Some Documents from Eighteenth Century Sinnar، Khartoum University press.1991.

2/ Giovanni Vantini، Christianty in the Sudan. Italy ، EMI.1981.

3/ Hillelson، S، 'Tabagat Wad Dayfalah' Sudan Notes and Records (SNR). Vol .VI.2،1923.PP 191-230.

4/ David Reubeni، 'An Early Visitor to Sennar'SNR.Vol .XVI.1933.PP.55-66.

5/ James Bruce، Travel to Discover the source of the Nile. Edinburgh.

6/John Lewis Burchhardt،' Travel in Nubia'. London . John Murray 1819.

7/ Charles. J.Poncet . 'a Voyage to Ethiopia in the years 1698.1699 and 1970' in Wiliam Foster. (ed) The Red Sea and Adjacent Countries London. The Hakluyt Society.1949.

البعد الأثري والتاريخي
للأسماء الجغرافية في السودان

تقتصر دراسة الأسماء الجغرافية في هذه الورقة علي أسماء المعالم العمرانية ، أي الأماكن التي أنشأها الإنسان ومارس فيها نشاطاً ارتبط بحياته، وترك فيها بقايا دالة علي هذا النشاط وبتحديد أدق فإن الأسماء الجغرافية موضوع الورقة هي أسماء الأماكن ذات البعد الأثري والتاريخي. وعليه فإن الأسماء الجغرافية للمعالم الطبيعية لا تدخل في سياق ما ستطرق إليه إلا بقدر ارتباطها بالمعلم العمراني موضوع الدراسة.

معيارية تسمية المكان الجغرافي (الأثري التاريخي)

إن معيارية تسمية المكان الجغرافي تخضع لعدة أسس يعبر فيها الأسم عن هوية وذاتية المكان. قد تكون هذه الهوية لصفة فردية أو مجموعة من الصفات المتباينة يتميز بها الموقع . والتسمية قد تكون بناء علي خاصية طبوغرافية معينة، أي الأسماء المختلقة من معلم طبيعي ، مثل خور أبو عنجة وجبل موية. وقد تكون التسمية مشتقة من حيث هيئة الغطاء النباتي، مثل أبو حراز وأمبكول والشجرة والنخيلة أو قد تكون التسمية من حياة الإنسان مثل الجيلي والحاج عبد الله وأبو حمد، أو من حياة الحيوان، مثل أم أسودة والغزالة ويقبقتي. وكل الأسماء السابقة هي أسماء مواقع أثرية وتاريخية، وهي تسميات تميز الأماكن بعضها عن بعض، ونستطيع أن نتعرف عليها وندركها عن طريق هويتها ونستخدم إدراكنا لتركيب الكثير من الصفات والملامح في أذهاننا مثل موقعها الجغرافي وموضعها وبعض الأماكن الهامة بها، والأمر الذي يُمكننا من تكوين صورة عقلية متكاملة عن المكان الجغرافي من خلال الأسم.[1]

لقد خضعت أسماء الأماكن الأثرية والتاريخية لهذه الأسس. فنحن نستطيع من خلال الأسم أن نكون صورة ذهنية لشكل الموقع واللقي الأثرية. بل يمكننا أن نفترض الفترة التاريخية التي يعود إليها الموقع، وتثبت الحقيقة الميدانية صحة غالبية مثل هذه الافتراضات إن لم يكن كلها.

إن الموقع الأثري في أمبكول ـ أي أم دومْ ـ يدل أسمه علي وجود أشجار الدوم، وهو ذو طبيعة سكنية مستقرة، ويقع بالقرب من النيل. وفي شمال بربر نجد

---

١ البرير عثمان محمد ٢:١٩٨٤.

الموقع المسمي بالضانقيل ،أي الطوب الأحمر، ويرجع تاريخه إلي عصر مروي ٥٩٢ ق.م _ ٣٥٠ م، وهو عبارة عن مدينة سكنية كبيرة ويغطي سطحه الطوب المحروق (الطوب الأحمر). وكمثل اخير لتوضيح ما ذكرناه نأخذ الموقع المسمي بأم أسودة والذي يقع جنوب شرق مروي (البجراوية) علي بعد ٨٨ كيلومتراً من النيل يرجع هذا الموقع إلي فترة مروي، وقد اشتق أسمه من تماثيل الأسود من الحجر الرملي النوبي والتي توجد حول حفير لحفظ المياه[1]. مما سبق ذكره من أمثلة لأسماء المواقع الأثرية يتضح لنا أهمية دور الأسماء الجغرافية في ابراز المواقع الأثرية والتاريخية.

دور المؤرخين والرحالة العرب في دراسة الأسماء الجغرافية

قام المؤرخون والرحالة العرب بدور رئيسي في دراسة الأسماء الجغرافية كما يتضح ذلك من المعاجم اللغوية ومعاجم البلدان وكتب وصف المسالك والممالك والرحلات، وهو دور يكاد يجعل هذا العلم علماً عربي المنشأ والتطور. ولقد أولع هؤلاء الرواد بدراسة الأسماء الجغرافية وتحقيقها ووضعها وظروف تسميتها وأصولها اللغوية[2]،ودرسوها إتيمولوجياً في ذلك الزمن قبل أن تقنن هذه المصطلحات في علم اللغة.

من أمثلة هؤلاء العلماء: اليعقوبي (ت ٨٩٥م) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي الذي وضع كتاب "البلدان"،وابن حوقل (ت ٩٥٦م) أبو القاسم أحمد البغدادي واضع كتاب "صورة الأرض"، وابن سليم الأسواني (ت ٩٩٦م) عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني في كتابه "أخبار النوبة والمقرة والبجة والنيل" والإدريسي (ت ١١٦٥م) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف، في كتابه "صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس" وياقوت _ت ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي في كتابه "معجم البلدان في معرفة المدن والقري والخراب والعمار والسهل والوعر في كل مكان"، وابن جبير (ت ١٢١٧م) أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني، في كتابه "رحلة ابن جبير"، وابن بطوطة (ت ١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي في كتابه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، وابن عبد السلام(ت ١٥٢٥م) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام في كتابه "الفيض المديد في أخبار النيل السعيد".

---

1 Crowfoot 1911 (b) :69

٢ عبد الحي عبد الحق ١٩٨٤:٣.

من الأمثلة السابقة التي تمثل جزءاً يسيراً من الكتابات العربية عن الأسماء الجغرافية ندرك عظمة الاهتمام الذي أولاه العلماء العرب لهذا الفرع من المعرفة[1].

ونشير إلي أن هذه الكتابات شملت السودان، ويوضح ذلك عناوين بعض هذه الكتب التي حفظت لنا أسماء مواقع وصفات الكثير من المدن السودانية والتي بقيت في حالات عديدة المصادر الوحيدة التي ذكرت فيها هذه المدن. بعض هذه المدن التي ورد ذكرها في الكتابات العربية أصبحت معروفة الأمكنة ، في حين أن البعض الآخر لم تحدد أمكنته بعد. من أمثلة المدن مجهولة الأمكنة مدينة هجر ـ مدينة ملك البجة الحداربة التي ذكرها اليعقوبي . ولا زالت البحوث الأثرية والتاريخية واللغوية تجري بجد ومثابرة لتحديد أمكنة هذه المدن الهامة في تلك الفترة . ونجد اليعقوبي في كتابه "البلدان" يصف بلاد النوبة ومملكة علوة فيقول:

"ووادي العلاقي كالمدينة العظيمة، به خلق من الناس وأخلاط من العرب والعجم وبها أسواق وتجارات وشربهم من آبار تحفر في وادي العلاقي وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بني حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا عليها بالعيالات والذرية. ووادي العلاقي وما حواليه معادن للتبر، وكل ما قرب منه يعتمل فيه الناس بكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر، ثم يسبك .. ومن العلاقي إلي عيذاب أربع مراحل . وعيذاب ساحل البحر المالح يركب الناس منه إلي مكة واليمن ويأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب... فأما من قصد من العلاقي إلي بلاد النوبة الذين يقال لهم علوة فيمر ثلاثين مرحلة بعدها إلي كباو، ثم إلي موضع يقال له الأبواب، ثم إلي مدينة علوة العظمي التي تسمي سوبة وبها يتحرك ملك علوة والمسلمون يختلفون إليها، ومنها يأتي خبر ابتداء النيل ... ومن أسوان إلي أول بلاد النوبة الذين يقال لهم مقرا وبها موضع يقال له ماوا وبهذا الموضع كان زكريا بن قرقي خليفة أبيه قرقي ملك النوبة. ومن ماوا إلي مدينة النوبة العظمي التي لها ملك وهي سنل ودنقلة ثلاثون مرحلة ....ومن العلاقي إلي أرض البجة الذين يسمون الحداربة والكديين خمس وعشرون مرحلة . ومدينة ملك البجة الحداربة يقال لها هجر، يأتيها الناس من المسلمين للتجارة... والمملكة الرابعة يقال لها : جارين ، لهم ملك عظيم، وملكة ما

---

١ محمد حجاز مدثر ٢:١٩٨٤ـ٣.

بين بلد يقال له باضع وهو ساحل البحر الأعظم إلي حد بركات من مملكة بقلين إلي موضع يقال له حلج الدجاج.[1]

دور الأسماء الجغرافية في بعدها الأثري والتاريخي في حل المنازعات الحدودية

إن إحقاق حقوق سيادة الدولة علي أرضيها تمثل أهم مجالات الأسماء الجغرافية التي بواسطتها تستطيع أن تلعب دوراً في الحلول السلمية للنزاعات الحدودية ، حيث أن تحديد الحدود بين الدولة يرتكز علي مسميات أماكن وعلاقة هذه التسميات بمن حولها ، وعلي التطور التاريخي للاسم وارتباطه بإحداثيات تاريخ المنطقة والوضع الجغرافي قديماً. ومن خلال البعد الأثري والتاريخي نستطيع أن نربط الاسم بالمكان وبسياقه البيئي المحيط به.

ونشير إلي رئيس اللجنة القومية للأسماء الجغرافية اجتماعها الأول لعام ١٩٩٨م حيث يقول: "بقيت مشكلة تسمية أسماء المناطق بين السودان والدول التسع المجاورة .. ونحن نسمع الآن مشاكل الحدود التي تسببت في الحروب بين الجيران... وإذا عرفنا إن البحر لنا فيه عدد من الجزر فعلينا أن نسرع بإطلاق أسماء سودانية عليها. ونثبت سودانيتها قبل تتحول إلي مشكلة ونزاع بيننا وبين جيراننا"[2]

ويثبت الواقع المقدمات السابقة من حيث اضطراب أسماء الجزر في البحر الأحمر علي الساحل السوداني إذ نجد ، علي سبيل المثال لا الحصر ، جزيرة تقع شمال جزيرة سواكن مباشرة، وقد سميت جزيرة الكنداسة ، وهو النطق المحلي للاسم الإنجليزي (كوندنسر) (Condenser Island) الذي أطلقه عليها الإنجليز عند محاصرة جيوش المهدية بقيادة الأمير عثمان دقنة لجزيرة سواكن . لقد نتج عن حصار المدينة قطع المياه عنها وكانت تأتي إليها من آبار هندوب التي تقع بين التلال الشرقية خارج المدينة، مما أدي بالقوات الإنجليزية بقيادة جراهام إلي تكثيف مياه البحر (تحليتها) بالتبخير بواسطة مكثف (Condenser) وضع علي الجزيرة في عام ١٨٨٤م. ونزلت الجزيرة بهذا الاسم في الخرائط الرسمية ، في حين أنها كانت تعرف قبل هذا التاريخ لدي السكان المحليين باسم جزيرة عبد الله الجبرتي، ولا يزال ضريحه يوجد بالجزء الغربي منها، ويدل شكله العام علي أنه كان مبنياً من الشعب المرجانية[3]

أما بالنسبة للجزر التي تقع علي حدودنا الجنوبية للبحر الأحمر فنجد الكثير منها غير

---

١ مصطفي محمد مسعدة ١٩٧٣: ١٤ ـ ١٩،٢٣٩.

٢ صلاح عمر الصادق ١٩٢:١٩٩٥ـ ١٩٣.

٣ محمد محجوب مالك ، رواد الثقافة الإسلامية في جزيرة الفونج، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤م.ص.٤

مسمي ومن الجزر المسماه جزيرتان نجدهما في الخرائط الرسمية أعطيتا أسماء غير عربية أو مزدوجة، فإحداهما تسمي جزيرة (بهدور) في الخريطة رقم ٤٦ بين خط عرض ٨١٣° شمالاً وخط طول٣٨° ١٩َ شرقاً، وتعرف عند السكان المحليين بإسم جزيرة ابن عباس . والجزيرة الاخري نجدها في الخرائط المدونات الرسمية باسم جزيرة عيري أو الريح ، وتعرف عند السكان المحليين باسم جزيرة بني أمية، وهو اسم عربي[١].

وبعد الدراسة الميدانية والتقصي بواسطة علماء الآثار تأكد أن الأسماء العربية لهذه الجزر هي الصحيحة، وإذ توجد بهاتين الجزيرتين الكثير من الآثار الإسلامية من صهاريج مياه وفخار إسلامي وشواهد وقبور إسلامية ترجع إلي صدر الإسلام . نلاحظ أن بعض هذه الشواهد قد كتبت بالخط الكوفي والخط العربي غير المنقط كما أن جزيرة ابن عباس في مواجهة قبة ابن العباس في اليمن علي الساحل الشرقي للبحر الأحمر.

من هذه الأدلة ذات البعد الأثري والتاريخي ندرك قدم استيطان العنصر العربي للجزيرة (جزيرة ابن العباس) ، وذلك قبل ظهور الإسلام ، واستمر الإستيطان بعد ذلك حتى هُجرت الجزيرة . ويظهر إثبات قدم الإستيطان لهذه الجزر إذا علمنا أن أول من وضع النقط علي الحروف العربية هو أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد بن ابيه أمير العراق في عهد معاوية بن أبي سفيان في القرن الأول الهجري (عام ٦٧).[٢]

وجزيرة الريح هي ميناء باضع العربية التي ذكرها المؤرخ العربي الطبري في كتابه (تأريخ الرسل والملوك) ، حيث أشار إلي أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قد غرب في العام السادس للهجرة أبا محجن الثقفي إلي باضع وأشار إلي باضع أيضاً المؤرخ اليعقوبي كما ذكرنا سابقاً وأوردنا استشهاداً بذلك.[٣]

التطور التاريخي للأسماء الجغرافية في السودان

يقول يوسف الخليفة أبو بكر:

"والأسماء الجغرافية ـ كان وما يزل كثير منها ـ له معني محبب لآبائنا وأجدادنا. بعض هذه الأسماء لا يزل يحتفظ بمدلوله القديم المعروف لنا ، وبعضها لا نعرف معناه، لأن القرون تراكمت عليه كما تراكمت الرمل فوق الآثار فصار يحتاج إلي

---

١ تعمل في هذا المجال بعثة يابانية تابعة لمعهد دراسات الشرق الأوسط باليابان . وقد نشرت هذه الشواهد بمجلة كوش، العدد ١٦، ١٩٩٦.

٢ عباس محمد خير ١٩٨٤ :٤.

٣ انظر يوسف الخليفة ابو بكر ١٩٩٩:٧

تنقيب وتفسير وغوص في اللغات القديمة والحديثة لاكتشاف معناه[1]

مما سبق يتضح لنا أهمية الدوافع الأساسية لدراسة التطور التاريخي للأسم الجغرافي من خلال بعده الأثري والتاريخي واللغوي، الأمر الذي يحتم تضافر الأبعاد الثلاثة عن طريق مناهجها العلمية.

ولدينا مثال لتحقيق هذه الأبعاد الثلاثة ـ الأثري والتاريخي واللغوي ـ من خلال تتبع الأسم الجغرافي لاكتشاف مدينة طرواده (الساحل الغربي للبحر المتوسط في تركيا) . هذه المدينة من أهم المدن في التاريخ الإنساني وكان لها الفضل في إعادة صياغة تاريخ الحضارة الإنسانية. لقد اطلع هنريك شليمان Hanrich Schlimann (1820 J 1990) (وهو ألماني الجنسية بدأ حياته تاجراً) علي الياذة هوميروس الشاعر الإغريقي الأعمي (القرن التاسع ق.م) والتي وصف فيها حرب طروادة بين الأغريق في الجزر اليونانية والأغريقية علي الساحل الغربي للبحر المتوسط (الطروادة) وكان ذلك في منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وبينما كان الناس يعتقدون أن إلياذة هوميروس عبارة عن ملحمة خرافية من ابداع الشاعر الأعمي هوميروس ، كان شليمان يعتقد بصحة الأحداث رغم مرور ثلاثين قرناً عليها. ولاثبات ما يعتقد قام شليمان بتحقيق البعد اللغوي فتعلم اللغة الاغريقية إضافة إلي لغات أخري ، وكون بعثة بعد أن توفر له المال اللازم للعمل وتحرك إلي الساحل الغربي للبحر الأحمر المتوسط بتركيا حيث توجد طروادة كما جاء في الإلياذة ووقف شليمان في الكشف عن مدينة طروادة من خلال وصف هوميروس لمكانها.[2]

وفي السودان لدينا كثير من الإشكاليات في تسميات الأماكن الأثرية والتاريخية وانعكاس هذه الإشكاليات حتى علي أسماء الأماكن حديثاً ومثل ذلك أن لدينا موقعين يحملان نفس الأسم، هما الكوة بالضفة الشرقية للنيل الأبيض، والكوة المديرية الشمالية علي النيل شرق دنقلة. ومثلما اختلفت كل من المدينتين عن الأخري في التطور التاريخي فإنهما تختلفان أيضاً في البقايا المادية الدالة علي هذا التطور. وبينما نجد الكوة عند النيل الأبيض كانت تعرف باسم "أليس" في عهد الفونج وذكرت بهذا الاسم في كتاب الطبقات[3]، فإن الكوة الأخري (بالضفة الشرقية للنيل قبالة دنقلا) ذكرت باسم "كماتن Gematon" في معبد آمون الذي بناه تهارقا (٦٩٠ ـ ٦٦٣ ق .م) بالموقع.[4]

---

١ يوسف الخليفة ابو بكر ١٩٩٩ :٢

٢ فوزي عبد الرحمن الفخراني ١٩٩٣ : ١١٣ـ ١١٥.

٣ محمد النور ضيف الله (تحقيق يوسف فضل) ١٩٨٥ :٤٨، ٩٥، ٢٠٢،٣٣٣،٣٣٤.

4 Ahmed M,Ali Hakem 1988:100J106,118,131J133

ومثال أخر لما نحن بصدده تحديد موقع أول ميناء عربي في السودان ـ باضع ـ والذي ذكر بواسطة كثيرين من المؤرخين العرب مثل الطبري واليعقوبي. فقد نسي موقع هذاالميناء، واختلف الدارسون المحدثون حول مكانه حتى توصل العالم كروفرت (G.W.Crowfoot) إلي تحديد مكانه عن طريق تحليله لأحد القصائد التي ألفها شاعر عاش في تلك الفترة ذكر اسم ووصف باضع ، إضافة إلي إثبات الموقع نتيجة للدراسات الثرية التي أجراها هناك[1]. وهكذا نجد أنه تم التوصل إلي المكان الجغرافي نتيجة لدراسة البعد الأثري والتاريخي واللغوي للأسم الجغرافي الذي حفظته المصادر القديمة.

والأسم الجغرافي الأخير الذي نستخدمه كمثال لمنهجية دراسة تطور الأسم من خلال البعد الأثري والتاريخي هو اسم الموقع الأثري سوبا (سوبا شرق الحالية) . لقد ذكر هذا الموقع بعدة أسماء في فترات تاريخية مختلفة، وفي كل مرحلة كان يختفي استعمال الاسم السابق ويبقي فقط في النقوش الأثرية أو المصادر التاريخية. ذكر هذا الموقع باسم الت IIt في لوحة الملك المروي نستاسن Nastasen (٣٣٥ ـ ٣١٠ ق .م)، كما ورد نفس الاسم في نقش الملك الأكسومي عيزانا Aesanes (٤٥٠م)[2] في نهاية عهد مروي ، وعرف بِاللودياَ في العهد المسيحي، وسمي علوة بواسطة الكتاب العرب مثل اليعقوبي كما أوردنا ذلك من قبل، كما ذكرت بإسم سوبة في عهد الفونج (١٥٠٤ ـ ١٨٢١ م). وهذا الاسم الأخير هو المستعمل حاليا وإن كان يكتب أحيانا سوبا (بالألف بدل التاء المربوطة). [3]

منهجية ودراسة التطور التاريخي للاسم الجغرافي

إن خير تعبير عن الهدف من دراسة التطور التاريخي للأسم الجغرافي هو ما جاء في ديباجة أهداف المؤتمر القومي الثاني للأسماء الجغرافية:

" *يهدف المؤتمر إلي تأصيل الأسماء الجغرافية السودانية المقصود بعبارة الأسماء الجغرافية أسماء المعالم العمرانية والطبيعية، والمقصود بالتأصيل وصل هذه الأسماء بتراث الأمة السودانية الحضاري فكراً وتاريخاً ولغة، ووصل ماضيها بحاضرها، وذلك من خلال الأسماء التي أطلقتها الأجيال المتعاقبة علي هذه المعالم منذ أن عرف الإنسان وإلي يومنا هذا الأسماء وعاء الحضارة، لأن الأسماء ألفاظ لغوية، واللغة هي الوعاء الأوسع للفكر والحضارة*[4]

---

1 Crowfoot (a) 1911:552J554

2 Shinnie 1961:P.II

٣ ود ضيف الله ١٩٨٥: ٢٦٣.

٤اللجنة القومية للأسماء الجغرافية . المؤتمر الثاني للأسماء الجغرافية ١٩٩٩. الأسماء ١٩٩٩:١٩.

تتطلب منهجية دراسة التطور التاريخي للأسم الجغرافي في السودان إعداد قائمة باسم المواقع الأثرية والتاريخية تشتمل علي رقم الخريطة وأبعاد الموقع، بالإضافة إلي وصف مختصر له مع ذكر المصدر الذي ورد فيه اسم الموقع. وتعالج هذه المعلومات كمبيوترياً داخل نطاق فحص وتقرير الشكل والتهجئة والمعني والنطق والأصل والتاريخ للأسماء الجغرافية في السودان علي أن تكون المعلومات البيانية علي الشكل الآتي:

الأسم حالياً	الخريطة	الاحداثيات	مقياس الخريطة	إصدار
سوبا SOBA	ND.36.B.	١٣° ٣٢´ ٤٠´´ ١٥´	١,٢٥٠,٠٠٠	مصلحة المساحة السودانية

الاسم سابقاً	تاريخ ذكرها تقريباً	المصدر	ملحوظات
الـIIt	٣٣٥ ـ ٣١٠ ق.م	لوحة الملك المروي نستاسين جبل البركل متحف برلين ـ ألمانيا	عصر مروي
الـIIt	٣٥٠ م	نقش الملك الأكسومي عيزانا المسيحي	نهاية عصر مروي
اللوديا	٥١٦ ـ ٥٨٦م	التاريخ الكنسي ليوحنا لافسوسي ، نسبة إلي أفسوس باليونان	العصر المسيحي
علوة	٨٧٤م	تاريخ البلدان اليعقوبي	العصر المسيحي
سوبة	١٧٠٠م	طبقات ود ضيف الله	عهد الفونج

هذا ، وستكتب الأسماء بالحروف الرومانية تطبيقاً لتوصيات المؤتمر الدولي الثالث للأسماء الجغرافية الذي انعقد عام ١٩٧٣.[1]

أكدت الورقة علي أن هناك معيارية لتسمية المكان الجغرافي ـ الأثري التاريخي، وأن هذه المعيارية تنعكس علي الأسم بصورة تبادلية، وأن الدراسة التحليلية لهذه

---

١ صلاح عمر الصادق ١٩٨٤: ٤.

المعيارية تفتح لنا مجالاً واسعاً لاكتساب المعومات في المجال الأثري والتاريخي وتساعد علي خلق تراكمات معرفية يحتاجها.

من جانب آخر أبرزت الورقة الدور الكبير الذي لعبه المؤرخون والرحالة العرب في نشوء وتطور دراسة الأسماء الجغرافية حتى لتكاد تلك الدراسة أن تكون علماً عربياً .لقد وردت أسماء كثيرة من هؤلاء والمصادر التي تركوها ، وهي مصادر كان فيها للأسماء الجغرافية في السودان نصيب وافر، الأمر الذي حفظ لنا الكثير من جزئيات التاريخ السوداني وأيضاً كيانه، وخير مثل لذلك كتاب "البلدان" لليعقوبي.

توضح الورقة أيضاً كيفية الاستفادة من الأسماء الجغرافية في المساهمة في حل النزاعات الحدودية، وذاك من خلال تثبيت الإسم التاريخي المرتبط ببيئته وصورته والعمل علي إنزال ذلك في الخرائط الرسمية للدولة.

ومن خلال دراسة البعد الأثري والتاريخي للأسماء الجغرافية في السودان نستطيع توضيح تطور الموقع التاريخي وتغير أو ثبات اسمه خلال الحقب التاريخية المتعاقبة. وهذا يزيل كثيراً من إشكاليات تعددية التسمية أو تغيرها أو صعوبة نطقها أو تهجيئتها . لقد أوردت الورقة أمثلة بذلك، وأشارت إلي مواقع لا نستطيع تحديد مكانها ، كما أن لدينا أخري لا نعرف أسماءها القديمة.

كل ما سبق قادتنا إليه منهجية لدراسة التطور التاريخي للاسم الجغرافي، وقمنا بعرض الجداول الخاصة بذلك واضعين في الاعتبار أن يكون تصميمها بحيث يسمح بإدخالها إلي الكمبيوتر لحفظها ومعالجتها.

المـــراجـــع

المراجع العربية:

*البرير عثمان محمد: تقرير لجنة المعالم الجغرافية. *المؤتمر الأول للأسماء الجغرافية*، مارس ١٩٨٤، المنعقد بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.

* اللجنة القومية للأسماء الجغرافية: المؤتمر القومي الثاني للأسماء الجغرافية ٦ ـ ٨ أبريل ١٩٩٩ الأسماء، العدد الأول ١٩٩٩.

* صلاح عمر الصادق: تقرير لجنة المعالم العمرانية المؤتمر الأول للأسماء الجغرافية، مارس ١٩٨٤، اللجنة القومية للأسماء الجغرافية المنعقد بمعهد الدراسات الأفريقية ةالآسيوية، جامعة الخرطوم.

* صلاح عمر الصادق: سواكن بين الأسطورة والواقع. *مجلة الخرطوم*، العدد (١٧) أكتوبر ١٩٩٥.

* عباس محمد خير: تقرير لجنة المعالم البحرية المؤتمر الأول للأسماء الجغرافية، مارس ١٩٨٤م. بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.

* عبد الحي عبد الحق: البحث اللغوي بين الأسماء الجغرافية والمصطلحات الجغرافية في اللغة المؤتمر الأول للأسماء الجغرافية، مارس ١٩٨٤، المنعقد بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.

* فوزي عبد الرحمن الفخراني: *الرائد في فن التنقيب عن الآثار*. بنغازي، جامعة قاريونس ١٩٩٣.

* محمد النور ضيف الله: كتاب *الطبقات في خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان*، تحقيق يوسف فضل. دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٥ (الطبعة الثالثة).

*محمد حجاز مدثر: المفهوم القومي للأسماء الجغرافية ودور اللغة في ذلك. المؤتمر الأول للأسماء الجغرافية، مارس ١٩٨٤، المنعقد بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.

مصطفي محمد مسعدة: *المكتبة السودانية العربية*، جامعة القاهرة بالخرطوم، ١٩٧٢.

يوسف الخليفة أبو بكر: أضواء علي الأسماء الجغرافية. *الأسماء*. العدد الأول، يناير ١٩٩٩.

المراجع الإنجليزية:

* Ahmed M. Ali Hakem (1988): Meroitic Architecture: A Background of an African Civilization .Khartoum University Press.
* J.W. Crowfoot (1911a):"Sea Ports in the Anglo-Egyptian Sudan". Geographical Journal ،Vol.XXXVII، May 1911.
* J.W. Crowfoot (1911b): The Island of Meroe. London.
* P.L.Shinnie :'Excavation at Soba'.SAS.OP. No.3.1961. Sudan Antiquities Service Occasional Papers.

من إشكاليات التاريخي الأفريقي :
قباب الأتراك تراث تاريخي قومي

هناك عدة إشكاليات تواجه التاريخ الأفريقي عامة وقد تفرعت وتنوعت هذه الإشكاليات وإن كانت في جوهرها ذات طبيعة واحدة، فهناك مساران للتاريخ الإفريقي ، المسار الرئيسي علي مستوي المجتمع المحلي الإفريقي، هو أنه تاريخ شفاهي Oral Tradition واقتضت ذلك طبيعة المجتمع الثقافية، أما المسار الفرعي علي مستوي المؤرخين الغربيين هو تاريخ مدون اقتضت ذلك ظروف استعمار هذه الدول الإفريقية ومن هنا بدأت احدي الإشكاليات الكبرى في التاريخ الإفريقي حيث نجد مسار التاريخ في إفريقيا يسير في اتجاهين متعاكسين متضادين فنجد ما دونه المؤرخ الغربي يتناقض مع ما أورده المؤرخ (الراوي) الإفريقي المحلي، وإن كان هذا لا ينفي التلاقي في بعض الأحيان.

ومما أدي إلي تفاقم الإشكاليات وبروز إشكالية أخري تناقص أعداد الرواة الأفارقة (المؤرخين المحليين) الذين يحملون تاريخ أوطانهم في صدرهم، ومن هنا بدأ ضمور الذاكرة الشعبية في أفريقيا.

إدراكا لأهمية هذه الإشكاليات في التاريخ الإفريقي نجد منظمة اليونسكو (UNESCO) (منظمة الأم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) قامت في عام ١٩٨٥م بإخراج أكبر عمل ثقافي تاريخي وهو كتابة عدة مجلدات ضخمة بلغ عددها حوالي ثمانية مجلدات استكتب لها مجموعة من العلماء المختصين في التاريخ الإفريقي من داخل القارة وخارجها، وصدرت تحت عنوان (تاريخ إفريقا العام) وتشمل عصور ما قبل التاريخ و العصور التاريخية الحديثة في القرن الحالي.

وبالرغم من أن هذا العمل يصب في محاولة حل أحدي إشكاليات التاريخ الإفريقي وذلك بخلق التوازن مابين التاريخ الشفاهي والمكتوب ولكن لازالت الإشكاليات قائمة، فهنالك إشكاليات اللغة التي من الواجب الكتابة بها، فنجد أن التاريخ الإفريقي المدون قد كتب بلغات أوروبية غير مفهومة لغالبية سكان إفريقيا كما أن معظم التاريخ الشفاهي الإفريقي هو بلغات غير مدونة ، وخير مثال لذلك قبيلة الدينكا في جنوب السودان ، والتي تعتبر من أكبر القبائل الإفريقية ، نجد أن لغه هذه القبيلة غير مدونةبالرغم من ثراء وضخامة تراثها الشفاهي ولا نود الخوض في هذه الإشكاليات إنما أوردناها كإحدى الإشكاليات التي تواجه التاريخ الإفريقي.

وفي هذه الورقة الحالية نناقش من خلال أحد الأمثلة أحدي إشكاليات تاريخ

السودان الافريقي وهي بطبيعة الحال احد إشكاليات تاريخ السودان المتمثلة في إعادة كتابة هذا التاريخ.

وفي إطار الدعوة إلي كتابة تاريخ السودان والتي وجدت قبولا تاما بين المؤرخين والدارسين السودانيين وذلك اقتناعا بالأسباب التي أوجبت الدعوة لإعادة كتابة هذا التاريخ وبناء علي ذلك فقد شكلت لجنة لهذا الغرض دعت المعنيين بتاريخ السودان للمساهمة في هذا العمل ، ولكن بالرغم من كل ذلك فقد أحجم المؤرخون والباحثون في تاريخ السودان عن البحث في هذا الأمر ، رغم إدراكهم لأهمية وحتمية البدء فيه، ويرجع ذلك إلي عدم الرغبة في الخوض في مناقشة ما يعتقد أنه من المسلمات التاريخية، والعمل بالمثل القائل "خطأ شائع خير من صحيح نادر" وقد قنن لهذا الأمر بقصد الاستعمار والمؤرخون البريطانيون في السودان إضافة إلي أن تاريخ السودان الحديث قد رتب في بعض الأحيان لإرضاء بعض الكيانات السياسية، كما أن بعض الأحداث تعتبر مناطق ممنوعة الخوض فيها وذلك حفاظا علي موازنات معينة داخل المجتمع ، وقد اقتصرت مناقشة بعض الموضوعات التي تدخل في نطاق إعادة كتابة تاريخ السودان داخل القاعات العلمية فقط والمؤتمرات شبه المقفولة، وينطبق هذا الأمر علي التاريخ الإفريقي عامة حيث إن تاريخ الأقطار الإفريقية لم يكتب بواسطة أبنائها.

وأشير إلي نقطة مهمة تتطلب إعادة دراسة الفترة التركية في السودان مثلاً وهي أن ما كتب عن الفترة التركية (١٨٢١ ـ ١٨٨٥) كتب بعد حملة كتشنر ومعركة كرري ١٨٩٨م بواسطة المؤرخين البريطانيين والذين هدفوا إلي إبعاد السودانيين عن الوقوف بجانب الخلافة الإسلامية والتي يمثلها سلاطين آل عثمان في تركيا في ذلك الزمن والتي وقفت إلي جانب دول المحور ضد بريطانيا في الحرب العالمية الأولي (١٩١٤ ـ١٩١٨م) وهدفت هذه السياسة الإنجليزية أيضاً إلي تخفيف وإخفاء مجزرة كرري والتي راح ضحيتها أكثر من أحد عشر ألف سوداني في عدة ساعات تاركة هذه المأساة المعاشة والتي مازالت صورتها ماثلة أمام أعين الذين عاشوها[1] مقدمة صورة مبالغ فيها عن قسوة حملات الدفتردار أثناء الحكم التركي. رامية من ذلك إلي إبراز صورة مشوهة للحكم الذي سبقهم ولحكم المسلمين بواسطة أنفسهم، وقد كان من مخططي سياسة التشويه للفترة التركية المؤرخ البريطاني رتشارد هل

١ ونستون تشرشل "حرب النهر ؟ صفحات من حرب النهر" ترجمة صلاح عمر الصادق ، مجلة سواكن العدد الأول ١٩٩٨م ص،ص ١٧ ـ ١٨ .

Richard Hill في كتبه التي ألفها أو التي قام بترجمتها، ونجد ذلك في أوضح صورة في كتاب "علي تخوم العالم الإسلامي"[1] On the Frontiers of Islam كما شوهت وحرفت هـذه الكتابات فترة حكم المهدية (١٨٨٥ ـ ١٨٩٨م) ونجد أسوأ صورة لهذا التشويه والتحريف ما كتبه سلاطين Salatin في (السيف والنار في السودان) [2] Fire and Sword in the Sudan إضافة إلي ذلك فقد عملت السلطات البريطانية علي تدريس ذلك في المـدارس كجزء من السياسة الاستعمارية البريطانية الرسمية وقد وردت صورة مشوهة ومحرفة لفترة التركية والمهدية في كتاب (تاريخ السودان القديم) [3] والذي كـان يـدرس علـي مـستوي المدارس الوسطي في كل أنحاء السودان.

وينبغي أن لا نحكم علي هؤلاء الدارسـين الغـربيين إبـان الفـترة الاسـتعمارية بمنظورنا العلمي الحالي فيما يختص بموضوعية البحث العلمي من حيث عدم التحيز Bias ، فلم يكن التقيد بمناهج البحث والالتزام الصارم بالحياد العلمي في ذلك الزمن معمولاً به كما هو حالياً إضافة الي أن أسس هذا العلم نجدها قد اكتملت حديثا.

لقد كان هؤلاء العلماء أبناء بلدانهم وزمانهم، فهم أبناء دول استعمارية خرجت لتخضع شعوباً حرة لسيطرتها، أما الزمن فكان زمـن التـسابق الاسـتعماري المحمـوم المشكل لكل الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية لخدمة أهداف الاستعمار .

عملت الدول الاستعمارية علي إخـضاع العلـوم في جميـع تخصـصاتها العلميـة والأدبية لخدمة تكوين إمبراطوريتها، وكانت الجامعات الأوربية تعمل علي تخريج علماء دارسين ليعملوا في المستعمرات وليوطنوا سيادة دولهم بـالعلم الـذي اكـسبوه لخدمـة أهداف الاستعمار البريطاني وخاصة في أفريقيا، وخير مثـال لتنفيـذ هـذه الـسياسات الاستعمارية هو تأسيس مكتب في عام ١٨٩٦م في لندن يسمي مكتب "علم الأثنولوجي لبريطانيا العظمي (Bureau of Ethnology for Great Britian) ليجمع المعلومات عن السكان المحليين في المستعمرات البريطانية حتى يسهل حكمهم .

وقد رأينا أن نقتبس هنا ما أورده سيد حامد حريـز في توضـيحه العلمـي لهـذه السياسات الاستعمارية وكيفية توظيف العلم والعلماء لهذا الغرض فيقول:

---

1 T.Hill on The Frontier of Islam, Calavendon Press, Oxford .1970.

٢ سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، دار الجيل بيروت ١٩٨٨م

٣ شعبة التاريخ ببخت الرضا، تاريخ السودان، الطبعة الثلثة، ١٩٦٢م، ص.ص ٩٧-٩٨، ١٣١، ١٣٩.

" No only anthropological data but also anthropologist themselves were pressed into service of British colonialism. In 1908. Sir Reginnals Wingate، Governor General of the Anglo Egyptian Sudan ، requested Oxford and Cambridge universities to train candidates in anthropology for the civil service in the Sudan. C.G. Seligman and lates E. Evans Pritchard and S.F.Nadel، were employed by the Sudan Government with the hope of Utilizing their anthropological expertise in administration . Also in 1908 the position of 'Government Anthropologist" was introduced in some African colonies [1]

أما كتابة تاريخ السودان فنجد كتب في زمن الاستعمار وخاصة في مستواه الرسمي وعلي جميع مراحله التاريخية ، منذ عصور ما قبل التاريخ (عصر حجري قديم ووسيط وحديث) مرورا بالعصور التاريخية القديمة (فرعونية ، كرمة ، نبتة، مروي مجموعة مجهولة ، مسيحية ، فونج ، داجو ، تنجور ، فور وعربية إسلامية بشرق السودان) ومازال كثير من الإشكاليات التاريخية في تفسير مراحل تطورنا التاريخي لم تتم معالجتها حتى اليوم وقد وضعت هذه الإشكاليات من قبل الدارسين الأوربيين إبان الفترة الاستعمارية ، بعض منها بغرض و آخر لخطأ في التفسير، إضافة إلي الكتابة عن فترة التركية والمهدية والحكم الثنائي.**

ومجمل القول أن الذين انتصروا في معركة كرري هم الذين كتبوا التاريخ وكما قيل إن المنتصر هو الذي يكتب التاريخ، وتشير هذه العبارة إلي أنه يكتبه بما يتوافق مع وجهة نظره مفتخرا بهذا الانتصار مكرسا فكرة ونفسه له.

إن الذين كتبوا تاريخ السودان إبان الفترة الاستعمارية والذين عاشوا وساهموا فيها ينقسمون إلي عدة فئات منها علي سبيل المثال بعض هؤلاء الكتاب وبعضا من كتبهم:-

١) سجناء المهدية من الأوربيين الذين قبض عليهم أثناء الثورة وأطلق سراحهم بعد معركة كرري أو قبلها مثل رودلف سلاطين Rodelf Slatin في كتابه Fire and Sword in the Sudan 1878 – 1895 ونيوفلد C.Nufeld في كتابه A prisoner of the Khalifa والأب أورهالد J.Ohrwalder في كتابه Ten Years of Captivity in the Mahdist Camp .

---

1 Sayyid H. Hurreiz. Studies in African Applied Folklore. IAAs. University of Khartoum , Khartoum . 1986 .PP.21.22

** انظر في هذا الموضوع أحمد محمد علي الحاكم ، هوية السودان الثقافية: منظور تاريخي، الخرطوم، جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩٩ ، ص ص ١٦ ، ٢٧.

٢) رجال المخابرات أمثال نعوم شقير في كتابه جغرافية وتاريخ السودان وأدورد عطيه An Arab Tells his Story وب . م هولت P.M. Holt The في كتابه Mahadist State In the Sudan 1881-1898 .

٣) رجال حكم أمثال جاكسون H.G.Jackson في كتابه Tooth of Fire وماك مايكل H.A. MacMichael في كتابه History of the Arab in the Sudan .

٤) رجال إدارة أمثال رتشارد هل Richard Hill في كتابه Egypt : in the Sudan 1820-1881

وكروفورد O.G.S. Crawford في كتابه The Fung Kingdom Of Sennar وأنطوني أركل A.J.Arkell في كتابه History of The Sudan .

ونشير إلي حقيقة مهمة هي أن هؤلاء الإداريين والذين كانوا ينفذون سياسة بلادهم الاستعمارية في مستعمراتها كانوا بعد تقاعدهم قد أصبحوا أساتذة للتاريخ في جامعة الخرطوم أمثال ساندرسون G.N.Sanderson وقد أصدر عدة كتب عن السودان نذكر منها England Europe and the Upper Nile وبعضهم في جامعات الإنجليزية مثل رتشارد هل Richard Hill في جامعة درام University of Durham ، وب . ل. شيني P.L. Shinnie في جامعة كلقاري University of Galgry بكندا.

وتأكيدا لما ذكرته سابقا رأيت هنا أن أورد بالنص ما ودره الرائد عصمت حسن زلفو في مقدمة كتابه (كرري) عندما يشير إلي المصادر الأجنبية التي أوردت معركة كرري فيقول:ـ

"فالطريقة التي تناولت بها المصادر التقليدية جيش المهدية غير موضوعية فعندما يهجم لواء الفرسان الضعيف البريطاني هجوما أخرق وفي وضح النهار علي الرشاشات والنيران الروسية ويباد عن أخره تتطاير الأشعار والأغاني لتمجد الشجاعة والبطولة والتضحية، عندما يقتحم عشرات الآلاف من جيش الخليفة خضم النيران الهائلة وهم يذودون عن حياضهم ، يباد الآلاف دون أن يتقهقر منهم رجل واحد. تراهم يوصمون بأنهم دراويش Dervishes *ومتوحشون* Savages *وغلاة المتعصبين* Fanatics *تماما كالمتلقين الذين عندما يتحدثون عن الرجل القوي أو الغني يعتبرون تهوره شجاعة، وجبنه حكمة.*

قلت إنني لم أعر هذا الأمر التفاتاً كبيرا فهو أمر طبيعي، فهم كانوا أعداء الخليفة ، فالمتصر يكتب التاريخ علي هواه، وللنصر أباء كثر، ولكن الهزيمة ابنة يتيمة، ولكن عندما يؤثر هذا الأمر ويتدخل في تقويم الحقائق نفسها كتعداد جيش الخليفة أو تحركاته أو عملياته، أو تخطيطه بدأت أعطي اعتبارا أكبر للاختيار ... ، فمصدر المعلومات الذي استقي منه المؤرخون لمعركة أم درمان كان واحدا وهو شعبة استخبارات الجيش المصري وعلي رأسها ونجت، شقير وسلاطين، فهي التي تنشر تقارير وهي التي حددت ما ينشره الكتاب والمراسلون الحربيون الذين شهدوا المعركة.

وستعجب كل العجب عندما نري الفارق الكبير بين المعلومات التي وردت في مفكرة الاستخبارات اليومية Field Intelligence diary *المكتوبة بقلم الرصاص ولم تطبع أو تنشر بعد وبين التقارير التي طبعت ونشرت، أو ما شاهده قادة السردار أنفسهم الذين اشتبكوا مع جيش الخليفة و أوردوه في تقاريرهم الرسمية التي لم تنشر أيضاً ، وبين التقارير الرسمية التي نشرت واعتمد عليها، ولم يجرؤ علي مخالفتها كل من قدم المعركة.*[1]

ومن أهم الأسباب التي تستدعي إعادة كتابة تاريخ السودان هو إهمال التاريخ الشفاهي Oral Tradition وعدم الاستعانة به في الكتابة رغم أهميته والاعتماد أساسا علي الوثيقة والتي لا تخلو في بعض الأحيان من الغرض أو حملها علي وجهة نظر صاحبها، إضافة إلي أن التاريخ الشفاهي يمثل ما اختزنه السكان المحليون عن تاريخ بلادهم وهو وسيلتهم لنقل أحداث الماضي من السلف للخلف، وهذه حالة وضع بقية التاريخ الإفريقي فقد اعتمد الأفارقة في توصيل تاريخهم علي الروايات الشفاهية والتي يتوارثونها عبر الأجيال ومن دلائل إدراكهم ومعرفتهم التامة بتاريخهم نجد أن لديهم ملكيات وإمبراطوريات ضاربة في أعماق التاريخ مثل إمبراطورية كانم برنو في غرب إفريقيا وسلطنة الفور في غرب السودان ومملكة أكسوم في الحبشة وقد قام نظام الحكم الوراثي في هذه الكيانات الحاكمة علي تراث شفاهي كبير.

وكما أشرنا سابقا فإن المؤرخين الأوربيين قد أهملوا تماما التاريخ الشفاهي في كتاباتهم عن تاريخ السودان بصفة خاصة أو الأقطار الإفريقية بصورة عامة، علي الرغم من أن هناك علوما كانت قد وضعت الأسس المنهجية العلمية لدراسة التاريخ

---

1 Sayyid H. Hurreiz. Studies in African Applied Folklore. IAAs. University of Khartoum , Khartoum . 1986 .PP.21.22

الشفاهي، وتأتي علي قائمة هذه العلوم علـم الفولكلـور Folklore والـتي أثبتـت أساليبه نتائج علمية دقيقة ويعتمد عليها في كتابة التاريخ الإفريقي الآن.

هذا ما كان من أمر المـؤرخين الغـربيين في إسـقاط دراسـة التـاريخ الـشفاهي السوداني، ولكن نجد أن نفس الموقف قد تبناه المؤرخون السودانيون الكاتبون لتاريخ السودان وإن كان بنسب متفاوتة وإن يكن الموقف هو الموقف، وقد أشار إلي ذلـك عبد الله علي إبراهيم في عمله القيم حول هذا الموضوع، فنجده يقول:ـ

"In contrast to traditional and amateur historians، the modern Sudanese historian has shown a strong bias against oral tradition by restricting its collection and use for periods where're Written Sources are Scarce or absent. This attitude to evidence reveals more about the nature of the training of the historian than the value of oral tradition "[1]

وكانت من النتائج المهمة التي يستخلصها عبد الله علي إبراهيم من دراسته هـو أن موقف هؤلاء المؤرخين السودانيين يبرهن بوضوح علي طبيعة تدريبهم كمؤرخين وليس عن قيمة التاريخ الشفاهي فهؤلاء هـم خرجو أولئـك المـؤرخين والجامعـات الغربية التي قامت علي تقديس الوثيقة واهمال التاريخ الشفاهي.

وفي الورقة الحالية رأيت أن أبدأ بالكتابة حول هذا الموضوع وذلك اقتناعا بأن هناك بعض الأحداث والأحكام التاريخية التي تحتاج إلي إعادة فحـص ومناقـشة مـن قبـل المؤرخين والباحثين السودانيين، ومن هنا كانت قباب الأتراك هي المدخل لهذا الموضوع.

إن قباب الأتراك تمثل معلما تراثيا لمدينة الخرطوم، وإرثا حضاريا إنسانيا عالميـا يجب المحافظة عليه وهي مسئولية يضعها المجتمع الدولي علي السودان (اتفاقية حماية التراث العالمي والثقافي والطبيعي ١٩٧٢ ـ منظمـة الأمـم المتحـدة للتربيـة والثقافـة والعلوم)[٢] كما أن السودان عضو في منظمة العواصم والمدن الإسلامية وتمثله فيها ولاية الخرطوم التي لها مساهمات مقدرة في المنظمة ، ومن أهـداف المنظمـة المحافظـة علي شخصية ومميزات المدينة الإسلامية [٣] والمعلوم أن القباب من أهم مميزات المدينة

---

1 Abdullahi ,Ali Ibrahim 'Sudanese Historiography and Oral Tradition"in Ahmad A.Nasr (ed)Folklore and Development in the Sudan. IAAS.University of Khartoum. 1985.P.101.

2 UNESCO, conventions and recommendations of UNESCO concerning the protection of the cultural heritage. Paris , 1955.PP.75.98.

٣ ر.ب سرجنيت ، المدينة الإسلامية ، ترجمة أحمد محمد تعلب ـ اليونسكو ١٩٨٣ م ص.١٣٢، ١٣.

والعمارة الإسلامية وتبين من هنا مدي إثرائها لمسار الحضارة الإنسانية في مجال التراث الثقافي المادي.

كل الأسباب والمفاهيم السابقة ألزمت وأوجبت الصيانة والحفظ علي قباب الأتراك كأحد المعالم التراثية بمدينة الخرطوم خاصة والسودان عامة والعالم بتكامله.

يجب الإشارة إلي أن معايير التقييم الشخصي Personal Evaluation تتغير من فترة لأخري وعليه فإن تقييم الشخص للأثر متغير ايضاً وبالتالي ما يتتج عنه من تقييم تاريخي فهو بالضرورة متغير أيضاً . أما القيم Values فثابته وهي قيم الأثر التي يستمدها من نفسه.

فقباب الأتراك لها قيم ثقافية واستخدامية ونفسيه فمنها القيم المعمارية والفنية والجمالية والتاريخية وقيم منظر المدينة كما أن لها قيما سياسية ودينية كما نجد فيها قيم الاستغراب والاستمرار ويتعامل علماء الآثار مع الأثر وقيمته.[1]

تعتبر قباب الأتراك بالخرطوم وقبة الشيخ عبد الله أبورايات بمكلي شرق أروما والتي بنيت في عهد الفونج وذكرت في كتاب طبقات ود ضيف الله[2] ثم أعيد بناؤها بواسطة الأتراك علي طراز قباب الأتراك هي من أهم المعالم التراثية التي تمثل فترة الحكم التركي في السودان في عهد خلافة آل عثمان الإسلامية، كما أن هذه القباب تمثل احدي حلقات الاستمرارية لتطور بناء القباب في السودان والتي استمرت حتى وقتنا الحالي، بالإضافة إلي أنها مقابر المسئولين الأتراك والسودانيين والمصريين كما كانت هنالك أيضا المقابر العامة وعرفت بمقابر الخرطوم القديمة وتمتد غربا منها حتى الجامع الكبير الذي يعرف باسم (جامع عباس) وكان هذا الموقع علي بعد كاف من المباني الحكومية والسكنية في ذلك الوقت والتي كانت تقع علي النيل مباشرة[3]، الحكمدار موسي باشا حمدي ٦/ ٣/ ١٨٦٥م كما أن اختيار الموقع كان بغرض أن يستطيع كافة الناس رؤية هذه القباب التي بنيت شرق الجامع، حدث هذا أيضا فيما بعد لقبة الإمام المهدي التي بنيت شرق جامع الخليفة، ويرجع الغرض من اجل ذلك

---

١ صلاح عمر الصادق، قيم العمارة الشعبية في قبة الشيخ ابو الفتح (راجل سواكن) من تحليل لنص مقابلة "مجلة الثقافة السودانية" ، العدد ١٩٦٦،٤٢م.

٢ ود ضيف الله، محمد نور بن ضيف الله، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق يوسف فضل ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم، الطبعة الثلثة ١٩٨٥م ص.ص ٢١٠، ٢٢٩، ٢٦٥، ٢٦٧،٢٨٩،٣١٠ ،٣٣٠.

٣ محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الخرطوم، بيروت ، دار الجيل ، ١٨٩٧م، ص.ص ٥٧،٥٨،١٣٦،١٣٧..

للترحم علي الموتي وهو واجب إسلامي، وايضا إبراز ظل شخصية الدولة في مكان ظاهر من خلال رموزها.

وحسب منطوق قانون الآثار (قانون رقم ٢ لسنة ١٩٥٢م) المعدل من قانون الآثار لسنة ١٩٠٥م فقد ضمت هذه القباب لقائمة المواقع التاريخية وتقع صيانتها والمحافظة عليها علي عاتق الهيئة القومية للآثار والمتاحف التي قامت بإحاطتها بسياج حديدي متين ويقوم علي حراستها خفراء، أما قفلها فناتج عن تأكيد المحافظة عليها ولكنها ليست مقفولة في وجه الزيارات الدراسية أو السياحة كما أنه مسموح أيضا بتصويرها للداراسين والراغبيين إضافة إلي أن أسر بعض السودانيين المدفونين بها يقومون بزيارتها في الأعياد وإقامة الذكر والصدقات علي أرواح أجدادهم مثل أسرة آدم باشا العريفي وهو أول سوداني وصل إلي مرتبة حكمدار عام السودان في عهد التركي وإلي رتبة لواء في الجيش المصري.[1]

وإذا علمنا مقدار الإهمال الذي واجه الآثار الإسلامية في عهد الإنجليزي والعهود اللاحقة مما أدي إلي ضياع كثير منها، وجعلها قليلة لا تمثل أهمية وعظمة الفترة الإسلامية ، وقباب الأتراك أحد معالم التراث الإسلامي الباقية لنا يحميها قانون الآثار كتراث سوداني أصيل وتحميها الاتفاقيات الدولية كتراث إنساني فريد.

ومن أمثلة الإهمال لهذا التراث أنه قد تمت في عهود سابقة حديثة تدمير سور مسجد الخليفة عبد الله بأمدرمان والذي يرجع إلي فترة المهدية والموافقة علي اقتطاع مساحات من أراضي قباب الأتراك لإنشاء البنك العقاري والبنك التجاري (بنك المزارع) مما أدي إلي التأثير علي بنية القبة وتشويه الموقع، إضافة إلي كل ذلك فقد أهمل تماما تسجيل كثير من الآثار الإسلامية من قلاع وقباب في المنطقة الشمالية وبقية السودان بل أهمل جمع الآثار الإسلامية نفسها ويلاحظ ذلك بصورة ظاهرة في ضعف المقتنيات الإسلامية بمتحف السودان القومي وخلو صالة العرض من الآثار الإسلامية إلا من عدد محدود يعد علي أصابع اليد.

إن الخلافات ما بين المهدية والتركية والختمية والوهابية يجب أن ينظر إليها بوصفها خلافات داخل الأسرة الإسلامية الواحدة تباينت فيها الاتجاهات والرواة واتفقت في الهدف العام وهو إعزاز الإسلام والمسلمين ووحدتهم، ولنترك ما يقوله

---

١ نعوم شقير ، جغرافية وتاريخ السودان، بيروت ، دار الثقافة، ص ٥٥٠ ـ ٥٥٣

المؤرخون البريطانيون عن الحكم التركي والذي لا يخلو من الغرض ونسمع ما يقوله السودانيون عندما تسمو أنفسهم عن الأحداث الصغرى ويتجلي لهم الهدف الأسمي يقول مكي شبيكة عن الهدف الاسمي الذي حققه محمد علي باشا:

ولقد حقق فعلا تلك الغاية وجعل من مصر دولة فتية مستقلة تمتد حدودها من جبال طوروس شمالا إلي أقاصي السودان جنوبا، وتشمل مصر وسوريا وبلاد العرب وجزيرة كريت وقسما من الأناضول ، ولئن تراجعت حدود مصر طبقا لمعاهدة لندرة كما فصلناه في موضعه فقد بقيت حدودها الأصلية سليمة شملت استقلال مصر والسودان وحققت وحدة وادي النيل السياسة والقومية[1].

إن الهدف الاسمي هو إعزاز الإسلام والمسلمين و وحدتهم هي التي أعطت الحق للخليفة عبد الله التعايشي بأمدارمان لإرسال رسالة لكل من السلطان عبد الحميد بتركيا والخديوي توفيق بمصر طالبا منهم الدخول في المهدية، بل أرسل جيشا لمصر لتحقيق هذه الوحدة الإسلامية ولم يعتبره جيشا غازيا مستعمرا بل كانت رؤياه بأن جيش مجاهد[2]

هكذا كانت الرؤية في العالم الإسلامي في تلك الفترة ويجب أن ينظر إليها بمنظار ذلك العصر وأشير إلي حقيقة مهمة هي أن الفترة التركية تعتبر الآن لدي المؤرخين وعلماء الآثار والدراسات الإسلامية هي احدي حقب الحضارة الإسلامية، تقلدت فيها تركيا قيادة الخلافة الإسلامية وعملت علي الدفاع ونشر الإسلام كما عاش سلاطين آل عثمان والمدن التركية نفس الحياة الإسلامية التي تعيشها مدينة فاس في المغرب أو حلب في المشرق أو سواكن علي ساحل البحر الحمر الغربي في السودان.

لقد سبقت المغرب بقية أنحاء العالم العربي في إدراك ماهية العهد التركي واعتبروه احدي حقب سيادتهم الوطنية، وافتخروا بها وأدخلت بهذا المضمون في التاريخ الرسمي لدول المغرب العربي وأصبحت تنشر وتدرس في المعاهد والمدارس والجامعات علي هذه الحتمية، وأقرت مصر هذه الحقيقة وعاملتها كإحدى مراحل تطورها التاريخي فاهتمت بهذه الحقبة وعملت علي صيانة وترميم مبانيها مثل ترميم قلعة محمد علي باشا في أواخر الثمانينيات ولا زالت تتواصل والتي شارك فيها مئات

---

١ مكي شبيكة ـ تاريخ شعوب وداي النيل، بيروت، دار الثقافة ، ١٩٨٠، ص ٤٩٣.

٢ محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدية، بيروت ، دار الجيل، ١٩٧٩ ص ١٢٩ ، ١٣٥.

المتخصصين من المصريين، كما أن الدولة التركية الآن تعامل هذه المرحلة بفخر ودون نواقص من العهد الكمالي الذي قضي علي الخلافة الإسلامية بتركيا، وخير مثال لانفتاح تركيا علي السودان في مجال الثقافة هو موافقة الحكومة التركية علي تقديم منحة في الدراسات العليا في الآثار الإسلامية في السودان كما وافقت علي ترميم قباب الأتراك مع تشييد متحف محلي بالقباب إضافة إلي ذلك المساعدة في إجراءات تأهيل أثنين من المباني التركية بسواكن وذلك في إطار برنامج العمل التنفيذي لاتفاقية التعاون الثقافي بين السودان وتركيا.

لقد اعتبر الأتراك السودان أرضا من أراضي الإسلام مثله مثل مصر أو العراق أو المغرب لذلك فقد عملوا علي تطوير تطوره الحضاري وتماسك وحدته من خلال سلطة مركزية قوية وكانت مساحة السودان في زمن سلطنة الفونج[1] أصغر ولكن في عهد التركية تم إدخال دارفور في غرب السودان وكل جنوب السودان وبني شنقول في جنوب شرق السودان وسواكن في شرق السودان ومثلث العوينات في الحدود الليبية إلي داخل الخريطة السودانية والتي كانت في مساحتها أكبر من الحالية وقد تناقصت هذه المساحة منذ نهاية عهد الخليفة عبد الله التعايشي عندما تكالب الأعداء علي وأطرافها من فرنسيين وإنجليز وإيطاليين وأحباش وبلجيك وبدأت الأزمات الدخليه تعصف بها وقد أشار إلي ذلك البخاري الجعلي عندما قال:

" وهكذا أبرزت الصلة الوثيقة بين حتمية الانتصار العسكري علي جيش الخليفة عبد الله في السودان، ومسألة تسوية حدود السودان مع إثيوبيا ، إذ من شأن الانتصار تحقيق الوجود البريطاني في السودان ، وبالتالي إمكانية وضع حد لأطماع منليك ، علي أن منليك استغل بدوره ضعف الخليفة عبد الله في تلك الفترة وانشغاله بصد جيوش الغزو القادم من الشمال، فتحرك من جهة المتمة في الحبشة، وتمكن من حتلال بني شنقول قبل سقوط أم درامان"[2]

أما في جانب التعليم فقد عمل الأتراك علي نشر التعليم في السودان فقاموا بإنشاء المدارس في الخرطوم، وسواكن كما عملوا علي دعم التعليم التقليدي (الخلاوي) ويشير إلي ذلك أبو سليم حينما يقول:

---

١ صلاح عمر الصادق، سنار الآثار والحضارة، مجلة البرلمان، العدد الأول ، مارس ١٩٩٣م .ص ٧٣.

٢ البخاري عبد الله الجعلي، نزاع الحدود بين السودان وأثيوبيا، مطبعة الخليج ، الكويت، ١٩٨٠، ١٩٨٠، ص ٣٨.

" وقد اهتم المصريون بهذا النوع من التعليم ، وأعطوا الخلاوي المهمة مساعدات مالية نقدوا نوعا، أي جراية ، وكان من الخلاوي التي تحصل علي هذه الإعانة خلوة الغبش المشهورة التي تتلمذ فيها المهدي لفترة [(١)]

كما ذكر أيضا في هذا الصدد معتصم أحمد الحاج في مقاله " الخلوة وأثرها الثقافي والاجتماعي في السودان "[(٢)] . أما في جانب الزراعة فقد عملت التركية علي إدخال زراعة القطن بصورة منظمة وعلمية وذلك بغرض التصدير كما حسنت مستوي المحاصيل الأخرى، إضافة إلي تطوير المواصلات[(٣)]

ونجد في مجال الحكم والإدارة أنه بعد سقوط الاتحاد السناري في يد محمد علي باشا خديوي السلطان العثماني في مصر أصبحت الدولة في السودان تحكم مركزيا في بدايتها وذلك نسبة للانقسامات والعنف الذي ساد السودان في نهاية الاتحاد السناري وإنشاء منصب حكمدار وضعت في يده السلطة المدنية والعسكرية وقسمت البلاد إلي مديريات يحكمها مديرون مسئولون لدي الحكمدار في الخرطوم، وفي نهاية عهد محمد علي جنح الحكم نحو اللامركزية فنجد في الهيكل الإداري للمدير وكيل المدير ومعاونة والكتبة والقاضي والمفتي كما أشرك الأهالي في إدارة بلادهم وذلك عن طريق مجلس أهلي.

لقد تطور النظام المركزي في عهد الخديوي في عهد الخديوي محمد سعيد باشا حيث عمل علي تقليص سلطات الحكمدار وموظفيه وعمل علي إشراك الأهالي في إدارة بلادهم عن طريق المجالس والجمعيات التي تنظر في الشئون العامة مع المديرين ، بل نجده أعطي سلطات أكبر لمجالس المديرية وجعل لهم تقدير الضرائب وجمعها بواسطة العمد والمشايخ من زعماء القبائل ، بل أحيانا تنتخب القرى شيخا من بينهم لجمع الضرائب.

واستمرت سياسة اللامركزية الإدارية والاقتصادية والسياسية بصورة أوسع في عهد الخديوي إسماعيل باشا الذي خلف سعيد باشا، فقد بحثت ونظمت الضرائب

---

١ أبو سليم ،تاريخ الخرطوم، ص،ص ٤٠ ـ٤١.

٢ معتصم أحمد الحاج، الخلوة وأثرها الثقافي والاجتماعي في السودان، مجلة محاور العدد الثالث ، اغسطس ١٩٩٩م، ص،ص ٦٧ـ ٦٨.

٣ حسن احمد إبراهيم، رحلة محمد علي باشا إلي السودان ١٨٢٨ ـ ١٨٣٩، الخرطوم، جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، ١٩٨٠م،ص.ص ١٩ـ٢٢.

عن طريق مجلس يضم المديرين والمشايخ المحليين، كما عين ولأول مرة في تاريخ التركية مديرا سودانيا هو الشيخ أحمد أبو سن كبير مشايخ الشكرية علي مديرية الخرطوم وسنار وبدأ في تكوين الورطة السودانية تحت قيادة أحد السودانيين من قبيلة دار حامد هو اللواء آدم باشا العريفي، كما أن هناك مجموعة من العلماء السودانيين الذين تعلموا بالأزهر بمصر عملوا مستشارين.[١]

وكان العمل في الدولة في الفترة التركية يحقق للعامل خطوة مادية ومعنوية ويجد الإعجاب والتقدير من المواطنين حتى ظهر ذلك في أمثالهم "إن فاتك الميري تدردق في ترابه" إضافة إلي أنهم نظروا في بعض الأحيان إلي الأتراك بأنهم أكثر عطفا عليهم من ابناء جلدتهم الذين يعملون في الدولة فنجد من أمثال تلك الفترة (التركي ولا المتورك) و (نزلة شايقية).[٢]

وفي نهاية هذه الورقة نري أن نختتمها برأي لأحد مؤرخينا الكبار وهو المؤرخ السوداني الكبير محمد صالح ضرار والذي لا يخفي تعاطفه مع ثورة المهدية ولكنه كان بحسه الإسلامي مدركا لأبعاد الخلافة الإسلامية التركية وما تمثله من الهدف الاسمي وأن الخلاف داخل الأسرة الإسلامية فيقول:

" نحن نسجل لشيوخ سواكن عطفهم علي تركيا ويتمنون لها ولحلفائها (ألمانيا والنمسا) الانتصار علي روسيا وإنجلترا وفرنسا وأمريكا، ولم يكن هناك راديو ولذلك اشترك التجار في اخبار (رويتر) يترجمونها ثم يقرونها في مجالسهم الخاصة كالمسامرات والندوات والغرف الأدبية.. وهذا الخلف الحميد يدل علي عطفهم الديني لنصرة الإسلام والمسلمين، ولم يكن تعصب القبائل في البادية بأقل من الحضريين."[٣]

---

١ صلاح عمر الصادق" خلفية تاريخية عن تطور اللامركزية في السودان"مجلة الخرطوم، العدد ١١، اغسطس ١٩٤٤،ص.ص ٣١ ـ٣٢.

٢ صلاح عمر الصادق، الأمثال السودانية للشيخ بابكر البدري، الجزء الثالث ،جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الافريقية الأسيوية، ١٩٩٦مـ ص.ص ١١٨ ـ١١٩.

٣ محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الاحمر، دمشق، دار السودانية للكتب، ١٩٨٢م، ص ٢٦٤.

المـــــراجـــع

المراجع العربية:

١. احمد محمد علي الحاكم، *هوية السودان الثقافية*، منظور تاريخي ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٠م.

٢. البخاري عبد الله الجعلي، *نزاع الحدود بين السودان* وأثيوبيا، مطبعة الخليج ، الكويت، ١٩٨٠، ص ٣٨.

٣. حسن احمد إبراهيم، *رحلة محمد علي باشا إلي السودان ١٨٢٨ ـ ١٨٣٩* ، الخرطوم، جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، ١٩٨٠م،ص.ص ١٩ـ٢٢.

٤. ر.ب سرجنيت ، *المدينة الإسلامية* ، ترجمة أحمد محمد تعلب ـ اليونسكو ١٩٨٣ م ص.١٣٢ ,١٣ .

٥. سلاطين باشا، السيف والنار في السودان، در الجيل ـ بيروت ١٩٨٨م.

٦. شعبة التاريخ بخت الرضا ، *تاريخ السودان* ، الطبعة الثالثة ،١٩٦٢م،ص ص ٩٧،٩٨،١٣١،١٣٩.

٧. صلاح عمر الصادق، سنار الآثار والحضارة، *مجلة البرلمان*، العدد الأول ، مارس ١٩٩٣م .ص ٧٣.

٨. صلاح عمر الصادق، خلفية تاريخية عن تطور اللامركزية في السودان، *مجلة الخرطوم*، العدد ١١، أغسطس ١٩٤٤،ص.ص٣١ـ٣٢.

٩. صلاح عمر الصادق، قيم العمارة الشعبية في قبة الشيخ ابو الفتح (راجل سواكن) من تحليل لنص مقابلة *مجلة الثقافة السودانية* ، العدد ١٩٦٦،٤٢م.

١٠. صلاح عمر الصادق، *الأمثال السودانية للشيخ بابكر البدري، الجزء الثالث* ،جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية الآسيوية، ١٩٩٦مـ ص.ص ١١٨ ـ١١٩ .

١١. عصمت حسن زلفو،كرري، الخرطوم ١٩٧٣م ،ص ١٤.

١٢. محمد إبراهيم أبو سليم، *منشورات المهدية*، بيروت ، دار الجيل، ١٩٧٩ ص٥٧،٥٨،١٣٦ ، ١٣٧.

١٣. محمد إبراهيم أبو سليم، *منشورات المهدية*، بيروت ، دار الجيل، ١٩٧٩ ص ١٢٩ ، ١٣٥ .

١٤. محمد صالح ضرار، تاريخ سواكن والبحر الأحمر، دمشق، دار السودانية للكتب، ١٩٨٢م، ص ٢٦٤.

١٥. معتصم أحمد الحاج، الخلوة وأثرها الثقافي والاجتماعي في السودان، مجلة محاور العدد الثالث ، أغسطس ١٩٩٩م، ص،ص ٦٧ـ ٦٨.
١٦. مكي شبيكة ـ *تاريخ شعوب وداي النيل*، بيروت، دار الثقافة ، ١٩٨٠، ص ٤٩٣.
١٧. نعوم شقير، *جغرافية وتاريخ السودان*، بيروت ،دار الثقافة ١٩٦٧م.ص ٥٥٠ ـ ٥٥٣.
١٨. ود ضيف الله، محمد نور بن ضيف الله، كتاب *الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان*، تحقيق يوسف فضل ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م ص.ص ٢١٠، ٢٢٩، ٢٦٥، ٣١٠،٢٨٩،٢٦٧ ،٣٣٠.
١٩. ونستون تشرشل حرب النهر: صفحات من حرب النهر ترجمة صلاح عمر الصادق ، *مجلة سواكن*، العدد الاول ١٩٩٨م، ص .ص ١٧ـ١٨.

المراجع الأجنبية:

1. Abdullahi ،Ali Ibrahim 'Sudanese Historiography and Oral Tradition" In Ahmad A.Nasr (ed)Folklore and Development .in the Sudan. IAAS. University of Khartoum. 1985.
2. R.Hill On The Frontier of Islam، Calavendon Press، Oxford .1970.
3. Sayyid H. Hurreiz. Studies in African Applied Folklore. IAAs. University of Khartoum ، Khartoum . 1986 .
4. UNESCO، Conventions and Recommendations of UNESCO Concerning the Protection of the Cultural Heritage. Paris ، 1955.

جبال الميدوب ـ الإنسان المكان الماضي

• التضاريس والنشاط السكاني:

تقع منطقة جبال الميدوب في غرب السودان وتنحصر بين خطي عرض ١٥َ ١٨ْ شمالاً وَ١٤ 45 ١٨ْ شمالاً وخطي طول ٢٦ْ شرقاً و٢٧ْ شرقاً. وقرية المالحة هي عاصمة قبيلة الميدوب ومركزهم ، وتقع عند خط عرض 10 17 شمالاً وخط طول 26 َ١٠ْ٣٠ شرقاً وتقع القرية داخل سلسلة الجبال جنوب الفوهة البركانية مباشرة بحوالي ٢كم تقريباً. وهي تبعد عن الخرطوم عاصمة البلاد بـ ٨٣٣ كيلومتر. وجبال الميدوب تقع شمال شرق ولاية دارفور والتي تتبع لها إدارياً، وتحد شمالاً بالولاية الشمالية والتي تتعامل معها تجارياً وخاصة في تصدير الجردقة والعطرون (النطرون) وتبعد بئر النطرون عن المالحة بمسافة حوالي ٣٢٥ كيلومتر شمالاً، وتحدها ليبيا في الشمال الغربي والتي يتم منها استيراد البضائع لمنطقة الميدوب، كما أن الميدوب يعتبرون عمالة نشطة في ليبيا. اما شرقاً فتلتقي بولاية شمال كردفان والمسافة ما بين قرية المالحة وحمرة الشيخ ٢٥١ كيلومتر وغرباً بكتم والتي تبعد عن المالحة بـ ٢١٦ كيلومتر ، وفي الناحية الجنوبية بام كداده ومليط والتي يواصل ما بين قرية المالحة ومليط طريق بري يبلغ طوله ١٤٠ كيلومتر.

أن تضاريس المنطقة تتكون من سلسلة متواصلة من جبال الميدوب البركانية طولها من الشرق إلي الغرب ٤٢٠كيلومتر وعرضها ٢٨ كيلومتر وتتخلل هذه السلسة عدد من الهضاب العالية وأهمها هضبة تيفة (خط عرض ٢٥َ ١٨ْ شمالاً وخط طول 15 ٢٦ْ شرقاً) غرب المالحة وهضبة الحطان . وتبلغ أعلي قمة في جبال الميدوب في ارتفاعها أثنان ألف قدم فوق مستوي سطح البحر ويقع في جنوبها الغربي منخفض المالحة وهو مستودع عظيم للملح يبلغ طوله واحد ميلاً وعرضه ٩٠ متر. وتنتشر القيزان والكثبان الرملية حول الجبال ومنطقة جبال الميدوب شبه صحراوية تغطيها الحشائش والشجيرات الشوكية مثل الكتر والسيال واللعوت والسرح والقفل واليجر ، ويتطلب النشاط الزارعى مجهوداً كبيراً في جبال الميدوب وذلك لقلة الأمطار وتذبذبها وتتراوح كمية الأمطار ما بين (١٠ـ٢٠ ملم)وتبدأ الأمطار في الهطول في شهر يونيو وحتى اكتوبر وتعتبر جبال الاوري اكثر المناطق تأثراً بالأمطار وتبدو خضراء في الخريف.

توجد أراضي طينية صالحة للزراعة المطرية ويزرعون الدخن والذرة ويشتهر

وادي عوادة بإنتاج البامية والتي تعتبر الغذاء الرئيسي للسكان حيث يقومون أيضاً بتنشيفها واستخدامها في الأوقات التي تقل فيه الخضراوات. كما يزرع الميدوب الخضراوات بمختلف أنواعها كالبطيخ والشمام والقرع والشطة والطماطم.

كما يقوم الميدوب باستغلال المياه الجوفية وهو مخزن مائي قابل للنضوب مع مرور الزمن واشهر مناطق المياه الجوفية منطقة ام بياضة جنوب شرق المالحة.

يعتمد الميدوب علي الرعي وتتوفر في المنطقة المراعي الصالحة لتربية الجمال والمواشي والضان خاصة في موسم الأمطار حيث تكثر الحشائش ويتوفر الماء والكلاء وتربية الحيوان من النشاط الاقتصادي الهام اضافة إلي نشاطهم في استخراج الأملاح المتوفرة مثل العطرون (النطرون) والجردقة (الجندقة) وملح ام بيضاء ويعتبر نشاط الميدوب في استخراج الأملاح من أقدم الانشطة الاقتصادية التي عرفها الميدوب منذ حضارات كرمة ونبتة و مروي (٢٠٠٠ ق.م- ٣٥٠ ق .م) وحتى الآن.

وتهب علي المنطقة في موسم الرشاش (بداية الأمطار) العواصف المحملة بالاتربة مما يتسبب في الزحف الصحراوي وتعرض الأراضي للتعرية والتآكل ، وأكثر الأماكن تعرضاً للتعرية بسبب تلك العواصف هي مناطق عين بيسار وخط عرض ٢٥°١٥َ شمالاً وخط طول ٤٥°٢٦َ شرقاً. التي تقع في الطرف الشمالي الغربي لجبال الميدوب، أما دار ضيقة والتي تقع شمال جبال الميدوب فهي تتعرض أيضاً لهذه العواصف مع كل من الحارة التي في الجزء الشمالي الغربي لجبال الميدوب وكل هذه الأماكن (عين يسار و دار ضيقة والحارة) في أقصي الشمال المقابل للصحراء وهي التي تتلقي الرياح الشمالية الجافة القادمة من الصحراء في فصل الشتاء وبدايات الصيف.

أما الجزء الجنوبي من جبال الميدوب والذي يتلقي الرياح الجنوبية المحملة بالأمطار والقادمة من المحيط والتي يعتمد عليها في الزراعة وفي الرعي فهذه المنطقة أقل تعرية، كما أن وجود السلاسل الجبلية تقوم بصد الرياح والعواصف من التوغل للداخل حيث أن الأراضي أكثر تسطحاً وتكثر الأودية والسهول المسطحة وفي داخل هذه الجبال اقام الميدوب مساكنهم ومارسوا نشاطهم الحياتي كما اعتبروا هذه الجبال ملاذات أمنة وبذلك تكيفت حياتهم مع بيئاتهم.

***التراث الثقافي والمادي (الآثار) لمنطقة جبال الميدوب:**

تعتبر منطقة جبال الميدوب شمال دارفور من أقدم المناطق المأهولة بالسكان وبالنشاط البشري منذ عصور ما قبل التاريخ (The Prehistoric Ages) وقد وجدت هذه البقايا المادية لإنسان تلك العصور في مناطق متفرقة من جبال الميدوب

وأثبتت ذلك بعثة جامعة كولون الألمانية التي تعمل بتلك المنطقة في إجراء مسوحات وتنقيبات أثرية. كما وجدت علي صخور الجبال رسومات صخرية (Rock Drawing) قام برسمها انسان العصور الحجرية وتمثل مناظر لحيوانات كانت توجد في تلك الفترة ولكن انعدم وجودها الآن.

يدل وجود هذه الحيوانات وكثافة العنصر البشري علي أن المناخ الذي كان سائداً في تلك الفترة تميز بأمطار غزيرة ووفرة المياه الباطنية إضافة إلي وجود واحات متفرقة كما أن الغطاء النباتي الرعوي كان غنياً تتخلله كثير من الغابات والأشجار المتفرقة بحياة هذه الحيوانات التي تعيش في تلك البيئة والتي صورها علي جدران الكهوف والصخور كما شاهدها إنسان ما قبل التاريخ.

وقد وجدت بعثة جامعة كولون فيما وجدت بحيرات جافة كانت تزخر بالمياه في تلك العصور السحيقة. وقد عثرت علي فك تمساح متحجر، كما وجدت هياكل عظمية لأسماك داخل هذه البحيرات الجافة.

ونشير إلي حقيقة هامة أن منطقة الميدوب كانت حلقة الوصل ما بين نهر النيل والمستوطنات التي كانت في الصحراء الكبري جنوب ليبيا مثل أكاكوس وانيدي ومنها إلي سواحل البحر الأبيض في طرابلس وبنغازي مروراً بواحة الكفرة. ولازال هذا الطريق التاريخي يواصل دوره حتى الآن فهو يعتبر من أقدم الطرق في العالم وقد سلكه إنسان قبل التاريخ مروراً بكل العصور حتى أيامنا هذه. وقد أثبتت هذه الحقيقة بعثة جامعة روما لعصور ما قبل التاريخ والتي عملت في كل من الصحراء الليبية في منطقة جبال أكاكوس وفي منطقة الجيلي شمال الخرطوم ولازالت هذه البعثة تواصل عملها حتى الآن وقد أكدت هذه البعثة من خلال المقتنيات الآثرية في كل من الموقعين في ليبيا والسودان خاصة من تشابه صناعة وأشكال وزخارف الفخار مما يؤكد أن هناك حركة إتصال ما بين النيل والصحراء وأن إنسان عصور ما قبل التاريخ كان ينتقل من النيل إلي الصحراء مرواً بجبال الميدوب.

أما في العصور الفرعونية وحضارة كرمة ومروي فقد كان اتصال مع جبال الميدوب وخاصة بغرض صيد الحيوانات ومن أجل إحضار ملح النطرون (العطرون) وهوملح حجري يستخدم في كثير من الصناعات والمأكولات وأهم إستخدام له قديماً في التحنيط حيث كانت تغسل به بطن المومياء بغرض تنشيفها وتطهيرها. ولازالت منطقة جبال الميدوب حتى اليوم من أهم مصادر ملح النطرون عن طريق دنقلا جبال الميدوب.

ومن المسح الأثري السطحي للمواقع الاثرية بجبال الميدوب، نلاحظ كثير من اللقي الأثرية علي سطح هذه المواقع إضافة إلي بعض الرسوم الصخرية والكهوف أو ما يعرف بإسم المأوي الحجرية(Rock Shilter) وقد إستخدمت هـذه بواسـطة إنـسان العـصور الحجرية ومن المؤسف أنه لم تجري حفريات أثرية بمنطقة جبال الميدوب.

*** أهم المواقع الاثرية بمنطقة جبال الميدوب:**

إن منطقة جبال الميدوب التي تقف وسط الجزء الشمالي الغربي مـن الـصحراء السودانية قد شكلت حماية طبيعية لسكانها إضافة إلي وجود المياه الباطنيـة ووجـود غطاء نباتي بسيط مع بعض الأشجار المتفردة والمجتمعة. كل ذلك شكل مستوطنات منذ ما قبل التاريخ ولازال علي سطح بعض المواقـع الـدلائل الماديـة لهـذا النـشاط السكاني ومن أهم هذه المواقع : هضبة تيغه وهضبة الحطان ومنخفض المالحة.

تعريف بالعبدلاب تاريخياً

العبدلاب هم ذرية عبد الله جماع من عرب القواسمة الذين يتصل نسبهم بجهينة الذي جمع القبائل العربية حوله في ١٥٠٤ م وإقتسم الملك مع الفونج وقد اتخذ مركزه قرية قري وقد سميت علي جبل بالقرب منها وتشير بعض الروايات إلي أنها كانت مدينة مسيحية أسقطها العبدلاب فعرف كرسيه بمشيخة قري ثم انتقلت إلي الحلفايا فعرفت بمشيخة الحلفايا وأن اشتهرت باسم حلفايا الملوك وهناك سلسلة من مشايخ العبدلاب حكموا مناطق نفوذ المملكة وقد بلغ عددهم ستة وعشرون شيخا كان آخرهم ناصر ود عجيب الذي عزله إسماعيل باشا في مايو ١٨٢١م وقد استمر مشيختهم ٣١٧ سنة وكان للعبدلاب المقام الأول لدي ملوك الفونج.

كان مشايخ العبدلاب يقدرون العلماء من رجال الدين، كما أن تولية مشايخ العبدلاب يتم لدي ملك سنار كما هم الذين يختارون المشايخ الخاضعة لسلطتهم بعد تأيد من أهل قبيلة الشيخ المقترح وكان الشيخ الذي تريد القبيلة توليته عليه تأتي به إلي شيخ العبدلاب فيقوم بحلق رأس الشيخ المرشح ويجلسه علي ككر ويلبسه طاقية ام قرنين وهي طاقية محشو قرنيها قطن. ثم يعود الشيخ إلي قومه بالطاقية والككر اللذين انعم بهما الشيخ عليه حتى إذا خرج للحكم لبس الطاقية وجلس علي الككر وبذلك يقال للقوم الذين يرأسهم ملك بأنهم أهل الككر وطاقية.

وينتشر العبدلاب في كافة أنحاء السودان فبجانب قري فإنهم يوجدون بشمال السودان بدنقلا وتنقسي الجزيرة والباوقة ومنطقة بربر كما يسكنون بالخرطوم جنوب قري حتى منطقة الشجرة كما منطقة النيل الأزرق فيسكنون الكاملين ورفاعة والهلالية.

أما منطقة كسلا فقد سكنوا بها وبالقضارف أما العتامنة أبناء الشيخ عثمان بن الشيخ عجيب المانجلك فأنهم يسكنون البحر الأحمر إلي حلايب وطوكر وهمشكوريب ومعهم أولاد الشيخ علي بيتاي و منطقة الأبيض فقد قطنوا منطقة جبال النوبة والدلنج وبجبال تقلي.

مما سبق ندرك أن العبدلاب قد توزعوا في أنحاء السودان المختلفة وقد تسموا بأسماء مروية وان كانوا يفتخرون بصلهم الأول بأنهم عبدلاب يرجعون إلي قري بداية مشيختهم الأولي.

الشيخ عجيب عبد الله جماع وحدود مشيخة العبدلاب

هو الشيخ الكبير أو الكافوته ويلقب بالمانجلك أي مانجل الا إياك ، الأبن

الأصغر لعبد الله جماع القواسمي من فرع قبيلة رفاعة العربية وزعيم القبائل العربية والذي وحدها وجمعها في قتال مملكة علوة المسيحية لذلك سمي عبد الله جماع، وقد كان لعبد الله جماع دوراً رئيسياً في سقوط مملكة علوة بالإتحاد مع عمارة دنقس زعيم الفونج وتأسيس مملكة الفونج الإسلامية في سنار (١٥٠٤ ـ ١٨٢١م) . و أم عجيب هي عائشة بنت الشريف حمد أبو دنانة ومن ثم فهو أبن خالة الشيخ إدريس ود الأرباب وقد آلت إليه زعامة مشيخة العبدلاب بعد وفاة والده في عهد السلطان عمارة أبو سكيكين رابع ملوك سنار.

وتمتد مملكة العبدلاب من اربجي جنوباً حتى الحدود المصرية شمالاً فكانت تسيطر سياسياً علي الميرفاب والرباطاب والمناصير والشايقية والدناقلة والحس. أما شرقاً فقد شملت أجزاء كبيرة من أرض البجة، كما شملت سيطرتهم كل القبائل العربية التي تسكن البطانة.

كان الشيخ عجيب من تلاميذ الشيخ تاج الدين البهاري الذي قدم من بغداد وادخل الطريقة القادرية في السودان.

ويرجح أن الشيخ عجيب حكم من ١٥٧٠ ـ ١٦١١م (٩٧٠/ ١٠١٩ هـ)، وقد قتل في تلك السنة عندما هزم العبدلاب في معركة الدبكر بالقرب من الجريف كركوج وكان ذلك في عهد السلطان عدلان ولد أية تاسع ملوك الفونج، وقد حمل جثمانه من ميدان المعركة إلي قري حيث أقيمت له قبة أوري جثمانه ثراها.

كان الشيخ عجيب رجلاً دينياً ورعاً حج إلي بيت الله عن طريق ميناء سواكن وقد أنشأ حفير جنوب سواكن عرف بأسم حفير عجيب كما أنه تزوج من احد قبائل البجة واصبح أبنه زعيماً لهذه القبيلة، وقد إهتم بتشجيع العلماء وأسس المساجد كما عين عدداً من القضاة وبني بمكة والمدينة المنازل المعروفة برواق السنارية وجعلها وقفاً للحجاج السودانيين.

والمتواتر أنه عمر طويلاً حتى قيل أنه كان في معركة كركوج ترفع جفون عيونه بأعواد خشبية حتى يستطيع أن يري المعركة إذ أنها كانت تسقط فتغطي عيناه نسبة لكبره.

وقد أشتهر أولاده من بعده بأولاد عجيب حتي كاد اسم عجيب أن يصير لقباً علي من خلفوه في مشيخة العبدلاب.

مشهد من الروايات الشفاهية حول سيطرة عبد الله جماع علي قري

بعد وصول عبد الله جماع من الحجاز عن طريق سواكن فدنقلا فأبي حمد فبربر انتهي به المطاف إلي موقع يقال له أبو زليق قريباً من قري، منه تردد علي ملك

الفونج المدعو الحجمان أو عبد الله أفادق، أو سليمان أو المناع ـ علي خلاف الروايات ـ وهو في عاصمته قري، وكان مبتغي عبد الله جماع من هذا التردد ـ في الظاهر ـ الزواج من ابنة الملك التي كانت بإيديها مفاتيح خزانة السيوف والمهمات الحربية للمملكة، فما اتم لعبد الله جماع ما اراد وزفت إليه الأميرة لم يوليها اهتماماً، بل شغل نفسه بمعاينة الحصون والسيوف وأدوات الحرب، وعلم الملك ذلك من أبنته فايقن بالهلاك الذي ما لبث أن حاق به وتقول الروايات بأنه هرب إلي الضفة الغربية ومنها إلي الداخل واستولي جماع علي عاصمة ملكة قري ومن ثم بدأ يجمع حوله القبائل العربية في جبل الرويان لمهاجمة سوبا. وتوجد قلعة ملك العنج فوق جبل قري وهي مسورة بحجارة مصفوفة بدون ملاط كما توجد بعض المباني داخلها وتستطيع القلعة أن تسيطر علي الدخول إلي النهر كما أنها محمية تماماً من الجبال من الاتجاهات الثلاثة ويقوم النهر بجانبها من الغرب وهي مشابهة تماماً لبعض القلاع في شمال السودان علي النهر وقد شاهد الكاتب اسوار القلعة عند قمة جبل جالي في شلال السبلوقة.

خلاوي الشيخ الطيب بامرحي والمكاشفي بحري

* سيد أحمد الطيب (الشيخ الطيب) ولد في ١١٥٥هـ توفي في ١٢٣٩ هـ.
* سيد نور الدائم ولد في ١٢٥٣ هـ توفي في ١٢٧٨هـ.
* سيد محمد شريف ولد في ١٢٥٧هـ توفي ١٣٢٥ هـ.

الشيخ الطيب:

هو شيخ الطريقة السمانية السيد أحمد الطيب، الطريقة القادسية والسمانية والنقشبندية والخلوية واللاهوتية أخذها من السيد عبد الكريم السماني في المدينة المنورة، نشر هذه الطرق في السودان إلي إن وصل مصر، كان يعلم الدين وينشئ الخلاوي في كل مدينة حتى وصل السودان ومنها القاهرة حتى الأسكندرية.

• خلوة الطيب في أسوان:

زار كل الدول الأفريقية ونشر فيها الطريقة السمانية

* محمد شريف هو ابن نور الدائم بن الشيخ الطيب وهو الذي درس الأمام المهدي.
* الشيخ التوم بانقا وقرشي ود الزين والصابونابي تلاميذة الشيخ الطيب.
* للشيخ الطيب خلوة بالسودان يدرس بها لبقرآن.

مجمع الشيخ المكاشفي الديني

* قائم علي نفقة الشيخ محمد إبراهيم عبد الله المكاشفي.

ولد الشيخ في قرية الصقيعة برفاعة ، علي يد الشيخ عبد الباقي المكاشفي تلقي تعليمه بقرية الشكينيبة توفي الشيخ المكاشفي سنة ١٩٦٠م.

* تأسيس الخلاوي والمسجد في سنة ١٩٧٠م.
* القبة الصغيرة الكباشي وإبراهيم الكباشي.
* القبة الكبيرة الشيخ البشير الكباشي.
* الثالثة الخليفة عبد الوهاب الكباشي.
* خلوة الشيخ الطيب إبراهيم جبارقـ الدروشاب شمال تأسست عام ١٩٧٤م.

ملحوظات عن نهر عطبره
The Atbara River

جمعت هذه الملحوظات عن نهر عطبرة بغرض اجراء مسح اثري لضفاف النهر وهي جزئية من كل عن هذا النهر الذي كان يجري في عصور ما قبل التاريخ طول العام هو نهر موسمي الجريان الآن يشابه في ذلك نهر الرهد Rahad والدندر Dinder والنهر ينحدر من أثيوبيا ، أي من الأعلي إلي الأسفل مثل النيل الأزرق، وله تأثيراً كبيراً أثناء فيضانه، وفي عام ١٩٠٣ بلغ ذروة فيضانه عند خشم القربة Khasham Algirba وعليه يمكنه أن يرسل معلومات متقدمة حول وضع نهر النيل إلي مصر. ويدخل العطبراوي إلي السودان مروراً بالقلابات Gallabat حيث يلتقي فرعيه سلام Salam وستيت Setit وأكبر فروع نهر عطبرة هو ستيت أو تكازي Takkaze والأخير هو أكبرهم الذي له موطن يساوي ضعف مساحة حوض نهر عطبرة مما يعتبر الفرع الرئيسي وللأسف لم يعرف حتى الآن حجم مياه فرعه وهو يجري وسط سهول منخفضة وتعرف المنطقة التي يمر بها عند الحدود (بالكرب) والتي تعني (غير جميل أو المنطقة الصعبة) وتشبه منطقة الشلال الخامس الشريك والتي تعرف باسم الكرب أيضا.

وقد أمضي السير صامويل بيكر Sir Samiel Baker بعض الوقت في عطبرة سنة ١٨٦١ وقتاً قصيراً للاستكشاف والنزهة وعرف كذلك أن عرب (الحمران) Hamran إعتادوا علي صيد الأفيال وغيرها علي ظهور جيادهم وما يمثله ذلك من إثارة وخطورة والمنطقة لا تزال ساحرة غير أن زيادة السكان أثر علي الصيد.

لقد ذكر بيكر Baker في كتاب له أهمية تطور الري من النيل بواسطة السدود. ويقترح في البدء أنشاء سد أسوان وتعقبه سدود اخري عند الشلالات ويقترح كذلك إقامة سد نهر عطبرة ليتم ري المنطقة بين قوز رجب علي نهر عطبرة وبربر علي نهر النيل وتعتبر إقتراحاته هذه متقدمة كثيراً عن عصره. كما أري هو أول من رأي إمكانية السيطرة علي نهر النيل وهي حاله لم نصل إليها بعد ولكن يمكن تحقيق ذلك إذا تجاوزنا الخلافات السياسية.

إن نهر عطبرة وكل فروعه باستثناء عدد قليل من الخيران التي تأتي من أرتريا وأثيوبيا، ونهر عطبرة يبدأ من قوندار Gondar شمال بحيرة تانا بإستثناء قليل من فروعه (الخيران) والتي تأتي من أرتريا Eritrea . وتمثل فروعه نسبة ٣/ ١٠ من

الحوض في أعلي نقطة عند ألتقائه بفرعه الرئيسي ستيت Setit وتكازي Takkaze إذ يحتل لوحده نسبة ٧/ ١٠ من حوض نهر عطبرة وينحدر ستيت Setit من الشرق بحيرة تانا وله مجري من عدة الأميال من مصدره البعيد قبـل إلتقائـه بـالعطبراوي. ومصبات مياه هذه الفروع الأثيوبية لم تدرس.

نجد أن أرتريا قليلة الأمطار بالمقارنة مع أثيوبيا وهي خارج حوض النيل كما أن نهري القاش Gash وبركة Baraka تستمر بفي الجريان ضعة شهور ثم تجف بقيـة السنة تنتشر في سهول السودان ثم تنخفض.

تاريخ نادي الخرجين الخرطوم شاهد عصر الحركة الوطنية

"نادي الخريجين بالخرطوم افتتح سنة ١٩٣١م فقد كان انصار فكرة الانشاء هذه يرون ضرورة،وجوده لانهم يرون أن هذا النادي واجب عليهم لئلا يجلسون في النوادي الأجنبية وقد كان أول رئيس للنادي صاحب الفضيلة (محمد مجذوب جلال الدين) استاذ الشريعة الإسلامية بمدرسة القضاء الشرعية انذاك"

عثمان بن حمدالله بن الحاج علي[1]

ذاكرة المدن تظل تحفل بالعديد من الأحداث المتعاقبة التي مرت عليها، سياسية وثقافية واجتماعية، وبعضها تدونه اسفار التاريخ، واخري تظل ارثا شفاهياً تتناقله الأجيال، ولكن تبقي المعالم والأثار المادية شاهد عصر علي تلك الأحداث والحقب.

والخرطوم شأنها في ذلك شأن العديد من الحواضر ظلت محتفظة بمبان ومعالم تؤرخ لحقب واحداث تاريخية، غير أنها شهدت خلال العقد والنصف الاخيرين ازالة وتغيب العديد من المعالم التاريخية "نادي الخريجين الخرطوم، نصب الجندي المجهول ، حديقة الحيوان، نصب الامم المتحدة، ميدان عباس "الأمم المتحدة" ، قشلاق عباس وقشلاق توفيق، وبعض الأسواق والمكتبات التاريخية، لتغيب بتدميرها شواهد تاريخية، كأنما استعاضوا عنها باسم العاصمة الحضارية بمبان عصرية.

وكان احد هذه المباني قد لعب ادوارا سياسية واجتماعية وثقافية مهمة لعبها نادي الخرجين بالخرطوم الذي تم تغيبه وإزالته في العام ١٩٩٤مز ويعود تأسيس شيخ الاندية الذي يشكل نواة لتفريخ القادة الوطنين من كوادر المثقفين والأدباء والشعراء لعام ١٩٣٢ وذلك بهدف جمع الخرجين من المدارس الوسطي والثانوية والجامعية لابراز انشطتهم الوطنية والثقافية ، وتم التصديق له من قبل المستعمر تحت ضغوط الخرجين، وكان النادي الذي انشئ علي القطعة رقم"٦" بشارع القصر والتي يحتلها الآن "البنك الفرنسي" حيث كانت بها المباني الرئيسية بعد منحها من قبل حكومة السودان، اما مساحة النادي الخارجية فكانت في القطعة رقم "١٢" المواجهة لشارع

---

1 عثمان بن حمد الله بن الحاج علي، سهم العروبة. وزارة الشئون الاجتماعية والثقافية ولاية الخرطوم. الخرطوم. الطبعة الثانية ٢٠٠٥،ص ١٥١.

القصر بعد ان اشترتها مجموعة من الخريجين من حر مالهم منهم اسماعيل الازهري وعبد الله خليل وابراهيم المفتي وشخصيات تمثل الوان الطيف السياسي المختلفة. كان النادي نقطة لانطلاقة حركة النضال الوطني ضد المستعمر. كما شهد تحرك المتطوعين السودانيين لحرب فلسطين في عام ١٩٤٨ن حيث تحركوا من النادي لمحطة السكة حديد لينقلهم القطار إلي وادي حلفا في طريقهم إلي مصر وكانت لجنة الخريجين بالنادي مع مجموعة من العسكريين تنظم ايضاً المتطوعين غلي القاهرة بتوفير نثرياتهم دعماً للقضية الفلسطينة.

نادي الخريجين كان نواة لتفريخ القادة الوطنيين وقواد الحركة الوطنية، حقاً كان النادي يمثل وجدان وضمير المثقف السوداني فقد حسمت في ارجائه أحداث عظيمة شكلت الحياة السياسية والثقافية في السودان، فالنادي لعب دوراً عظيماً في بث الشعور القومي وايقاد الوجدان الوطني والوعي الثقافي بين الخريجين والمواطنين. وكان نقطة التقاء لكل وطني ذي ضمير حي من رواد الحركة الوطنية والثقافية والاجتماعية، اسماعيل الازهري محمد احمد المحجوب، مبارك زروق، محمد صالح الملك، وزاهر سرور السادات وهاشم عثمان منصور وشهد العديد من الانشطة الثقافية من بينها الندوة التي قدمها الشاعر والكاتب محمود عباس العقاد الذي زار السوادن في يوليو ١٩٤٢م عند اقتراب النازيون من مصر وكان العقاد في قائمتهم السوداء بسبب كتابه "هتلر في الميزان"وسنورد هذه الليلة في نهاية هذه الدراسة كما جمع الشباب بمختلف فئاتهم وقطاعاتهم الرياضية والاجتماعية.

محاولات التغييب:

القيمة التاريخية والحضارية لنادي الخريجين لم تعصمه من محاولات التغييب التي صمد أمامها في عهد الرئيس السابق جعفر نميري الذي قام بنزع النادي من الخريجين ووظفه كمبني للاتحاد الاشتراكي غير أنه تم استرداده عقب الاطاحة بنظام نميري في رجب/ ابريل ١٩٨٥م وذلك بواسطة رئيس جهاز تصفية الاتحاد الاشتراكي اللواء عبد العظيم صديق، فعاد النادي شاهداً تاريخياً علي أهم مراحل النضال الوطني.

تحويل الملكية:

بعد قيام ثورة الانقاذ قررت سلطاتها تحويل النادي إلي وزارة الارشاد والتوجيه في ٣٠/ ٨/ ١٩٨٩م، ثم صدر قرار آخر في ٩/ ١٠/ ١٩٩١م بأيلولة النادي

للمؤسسة العامة للعقارات التي تحولت فيما بعد إلي البنك العقاري السوداني الذي قام ببيع النادي إلي البنك السوداني الفرنسي ، فجرت محاولات عديدة للحيلولة دون تغييب وإزالة شيخ الأندية ، فقام الكاتب والذي كان سكرتير للنادي برفع العديد من المذكرات للنائب العام ووالي الخرطوم لايقاف البيع وهدم النادي، جاء باحداها بتاريخ ٢٢/ ٣/ ١٩٩٤م:

الموضوع: عدم احقية بيع البنك العقاري لنادي الخريجين الخرطوم للبنك السوداني الفرنسي وذلك للأسباب الآتية:

اولاً: ان العقارين المذكورين ١٢٥٦ يعتبران ملكاً حراً لنادي الخريجين الخرطوم منذ ١٩٣٤م، فالقطعة رقم ٦ خصصت للخريجين علي نظام بيع الحكر بواقع ايجار يدفع مرة واحدة وقدره ١٢٠ مليم "شهادة بحث مرفقة" وهي القطعة التي يوجد بها المنزل الحكومي وتمتد من الشمال إلي الجنوب من الناحية الشرقية، أما القطعة رقم ١٢ الغربية والتي يقوم عليها المجمع الصحي فقد اشتريت من ابكار الخريجين وقد تبرع بدفع قيمتها للحكومة رضوان الله عليهم السادة إسماعيل الازهري ، عبد العزيز القباني ، د. منصور علي حسيب، د. مكي شبيكة، عبد العزيز شروني، عبد الله بك خليل ، خلف الله خالد، عمر إسحق، وعثمان منصور (شهادة بحث).

واضيفت القطعة للمبني ونزع النادي إبان العهد المايوي دون وجه حق وتقرر ضمه للمؤسسة العامة للعقارات، وبعد الانتفاضة رجع النادي إلي اصحابه الشرعيين في عام ١٩٨٥م بواسطة المجلس العسكري الانتقالي بخطاب يحمل كل آيات السمو الوطني واستلم الكاتب الخطاب بنفسه بصفته سكرتير النادي "الخطاب مرفق" وطولب بتعديل وضعية النادي بعد الغاء قرار النزع وتمت مخاطبة رئيس مجلس الوزراء السيد الصادق المهدي في حكومته الأولي، وقد رد بأنه وجه معالجة الموضوع في لجنة إزالة آثار مايو "خطاب مرفق" وبعد قيام الانقاذ تقرر تحويل النادي مع العقار إلي وزارة الأرشاد والتوجيه (خطاب بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٩٨٩م) ، ثم صدر قرار من ثورة الانقاذ ايضا ، فارجع النادي للمؤسسة العامة للعقارات وخصص لنادي الخريجين الخرطوم ومناشطه وهو قرار سيادي واجب الطاعة والتنفيذ القرار بالرقم ق ج / ق ث / و/ م ل ت / ٢/ أ بتاريخ ٩/ ١٠/ ١٩٩١م صادر من مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني القصر الجمهوري بأمر اللواء الركن التجاني آدم

الطاهر ـ عضو مجلس قيادة ثورة الانقاذ الوطني ورئيس لجنة التوجيه والتنمية الاجتماعية، وقد ارسلت صورة إلي المؤسسة العامة للعقارات التي تحولت إلي البنك العقاري السوداني الذي قام ببيع النادي دون وجه حق رغم قرار التخصيص ومساعي اللجنة لتعديل السجل مع السلطات السيادية، خطاب البيع مرفق فقرة التخصيص من القرار ب ـ يستمر العقار كنادي للخريجين يمارس فيه النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي كما جاء في الفقرة من خطابنا المشار إليه القرار مرفق.

ثانياً: ان قرار التصرف في المرافق العامة للدولة لا يشمل نادي الخريجين الذي هو مرفق خدمي لا يكلف الدولة أي عبء من أي نوع كما هو الحال بالنسبة للمؤسسات الخاسرة.

ثالثاً: أن نادي الخريجين الخرطوم مؤسسة ثقافية رياضية اجتماعية قومية قدمت وما زالت تقدم الكثير من اجل السودان في شتي مجالاتها منذ انشائه في عام ١٩٣٤ عليه الرجاء التكرم بايقاف تكسير نادي الخريجين.

كما خاطب والي الخرطوم ـ آنذاك ـ بدر الدين طه عدة جهات من بينها وزير المالية والاقتصاد الوطني في السابق عبد الله حسن احمد في ٣/ ٤/ ١٩٩٤م بخطاب جاء فيه: "أن نادي الخريجين كما يعلم سيادتكم من اعراق الاندية بالسودان ويعتبر تراثا خالداً للأمة السودانية وكان علي البنك العقاري الذي آلت إليه هذه القطعة بعد حل المؤسسة العامة للعقارات أن يضع اعتبارا لهذا الصرح، خاصة وان التوجيهات الصادرة من السلطات في هذا الصدد هي استمرار العقار كناد للخريجين يمارس فيه النشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي وفي هذا رأيت مخاطبتكم راجياً التكرم بايقاف بيع الجزء المشيد فيه النادي والذي يشمل القطعة رقم ٦ مربع ١/ هـ شرق الخرطوم ويمكن أن يتم البيع للقطعة رقم ١٢ مربع ١/ هـ شرق الخرطوم والملاصقة للنادي والمسجلة اصلا باسم حكومة السودان وبذلك نحفظ لشيخ الأندية مكانته.

البيع والإزالة:

علي الرغم من ذلك لم تفلح كل المحاولات في ايقاف بيع نادي الخريجين التي تمت بالفعل في ابريل ١٩٩٤م لقيام في موقعه البنك السوداني الفرنسي ويغيب معلم تاريخي وشاهد حضاري لحقب واحداث مهمة مضت.

ما كان لاية جهة كانت أن تغيب معلما تاريخيا مثل نادي الخريجين، وأنه

السودان الذي يعتبر ارثا وملكا لاجيال قادمة ويعتبر بيعه وهدمه تغييباً لذاكرة الشعب وطمسا لهوية السودان، حتى لا تعرف الاجيال القادمة تاريخها وهذه سياسة تبناها البعض لمصالحهم الشخصية.

واضيف أما نحن فقد سلمنا سجل النادي لدار الوثائق الوطني السودانية أن النادي كان نواة البنيان الوطني عسي أن تأتي اجيال اخري تقوم باصلاح ما دمره البعض لأن المسئولية تاريخية لان النادي مرتكز الشخصية السودانية والملجأ لكل سوداني عندما تصطرع الاحداث، فهو الذي احتضن السودانيين من كافة اصقاع السوان وفتح لأبناء الاقليم الجنوبي المناشط الرئيسية من سلة وجباز وسباحة وتنس طاولة وكارتيه، لقد كان بوتقة انصهر فيها ابناء السودان أو كان السودان نفسه مصغراً.

لقد شهد نادي الخريجين بالخرطوم كثيرا من الأحداث السياسية والثقافية طيلة مسيرة تاريخة ومن أعظم الأحداث الادبية التي شهدها النادي الليلة الادبية التي اقيمت للاديب العربي عباس محمود العقاد الذي زار السودان في يوليو ١٩٤٢م أثناء الحرب العالمية الثانية وقد أحتفي به أدباء السودان ويصف لنا الاستاذ حسن نجيله في كتابه "ملامح من المجتمع السوداني" صوراً من هذا الحفل الادبي الذي أقيم بنادي الخريجين الخرطوم فيقول:

"واردنا أن نكرم العقاد في زيارته تلك فاقترح السيد داود عبد اللطيف (مدير كسلا الآن) أن نحتفي به احتفاءً أدبياً مبتكراً،وقد كان داوود آنذاك شابا طلعة، يملأ المجتمع نشاطا وكان سكرتيرا لنادي الخريجين بالخرطوم عندما كانت عضوية أندية الخريجين شرفا عظيما يتسامي إليها كل مثقف متطلع لخدمة وطنه.. او خدمة نفسه. واستقر رأينا علي اقامة حفل ادبي بنادي الخريجين بالخرطوم من لون جديد، إذ ندعو العقاد ليستمع إلي آراء نخبة من الأدباء السودانيين في أنتاجه الفكري شعرا أو نثراً وكانت مغامرة اوحاها لنا زهو الشباب.

وتولي داوود اخراج المغامرة وحشد لها عددا من ادبائنا الشبان خص كلا منهم بناحية ادب العقاد ليتولاها بالنقد والتشريح"

ويعد هذه المقدمة عن الحفل الذي قدمه الاستاذ حسن نجيلة يصور لنا في السطور القادمة يوم الحفل وكيف احتشد النادي بجمهور كثير ويواصل الاستاذ نجيلة:

"وفي الصف الامامي جلس العقاد علي مقعد وثير وبجانبه كبار الخريجين من رجال

العلم والادب علي اختلاف طبقاتهم وازيائهم وعلي مسرح النادي وبالقرب من المنصة جلس منظمو الحفل والمتحدثون وتولي دواوود سكرتارية الحفل واخذ يقدم المتحدثين واحد بعد واحد ، والعقاد قد ارهف سمعه يلتقط كل كلمة من احاديثهم تلك.

تحدث محمود الفضلي حديثا قيما مشرقا، كانت دراسة مستفيضة مركزة عن أدب العقاد. وانتشي العقاد واهتز أعجابا، توالي المتحدثون بعد محمود واذكر منهم (السيد الفيل) ومحمد المهدي ، مجذوب الذي القي تحية بالشعر استلهمها بقولة يصف مدينة الخرطوم.

يا شاعر الوادي ولحن عبابه
من حائر او ثائ في ملعب
هذه هي الخرطوم دونك أرضها
غريبة هي من ولائد يعربْ

والقصيدة طويلة اوردها الاستاذ حسن نجيلة في كتابه وتذخر القصيدة بالصور الشعرية الخلابة وفوران الشعور بالعروبة وترابط ابناء وادي النيل.

ويقدم بعد ذلك الاديب صلاح الدين العتباني كلمته وهو كان من الشباب المتحمس للحركة الوطنية في مصر كغيره من الوطنين السودانين والتي كان يري معظم المثقفين السودانيين من يمثلها هو حزب الوفد وكان العقاد قد خرج عن حزب الوفد وهنا قام الاديب صلاح الدين العتباني بانتقاد العقاد علي موقفه من حزب الوفد مما جعل العقاد يتململ في جلسته بحركة عصبية واضحة ويذكر الاستاذ حسن نجيلة بانهم حاولوا تلطيف الجو بتقديم الفنان إسماعيل عبد المعين وكان آنذاك طالبا في معهد الموسيقي بالقاهرة ليغني قصيدة للعقاد لحنها الفنان لهذه المناسبة، وقد نجح منظموا الحفل من التسرية عن العقاد، فاعتدل في جلسته وتابع مغنينا وهو يشدو بشعره.

واورد الاستاذ حسن نجيلة القصيدة كاملة وتتابع الصور الادبية لهذا الحفل الذي صوره قلم الاستاذ نجيلة والذي كان شاهدا لعصره ويذكر كيف أن الحس الوطني داخل نادي الخريجين بالخرطوم كان متفجرا وذلك حين طلب الجمهور سماع نشيد المؤتمر الجديد (للعلا للعلا) ثم يواصل الاستاذ حسن نجيلة وصفه لمجريات الحفل . وآثار النشيد ثائرة المجتمعين وأستقبل بحماس فائض.. واستأنف المتحدثون القاء كلماتهموقصائدهم.

وحسبنا أن الزوبعة التي اثارها صلاح عتباني بحنجره الذي اراد أن يغمده في صدر العقاد السياسي قد هدأت ثائرتها بعد هذا الفاصل الغنائي الممتع. حتى أعادها ثائرة مربدة صديقنا السيد علي نور المهندس (شاعر المؤتمر) عندما جاء دوره ليلقي قصيدته في تحية العقاد.

وكان العقاد يعلم في قرارة نفسه أن الناس يقولون أن زيارته للسودان إنما هي هروب من جيش النازية.. وكان يكره أي حديث يشير إلي هذا المعني في قريب او بعيد، ويورد الاستاذ حسن نجيلة كثيرا من ادبيات القصيدة ويصل في نهايتها إلي الابيات التي اثارت العقاد ، وفي نهاية الحفل يجسد لنا يراع الاستاذ حسن هذه الصورة البلاغية المجسمة حتى تكاد تتخيل نادي الخريجين بالخرطوم في تلك الليلة.

فيقول:

وفرغ المتحدثون والشعراء واتجهت الابصار إلي العقاد فقام ومشي ناحية المنصة وئيد الخطي مديد القامة .. وقف ليرد وسمعنا عجبا فقد أذهلنا بقوة ذاكرته، اخذ يرد علي المتكلمين واحدا بعد واحد وكان يلمس افكار المتحدث اولاً في رفق، ثم يأخذ في كشف اخطائه الفكرية او اللغوية . وقد حفظنا عن ظهر قلب.. وما يزال به حتى يتركه اثرا بعد عين .. ولعل صلاح الدين عتباني وعلي نور لن ينسيا قط ما صبه عليهما تلك الليلة.

وكان حديثه دروسا قيمة في الادب والسياسة والشعر وآدب الخطاب. ويواصل الاستاذ حسن نجيلة ليصف انعكاسات تلك الليلة الادبية علي الأيام التي تلتها ومواصلة مناقشة أحداثها مع العقاد.

حقاً لقد كان نادي الخريجين بالخرطوم يمثل وجدان وضمير المثقف السوداني فقد تجسمت في أرجائه أحداث عظيمة وتمثلت فيه خطوات أباء لنا فهو مرآة لتاريخنا وسجل لحياتنا الثقافية.


دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان